

سلسلة المؤلفات العربية ١٠١١

# موقف الصحابة من الفرق والفرق

إعداد

د. سعدية بنت سلطان بن عبد الرحمن الشويخ  
أستاذة الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى

قراءة وتوضيح

لأستاذة الشريعة الإسلامية  
د. سعدية بنت سلطان بن عبد الرحمن الشويخ

أستاذة الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى  
بجدة - المملكة العربية السعودية

إشادة وتقديم

أ. د. محمد بن عبد الكريم العفلق

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى  
بجدة - المملكة العربية السعودية

دار النشر

مكتبة أم القرى

# موقف الصحابة من الفرق والفرق

إشراف وتقديم

أ.د/ ناصر بن عبد الكريم العفل

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

قرأه وقدم له

أ.د/ عبد الله بن عمر الدبيجي

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى

بمكة المكرمة

إعداد

د. أسماء بنت سليمان بن عبد الرحمن السويدي

أستاذة العقيدة المساعد بكلية التربية - بجدة

وزارة الثقافة  
الرياض - السعودية

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik

أنظر قناة التليغرام

تحميل كتب و رسائل علمية  
Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah  
utan Undangan

دارالفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ - ص.ب ١١٤٢

تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

## تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالله الدميحي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى

بهدهاء.

أما بعد :

فقد يسر الله تعالى لي قراءة هذه الرسالة الموسومة بـ [موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة والفرق] من إعداد الأخت الباحثة / أسماء بنت سليمان السويلم في تخصص العقيدة والمذاهب الفكرية حيث كنت أحد أعضاء لجنة المناقشة.

ولقد ألفتها رسالة علمية متميزة تظهر أهميتها من جهة موضوعها حيث تناولت أحد أخطر وأعظم الأدوار التي ابتليت بها الأمة الإسلامية وسبل الوقاية منه. ومن جهة بيانها لموقف الجيل القدوة من هذه القضية الخطيرة وهم صحابة رسول الله ﷺ وحواريوه الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وحمل الرسالة من بعده وزكاهم تعالى في محكم تنزيله ورضي عنهم وأرضاهم، وشهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية والفضل على سائر الأمم .

وتتأكد أهمية هذا الموضوع في هذه الحقبة العصبية من حياة أمتنا الإسلامية التي تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فيقتضي ذلك منها توحيد الصف واجتماع الكلمة وسد كل باب يؤدي إلى الفرقة والاختلاف قد ينفذ منه العدو المتربص، حتى نسلم من الفشل وذهاب الريح الذي حذرنا منه ربنا تبارك وتعالى .

ولكن في مقابل ذلك - وللأسف - أصبحنا نرى ونسمع - بسبب ذنوبنا وتقصيرنا - بوادر للفرقة والاختلاف تطل برؤوسها وتظهر آثارها من خلال اشتغال بعض الناس بتصنيف الناس وتبديعهم وتفسيقهم، بل وتكفيرهم بغير هدى ولا كتاب مفيد مما تسبب في خروج فئة منهم على جماعة المسلمين. واشتغل الطرف الآخر بسبب علماء المسلمين والطعن في دعواتهم وأهل الفضل منهم واستغلال أهل البدع والأهواء هذه الأجواء بإظهار بدعهم والدعوة إلى أهوائهم.



كل ذلك في غياب المفاهيم الصحيحة - عند كثير منهم لتصنيف الفرق وتحديد مفاهيمها والمنهاج الشرعي في التعامل مع المخالف من أرباب الفرق أو من غيرهم. والله المستعان .

وأحسب أن الأخت الباحثة قد وفقت أي توفيق في اختيار هذا الموضوع ومعالجة المسائل، واختيار المادة العلمية الدسمة والثمينة، والإفادة من المصادر والمراجع الكثيرة التي رجعت إليها في أسلوب علمي رصين، وعبارة سهلة ولغة سليمة بعيدة عن فاحش القول وبذئء العبارة، يظهر بين طيات تلك الأسطر تواضع جم وأدب رفيع وعاطفة جياشة وغيره على عقيدة هذه الأمة وواقعها المرير.

ومن توفيق الله تعالى للأخت الباحثة أن قام بالإشراف على هذا العمل العلمي المتميز أحد العلماء البارزين الذي أثرى الساحة بإسهاماته العلمية والعملية دفاعاً عن هذه العقيدة وحراسة لثوابتها ومقارنة لخصومها بالحجة والبيان وكشف حائل وخطط الأعداء وأهل البدع والأهواء، وهو فضيلة أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

وعليه فإني أحسب أن الأخت الباحثة قد أسهمت ببحثها هذا في وضع لبنة مهمة لبناء السد المنيع الذي يجب أن تتضافر جهود المخلصين على بنائه لدرء الفتنة ومنع كل أسباب الفرقة عن كيان هذه الأمة وهي مسؤولية مشتركة ولكنها على طلبة العلم وأهل الفكر أكد وواجب .

سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بهذا البحث كاتبته وقارئه، وأن يسدد الخطى ويعلي الدرجات وأن يحفظ على هذه الأمة دينها وأمته وأن يجمع كلمتها على الحق والتقوى، وأن يهدي ضال المسلمين ويرد كيد الكائدين وحسد الحاسدين .  
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حرره

١٤٢٦/٥/٢٩هـ

عبدالله بن عمر الدميحي

عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

## تقديم

أد/ناصر بن عبد الكريم العقل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن هذا البحث الذي بين أيدينا والموسوم بـ (موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة والفرق) للباحثة أسماء بنت سليمان السويلم - وقد قدمته لأطروحة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة - وحصلت على الامتياز مع التوصية بالطبع، وقد أشرفت عليه.

إن هذا البحث من البحوث المتميزة في موضوعه وأهميته وأصالته وقد وفقت الباحثة (بحمد الله) في اختياره ثم في معالجته، وكانت مسددة وموفقة حين تميز عملها بغزارة المادة العلمية وحسن التعامل معها وسلامة المنحى العقدي، وسلامة منهج الاستدلال ومنهج التعامل مع النصوص والآثار، وجودة الصياغة والعرض، واحترام العلماء وأمانة النقل ولها تحليلات وتعليقات تنمي عن صفاء في العقيدة وغيره منضبطة على نهج السلف الصالح، وعن تمكن في التخصص، ولذلك تجاوزت كثيراً من الاشكالات بجدارة رغم صعوبة الموضوع وخطورته.

فكان عملها هذا لبنة قوية في صرح منهج السلف الصالح، وإسهاماً مشكوراً في إجلاء موقف أهل السنة والجماعة من الفرق والافتراق من خلال نهج الصحابة رضوان الله عليهم أول جيل رسم طريق التعامل مع المخالفين للسنة وتطبيق قواعد الدين من خلال القرآن وسنة النبي ﷺ.

ولذا فإني أوصي كل باحث وباحثة بسلوك هذا النهج الأصيل في خدمة الإسلام والمسلمين وحماية الأمة من غوائل البدع والافتراق.

وقد توج هذا العمل إجازته من عالين متخصصين في العقيدة هما الدكتور عبد الله بن عمر الدميحي، والدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

كما لا يسعني إلا أن أشكر (دار الفضيلة) ممثلة بمديرها على مبادرتها في طبع هذا البحث القيم .

ونسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لكل خير، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى وأن يقيهم شر الفرقة والتنازع وكيد الأعداء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله ورضي الله عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بفضله وكرمه .

أ د / ناصر بن عبد الكريم العقل

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أما بعد:

فلقد أمر الله عزّ وجلّ بالاجتماع على الحق، والتمسك بالصرائط المستقيم، وأمر سبحانه بالبعد عن الفرقة وسبلها، وجعل هذا أصلاً من أصول الدين وصاناً بالتمسك به كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٢) ولقد كان الرسول ﷺ يكره الاختلاف، ويحذر من الفرقة وينهى عنها، وكان عليه الصلاة والسلام يعمل على تربية صحابته رضي الله عنهم على الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والخلاف، بوسائل شتى، وفي مواقف عديدة، فكانوا رضي الله عنهم كما رباهم ﷺ أشد الناس حرصاً على الجماعة، وأكثرهم خوفاً وحذراً من الفرقة.

ولقد كان للصحابة رضي الله عنهم المواقف الوافرة في التصدي للفرقة والفرق في بدايات نشوئها، والتي تجلّى فيها عمق فهم الصحابة رضي الله عنهم، فكانت تلك المواقف تستحق الدراسة والتأمل، واستخراج الدروس والعبر في عصر تمزقت فيه الأمة الإسلامية وتفرقت وتحزبت، وهي أحوج ما تكون إلى الاجتماع والوحدة.

وبعد الاستخارة والاستشارة اخترت أن تكون مواقف الصحابة هذه هي موضوع بحثي لنيل درجة الدكتوراه، فكان عنوان الرسالة مَوْقِفُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مِنَ الْفِرْقَةِ وَالْفِرْقِ، وكان لهذا الموضوع أهمية، ولاختياري له أسباب، وهي:

أهمية الموضوع:

١- إن التصدي لأهل البدع والافتراق من سنن الهدى ومن أبواب الجهاد كما قال يحيى بن يحيى<sup>(١)</sup> - أحد أعلام السلف - "الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله"<sup>(٢)</sup>.

٢- أنه لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أول من تصدى للفرقة والفرق حال ظهورها، وكانت لهم المواقف الكثيرة، والتي تستحق الدراسة لتتبرر درب الخلف الآن، وصدق عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينما أوصى أحد عماله فقال: - "فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ... فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وبيصر نافذ قد كفّوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل لو كان فيه أخرى. فلئن قلت: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من ابتغى غير سنتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصّر، وما فوقهم مُحسّر"<sup>(٣)</sup>، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"<sup>(٤)</sup>.

٣- إن نصوص الكتاب والسنة جاءت محدّرة من الفرقة وذمّ الفرق جملة في الغالب بدون تعيين، فكانت مواقف الصحابة وتطبيقاتهم لهذه النصوص ترجحاً لها، وتفصيلاً لمجملها، لصدورها عن فهم دقيق، وفقه وثقى، فقد تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة ففهموا مقاصده، وعانوا أفعاله، وسمعوا منه شفاها ما لم يحصل لمن

(١) هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري، أبو زكريا، إمام في الحديث، ورع ثقة. كان من سادات زمانه علماً ودينياً ونسكاً. توفي عام ٢٢٦هـ. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١١ / ٢٩٦)، الأعلام لخير الدين الزركلي (٩ / ٢٢٣).

(٢) ذمّ الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي (٤ / ٢٥٤) تحقيق أبو جابر الأنصاري.

(٣) الرجل المحسر المؤذى المحقر. انظر لسان العرب لابن منظور (٤ / ١٩٠).

(٤) كتاب الشريعة لأبي بكر الآجري (٢ / ٩٣١) تحقيق عبد الله الدميحي، وانظر سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤ / ٢٠٣)، كتاب القدر للفريابي (١٢٨) تحقيق محمد إسماعيل.



بعدهم؛ مما جعل التأسى بهم واجباً، وسلوك منهجهم ملزماً كيف لا وهم خير القرون<sup>(١)</sup>.

٤- وفرة الآثار المروية عن الصحابة في مواقفهم تجاه الفرقة والفرق وأصحابها، والتي تبين بعد نظرهم بمآل الأمر عند ظهور بدايته، وإنزالهم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الافتراق منازلها، أو ذكر سمات بعض الفرق على أناس ابتدعوا في أول الأمر فكان كما قالوا، وهذا كله يحتاج للدراسة والنظر.  
أسباب اختيار الموضوع:

١- إن الرجوع إلى كلام الصحابة في فهمهم للنصوص الشرعية من القواعد الجليلة التي تحقق سلامة المنهج والنجاة من الشبهات.

٢- التباس المفاهيم عند بعض الجماعات في الوقت الحاضر في تحديد من هم أهل الافتراق وأصحاب الفرق، وينتج عن ذلك لبس في معاملتهم ووصفهم؛ مما احتاج إلى بيان حال الصحابة في ذلك ليحتذى، ولا يحدث الإفراط أو التفريط في هذه المسألة المهمة.

٣- إن أصول الفرق التي ظهرت في عصر الصحابة مازال لها امتداد في العصر الحاضر، وإن اختلفت الأسماء والشعارات إلا أن منهجهم واحد، مما جعل دراسة مواقف الصحابة تجاه هذه الفرق أمراً مهماً.

٤- إن هذا الموضوع لم يفرد بتأليف مستقل - فيما أعلم - فإن الكتابات عن الفرق والبدع كانت مركزة في بيان أنواع البدع، وأحكام التعامل معهم، أو موقف الفرق من الصحابة وأحداث الفتنة بينهم أو موقف السلف من الفرق بشكل عام، أما موقف الصحابة من الفرقة والفرق على النحو الذي جاء في هذا البحث، فلا أعلم أن أحداً كتب فيه كتابة علمية مستقلة متقصياً فيه أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

(١) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (١ / ٨١)، (٤ / ١٢٣).

خطة البحث:

لقد سار هذا البحث وفق الخطة التالية، والتي تتكون من مقدمة وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وهي الآتي:

\* المقدمة: حوت أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطته والمنهج المتبع فيه.  
\* التمهيد: تعريف الصحابي، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه، وفيه ثلاثة

مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الصحابي في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الثاني: فضل الصحابة وفقههم، وفيه مطلبان:
  - ◀ المطلب الأول: فضل الصحابة رضي الله عنهم.
  - ◀ المطلب الثاني: فقه الصحابة رضي الله عنهم.
- المبحث الثالث: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. وفيه أربع نقاط:
  - ◀ أولاً: عدالة الصحابة
  - ◀ ثانياً: وجوب محبة الصحابة وتوقيرهم من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير تفريق
  - ◀ ثالثاً: وجوب ذكر محاسنهم، والترضي عنهم، والدعاء لهم، وعدم الخوض فيما شجر بينهم.
  - ◀ رابعاً: النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم، أو ذكر أحدهم بما يسوء.
- الباب الأول: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة، وفيه أربعة

فصول:

- الفصل الأول: تعريف الاختلاف، والفرقة والفرق، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: تعريف الاختلاف في اللغة والاصطلاح، وأنواعه.
- المبحث الثاني: تعريف الفرقة والفرق في اللغة والاصطلاح، وأنواع الفرقة.
- المبحث الثالث: العلاقة بين الاختلاف والفرقة.

● الفصل الثاني: النهي عن الفرقة والتحذير منها في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وفيه اثنتا عشرة نقطة:

- ◀ أولاً: الجمع بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد.
- ◀ ثانياً: الأمر بلزوم الجماعة والترغيب في ذلك، والتحذير من الفرقة والنهي عن الأسباب التي تؤدي إليها.
- ◀ ثالثاً: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق في الدنيا، وبيان الوعيد الشديد من الله تعالى لهم.
- ◀ رابعاً: التأكيد على أسباب الاجتماع، وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين، حرصاً على الجماعة وسداً لباب الفرقة.
- ◀ خامساً: إن الفرقة والاختلاف عذاب وعقوبة من الله عز وجل للأمة حينما تعصيه، أما الاجتماع والاتلاف فهو رحمة بالأمة، ونعمة من الله على عباده المؤمنين.

- ◀ سادساً: الإخبار أن الفرقة واقعة لا محالة ليعلم هذا ويحذر.
- ◀ سابعاً: بيان أن الأصل في البشرية هو الوحدة والجماعة على التوحيد، وبيان أن التفرق والاختلاف في الشرك بالله تعالى طارئ حادث.
- ◀ ثامناً: وصية الله لأتباعه ورسوله بالاجتماع على التوحيد الخالص لرب العالمين، ونبذ الفرقة وإطراحها.
- ◀ تاسعاً: تبرئة الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من أهل الافتراق ذمّاً للفرقة وتنفيراً منها ونهياً عنها.

- ◀ عاشراً: النهي عن مشابهة المشركين وأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم.
- ◀ الحادي عشر: إن التفريق بين المسلمين من أهداف وغايات المنافقين والكافرين من أعداء الدين.
- ◀ الثاني عشر: إن الفرقة من وسائل الشيطان ومكائده التي ينصبها للمسلمين على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة.

- الفصل الثالث: أسباب الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وفيه أحد عشر مبحثاً:
- المبحث الأول: الجهل
- المبحث الثاني: الابتداع وعدم الاتباع.
- المبحث الثالث: تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ﷺ.
- المبحث الرابع: الجدل والخصومات في الدين، والتأويل الفاسد.
- المبحث الخامس: الغلو في الدين، وردود الأفعال.
- المبحث السادس: التعصب المذهبي والطائفي، والتقليد للرجال وتقديم أقوالهم على قول الله ورسوله ﷺ.
- المبحث السابع: التنازع على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور (البغي).
- المبحث الثامن: الخروج عن طاعة أولي الأمر (العلماء والأمراء).
- المبحث التاسع: التشنيع على أولي الأمر والتقول عليهم، وتأليب الناس ضدهم، وتتبع زلاتهم والاحتجاج بها.
- المبحث العاشر: التشبّه بالكافرين واتباع سننهم.
- المبحث الحادي عشر: اتباع الهوى.
- الفصل الرابع: مضار الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وسلامة الصحابة منها، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: مضار الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وفيه مطلبان:
- ◀ المطلب الأول: ضرر الفرقة على الفرد المفارق.
- ◀ المطلب الثاني: ضرر الفرقة على المجتمع المسلم.
- المبحث الثاني: سلامة الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة.
- الباب الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرق، وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: معنى حديث الافتراق، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: أصول الفرق وتقسيم العلماء لها، وقوله: {ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة}، وفيه مطلبان:
- ◀ المطلب الأول: موقف العلماء من ثبوت الحديث.
- ◀ المطلب الثاني: جهود العلماء في بيان معنى الحديث، وفيه أربع مسائل:
- ◀ الأولى: طريقة التصنيف.
- ◀ الثانية: تحديد الفرق بالعدد والتعيين.
- ◀ الثالثة: أصول الفرق وأقوال العلماء في ذلك.
- ◀ الرابعة: المراد بالأمة في قوله ﷺ: {ستفترق أمتي}.
- المبحث الثاني: حكم تكفير هذه الفرق، وقوله ﷺ: {كلها في النار}.
- المبحث الثالث: صفات الفرقة الناجية، وقوله ﷺ: {إلا واحدة}.
- الفصل الثاني: الخوارج وموقف الصحابة رضي الله عنهم منهم، وفيه

مبحثان:

- المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الخوارج، وفيه ثلاثة مطالب:
- ◀ المطلب الأول: تعريفهم، ومبادئهم، وألقابهم وفرقهم.
- ◀ المطلب الثاني: بيان أصلهم، وكيف خرجهم.
- ◀ المطلب الثالث: ما ورد فيهم من نصوص، وفيه مجمل أوصافهم.
- المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الخوارج.
- الفصل الثالث: الشيعة وموقف الصحابة رضي الله عنهم منهم، وفيه

مبحثان:

- المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الشيعة، وفيه مطلبان:
- ◀ المطلب الأول: تعريف الشيعة، وأهم معتقداتها، وبيان فرقها.
- ◀ المطلب الثاني: نشأة التشيع.
- المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الشيعة.



● الفصل الرابع: القدرية وموقف الصحابة رضي الله عنهم منهم، وفيه

مبحثان:

● المبحث الأول: نبذة تعريفية عن القدرية، وفيه مطلبان:

◀ المطلب الأول: تعريف القدرية، وأصنافها، وفرقها، وأهم معتقداتها.

◀ المطلب الثاني: نشأة القول بالقدر.

● المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من القدرية.

● الفصل الخامس: المرجئة وموقف الصحابة رضي الله عنهم منهم، وفيه

مبحثان:

● المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المرجئة، وفيه مطلبان:

◀ المطلب الأول: تعريف المرجئة، وبيان فرقها وأهم معتقداتها.

◀ المطلب الثاني: نشأة القول بالإرجاء.

● المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من المرجئة.

● الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

● الفهارس العامة.

منهج البحث:

١- الاعتماد- بعد التوكّل على الله- على تتبع نصوص الكتاب والسنة

الصحيحة، وآثار الصحابة الواردة في موضوع البحث، وبيان تفسيرات السلف

الصالح لها، واستنباط المفاهيم العلمية من ذلك.

٢- تناول موضوعات البحث وفق المنهج التحليلي المقارن حيث أجمع

النصوص والآثار الواردة في الموضوع الواحد، ثم أحللها تحليلاً عقدياً مع مقارنة

النصوص والآثار بعضها ببعض.

٣- قد يُكرر النص أو الأثر أو النقل عن العالم في أكثر من موضع، ولأكثر من

مسألة إذا كان يخدم الموضوع ويدل عليه.

٤- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية في

المتن، تيسيراً للقارئ وتخفيفاً على الهامش.

٥- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك ويعتبر حكماً له بالصحة، وإن كان في غيرهما فأكتفي بكتب السنن الأربعة، إلا أن يكون هناك سبب يستدعي غير ذلك.

٦- تخريج آثار الصحابة رضي الله عنهم الواردة في البحث بعزوها إلى مظانها، وقد اعتمدت على كتب السنة في جمع هذه الآثار، وحاولت جاهدة ألا استدل إلا بما صحّ من الآثار معتمدة على تصحيح العلماء والباحثين لها عند تحقيقهم لكتب السنة والسنن، وأما ما ذكر ولم يعلق عليه بصحة ولا ضعف فقد أذكره عند الحاجة إليه.

٧- التعريف الموجز بالأعلام، واستثنت من ذلك ترجمة المشاهير من الصحابة والأئمة والأعلام.

٨- التعريف الموجز بالفرق المهمة في البحث.

٩- التعريف بالأماكن المهمة التي تخدم الموضوع.

١٠- عند الإحالة إلى المرجع في الهامش اذكر اسم الكتاب كاملاً واسم مؤلفه في أول إيراد له، وأما معلومات الطبعة فيجدها القارئ في فهرس المراجع.

١١- إذا تكررت الإحالة على الكتاب؛ أذكر اسم الكتاب مختصراً، وقد اكتفي بذكر اسم الكتاب دون مؤلفه إذا أحيل إليه قريباً، وأذكر باسم مؤلفه بين الحين والآخر.

١٢- اذكر أسماء بعض الكتب باسم شهرتها مثل: تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وقد ذكرتها في فهرس المراجع بنفس اسم الشهرة مع ذكر اسم الكتاب كاملاً بين قوسين بجانبه.

١٣- عند الإحالة للمراجع في الهامش راعيت تقديم من نقلت عنه مباشرة، أو كانت المسألة مطروحة فيه بشكل موسّع، دون اعتبار للتقدم الزمني إلا إذا تساوا في عرض المسألة.

١٤- هناك مراجع عديدة- وغالباً ما تكون مؤلفات حديثة- استفدت منها سواء في جمعها للنصوص أو إحوالاتها ولم أنقل عنها شيئاً، فاكتفيت بذكرها في قائمة المصادر والمراجع عرفاناً بالجميل، وإقراراً بالحق.

١٥- عمل فهارس عامة للبحث وقد شملت:

أ- فهرس الآيات القرآنية والذي اكتفيت فيه بذكر اسم السورة ورقم الآية ومواقع ورودها في البحث ورتبتها حسب السور.

ب- فهرس الأحاديث النبوية مرتبة ترتيباً ألفبائياً في أول ورود للحديث حيث موضع التخريج.

ج- فهرس آثار الصحابة رضي الله عنهم مرتبة ترتيباً ألفبائياً في أول ورود للأثر حيث موضع التخريج.

د- فهرس الأعلام المترجم لهم بذكر موضع الترجمة. هـ- فهرس الفرق المعرف بهم في البحث. و- فهرس المصادر والمراجع. ز- فهرس موضوعات البحث. وأبقيت في هذه الطبعة فهرس المصادر والمراجع والموضوعات حتى لا يطول الكتاب.

وأخيراً فهذا جهد المقلّ، ولا أدعي أنني وفيت الموضوع حقه، فالموضوع واسع، وجرح الأمة غائر، وعذري أنني بذلت قصارى جهدي، فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه، وما كان فيه من خطأ ومن تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله القبول، وأختتم بقول الشاعر:

يا من غدا ناظراً فيما جمعت ومن أضحى يردد فيما قلته النظر  
ناشدتك الله إن عاينت لي خطأ فشر بالنصح فخير الناس من نصحا<sup>(١)</sup>

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين،،،

(١) البيتان للإمام زين الدين مرعي المقدسي إلا أنه قال في شطره الأخير \* فاستر عليّ فخير الناس من ستر \* وقد أبدلته كما ترى. انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات له (٤٢).

## المبحث الأول

### تعريف الصحابي في اللغة والاصطلاح

أولاً، في اللغة: الصحابي مفرد جمعه صحابة، والصحابة في اللغة من قولك: صَحَبَهُ، يَصْحَبُهُ، صُحْبَةً بالضم، وصحابة بالفتح. والمصاحبة: المعاشرة، وصاحبه: عاشره.

والصَّحْبُ جمع الصحاب، مثل راكب وركب، ولم يجمع فاعل على فعالة إلا في صاحب وصحابة.<sup>(١)</sup>

ثانياً: تعريف الصحابي في الاصطلاح: للصحابي عدة تعريفات عند علماء الحديث، والذي عليه كثير من أئمة المحدثين كالإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري، والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي<sup>(٢)</sup>، وغيرهم<sup>(٣)</sup> والذي صححه الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني<sup>(٤)</sup>، حيث قال: «أصح ما وقفت عليه أن

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٢/ ٥١٩)، القاموس المحيط لمجد الدين محمد الفيروزآبادي (١٣٤).

(٢) هو: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن أبي بكر أبي الفضل، المعروف بالحافظ العراقي، من كبار حفاظ الحديث، له كتب عدة منها: «فتح المغيث»، «التحريز»، «تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»، توفي سنة ٨٠٦هـ. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي (٤/ ٥٥)، الأعلام (٣/ ٣٤٤).

(٣) وانظر أقوال العلماء في ذلك: أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (٢٨) ضمن عقائد أئمة السلف عناية فواز أحمد زمرلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٧/ ٤)، الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ليحيى اليميني (١١)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي (٣٤٢)، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي (٢٥١)، شرحي ألفية العراقي: التبصير والتذكرة لزين الدين العراقي، ويليهما فتح الباقي شرح على ألفية العراقي لذكرياء الأنصاري (٣/ ٣- ١٠)، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (١٠٠).

(٤) هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني الشافعي =

الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح»<sup>(١)</sup>.

فهذا تعريف مانع وضع فيه ابن حجر قيوداً بينها بما يلي<sup>(٢)</sup>:

١- قوله: «من لقي النبي ﷺ» يدخل فيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

٢- قوله: «مؤمناً» قيد يخرج به من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

٣- قوله: «مؤمناً به» قيد يخرج به من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

٤- قوله: «مؤمناً به» يدخل فيه كل مكلف من الجن والإنس آمنوا به.

٥- قوله: «ومات على الإسلام» يخرج منه من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على رده والعياذ بالله، وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش<sup>(٢)</sup>.

= المعروف بابن حجر، الحافظ الكبير، الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلمه له مؤلفات كثيرة منها: الدرر الكامنة وتقريب التهذيب توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر الشذرات (٤/ ٢٧٠).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧ ط / دار الفكر، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، كلاهما لابن حجر (٥١-٥٢).

(٢) عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، حلفاء حرب بني أمية، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان ممن هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية هو وزوجته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، فارتد في أرض الحبشة وتنصر، ومات هناك. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٨٩) (٢٠٨٨) (١/ ٩٦)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٣/ ٤٦ ط / دار الفكر.



٦- قوله: "ولو تخللت ردة في الأصح"، أي: بين لقيه له مؤمناً به وبين موته على الإسلام، فاسم الصحبة باق له سواء أرجع إلى الإسلام في حياته ﷺ أو بعده، وسواء ألقبه ثانياً أم لا، ويدل على رجحان ذلك قصة الأشعث بن قيس<sup>(١)</sup> فإنه كان ممن ارتد وأتي به إلى أبي بكر الصديق أسيراً فعاد إلى الإسلام فقبل منه ذلك وزوجه أخته.

وإن كان كل من لقاه ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فهو صحابي، ولكن لا خفاء برجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه أو لم يحضر معه مشهداً، وعلى من كلمه يسيراً أو ماشاه قليلاً أو رآه على بعد أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصحبة حاصلًا للجميع.

ومن ليس له منهم سماع منه فحديثه مرسل من حيث الرواية، وهم مع ذلك معدودون في الصحابة لما نالوه من شرف الرؤية<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: طرق معرفة الصحابي: ذكر العلماء طرقاً يعرف بها كون الشخص صحابياً منها:

- ١- أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي، كالتواتر على أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبقية العشرة المبشرين بالجنة أنهم صحابة.
- ٢- أو يثبت بطريق الاستفاضة والشهرة وهي دون التواتر كعكاشة بن محصن<sup>(٣)</sup> وضمام بن ثعلبة<sup>(٤)</sup> وغيرهما.

(١) الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، كان اسمه معد يكرب وكان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث. يكنى أبا محمد وقد وفد على النبي ﷺ في سبعين ركباً سنة عشر. شهد اليرموك والقادسية وشهد مع علي بن أبي طالب صفين وله معه أخبار توفي سنة ٤٠ وقيل ٤٢هـ. انظر الطبقات الكبرى (١/ ٣٢١)، الإصابة (١/ ٥١) ط/ دار الفكر.

(٢) نزهة النظر (٥٢).

(٣) هو عكاشة بن محصن بن حُرثان الأسدي، صحابي من أمراء السرايا ومن السابقين الأولين، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ قتل عام ١٢هـ في حروب الردة. انظر الإصابة (٢/ ٤٩٤) ط/ دار الفكر، الاستيعاب (٣/ ١٥٥).

(٤) هو وضمام بن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر، قدم سنة تسع إلى النبي ﷺ وقال أنا رسول =

٣- إخبار بعض الصحابة عنه أنه صحابي، كحممة ابن أبي حمزة الدوسي<sup>(١)</sup> الذي مات بأصبهان مبطوناً فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ حكم له بالشهادة<sup>(٢)</sup>.

٤- إخبار ثقات التابعين عنه أنه صحابي.

٥- أن يخبر عن نفسه أنه صحابي إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة.

فلا بد من توفر هذين الشرطين: أما العدالة: فتثبت عدالته قبل إخباره عن نفسه أنه صحابي.

أما المعاصرة فهي معتبرة بمضي مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ لقوله ﷺ في آخر عمره لأصحابه: {أرأيتمكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد}<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال ذلك قبل موته بشهر {ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ}<sup>(٤)</sup>، ولهذا النكتة لم تصدق الأئمة أحداً ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة<sup>(٥)</sup>.

= من ورائي من قومي، وأنا ضمّام بن ثعلبة، وسأله عن الإسلام. فلما ولى قال رسول الله ﷺ: فقه الرجل، ورجع إلى قومه فأسلموا. انظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف ابن عبد البر، بهامش كتاب الإصابة، في تمييز الصحابة (٢ / ٢٧٤)، الإصابة (٢ / ٢١٠) ط / دار الفكر.

(١) هو حممة الدوسي، من أصحاب النبي ﷺ غزا أصبهان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر الإصابة (١ / ٣٩).

(٢) انظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣٤٨)، نزهة النظر (٥٢)، شرحي الألفية (٣ / ١١)، موسوعة آثار الصحابة لأبي عبد الله سيد بن كسروي (٣ / ٣٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر (١ / ٢١١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ على رأس مائة سنة (١٦ / ٩١ نووي).

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة، (١٦ / ٩١ نووي).

(٥) المقصود بالغاية المذكورة: ما ورد في الحديث من مائة سنة يضاف إليها عشر سنوات بعد هجرته، فلا تقبل دعوى الصحبة بعد عام ١١٠هـ.

وقد ادعاها جماعة فكذبوا<sup>(١)</sup>.

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم فما هو فضلهم وما مدى فقههم؟ وقد  
نعموا وامتازوا بصحبة خير بني آدم محمد ﷺ، هذا ما سيُبسط في المبحث القادم  
إن شاء الله.

تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik

أنظر قناة التليغرام  
تحميل كتب و رسائل علمية

Info  
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah  
utan Undangan

(١) انظر الإصابة (٨/١) ط / دار الفكر، التقييد والإيضاح (٢٥٨)، شرحي الألفية (١١/٣)، علوم الحديث لأبي عمرو بن الصلاح (٢٦٤).

## المبحث الثاني

## فضل الصحابة وفقههم ﷺ

## المطلب الأول: فضل الصحابة ﷺ

لقد ورد فضل الصحابة الكرام- رضي الله عنهم- في كتاب الله العزيز وفي سنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد تنوّعت فضائلهم، وتعددت خصال الخير المذكورة فيهم، فنزلت آيات القرآن الكريم تزكيتهم وتثني عليهم وتذكر ما قدموه للإسلام من جهاد بالنفس والمال والولد.

\* إن الإيمان الصادق لما خالط هذه القلوب- التي أختيرت من لدن حكيم خبير لصحبة نبيه ونصرة دينه- لما خالطها الإيمان وذاقت حلاوة التوحيد، وعزة العبودية لله عزّ وجلّ؛ قدمت كل ما تملك فداءً لهذا الدين، والعمل على رفعته وعزته، فاستحق الصحابة بذلك الثناء الجميل من الله لهم؛ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠)

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: "هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة". وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا، ولكن قال كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"<sup>(١)</sup>.

وإلى قول ابن عباس وعمر ذهب بعض العلماء وقال إن الآية خاصة بالصحابة رضي الله عنهم، وخالفهم آخرون وقال الآية عامة، وصحح ذلك الحافظ إسماعيل

(١) انظر تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تفسير القرآن" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

ابن كثير<sup>(١)</sup> رحمه الله حيث قال: "والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"<sup>(٢)</sup>.

فهذه الآية ذكرت فضيلة هذه الأمة عامة، ودخول الصحابة رضي الله عنهم في هذه الفضيلة أولى وأحرى، فهم خير من قام بشرط الخيرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيماناً بالله وتصديقاً بوعده وجهاداً في سبيله.

\* ولقد ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم مواقف عدة للرسول ﷺ والصحابة معه في عدة معارك، وذكر القرآن فضل الله عليهم في تلك المواقف من إنزال السكينة، وإنزال الملائكة للتأييد والنصرة في غزوة بدر والأحزاب وغيرها وهذا دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِجْ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٣﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ (الأعداء ٩-١٢)

(١) هو: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الأصل الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٧٠١هـ اشتغل بالحديث مطالعه في متونه ورجاله وبرع في التفسير والفقه والنحو، له مصنفات كثيرة منها: تفسير القرآن العظيم البداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢/ ٢٨٤)، الشذرات (٣/ ٢٣١).

(٢) تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٠).



في أول لقاء مع العدو في غزوة بدر حيث كان المؤمنون قلة والكفار ضعفيهم في العدد والعدة مع ما في نفوس الكفار من احتقار وتقليل لشأن المسلمين، ولكن الله غالب أمره وناصر جنده وأوليائه، معلل لدينه، فظهر من نصر الله لرسوله وللمؤمنين ما ظهر، وظهر من فضل الصحابة في هذه الآيات ما ظهر من عناية الله برسوله وبصحابته ورحمته سبحانه بهم، وإكرامهم جلّ شأنه بإنزال المطر، ونصرة الملائكة لهم وتغشيتهم النعاس وتقوية قلوبهم بذلك، ووصفهم الله بالإيمان حال تبييتهم بالملائكة<sup>(١)</sup>.

\* ولقد أثنى الله سبحانه على جهاد رسول الله ﷺ والصحابة الكرام معه وتقديمهم الأنفس والأموال في سبيله وعدّ ذلك فلاحاً، فكان أن نالوا الجزاء الوافر من الله والوعد الكريم لهم بالجنة وما أعد فيها من جنات ومن خيرات حسان، يقول تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة ٨٨-٨٩)

نعم؛ إن الفوز العظيم يكون بدخول الجنة، ولقد جاء هذا الوعد الكريم للصحابة رضي الله عنهم في أكثر من موضع يقول تعالى: ﴿لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٥)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح ١). قال: الحديدية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿لِيَدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ { (٢).

(١) انظر تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي (٧/ ٢٣٥)، مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب (٩٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب صلح الحديدية (٧/ ٤٥٠ فتح). وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٥)، فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨/ ٥٨٣).

والوعد بالجنة للصحابة كلهم سواء منهم من أسلم قبل الفتح أو بعد الفتح فكلهم من أهل الجنة، وإن اختلفوا في درجاتها كما اختلفوا في عطائهم وبذلهم لهذا الدين، فالجزء من جنس العمل<sup>(١)</sup>، يقول سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد ١٠)

يقول الإمام علي بن حزم<sup>(٢)</sup> رحمه الله عن الصحابة رضي الله عنهم: "وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة" ثم ساق الآية السابقة وغيرها وقال: "هذه مواعيد الله تعالى، ووعد الله مضمون تمامه"<sup>(٣)</sup>.

\* إن هؤلاء الصحب الكرام قد اختارهم الله لمهمة عظيمة، لنقل هذا الدين إلى العالم، لذلك صفّاهم الله ونقّاهم، وحبب الإيمان إليهم وزينه في قلوبهم، وجعل الكفر والفسوق والعصيان من الأمور التي يبغضونها ويكرهونها، ويجاهدون في سبيل الله للقضاء عليها، إنه بحق الإعداد والإمداد من الله لهم، يقول عزّ شأنه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمْرِ لَعَيْنُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات ٧)

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (١٦٨ / ٥).

(٢) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي اليزيدي، مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان الأموي، الفقيه الحافظ المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف توفي سنة ٤٥٦ هـ. انظر سير أعلام النبلاء لمحمد الذهبي (١٨ / ١٨٤)، الشذرات (٢ / ٢٩٩).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (٥ / ٩٠ - ٩١).

\* وكفى الصحابة فضلاً وفخراً أن الله أحل رضوانه عليهم، وأنزل ذلك في آيات تتلى إلى قيام الساعة، يقول جل ثناؤه: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الفتح ١٨-١٩)

ويقول سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (التوبة ١٠٠)

فأخبر عز وجل أنه رضي الله عنهم ورضى أعمالهم ورضي عن اتباعهم بإحسان، فهم القدوة في الدين بعد رسول الله ﷺ بإصابة الحق وأقربهم إلى التوفيق لما يقرب إلى رضاه<sup>(١)</sup>.

\* ولم يقتصر ذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وبيان وصفهم في القرآن الكريم، بل قد ذكروا في الكتب السابقة في التوراة والإنجيل، يقول الله عز وجل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ (الفتح ٢٩)

هذا هو محمد ﷺ وهؤلاء هم صحابته معه في أروع وصف وأبين مثال، فمحمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم قليلة بهم رحمتهم، أما فيما بينهم وداعي الإيمان يجدوهم فرقيقة

(١) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام إسماعيل الأصبهاني (٢ / ٤٢٧).

قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم هينة عليهم لهم<sup>(١)</sup>، فهم كما قال الله عز وجل: ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤)

أما عن عبادتهم فما ترى الواحد منهم إلا راکعاً أو ساجداً يبتغي فضل ربه، ملتصقاً بفضله ليدخله الجنة، وعلامة ذلك واضحة بينة في وجوههم ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فسيماهم الذي يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه، وفي الآخرة ما يعرفون به من الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود<sup>(٢)</sup>.

هذه هي صفتهم المذكورة في التوراة، أما في الإنجيل فمثلهم كمثل زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، فتقوى وأعانه وشده؛ حتى صار ذلك الزرع غليظاً قوياً بعد أن كان دقيقاً؛ حتى استوى على سوقه فاستقام على أعواده. وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع، ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه ﷺ وتقويته لهم فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي: كثرتهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين<sup>(٣)</sup>.

هذا هو وصف الصحابة الكرام وهذا بعض فضلهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وبعثه برسالته، ثم نظر في

(١) انظر تفسير الطبري (٢٦ / ٦٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٦ / ٧١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٥٦)، انظر تفسير الطبري (٢٦ / ٧٣)، تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٦).

قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه<sup>(١)</sup>.

\* ولقد ذكر القرآن فضل الصحابة جملة كما تقدم بعض ذلك، ونصّ بالثناء على المهاجرين والأنصار فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال ٧٤).

فهؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار هم المؤمنون حقاً الذين حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة، وحقق الله إيمانهم بالبشارة بالثواب العظيم في الجنة<sup>(٢)</sup>. فهذا والله هو الوسام والفضل بشهادة علام الغيوب لهم بالإيمان الحقيقي الذي تحقق للصحب الكرام فويل لمن رد القرآن ونفى الإيمان عن بعض أصحاب نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

\* ومن فضائل الصحابة رضي الله عنهم أن الله تاب عليهم فقال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة ١١٧).

في غزوة تبوك المسماة غزوة العسرة لتعسر الزاد والراحلة والماء فيها مع شدة الحر وبعد السفر، فتاب الله عزّ وجلّ عليهم من النفقة والظهر والزاد والماء، من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم<sup>(٣)</sup> أي: عن الحق ويشك في دين الرسول ﷺ ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم، ثم تاب عليهم<sup>(٣)</sup> يقول: رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه فهو بهم رؤوف رحيم<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الشريعة للأجري (٤/ ١٦٧٦)، وانظر الحجة للأصبهاني (٢/ ٤٢٩).

(٢) انظر تفسير القرطبي (٨/ ٣٨).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٩)، تفسير القرطبي (٨/ ١٧٦)، السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك

ابن هشام (٤/ ١١٨) ضبطه طه عبد الرؤوف سعد، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية.

\*فهؤلاء هم الصحابة الكرام بهذا الوصف اتصفوا، وبهذا الثناء مدحوا فكانوا خير القرون في أمة محمد، يقول ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup>. فلما كانوا خير القرون وقدموا للإسلام ما لم يقدمه ولن يقدمه أحد بعدهم، جاء النهي والتحذير من سبهم فلن يبلغ أحد مثل ما بلغوه من الفضل والمكانة إذ حازوا شرف الصحبة والنصرة لرسول الله ﷺ، يقول عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

\* ثم إن فضل الصحابة لا يقتصر عليهم بل يمتد ليشمل من حولهم، فوجودهم أمان لهذه الأمة فإذا ذهب الصحابة وولى عصرهم جاء الأمة ما توعده من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن، وظهور الروم وغيرهم من الأعداء عليهم، وغير ذلك من المصائب والشور<sup>(٣)</sup>، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعده»<sup>(٤)</sup>، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون<sup>(٥)</sup>، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٧ / ٣ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم (١٦ / ٨٧ نووي).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، (٧ / ٢١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (١٦ / ٩٢ نووي).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٦ / ٨٣).

(٤) أي: أن النجوم ما دامت باقية فالسما باقية، فإذا انكدرت النجوم يوم القيامة وهنت السماء وانفطرت، المرجع السابق.

(٥) أي: إذا ذهب الرسول الكريم أتى أصحابه ما يوعدون من الفتن والحروب. المرجع السابق.

(٦) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه (١٦ / ٨٣ نووي).

\* كذلك فضلهم يتعدى ليصل للجيش الذي هم فيه، فوجودهم يكون سبباً لنصر الله سبحانه للجيش كرامة من الله بإجابة دعائهم، يقول رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث في فضائلهم متواترة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهم وأرضاهم وليس هذا موضع تفصيلها، ويلخص ابن القيم<sup>(٣)</sup> بعض فضائلهم في كلمات يقول: إن التلقي بلا وساطة حظ أصحاب رسول الله ﷺ الذين حازوا قصبات السباق، واستولوا على الأمد فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتضى منهاجهم القويم، والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال، فذلك المنقطع التائه في بيداء المهالك والضلال، فأى خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذباً صافياً زلالاً، وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً، فتحوا القلوب بعدهم بالقرآن والإيمان، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان،

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٧ / ١٣ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (١٦ / ٨٣ نووي).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٢٦٣).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الذرعي الدمشقي الفقيه الحنبلي، المجتهد المطلق، المفسر النحوي، الأصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية، تفقه في المذهب وبرع وأفتى، كان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه وبأصول الدين، والحديث ومعانيه، له مصنفات عدة منها: بدائع الفوائد وإعلام الموقعين توفي سنة ٧٥١هـ. انظر الشذرات (٣ / ١٦٨)، الأعلام (٦ / ٥٦).

وَأَلْقُوا إِلَى التَّابِعِينَ مَا تَلَقَوْهُ مِنْ مَشْكَاتِ النَّبِوَةِ خَالِصاً صَافِياً، وَكَانَ سَنَدُهُمْ فِيهِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ عَنْ جَبْرِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَنَداً صَحِيحاً عَالِياً، وَقَالُوا: هَذَا عَهْدُ نَبِينَا إِلَيْنَا وَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْكُمْ، وَهَذِهِ وَصِيَّةُ رَبِّنَا وَفَرَضُهُ عَلَيْنَا وَهِيَ وَصِيَّتُهُ وَفَرَضُهُ عَلَيْكُمْ، فَجَرَى التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى مَنْهَاجِهِمُ الْقَوِيمِ وَاقْتَفَوْا عَلَى آثَارِهِمْ صِرَاطَهُمُ الْمُسْتَقِيمَ<sup>(١)</sup>.

هذا بعضاً من فضلهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد جمعوا مع الفضل الفقه أيضاً، فهم أعلم الناس بعد نبيهم بالمراد من قول الله وقول رسوله ﷺ، وهذا ما سيتضح جلياً في المطلب التالي عن فقه الصحابة رضي الله عنهم.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (١ / ٥)، وانظر في فضل الصحابة رضي الله عنهم إن أردت الاستزادة: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢ / ٣٤١)، شرح السنة للبعوي (١٤ / ٦٨)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢ / ٦٨٩)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢ / ٣٧٦)، فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم لخليل إبراهيم ملا خاطر العزامي وغيرها كثير.



## المطلب الثاني

### فقه الصحابة رضي الله عنهم

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الناس وأفقههم في دين الله، وهذا من خيريتهم فهم كما في الحديث {خير القرون}، وخيريتهم وفضلهم جاء من وجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم يعلمهم ويرشدهم مع ما صاحب ذلك من إيمان صادق وذهن وقاد لتلقي العلم، قال الحسن البصري<sup>(١)</sup> رحمه الله وقد ذكر الصحابة عنده قال: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبرّ هذه الأمة قلباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>(٢)</sup>.

نعم، إنهم كانوا على الهدى المستقيم، فقد كان القرآن الكريم ينزل موافقاً لرأي أحدهم كما وقع ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدة مواقف: في أسارى بدر فرأى أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن بموافقتهم، ورأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقتهم، ورأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فنزل القرآن بموافقتهم، وقال لنساء النبي ﷺ لما اجتمعن في الغيرة عليه: إن انتهين أو لبيدن الله رسوله خيراً منكن، فنزل القرآن بموافقتهم في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَّبِعْنَ عِبْدَاتٍ سَتِيحَاتٍ تَتَّبِعْنَ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم ٥)

(١) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت رضي الله عنه، كان جامعاً عالماً فقيهاً ثقة، كبير العلم فصيحاً، توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: السير (٤ / ٥٦٣)، الطبقات الكبرى (٧ / ١٥٦).

(٢) كتاب الشريعة للأجري (٤ / ١٦٨٦).

ولما توفي عبد الله بن أبي<sup>(١)</sup> قام رسول ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوبه، فقال: يا رسول الله إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢﴾ (التوبة ٨٤)

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حصناً حصيناً للإسلام، أجرى الله الحق على لسانه، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه}. وقال ابن عمر: "ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر"<sup>(٣)</sup>.

هذا عمر الفاروق، أما سعد بن معاذ فقد وافق حكمه حكم الله، وذلك لما حكمه النبي ﷺ في بني قريظة وحكم فيهم<sup>(٤)</sup>، قال له رسول الله ﷺ: {حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك}<sup>(٥)</sup>.

- (١) عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي أبو الحباب، المشهور بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة، توفي عام ٩هـ. انظر الأعلام للزركلي (٤ / ١٨٨) ط ٣.
- (٢) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١ / ٨١)، والأحاديث في ذلك مخرجة في كتب السنن، انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" (٨ / ١٦٨ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر (١٥ / ١٦٦ نووي)، شرح السنة للبغوي (١٤ / ٩٣).
- (٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب (٥ / ٦١٧) وقال عنه الترمذي "حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٢٠٤). سنن ابن ماجه، المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١ / ٤٠) وانظر شرح السنة للبغوي (١٤ / ٨٥).
- (٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ١٤٥)، فتح الباري (٧ / ٤١١).
- (٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد (٧ / ١٢٣ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد (١٢ / ٩٢ نووي)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (١ / ٨١).

فهذه آراؤهم وهذا علمهم وفقههم فهم بحق العلماء، يقول مجاهد<sup>(١)</sup> رحمه الله: العلماء أصحاب رسول الله ﷺ، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبا ١) قال: هم أصحاب محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة ١٢١) قال: "يتبعونه حق اتباعه، يحملون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه". وقال قتادة<sup>(٣)</sup>: هؤلاء أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله فصدقوا به وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما فيه". وقال مجاهد: "يعملون به حق عمله"<sup>(٤)</sup>.

إن العلم الحقيقي "والعلم النافع هو العلم الذي يعمل به صاحبه، وهذا كان حال الصحابة - رضي الله عنهم - وهكذا كان يريهم نبهم ﷺ، ويصف ابن عمر رضي الله عنهما ذلك فيقول: "لقد لبثنا برهة من دهر وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، تنزل السورة على محمد ﷺ فتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما يتعلم أحدكم السورة، ولقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، يقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يعرف حلاله ولا حرامه، ولا أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدقل"<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: مجاهد بن أبي نجيح جبر، أبو الحجاج المكي، تابعي مفسر من أهل مكة، كان شيخ القراء المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس. مات عام ١٠٤هـ. انظر السير (٤ / ٤٤٩)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد الأصبهاني (٣ / ٢٧٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢ / ٤٤)، هداية الخياري في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٤٤٦).

(٣) هو: قتادة بن دعامة بن عزيز بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري الضريير الأكمه، حافظ العصر، وقدة المفسرين والمحدثين، كان من أوعية العلم ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ. توفي سنة ١١٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٨ / ٣٥١)، الشذرات (١ / ١٥٣).

(٤) انظر تفسير الطبري (١ / ٥١٨ - ٥٢٠)، الإيمان لابن مندة (١ / ٣٦٤).

(٥) كتاب الإيمان لابن مندة (١ / ٣٦٩)، والدقل: هو رديء التمر ويابس، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢ / ١٢٧).

كيف لا يكون هذا علمهم وفقههم وقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذباً صافياً زلالاً، وتلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، وكان سندهم فيه عن نبهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً<sup>(١)</sup>، وقواهم مع ذلك لأخذ العلم متوافرة، وأذهانهم متوقدة، وألسنتهم باللغة العربية جارية، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم، ولا حاجة لهم إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران: أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا. والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الأمة بهما<sup>(٢)</sup>.

بل إن من الصحابة من نال بركة دعاء رسول الله ﷺ له بالعلم والفهم فتحقق فيه ذلك، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما حينما ضمه إليه رسول الله ﷺ وقال: {اللهم علّمه الحكمة، اللهم علّمه الكتاب}<sup>(٣)</sup>، فكان حبر الأمة، قال عطاء بن أبي رباح<sup>(٤)</sup> عنه: "ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاً وأعظم جفنة"<sup>(٥)</sup>، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم في وادٍ واسع<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١ / ٥).

(٢) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (٤ / ١٤٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما (٧ / ١٠٠ فتح).

(٤) هو: عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي، ولد في أثناء خلافة

عثمان، ثقة فقيه فاضل. توفي سنة ١١٤ هـ. انظر: السير (٥ / ٧٨)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء

الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان (٣ / ٢٦١).

(٥) الجفنة: هي إناء للطعام، ويطلق على الرجل الكريم، فلقد كانت العرب تدعو السيد المطعم جفنة

لأنه يضعها ويطعم الناس فيها فسمي باسمها، انظر لسان العرب (١٣ / ٩٠)، النهاية في غريب

الحديث (١ / ٢٧١).

(٦) انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢ / ٩٧٨).

وقال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشه منا رجلٌ أي: ما بلغ عشرة، وقال أيضاً: "نعم، ترجمان القرآن ابن عباس"<sup>(١)</sup>.  
ومنه من تحققت فيه رؤيا رسول الله ﷺ - ورؤيا الأنبياء حق - بكثرة العلم،  
ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: {بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه، حتى أرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر، فقالوا: وما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم}<sup>(٢)</sup>.

ومن علمه رضي الله عنه أنه جاءه يهودي، وقال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة<sup>(٣)</sup>.

فدل جواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا اليهودي على مدى معرفة الصحابة بمواطن نزول كتاب الله تعالى، حيث قال إنها نزلت يوم عرفة في يوم جمعة - ومعناه - أن يوم الجمعة عيد وكذا عشية عرفة ليلة عيد<sup>(٤)</sup>.

وقال مسروق بن الأجدع<sup>(٥)</sup>: "جالست أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا

(١) انظر فتح الباري (٧ / ١٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر (٧ / ٤٠ فتح)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر (١٥ / ١٥٩ نووي).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١ / ١٠٥ فتح)، صحيح مسلم: كتاب التفسير (١٨ / ١٥٣ نووي).

(٤) انظر كتاب الإيمان لابن مندة تحقيق: علي بن محمد الفقيهي هامش (١ / ٣٧٣).

(٥) هو: مسروق ابن الأجدع بن مالك بن معمر أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي، إمام قدوة وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، توفي سنة ٦٣ هـ. انظر: السير (٤ / ٦٣)، الطبقات (٦ / ٧٦).

كالإِحَاذ<sup>(١)</sup>، الإِخَاذَة تروي الراكب، والإِخَاذَة تروي الراكبين، والإِخَاذَة تروي العشرة، والإِخَاذَة لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم<sup>(٢)</sup>.

فهم يتفاوتون في علمهم وفقههم، كما يتفاوتون في فضلهم ودرجاتهم، ولكنهم بالجملة أعلم وأفقه ممن جاء بعدهم، وهم أفضل الناس في الرأي لذلك ذهب الشافعي إلى تحريم الفتوى بخلاف ما أفتى به الصحابة، ووجوب اتباعهم في فتاويهم وأن لا يخرج من جملة أقوالهم<sup>(٣)</sup>. وما ذلك إلا لأن رأيهم وفتاواهم رضي الله عنهم لا تخرج عن ستة أوجه: أحدها: أن يكون سمعها من النبي ﷺ. الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها منه. الثالث: أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فهماً خفي علينا. الرابع: أن يكون قد اتفق عليها مَلْؤُهُمْ ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي بها وحده. الخامس: أن يكون لكمال علمه باللغة، ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا، أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب، أو لجموع أمور فهموها على طول الزمان من رؤية النبي ﷺ ومشاهدة أفعاله وأحواله وسيرته، وسماع كلامه والعلم بمقاصده، وشهود تنزيل الوحي ومشاهدة تأويله بالفعل، فيكون فهم ما لا نفهمه نحن، وعلى هذه التقادير الخمسة تكون فتواه حجة يجب اتباعها. السادس: أن يكون فهم ما لم يردده الرسول ﷺ وأخطاء في فهمه، والمراد غير ما فهمه وعلى هذا التقدير لا يكون قوله حجة. ومعلوم قطعاً أن وقوع احتمال من خمسة أغلب على الظن من وقوع احتمال واحد معين، هذا ما لا يشك فيه عاقل، وذلك يفيد ظناً

(١) الإِخَاذَة: مجتمع الماء شبيه بالغدير، والجمع إِخَاذ. انظر لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٧٤)،

القاموس المحيط للفيروزآبادي (٤٢١).

(٢) انظر إعلام الموقعين (١/ ١٦).

(٣) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٠). ولقد ذكر ابن القيم ستة وأربعين وجهاً على وجوب

الأخذ بفتاوى الصحابة، والتي تدل على عمق علمهم وعظم فقههم رضي الله عنهم وأرضاهم.

انظر إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣).

غالباً قوياً على أن الصواب في قوله دون ما خالفه من أقوال من بعده، وليس المطلوب إلا الظن الغالب، والعمل به متعين، ويكفي العارف هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

ومن تتبع أقوال الصحابة علم عمق فهمهم، وسعة علمهم رضي الله عنهم وأرضاهم، كيف لا وهم خير القرون<sup>(٢)</sup>، والذي أوصانا رسول الله ﷺ أن نتمسك ب سنتهم لما في حديث العرياض بن سارية<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه قال: {وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ<sup>(٤)</sup>.

فلعلمهم رضي الله عنهم ولفقهم ومعرفتهم بقول الله وقول رسوله ﷺ صارت سنة الخلفاء منهم متبوعة، وطريقتهم هي طريق النجاة عند حصول الفتن. وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاعتداء بهم والاهتداء بهديهم والتمسك بعهدهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي، أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود<sup>(٥)</sup>.

(١) إعلام الموقعين (٤ / ١٤٨).

(٢) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٤٥٦)

(٣) العرياض بن سارية السلمي أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة، كان قديماً للإسلام جداً، نزل حصص، مات في فتنة ابن الزبير وقيل بعد ذلك عام ٧٥هـ. انظر الإصابة (٢ / ٤٧٣) ط ٣ / دار الفكر، الطبقات (٢ / ١٦٥) (٤ / ٢٧١) ط / دار بيروت.

(٤) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤ / ٢٠٠)، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥ / ٤٤) وقال عنه حسن صحيح، واللفظ له، ولقد صحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٤٢)، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١ / ١٥).

(٥) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٥ / ٦٧٢) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٢٣٠).

بل إن الفرقة الناجية من أمة محمد ﷺ هي ما سارت على ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال<sup>(١)</sup>: قال رسول الله ﷺ: {ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"}<sup>(٢)</sup>.

هذا هو فضل الصحابة وهذا هو فقهم وعلمهم، فما حقهم علينا؟ لقد فرط أناس في حق الصحابة وأفرط آخرون، والحق هو قول أهل الحق أهل السنة والجماعة، وهذا ما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله.

- 
- (١) عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش، صحابي كثير العبادة والنسك، أسلم قبل أبيه، وكان يكتب ما يسمع من رسول الله ﷺ لما أذن له، شهد صفين مع معاوية طاعة لأبيه ولم يقاتل. توفي عام ٦٥ هـ. انظر حلية الأولياء (١/ ٢٨٣)، الطبقات (٢/ ٣٧٢) (٣/ ٢٥٣) ط/ دار بيروت.
- (٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦) وقال عنه حديث مفسر غريب، حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤). وانظر الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول.



## المبحث الثالث:

## عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة ﷺ

لقد جاء ذكر اليهود والنصارى في القرآن الكريم كثيراً، وأخبرنا الله تعالى عن أحوالهم، وأخلاقهم، ومواقفهم مع أنبيائهم، وذلك ليعلم منهجهم، ويحذر ما اقترفوا من خطأ في مسلكهم، وتؤخذ الدروس والعبر من قصصهم، لأن تقليدهم سيقع من أمة محمد ﷺ في علم الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ: {لتبعن سنن من كان قبلكم شراً شراً، وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن} (١).

ولقد خالفت اليهود والنصارى الحق مع أنبيائهم وصالحينهم، ففرطت اليهود مع أكثرهم فقتلت منهم من قتلت، وسبت وكذبت منهم من كذبت. أما النصارى فغلوا وتجاوزوا الحد في التعظيم والتقدیس حتى ألّوا عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فصار الناس مع صحابة رسول الله ﷺ طرفين ووسط (٢).

فالطرفان كاليهود والنصارى، ما بين غال وجاف:

فالخوارج جفت بعض الصحابة، وفرطت في حقهم، فكفّرت علياً وعثمان رضي الله عنهما، والحكمين ومن رضي بالتحكيم، وتبرأت منهم (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ "لتبعن سنن من كان قبلكم" (١٣ / ٣٠٠

فتح)، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦ / ٢١٩ نووي).

(٢) انظر في هذا المعنى: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية للذهبي (٧٤)، السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١ / ٢٢٢).

(٣) الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي ويستحلون قتال المسلمين، وهم الذين خرجوا على عليّ ابن أبي طالب وقاتلهم بالنهروان. انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١ / ١٦٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٢)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٥٠). والباب الثاني، الفصل الثاني في تعريف الخوارج.

أما المعتزلة فلم تجرؤ على القول بالتكفير وقالت بالتفسيق، وأن أحد الفريقين: فريق علي بن أبي طالب أو معاوية بن أبي سفيان فاسق غير مقبول الشهادة، وزاد بعض المعتزلة بالتبرؤ من معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، والتجرؤ على سب الصحابة جملة<sup>(١)</sup>.

أما الشيعة فقد جمعوا بين الغلو والجفاء؛ فغلوا في حب علي بن أبي طالب حتى ألّاه بعضهم، وفضله آخرون على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وجفوا مع بعض الصحابة وسبواهم ورموهم بالجهل، واستطالوا في شتمهم خاصة أبي بكر وعمر، حتى صار ذلك من علامات الروافض ووصفهم، ولم يكتفوا بالسب والشتم للصحابة الكرام حتى جاوزوه إلى القول بالتبرؤ من أفاضلهم كأبي بكر وعمر وكثير من الصحابة، وتجمع الشيعة على القول بالتبري والتولي قولاً وفعلاً وعقداً<sup>(٢)</sup>، وقالوا: لا ولاء إلا لبراء، أي لا ولاء لعلي بن أبي طالب واعتقاد إمامته إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان<sup>(٣)</sup>، بل من الشيعة من يكفر أكثر الصحابة نعوذ بالله من الضلال<sup>(٤)</sup>.

(١) المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل حلقة الحسن البصري، وهي فرقة ظهرت في أول القرن الثاني، تقدم العقل على نصوص الكتاب والسنة، وعندهم أصول الدين خمسة. انظر الفرق بين الفرق (٨٣)، الملل والنحل (١ / ٦٣)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٦٩). والباب الثاني، الفصل الرابع، المبحث الأول عن القدرية المعتزلة (٣٧٧).

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٦٩).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢ / ٦٩٧).

(٤) الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته نصاً ووصية واستحقاقه للإمامة هو وولده من بعده. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢)، السنة للخلال (٣ / ١٤٨٩). والباب الثاني، الفصل الثالث، المبحث الأول في تعريف الشيعة.

هؤلاء هم الذين فرطوا أو أفرطوا في حق الصحابة رضي الله عنهم، والحق مع أهل الوسط أهل السنة والجماعة، ويتلخص معتقدهم في الصحابة رضي الله عنهم في أمور نعددها ثم يأتي تفصيلها إن شاء الله:

١- عدالة الصحابة: الصحابة كلهم عدول ثقات.

٢- وجوب محبة الصحابة وتوقيرهم من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير تفريق.

٣- وجوب ذكر محاسنهم، والترضي عنهم والدعاء لهم، وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

٤- النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم، أو ذكر أحدهم بما يسوء.

أولاً: عدالة الصحابة رضي الله عنهم: من أصول معتقد أهل السنة والجماعة أن الصحابة رضي الله عنهم عدولٌ إثبات، ولم يترك أمر عدالتهم للناس بل ثبت ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإجماع أهل السنة قاطبة، ولم يخالف في ذلك إلا جماعات شاذة متبعة لهواها لا يعتد بخلافها<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي<sup>(٢)</sup> في كتابه الكفاية: "باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم" ثم قال: "كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى

(١) انظر الإصابة لابن حجر (١/ ٩) ط/ دار الفكر، تفسير القرطبي (١٦/ ١٩٧).

(٢) هو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ ولد سنة ٣٢٩هـ، احفظ أهل عصره على الإطلاق، وكان من كبار الشافعية، له تاريخ بغداد الذي لم يصنف مثله توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر السير (١٨/ ٢٧٠)، الشذرات (٢/ ٣١١).

الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن<sup>(١)</sup>.

ولقد نصّ رسول الله ﷺ على عدالة صحابته، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جلّ ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٤٣) والوسط: العدل<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام أبو عمرو عثمان بن الصلاح<sup>(٣)</sup>: "للصحابه بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة"<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر<sup>(٥)</sup> في مقدمة كتابه الاستيعاب في أسماء الأصحاب والذي عني بتراجم الصحابة رضي الله عنهم يقول: "فإن العلم

(١) الكفاية في علم الرواية (٩٣)، وانظر الإصابة (١ / ٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" (٨ / ١٧١ فتح).

(٣) هو: تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلّي الشافعي، صاحب علوم الحديث برع في المذهب وأصوله والحديث وعلومه، من تصانيفه مشكل الوسيط وعلوم الحديث و"أدب المفتي والمستفتي"، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: السير (٢٣ / ١٤٠)، الشذرات (٣ / ٢٢١).

(٤) علوم الحديث له (٢٦٤)، وانظر ألفية السيوطي (٢٦٦)، فتح المغيب (٣٤٩).

(٥) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، القرطبي المالكي، صاحب التصانيف، حافظ المغرب، جمع وصنف، ووثق وضعف، من مؤلفاته: كتاب الكنى، الشواهد في إثبات خبر الواحد، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: السير (١٨ / ١٥٣)، الشذرات (٢ / ٣١٤).

محيط بأن السنن أحكام جارية على المرء في دينه، في خاصة نفسه، وفي أهله وماله، ومعلوم أن من حكم بقوله وقضى بشهادته فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته والمعرفة بمجالاته. ونحن وإن كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد كُفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم ليُهتدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله، وأقتدي به<sup>(١)</sup>.

وعدالتهم رضي الله عنهم ثابتة لهم سواء قبل الفتنة التي حصلت بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه أو بعدها، وسواء لابس أحد منهم الفتنة أم لا<sup>(٢)</sup>، فكلهم عدول على قول من يعتد به من العلماء، ولا يلتفت إلى أقوال أهل الأهواء، أو من حجب عن الحق في التفريق في عدالة الصحابة بين من لابس الفتنة ممن لم يلبسها<sup>(٣)</sup>، يقول الإمام زين الدين عبد الرحيم العراقي: «والصحابه كلهم عدول لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة ١٤٣)، وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ، لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١١٠)، ولقوله ﷺ: { لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه }. ولقوله ﷺ: { خير الناس قرني }، ولغير

(١) الاستيعاب في أسماء الأصحاب له في هامش كتاب الإصابة (١/ ٩)، وانظر شرحي الألفية (٣/ ١٣)، والرياض المستطابة لليميني (١٢).

(٢) المقصود بالفتنة هي الفتنة التي وقعت بين المسلمين من تحامل بعض الأعداء على عثمان رضي الله عنه ثم قتله، وما وقع بعد قتله من خلاف بين علي رضي الله عنه وعائشة وطلحة والزبير بن العوام ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، وما دار بينهم من وقعة الجمل وصفين. انظر في تفصيلها: البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٨٤ - ١٩٢ - ٢٢٩ - ٢٥٢)، والعواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، وما سيأتي في الباب الثاني، الفصل الثاني.

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ٧١).

ذلك من الأحاديث الصحيحة، ولإجماع من يعتد به في الإجماع من الأئمة على ذلك، ثم إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم، وأما من لا لبس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان فأجمع من يعتد به أيضاً في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد<sup>(١)</sup>.

ويرجع الخطيب البغدادي أمر عدالة الصحابة رضي الله عنهم - ليس فقط إلى ما ورد في الكتاب والسنة من ذلك فهو الأصل - بل سيرة الصحابة وحالهم تقتضي تعديلهم حتى لو لم يرد نص بتعديلهم؛ فكيف وقد ورد؟! يقول: "والأخبار في هذا المعنى تتسع<sup>(٢)</sup>، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة. والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، ... على أنه لو لم يرد من الله عزّ وجلّ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

ولقد نبّه الإمام أبو زرعة الرازي<sup>(٤)</sup> إلى سبب القدح في الصحابة وتجريح عدالتهم فقال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم

(١) فتح المغيث (٣٤٩)، وانظر تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢ / ٢١٤).

(٢) أي: في أمر عدالتهم الذي قدم ذكره.

(٣) الكفاية له (٩٦).

(٤) هو: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد القرشي الرازي، الحافظ أحد الأئمة الأعلام، محدث الرئي، قال إسحاق بن راهويه: كل حديث لا يحفظه أبو زرعة ليس له أصل. انظر: السير

(١٣ / ٦٥)، الشذرات (١ / ١٤٨).

أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة<sup>(١)</sup>.

وعدالتهم لا تعني عصمتهم من الذنوب والمعاصي<sup>(٢)</sup>. يقول الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله مبيناً عقيدة السلف في الصحابة رضي الله عنهم: وهم<sup>(٣)</sup> لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم<sup>(٤)</sup>.

فواجب على المسلم أن يعتقد عدالة الصحابة رضي الله عنهم، ولا يقبل ولا يرضى بقول من يجرح فيهم، أو يشكك في عدالتهم رضي الله عنهم، بل الواجب حبهم وتوقيرهم وإليك كلام الأئمة في ذلك.

(١) الكفاية (٩٧). وانظر قول الإمام أحمد بن حنبل في المسائل المروية عن الإمام أحمد العقيدة جمع وتحقيق عبد الإله الأحدي (١ / ٣٩٧).

(٢) المراد بالعدالة الثابتة لجميع الصحابة هي قبول روايتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إذ تعتمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بعيد عنهم رضي الله عنهم. انظر هامش تدريب الراوي شرح التقريب (٢ / ٢١٥) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.

(٣) أي: أهل السنة والجماعة، فبعد أن بين معتقدهم في أن الصحابة عدول، بين أن عدالتهم رضي الله عنهم لا تعني عصمتهم، فنفي العصمة عن أفرادهم، أما مجموعهم رضي الله عنهم فلا يجتمع على ضلالة. انظر إعلام الموقعين (٤ / ١٥٥).

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرح الهراس (١٤٦). وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (٢٣٢).

ثانياً : وجوب محبة الصحابة وتوقيرهم من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير تفريق:

أهل السنة والجماعة يحبون الصحابة رضوان الله عليهم، ويتقربون إلى الله بحبهم، ويوقرونهم ويقدرّون لهم شأنهم كما ورد في الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>، وهم في حبههم وتوقيرهم وسط بين الإفراط والتفريط، فلا يغالون في الحب والتوقير والتعظيم كما فعلت الشيعة وغلّت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا أنهم يفرطون في حق الصحابة ويجفون بعضهم ويبغضون البعض ويناصبونهم العدا، أو يرمون بعضهم بالكفر أو الفسق<sup>(٢)</sup>، بل هم وسط في ذلك كله.

يقول الإمام أحمد بن حنبل: "ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين حبههم سنة والدعاء لهم قرينة"<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري<sup>(٤)</sup>: "وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر المبحث الثاني من هذا التمهيد في فضل الصحابة وفقههم (١٧).

(٢) انظر ما تقدم في أول هذا المبحث (٣٢).

(٣) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة جمع وتحقيق عبد الإله الأحدي (١ / ٣٩٧).

(٤) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، رجع إلى مذهب السلف في الجملة، له مؤلفات كثيرة منها: "إمامة الصديق" و"الرد على الجسمة"، توفي سنة ٣٢٤ هـ. انظر: الشذرات (١ / ٣٠٣)، الأعلام (٤ / ٢٦٣).

(٥) الإبانة عن أصول الديانة له (١٧٩).



وقال علي بن حزم الأندلسي رحمه الله عن الصحابة: وكلهم عدلٌ إمام فاضل رضي، فرض علينا توقيهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم، ونحبهم، وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسة من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضل من عبادة أحدنا دهره كله<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي<sup>(٢)</sup>: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"<sup>(٣)</sup>.

يقول علي بن أبي العز الحنفي<sup>(٤)</sup> شارحاً كلام الطحاوي هذا: "قوله ولا نفرط في حب أحدٍ منهم" أي: لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم كما تفعل الشيعة فنكون من المعتدين... "ولا نتبرأ من أحد منهم" كما فعلت الرافضة<sup>(٥)</sup> فعندهم لا ولاء إلا براء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!!

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٨٩). وانظر أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (٢٦) ضمن عقائد أئمة السلف.

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، كان إماماً فقيهاً ورعاً بصيراً بالتصنيف، وكان محدث الديار المصرية وفقهها في وقته. توفي عام ٣٢١هـ. انظر السير (١٨/ ٢٧٠)، الشذرات (٢/ ٣١١).

(٣) العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٨٩).

(٤) هو: القاضي صدر الدين علي بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالح، اشتغل قديماً ومهر ودرس وأفتى وخطب ثم ولي قضاء دمشق ثم مصر، توفي سنة ٧٩٢هـ. انظر الشذرات (٣/ ٣٢٦).

(٥) الرافضة لقب يطلق على الشيعة الإمامية، وهم الذين رفضوا زيد بن علي زين العابدين (عام ١٢١هـ) وتولوا أخاه محمداً، لما تولى الشيخين أبي بكر وعمر. وسموا رافضة لذلك. انظر الباب الثاني، الفصل الثالث، المبحث الأول.

وأهل السنة يوالونهم كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى:

﴿وَأَتَيْنَهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ<sup>ط</sup> فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ<sup>ع</sup> إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

(الحاشية ١٧) (١)

فحبهم رضي الله عنهم وتوقيرهم واجب لجميعهم من غير تفريق فيما بينهم، فلا يوقر بعض ويوضع من شأن البعض، بل ذلك واجب لهم كلهم، والتفريق بينهم شأن أهل البدع. ولا يعني ذلك أنهم سواء في الفضيلة بل النصوص دلت على تفاضلهم في المنزلة والرتبة، وإن كانوا جميعاً اشتركوا في شرف الصحبة، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ<sup>ع</sup> أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا<sup>ع</sup> وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى<sup>ع</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾﴾ (الحديد: ١٠٠)

يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني<sup>(٢)</sup>: "أفضل الصحابة: الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين"<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية له (٢ / ٦٩٧).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ويقال له: مالك الصغير، إمام قدوة فقيه، كان أحد من برز في العلم والعمل، له مصنفات كثيرة منها: "المدونة" و"الاقتداء بمذاهب مالك" و"الرسالة"، توفي سنة ٣٨٩هـ. انظر: السير (١٧ / ١٠)، الشذرات (٢ / ١٣١).

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١٦٩) ضمن عقائد أئمة السلف.

انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١ / ٣٨٤).

ويقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ... وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم... وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة في أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك"<sup>(١)</sup>.

فهذه نصوص الأئمة الأعلام في فضائل الصحابة الكرام، وما لهم من حق ينبغي ألا ينقص منه ولا يُضام، وويل لمن أمسك عن ذكر محاسنهم وخاض فيما شجر بينهم يريد أن ينتقصهم، فقد خالف نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة في وجوب ذكر محاسن الصحابة والترضي عنهم والدعاء لهم، والإمسك عما شجر بينهم وهاك برهان ودليل ذلك:

ثالثاً: وجوب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والدعاء لهم، وعدم الخوض فيما شجر

بينهم:

يجب على المؤمن الذاكر لله تعالى الشاكر لنعمه الذي يعلم قول نبيه محمد ﷺ: {من لم يشكر الناس لم يشكر الله}<sup>(٢)</sup> أن يعدد محاسن الصحابة رضي الله عنهم ومواقفهم ومآثرهم، وما قدموه للإسلام والمسلمين، كيف لا وهم حملة هذا الدين إلى الناس كافة، فقد حملوا الدين وصدعوا بالحق، وساروا بسيرة نبيهم محمد ﷺ،

(١) رسالة إلى أهل الثغر له (٢٩٩) باختصار.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (٤/ ٢٥٥)، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٤/ ٣٣٩) واللفظ له، وقال عنه حديث حسن صحيح، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٥)، وصحيح سنن أبي داود (٣/ ٩١٣).

فمن هذا شأنهم علينا أن نترضى عنهم وندعو لهم كما أمرنا الله عز وجل:  
﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ  
وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا  
أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ  
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ (العشر ١٠٠-١١٠)

ففي هذه الآيات لما فرغ الله تعالى من الثناء على المهاجرين والأنصار ذكر ما  
ينبغي أن يقوله من جاء بعدهم، وهم من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، أمرهم الله  
أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار، فمن لم يستغفر  
للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه  
الآية<sup>(١)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: الناس على ثلاث منازل، قد  
مضت منزلتان<sup>(٢)</sup> وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه  
المنزلة التي بقيت، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ... ﴾ الآية<sup>(٣)</sup>.  
قال الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي<sup>(٤)</sup> في هذه الآية: هذه الآية دليل على  
وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٠١) بتصرف يسير.

(٢) المراد بالمنزلتين هما منزلة المهاجرين، ومنزلة الأنصار المذكورة في الآية قبل قوله: «والذين جاءوا من بعدهم».

(٣) انظر فتح القدير (٥ / ٢٠٢).

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المفسر، كان عالماً فاضلاً له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر نفع الطيب من غصن الأندلس =

وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً، أنه لا حق له في الفيء، روى ذلك عن مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ والذين جاءوا من بعدهم..<sup>(١)</sup>.

قال هارون بن معروف<sup>(٢)</sup>: "ما بيننا وبين أصحاب محمد عليه السلام إلا خير، قاتلوا على دين الله عز وجل ما ينبغي هاهنا إلا الشكر لله عز وجل ثم لمحمد ﷺ ثم لأصحابه رضي الله عنهم"<sup>(٣)</sup>.

ثم إن العاقل المستبصر المطلع على نصوص الكتاب والسنة لا ينسى بشرية الصحابة، ويتذكر قول رسول الله ﷺ: {كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين: التوابون}<sup>(٤)</sup>، ولقد نال الصحابة الخيرية بالتوبة والأوبة إلى الله تعالى، وكرمهم الله بقبول توبتهم<sup>(٥)</sup>، مع ما قدموه من حسنات ماحيات للسيئات، لذلك على المؤمن أن يكف ويمسك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم.

= الرطيب لأحمد بن محمد التلمساني (٢ / ٤٠٩) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الأعلام للزركلي (٦ / ٢١٨).

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٢)، وانظر أصول السنة للحميدي (١٥٣) ضمن عقائد أئمة السلف جمع فواز زمرلي.

(٢) هو: هارون بن معروف أبو علي المروزي البغدادي الخزاز الضريير، إمام قدوة، ثقة، توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: السير (١١ / ١٢٩)، التهذيب (١١ / ١١).

(٣) انظر السنة للخلال (٢ / ٤٧٩).

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم (٤٩) (٤ / ٦٥٩) وقال عنه حديث غريب، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٠٥)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٢ / ١٤٢٠).

(٥) انظر المبحث الثاني من هذا التمهيدي في فضل الصحابة وفقههم.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله ﷺ: ...- وذكر منها- الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله، والترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى أولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين، فهذه السنة إلزموها تسلموا، أخذها هدى، وتركها ضلالة"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً في صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة أنه: "من ترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم"<sup>(٢)</sup>.

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما: ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول؟ فقال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (الحشر ١٠)

وسئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن ذلك فقال: تلك دماء طهر الله يديّ منها، أفلا أطهر منها لساني"<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألستهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به، وطاعة النبي ﷺ في قوله: { لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه }، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم،

(١) انظر رسالة السنة التي توفي عنها رسول الله ﷺ له (٣٨) ضمن عقائد أئمة السلف، جمع فواز زملي.

(٢) المرجع السابق (٤١)، وانظر رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٣٠٣).

(٣) انظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني (٦٩).

وانظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٣٨٩).

ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون؛ إما مجتهدون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم... ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعته محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ببلاء في الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين؟ إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم... ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله<sup>(١)</sup>.

فالسلف يحسنون الظن بالصحابة رضي الله عنهم ويلتمسون لهم العذر، ولا يخوضون فيما شجر بينهم، أو ينصبون أنفسهم حكماً فيما وقع، ولقد عاب ابن الصلاح رحمه الله على ابن عبد البر في كتابه "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" عاب

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها شرح المهراس (١٤٣)، وانظر الإبانة للأشعري (١٧٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٩٣).

عليه حكايته لما شجر بين الصحابة كثيراً، وروايته من الإخباريين، يقول أبو عمرو عثمان بن الصلاح عن علم معرفة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: "هذا علم كبير قد آلف الناس فيه كتباً كثيرة، ومن أجلها وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب لابن عبد البر لولا ما شأنه به من إيراده كثيراً مما شجر بين الصحابة وحكاياته عن الإخباريين لا المحدثين، وغالب على الإخباريين الإكثار والتخليط فيما يروونه"<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب السنة لأبي بكر أحمد بن الخلال<sup>(٢)</sup> باب بعنوان: "التغليظ على من كتب الأحاديث التي فيها طعن على أصحاب رسول ﷺ ثم ذكر روايات عن الإمام أحمد بن حنبل ينهي ويغلظ عن هذا الفعل رواية وكتابة وتحديثاً"<sup>(٣)</sup>.

وللإمام أبي عبد الله محمد الذهبي<sup>(٤)</sup> رأي في الموضوع يقول رحمه الله: "كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتلهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم، وكتمان ذلك

(١) علوم الحديث له (٢٦٢).

(٢) هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المعروف (بالخلال) مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبته، كان شديد الاعتناء بالآثار له كتاب السنة، والعلل وهما في عدة مجلدات، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: الشذرات (١/ ٢٦١)، الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني (٢٩).

(٣) انظر السنة للخلال (٣/ ٥٠١).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، له عدة مصنفات منها: دول الإسلام وتذكرة الحفاظ، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: الشذرات (٣/ ١٥٣)، الأعلام (٥/ ٣٢٦).



متعين على العامة وآحاد العلماء، وقد يُرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العربي من الهوى... فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم<sup>(١)</sup>.

وقال العوام بن حوشب<sup>(٢)</sup>: اذكروا محاسن أصحاب محمد ﷺ حتى تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم<sup>(٣)</sup>.

فعلى العلماء والدعاة والمرين التنبه إلى هذا الأمر وألا يخاض فيما جرى بين الصحابة، بل الواجب الإمساك خاصة بين العامة وطلاب المدارس، وألا يخاض في تفصيلات وجزئيات تلك الأحداث التي لا تدركها أفهام العامة مع ما يصاحب ذلك من جهل بقدر الصحابة وحقهم وأحوالهم وسيرهم وفضلهم، فالواجب أن تصرف الجهود عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة إلى تعريف العامة بشخصيات الصحابة ومحاسنهم لتجتمع القلوب على حبهم، والافتداء بهم، مع تحري الدقة والصحة في النقل في ذلك كله، واعتماد طريقة المحدثين في الرواية لا طريقة الإخباريين والقصاصين من الأخذ بكل رواية وحكاية.

أما الخوض فيما شجر بين الصحابة لكل أحد بدعوى البحث التاريخي أو الحرية العلمية وعزل ذلك عن أصول أهل السنة والجماعة ومعتقدهم في الصحابة فهو أمر خطير، وعلى المدارس لمثل ذلك أن يراعى الضوابط التالية: أن يكون المتصدي لذلك من أهل العلم وذوي الفهم والإدراك وتقدير الأمور، وأن يكون مقصده في ذلك بيان الحق والدفاع عن الصحابة، لا تلمس الأخطاء وتصيّد الزلات.

(١) سير أعلام النبلاء له (١٠ / ٩٢).

(٢) هو: العوام بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني الربيعي، أبو عيسى الواسطي، ذكره أحمد فقال: ثقة ثقة، توفي سنة ١٤٨ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٨ / ١٦٣)، السير (٦ / ٣٥٤).

(٣) انظر كتاب الشريعة للأجري (٥ / ٢٤٩٢)، تفسير القرطبي (١٨ / ٢٣).

- ١- حسن الاعتقاد في الصحابة، وسلامة القلب تجاههم وحسن الظن بهم، والتماس الأعداء لما وقع بينهم.
- ٢- معرفة أصول ومعتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة لأنه أمر دين لا بد أن يؤخذ من مصادره ووفق أصوله.
- ٣- أن يراعي عند دراسة تلك الأحداث الدقة العلمية ودراسة الأسانيد فيما ورد فيها من روايات، أو اعتماد الكتب التي انتهجت ذلك، ولا يعتمد أي مصدر حكى لنا ما وقع<sup>(١)</sup>.

والعجب من أناس أبوا إلا الحديث عما جرى بين الصحابة، واتباع الزلات وتصيد الأخطاء حتى أوصله ذلك إلى السب والشتم، والظعن فيهم رضي الله عنهم، وما درى المسكين أنه يضر نفسه، فقد نقل للإمام الشافعي أن رجلاً يشتم أصحاب رسول الله ﷺ فقال: "ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ - رضي الله عنهم - إلا ليزيدهم الله ثواباً عند انقطاع عملهم. وفي رواية: "إلا ليجري الله عزّ وجلّ لهم الحسنات وهم أموات"<sup>(٢)</sup>.

فسب الصحابة رضي الله عنهم أمر محرم، وهاك بيان أقوال العلماء في ذلك.

رابعاً: النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم أو ذكر أحدهم بما يسوء:

- ١- حكم سب الصحابة رضي الله عنهم: اتفق العلماء على تحريم سب الصحابة وعدّه من كبائر الذنوب، يقول الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى النووي<sup>(٣)</sup> رحمه الله: "باب تحريم سب الصحابة، ثم قال: واعلم أن سب

(١) انظر تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد أمزون (١ / ١٤١)، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه لمحمد بن صامل السلمي (١٩١، ٢١٧).

(٢) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (١ / ٤٤١).

(٣) هو: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حزام النووي الفقيه الشافعي، محي الدين، علامة بالفقه والحديث، له مصنفات كثيرة منها: "منهاج الطالبين" و"بستان العارفين" و"حلية الأبرار" يعرف بالأذكار النووية. توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: الشذرات (٣ / ٣٥٤)، الأعلام (٨ / ١٤٩).

الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون... قال القاضي<sup>(١)</sup>:  
وسب أحدهم من المعاصي الكبائر<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: "والأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة قائمة على تحريم سبهم رضي الله عنهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات ١٢)، وأدنى أحوال الساب أن يكون مغتاباً، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة ١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب ٥٨) وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر ١٠)، فشرع لنا أن نسأل الله ألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، والسب باللسان أعظم من الغل الذي لا سب معه، ولو كان الغل عليهم والسب لهم جائزاً لم يشرع لنا أن نسأله ترك ما لا يضر فعله.

قالت عائشة رضي الله عنها: "أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسيوهم"<sup>(٣)</sup>.  
وعن ابن عباس قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم سيقتلون"<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) هو: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحبيسي الأندلسي السبتي المالكي، إمام حافظ له مصنفات كثيرة منها: الإكمال في شرح صحيح مسلم، مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: السير (٢٠ / ٢١٢)، الشذرات (٢ / ١٣٨).
- (٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦ / ٩٢ - ٩٣).
- (٣) انظر صحيح مسلم، كتاب التفسير (١٨ / ١٥٨ نووي)، السنة لابن أبي عاصم (٤٧٠).
- (٤) انظر كتاب الشريعة للأجري (٥ / ٢٤٩١)، الحججة في بيان الحججة للأصبهاني (٢ / ٣٩٥).

ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> أنه كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: {لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه}.

ونهى خالد عن أن يسب أصحابه مع أنه من أصحابه أيضاً وذلك لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه من السابقين الأولين الذين أنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى، وقد انفردوا من الصحبة بما لا يشركهم فيه خالد ونظراؤه رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي معلقاً على هذا الحديث: "وإذا نهى الصحابي عن سب الصحابي فغير الصحابي أولى بالنهي عن الصحابي"<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: {آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار}<sup>(٤)</sup>. فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر<sup>(٥)</sup>.

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على تحريم سبهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

٢- حكم الساب وعقوبته: اختلف العلماء في حكم الساب وعقوبته، فمن العلماء من رأى كفر ساب الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء منهم من ذهب إلى

(١) صحيح مسلم، كتب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة (١٦ / ٩٢ نووي).

(٢) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لابن تيمية (٥٧١ / ٦٧٥) بتصرف.

(٣) التقييد والإيضاح له (٢٦١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١ / ٦٢ فتح)، صحيح مسلم،

كتاب الإيمان، باب حب الأنصار وعلي من الإيمان (٢ / ٦٣ نووي).

(٥) انظر الصارم المسلول (٥٨١).

قتله، ومنهم من رأى إلحاق العقوبة الشديدة به حتى يرجع. ومن العلماء من رأى أن سب الصحابة يفسق ولا يكفر، وعليه فعقوبته التعزير وهي أقل أحواله.

ولقد فصل ابن تيمية في ذلك وبيّن أن حكم الساب وعقوبته ترجع إلى قوله في الصحابي وضابط هذا السب فقال: "من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله، أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبرائيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره. وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، فهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره لمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفرأ قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم؛ فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آه عن ١١٠) ، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) الصارم المسلول (٥٨٦)، وانظر مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (٣/ ١٢٩٣) تحقيق علي المهنا.

وليعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم بوابة للزندقة، وأنه علامة وأمانة لأهل الأهواء والبدع، يقول الإمام أحمد بن حنبل: "ومن انتقص واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فلا ينطوي إلا على بلية، وله خبيثة سوء"<sup>(٢)</sup>.

وسئل رحمه الله عن الرافضة من هم؟ قال: "الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر رحمهما الله"<sup>(٣)</sup>

فانظر رعاك الله كيف أن شتم الصحابة صار علامة لأهل البدع، وإشارة إلى سوء النية، قال ابن تيمية عمن يكثر الشتم للصحابة: "ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم"<sup>(٤)</sup>.

وقصد هؤلاء السابين المجرحين في الصحابة رضي الله عنهم أمران:

١- التنقص من الرسول ﷺ فلما لم يقدروا على إظهار الشتم والسب لمحمد رسول ﷺ شتموا أصحابه، قال الإمام مالك: "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"<sup>(٥)</sup>.

٢- أن مرادهم القدح في الشريعة نفسها والتشكيك في ثبوتها إذ الصحابة هم حملة الدين ونقله الشرع إلينا، فالقدح فيهم قدح فيما حملوه وبلغوه"<sup>(٦)</sup>.

(١) رسالة أصول السنة له (٣٣) ضمن عقائد أئمة السلف جمع فواز زمزلي.

(٢) السنة للخلال (٢ / ٤٧٧)، وانظر فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٠٣).

(٣) السنة للخلال (٢ / ٤٩٢).

(٤) الصارم المسلول (٥٨٧).

(٥) انظر الصارم المسلول (٥٨٠).

(٦) انظر أول هذا البحث في الحديث عن عدالة الصحابة، وانظر تفسير القرطبي (١٦ / ١٩٦)، تحقيق مواقف الصحابة لمحمد أمزون (١ / ١٤٢).

إن أصيب عبد وابتلي بهذا الداء - داء سب الصحابة، وتتبع زلاتهم - فليراجع نصوص الكتاب والسنة، وليتأمل ما قاله الإمام محمد بن علي الشوكاني<sup>(١)</sup> رحمه الله حيث يقول: "فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به، فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقة من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعية، وصرفهم عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله، وخير أمته وصالحى عبادته وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط"<sup>(٢)</sup>.

(١) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، وولي قضاءها، له ١١٤ مؤلفاً منها: "نبيل الأوطار" و"البدر الطالع"، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام (٦ / ٢٩٨)، الفتوح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي (٣ / ١١٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٠٢) باختصار يسير.

## الباب الأول

موقف الصحابة - ﷺ - من الفرقة، وفيه أربعة

فصول:

الفصل الأول: تعريف الاختلاف والفرقة والفرق.

الفصل الثاني: النهي عن الفرقة والتحذير منها في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم.

الفصل الثالث: أسباب الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم.

الفصل الرابع: مضار الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وسلامة الصحابة منها.



## الفصل الأول

### تعريف الاختلاف والفرقة والفرق

المبحث الأول ، تعريف الاختلاف في اللغة والاصطلاح، وأنواعه:

\* أولاً: تعريف الاختلاف في اللغة:

- ١- أصل الكلمة: (الخاء واللام والفاء)، خلف والخَلْفُ ضد قدام، وخلفه يخلفه: صار خلفه<sup>(١)</sup>.
- ٢- الخَلْفُ: النسل، والقرن يأتي بعد القرن<sup>(٢)</sup>.
- ٣- ويأتي الخلف بمعنى الرديء من القول، يقال: سكت ألفاً ونطق خَلْفاً. أي: سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخَطأ<sup>(٣)</sup>.
- ٤- ويأتي بمعنى الاستقاء، يقال: من أين خِلفتكم؟ أي من أين تستقون<sup>(٤)</sup>.
- ٥- والخَلْفُ: العوض والبدل مما أخذ أو ذهب<sup>(٥)</sup>.
- ٦- والخِلْفَةُ بالكسر: الاسم من الاختلاف أو مصدر الاختلاف، أي: التردد<sup>(٦)</sup>، والخليفة كل شيء بعد شيء، وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (٩ / ٨٢).

(٢) انظر لسان العرب (٩ / ٨٤، ٨٨).

(٣) انظر مختار الصحاح (٧٨)، القاموس المحيط (١٠٤٢).

(٤) انظر لسان العرب (٩ / ٨٨).

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) انظر القاموس المحيط (١٠٤٢).

(٧) انظر تفسير القرطبي (١٣ / ٤٤).

وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان ٦٢) . أي: هذا خلف من هذا، يذهب هذا ويجيء هذا<sup>(١)</sup>.

٧- والخُلْفُ بالضم الاسم من الاخلاف، وهو في المستقبل كالكذب في الماضي<sup>(٢)</sup>، وأخلفه الوعد: قال ولم يفعله<sup>(٣)</sup>.

٨- والتخلف: التأخر<sup>(٤)</sup>، والخلفُ والخالفُ والخالِفةُ: الفاسد من الناس، والهاء للمبالغة، والخوالف: النساء المتخلفات في البيوت<sup>(٥)</sup>.

٩- وخَلَفَ اللبن وغيره وخُلْفَ يَخْلُفُ خلوفاً فيهما، تغير طعمه وريحه<sup>(٦)</sup>.

١٠- والخليف: مدفع الماء، وقيل: الوادي بين الجبلين، وقيل الطريق في الجبل أي كان<sup>(٧)</sup>.

١١- والخليفة: السلطان الأعظم<sup>(٨)</sup>، ومن يقوم مقام الذهاب ويسد مسده، والهاء فيه للمبالغة<sup>(٩)</sup>.

والخلافة: النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف. والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (٩ / ٨٦).

(٢) انظر مختار الصحاح (٧٨).

(٣) انظر القاموس المحيط (١٠٤٤).

(٤) انظر لسان العرب (٩ / ٨٢).

(٥) انظر لسان العرب (٩ / ٩١).

(٦) انظر لسان العرب (٩ / ٩٢ - ٩٣).

(٧) انظر لسان العرب (٩ / ٩٥).

(٨) انظر القاموس المحيط (١٠٤٤).

(٩) انظر لسان العرب (٩ / ٨٩).

(١٠) انظر المفردات للأصفهاني (١٥٦).

١٢- والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً.

وخالفه إلى الشيء: عصاه إليه أو قصده بعدما نهاه عنه وهو من ذلك<sup>(١)</sup>.

١٣- وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف<sup>(٢)</sup>. والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين<sup>(٣)</sup>.

هذه هي المعاني التي تدور عليها كلمة (خلاف واختلاف) في اللغة، ولعل الذي يتعلق بالمعنى الاصطلاحي من هذه المعاني هما المعنيان الأخيران وهما معنى المضادة، وعدم الاتفاق، وأن كلا المختلفين يذهب بقوله ورأيه إلى خلاف الآخر ويسلك غير طريقه، ولا يوافقه في قوله، وهذا سيتضح جلياً عند بيان المعنى الاصطلاحي للاختلاف، وهو الآتي:

\* تعريف الاختلاف في الاصطلاح: قيل إن: "الاختلاف في المذاهب هو ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"<sup>(٤)</sup>.

وقيل: "الخلاف منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل"<sup>(٥)</sup>.

وعرف علم الخلاف بأنه: "علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية، الذاهب إلى كل منها طائفة من العلماء، ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض"<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (٩/ ٩٠ - ٩١).

(٢) انظر المرجع السابق

(٣) انظر المفردات للراغب الأصفهاني (١٥٦).

(٤) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٥٧).

(٥) انظر التعريفات للجرجاني (١٠٦).

(٦) أمجد العلوم (٢/ ٢٧٨).

وقيل إنه: "العلم بالمسائل التي يجري فيها الاجتهاد بغض النظر عن الصواب أو الخطأ أو الشذوذ في الرأي المعروض، وقد يخص بالمسائل التي وقع الخلاف فيها بالفعل بين المجتهدين، ومنه ما يصطلح عليه بعض أهل العلم باسم الخلاف العالي، ويقصدون به الخلاف خارج المذهب المعبر ومنه ما يسمى في مصطلح الدراسات المعاصرة "الفقه المقارن"<sup>(١)</sup>.

وعلم الخلاف أو علم الخلافيات علم يبحث عن ماثرات اختلاف الأئمة الأربعة ومواقع اجتهادهم في المسائل الفقهية خاصة<sup>(٢)</sup>.

فلاحظ أن من العلماء من يستعمل كلمة "الخلاف"، ومنهم من يستعمل كلمة "الاختلاف"، ولقد فرّق بين اللفظين بما يلي:

١- الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، والخلاف هو أن يكون كلاهما: الطريق والمقصود مختلفاً.

٢- أن الاختلاف يستند إلى دليل، أما الخلاف فلا يستند إلى دليل.

٣- الاختلاف من آثار الرحمة، والمراد به: اختلاف في الاجتهاد، لا اختلاف الناس في الهمم، أما الخلاف فهو من آثار البدعة.

٤- لو حكم القاضي بالخلاف ورفع غيره يجوز فسخه، بخلاف الاختلاف، وذلك لأن:

٥- الخلاف يقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع، أما الاختلاف ففيما يجوز فيه الاجتهاد لذلك لا يجوز فسخه<sup>(٣)</sup>.

(١) أدب الخلاف لصالح بن عبد الله بن حميد (٩)، وانظر: الاختلاف رحمة أم نقمة للأمين الحاج محمد أحمد (٩).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٨١).

(٣) انظر الكليات للكفوي (٦١ - ٦٢) بتصرف.

والمأمل لاستعمال العلماء للفظي الاختلاف والخلاف نجدهم يستعملونهما في مدوناتهم بمعنى واحد، ولا يفرقون التفريق السابق، إذ قصارى الأمر ألا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى<sup>(١)</sup>. أما كتب الاختلاف فهي الكتب التي تعنى بفروع المسائل، وتورد اختلافات الفقهاء<sup>(٢)</sup>.

\* أنواع الاختلاف: للاختلاف أنواع بحسب اعتباراته والمقصود منه، وهو كالآتي:

أولاً: أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- اختلاف تنوع.

٢- اختلاف تضاد.

ثانياً: أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- اختلاف في المسائل العلمية الاعتقادية (أصول الدين).

٢- اختلاف في المسائل العملية الفقهية (فروع الدين).

ثالثاً: أنواع الاختلاف باعتبار حكمه، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- اختلاف سائغ.

٢- اختلاف مذموم.

٣- اختلاف محمود<sup>(٣)</sup>.

وهاك تفصيلها وأقوال العلماء فيها:

(١) انظر أدب الخلاف لصالح بن حميد (٩) بتصرف.

(٢) الاختلاف رحمة أم نقمة (٩).

(٣) انظر أدب الخلاف لصالح بن حميد (١١).

أولاً: أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته: الاختلاف في الأصل قسماً:

١- اختلاف تنوع

٢- اختلاف تضاد.

١- اختلاف التنوع ويكون على وجوه منها:

أ- أن يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في القراءات التي اختلفت فيها الصحابة رضي الله عنهم حتى زجرهم النبي ﷺ وقال: {كلاكما محسن} أي في القراءة، ثم قال زاجراً لهم عن الاختلاف: {ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا} <sup>(١)</sup>.

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومكان سجود السهو، والتشهد وصلاة الخوف وتكبيرات العيد، ونحو ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل <sup>(٢)</sup>.

ب- أن تتنوع الأسماء والصفات مع اتحاد المسمى، فيعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى - بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة - كما قيل في اسم السيف الصارم والمهند <sup>(٣)</sup>. فكل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان <sup>(٤)</sup>.

ج- أن يذكر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبية المستمع على النوع - لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل سائل

(١) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب (١)، (٥ / ٧٠ فتح).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (١ / ١٤٩) تحقيق ناصر العقل، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٧٨) بتصرف.

(٣) الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ١٧٨).

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٥٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٧٩).

أعجمي سأل عن مسمى "لفظ الخبز" فأري رغيماً، وقيل له: هذا، فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده - مثال ذلك: ما نقل في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (फलتر ٣٢)

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيق للواجبات، والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات.

ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفار. ويقول الآخر: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعاقل بالبيع.... فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبهه به على نظيره، فإن التعريف بالمثل قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق، والعقل السليم يتفطن للنوع، كما يتفطن إذا أشير له إلى رغيغ فقيل له: هذا هو الخبز<sup>(١)</sup>.

د- أن يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركاً في اللفظ كلفظ ﴿ قَسْوَرَةٍ ﴾ (المنذر ٥١) ، الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيين، كالضمائر في قوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى<sup>(١)</sup> (النجم ٦٨) . وكلفظ ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ وليالٍ عشرٍ<sup>(١)</sup> وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ<sup>(٢)</sup> (الفجر ٣-١) . وما أشبه ذلك.

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ١٨٠).

فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنيان؛ إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء وكثير من أهل الكلام، وإما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً، إذا لم يكن لتخصيصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف السابق<sup>(١)</sup>.

**اختلاف تضاد<sup>(٢)</sup>:** اختلاف التضاد هو القولان المتنافيان، إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد. والخطب في هذا أشد، لأن القولين يتنافيان<sup>(٣)</sup>.

وهذا النوع من الاختلاف ينتج الفرقة وتبني عليه الفرق - خاصة إن كان في الأصول - وهو الاختلاف الحقيقي.

ثانياً: أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه:

١- الاختلاف في المسائل العلمية الاعتقادية المسمى "أصول الدين"، كأصول الإيمان الستة، وأقسام التوحيد الثلاثة، وكالقول في الوعد والوعيد وغير ذلك من أصول الدين الاعتقادية.

والخلاف في أصول الدين العقديّة شديد وصاحبه مذموم، وما خرجت الفرق وتفرقت الأمة إلا لاختلافها في بعض مسائل العقيدة.

وغالب اختلاف المسلمين وتنازعهم في مسائل العقيدة يكون في باب الصفات، والإمامة، والقدر ومسائل الوعد والوعيد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ١٨٢) بتصرف، وانظر الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٧٠).

(٢) الضدان: هما صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض. انظر التعريفات للجرجاني (١٤٢).

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٥١)، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٧٩).

(٤) انظر الاستقامة لابن تيمية (١ / ٣٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٢١).



وينبغي أن يتنبّه أنه ليس كل مسألة من مسائل الاعتقاد يعتبر المخالف فيها مبتدعاً، وخارجاً عن أهل السنة والجماعة، بل إن هناك مسائل دقيقة وفرعية من المسائل الاعتقادية يسوغ فيها الاختلاف، وقد وقع وذلك لعدم ورود نص قطعي في المسألة، مثل اختلاف السلف من الصحابة ومن بعدهم: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ وكالاختلاف هل من الجن رسل؟ وكالاختلاف في مسألة عذاب الميت ببيكاء الحي؟ والاختلاف في التفريق بين النبي والرسول؟ وغير ذلك من المسائل الدقيقة والفرعية في الاعتقاد، وهذا الاختلاف في مثل هذه المسائل لا يوجب فرقة بين المسلمين ولا تبديعاً لأحد<sup>(١)</sup>.

٢- الاختلاف في المسائل العملية الفقهية المسمى "فروع الدين" كفريضة الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من المسائل الفقهية، والاختلاف في هذه المسائل يختلف بحسبها: فإن كان النص في المسألة قطعي الثبوت، قطعي الدلالة لا يحتمل التأويل كوجوب مباني الإسلام الخمس، فهذا يجب اعتقاد موجه علماء وعملاً، ولا يسوغ فيه الاختلاف، وهو بمنزلة مسائل أصول الدين الاعتقادية.

أما مسائل الفروع الفقهية العملية التي لم يثبت فيها نص، أو كان النص محتملاً أو غير ذلك، فاجتهاد العلماء في ذلك سائغ، ومن ثم فالاختلاف واقع، ولا يذم المجتهد في اجتهاده<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية: "إن المسائل الخبرية قد تكون بمنزلة المسائل العملية، وإن سميت تلك مسائل أصول، وهذه مسائل فروع، فإن هذه تسمية محدثة، قسمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين، وهو على المتكلمين والأصوليين أغلب، لا سيما إذا تكلموا في مسائل التصويب والتخطئة.

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٦ - ٣٩).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٦ - ٣٩)، وانظر الائتلاف والاختلاف لصالح بن غانم السدلان

(٤٥)، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية (٣٦).

وأما جمهور الفقهاء المحققين والصوفية، فعندهم أن الأعمال أهم وأكد من مسائل الأقوال المتنازع فيها، فإن الفقهاء كلامهم إنما هو فيها، وكثيراً ما يكرهون الكلام في كل مسألة ليس فيها عمل، كما يقوله مالك وغيره من أهل المدينة... بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع. فالعلم بوجوب الواجبات كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة كالعلم بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، من القضايا الظاهرة المتواترة، ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفر، كما أن من جحد هذه كفر.

وقد يكون الإقرار بالأحكام العملية أوجب من الإقرار بالقضايا القولية، بل هذا هو الغالب، فإن القضايا القولية يكفي فيها الإقرار بالجملة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره. وأما الأعمال الواجبة، فلا بد من معرفتها على التفصيل، لأن العمل بها لا يمكن إلا بعد معرفتها مفصلة؛ ولهذا تقر الأمة من يفصلها على الإطلاق، وهم الفقهاء، وإن كان قد ينكر على من يتكلم في تفصيل الجمل القولية، للحاجة الداعية إلى تفصيل الأعمال الواجبة وعدم الحاجة إلى تفصيل الجمل التي وجب الإيمان بها مجملة<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أنواع الاختلاف باعتبار حكمه:

١- الاختلاف السائغ: الاختلاف السائغ يكون في المسائل التي لم يرد فيها نص، أو ورد نص غير قاطع في المسألة، فيسوغ حينها اجتهاد المجتهدين من فقهاء ومفتين. يقول أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: مجال الاجتهاد المُعْتَبَر هي ما ترددت بين طرفين وضح في كل منهما قصد الشارع في الإثبات في أحدهما والنفي في الآخر، فلم تنصرف البتة إلى طرف النفي ولا إلى طرف الإثبات.

(١) انظر الفتاوى (٦/ ٣٦-٣٧) باختصار.

(٢) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، الاعتصام توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد المجاري، تحقيق محمد أبو الأجنان (١١٦) والأعلام (١/ ٧٥).

من ذلك مسألة زكاة الحلبي، وذلك أنهم أجمعوا على عدم الزكاة في العروض، وعلى الزكاة في النقدين، فصار الحلبي المباح الاستعمال دائراً بين الطرفين، فلذلك وقع الخلاف فيها.

فكل مسألة إنما وقع الخلاف فيها لأنها دائرة بين طرفين واضحين، فحصل الإشكال والتردد<sup>(١)</sup>.

ولقد جوّز النبي ﷺ للحاكم أن يجتهد رأيه، وجعل له على خطئه في اجتهاد الرأي أجراً واحداً إن كان قصده معرفة الحق واتباعه<sup>(٢)</sup>. لما في الحديث عن رسول الله ﷺ: {إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر}<sup>(٣)</sup>.

ثم إن هذا الحديث دليل واضح على إمكان خطأ المجتهد، وحصول الخطأ يعني حصول الاختلاف سواء بينه وبين غيره أو بين من يتبعه على رأيه وبين من يخالفه. ثم إن تقرر الأجر للمخالف دليل على أن هذا الاختلاف سائغ وإلا لما استحق أجر<sup>(٤)</sup>.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ - يجتهدون في النوازل وقيسون بعض الأحكام على بعض ويعتبرون النظر بنظيره، ويختلفون في ذلك فيما بينهم بعد وفاة رسول الله ﷺ بل وفي حياته أيضاً، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قريظة، فاجتهد بعضهم وصلّاها في الطريق، وقالوا: لم يرد منا التأخير، وإنما

(١) انظر الموافقات في أصول الشريعة له (٥١٩ - ٥٢٣) باختصار وتصرف.

(٢) انظر إعلام الموقعين (١ / ٢٠٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد (١٣ / ٣١٨ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب أجر الحاكم إذا اجتهد (١٢ / ١٣ نوي)..

(٤) انظر أدب الخلاف لصالح بن حميد (١٣) بتصرف.

أراد سرعة النهوض فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها إلى بني قريظة فصلّوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ<sup>(١)</sup>. وهذا دليل على أن هذا الاختلاف سائغ<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: "الاختلاف من وجهين: أحدهما محرم، ولا أقول ذلك في الآخر. أما المحرم فهو كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه.

وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياساً فذهب المتأول أو القاييس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه فيه غيره- لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص"<sup>(٣)</sup>.

ولقد ذكر العلماء للاختلاف السائغ أسباباً وألقوا في ذلك المصنفات<sup>(٤)</sup>، ومن أجمعها كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية حيث يقول: "ليعلم أنه ليس أحد من الأئمة- المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً- يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل.

فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب (٢/ ٤٣٦ فتح)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب المبادرة بالغزو (١٢/ ٩٧ نووي)، وانظر إعلام الموقعين (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٩٨).

(٣) انظر الرسالة للإمام الشافعي (٥٦٠) بتصرف واختصار.

(٤) من هذه المصنفات: الإنصاف في التنبيه على أسباب الخلاف لأبي محمد عبد الله البطليموسي، وكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، وكتاب الإنصاف في بيان أسباب الخلاف لشاه ولي الله الدهلوي، وغير ذلك.

قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له من عذر في تركه، وجميع الأعدار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة<sup>(١)</sup>.

ولا يعني ورود الاختلاف في الشريعة وجعل بعضه سائغاً أن في أصولها أو فروعها اختلافاً بل إن الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك، ولا يصلح فيها غير ذلك والدليل عليه: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء ٨٢) ، فنفي أن يقع فيه الاختلاف ألبتة، ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال، وفي القرآن: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء ٥٩) الآية، وهذه الآية صريحة في رفع التنازع والاختلاف، فإنه ردّ المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣) ، فبين أن طريق الحق واحد، وذلك عام في جملة الشريعة وتفصيليها. والأدلة على ذلك كثيرة لا يحتاج فيها إلى التطويل لفساد الاختلاف في الشريعة<sup>(٢)</sup>.

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام له (٣)، وذكر عشرة أسباب للاختلاف تتفرع عن هذه الثلاثة فصلها وبينها بالأمثلة. وانظر الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٦٦).

(٢) انظر الموافقات له (٤ / ٤٨٨ - ٤٩٢) باختصار، انظر مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة لابن قيم الجوزية (٤٨٩) اختصره محمد بن الموصلي.

فمما تقدم ثبت أن أصل الشريعة واحد وأنه لا اختلاف فيها، إذ الاختلاف مذموم جملة، بقى السؤال: ما معنى أن يكون هناك اختلافاً سائغاً؟ وكيف يكون الاختلاف مذموماً جملة وقد ثبت اختلاف الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في مسائل عديدة؟

يجيب الشاطبي رحمه الله على ذلك ويقول: "وأما قول من قال: إن اختلافهم رحمة وسعة، فقد روي عن مالك أنه قال: ليس في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ سعة، وإنما الحق في واحد<sup>(١)</sup>، قيل له: فمن يقول: إن كل مجتهد مصيب؟ فقال: هذا لا يكون قولان مختلفين صوابين، ولو سلم فيحتمل أن يكون من جهة فتح باب الاجتهاد، وأن مسائل الاجتهاد قد جعل الله فيها سعة بتوسعة مجال الاجتهاد لا غير ذلك..."

وذلك لأنه قد ثبت أن الشريعة لا اختلاف فيها، وإنما جاءت حاكمة بين المختلفين فيها، وفي غيرها من متعلقات الدين، فكان ذلك عندهم عاماً في الأصول والفروع، حسبما اقتضته الظواهر المتضاربة والأدلة القاطعة. فلما جاءتهم مواضع الاشتباه وكلوا ما لم يتعلق به عمل إلى عالمه على مقتضى قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آ عمران ١٠٧). ولم يكن لهم بد من النظر في متعلقات الأعمال، لأن الشريعة قد كملت، فلا يمكن خلو الوقائع من أحكام الشريعة، فتحروا أقرب الوجوه عندهم إلى أنه المقصود الشرعي، والفطرُ والأنظار تختلف، فوقع الاختلاف من هنا لا من جهة أنه من مقصود الشارع، فلو فرض أن الصحابة لم ينظروا في هذه المشتبهات الفرعية ولم

(١) الحق بأن القول في واحد، وأن المصيب واحد من المجتهدين، ومن عداه مخطئ هو قول عامة السلف والفقهاء. انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٥٠)، وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (١٩٣)، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢ / ٥٨ - ٦٥).

يتكلموا فيها- وهم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها- لم يكن لمن بعدهم أن يفتح ذلك الباب، للأدلة الدالة على ذم الاختلاف، وأن الشريعة لا اختلاف فيها، ومواضع الاشتباه مظان الاختلاف في إصابة الحق فيها، فكان المجال يضيق على من بعد الصحابة، فلما اجتهدوا ونشأ من اجتهادهم في تحري الصواب الاختلاف؛ سهّل على من بعدهم سلوك الطريق، فلذلك- والله أعلم- قال عمر بن عبد العزيز: ما يسرّني أن لي باختلافهم حُمر النعم؛ وقال: ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا ...

فثبت أنه لا اختلاف في أصل الشريعة، ولا هي موضوعة على وجود الخلاف فيها أصلاً يرجع إليه مقصوداً من الشارع، بل ذلك الخلاف راجع إلى أنظار المكلفين وإلى ما يتعلق بهم من الابتلاء<sup>(١)</sup>.

ومما تقدّم يعلم أن تسمية هذا النوع من الاختلاف اختلافاً سائغاً أليق من تسميته اختلافاً محموداً، إذ الاختلاف جملة مذموم في الشريعة، والشريعة جاءت تأمر بالاتلاف والاتفاق والجماعة، وتنهى عن الفرقة والاختلاف.

وكذلك لا يفهم من كونه اختلافاً سائغاً أن لا يعمل على التقريب بين أقوال الفقهاء؛ بل الواجب- والله أعلم- العمل على التقريب بين المذاهب الفقهية، وذلك بالنظر فيها وإطراح القول الضعيف منها، أو القول المذهبي الذي ثبت النص بخلافه، وترك التعصب والتقليد الجامد المذموم، خاصة بعدما طبع كثير من كتب السنة، وبعدما تيسرت وسائل الاتصال العلمي بين علماء المسلمين وفقهائهم، وظهر بين جماعات المسلمين الفرقة والنزاع نتيجة عدم فهمهم لمسوغات الاختلاف المذهبي الفقهي، وهذا لا يصح، ولقد تنبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ذلك

(١) انظر الموافقات (٤/ ٤٩٧-٤٩٩) باختصار، وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

فسعى إلى وحدة الصف بوحدة القول والفعل، وحسم مادة الافتراق والاختلاف؛ فقد اختلف في عهده أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في الصلاة في الثوب الواحد، إذ قال أبي: الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل. وقال ابن مسعود: إنما كان والثياب قليلة. فخرج عمر مغضباً فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ فمن ينظر إليه ويؤخذ عنه، وقد صدق أبي، ولم يأل ابن مسعود، ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الصحابة مختلفين في عدد التكبير في صلاة الجنائز فمنهم من يكبر خمساً، ومنهم من يكبر سبعاً ومنهم من يكبر أربعاً، فحسم الفاروق رضي الله عنه مادة الاختلاف وجمع الصحابة على أربع تكبيرات ونهاهم عما سوى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وهذا الجمع يتعين إذا كان في بلد واحد ومسجد واحد، وينبغي أن يتنبه إلى

أمور:

أ- إن الاختلاف السائغ واقع في فروع المسائل الفقهية العملية، وليس في أصولها ولا أصول العقيدة، إذ عامة ما يضطر إليه عموم الناس من الاختلاف معلوم بل متواتر عند العامة أو الخاصة، كما في عدد الصلوات ومقادير ركوعها ومواقيتها، وفرائض الزكاة ونصيبها، وتعيين شهر رمضان، والطواف والوقوف ورمي الجمار، والمواقيت وغير ذلك<sup>(٣)</sup>، وهذا من رحمة الله بالأمة لتجتمع كلمتها وتتحد صفوفها باتحاد أصول هذا الدين العظيم ومبانيه الكبار.

ب- إن من الاختلاف ما ليس بخلاف حقيقي وإنما هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، كالاختلاف في قراءات القرآن الكريم، وصيغ التشهد

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩١١-٩١٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ١٨٤).



وصيغ الأذان<sup>(١)</sup>، وينبغي أن يبين للعامّة معنى الاختلاف هنا وتعدد الأقوال، وأنه ليس اختلاف تضاد.

ت- إن الاختلاف السائغ لا يقتصر على المسائل العملية بل يدخل تحتها بعض جزئيات العقيدة والمسائل الدقيقة والفرعية في أصول الدين الاعتقادية، مثل: هل رأى محمد ﷺ ربه وغير ذلك<sup>(٢)</sup>، وهذا الاختلاف لا يوجب تبديعاً ولا فرقة.

ث- إن هذا الاختلاف السائغ قد يتغير حكمه ويصير اختلافاً مذموماً إذا صاحبه هوى أو أفضى للمنازعة أو التكفير، وهذا ما سنفصله في النوع الثاني وهو الاختلاف المذموم.

٢- الاختلاف المذموم: لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في ذم

الاختلاف والتحذير منه<sup>(٣)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (ال عمران ١٠٥)

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: {إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال} (٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {سمعت رجلاً قرأ آية سمعت من رسول الله ﷺ خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله ﷺ فقال: "كلا كما محسن" قال شعبة<sup>(٥)</sup>: أظنه قال: "لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا".

(١) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته (٥٢).

(٢) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه (٥٤).

(٣) انظر الفصل الثاني من هذا الباب عن النهي عن الفرقة (٩٠).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة السؤال (١٢ / ١١ نووي).

(٥) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، أبو بسطام، عالم أهل البصرة وشيخها، وأمير المؤمنين في الحديث وكان رأساً في العربية والشعر. توفي سنة ١٦٠ هـ. انظر: السير (٧ / ٢٠٢)، النشدرات (١ / ٢٤٧).

والم تأمل للنصوص يجد أن سبب هذا الاختلاف المذموم هو الظلم والجهل، أو ترك الحق وعدم الصبر، وذلك نابع من فساد النية، ومن اتباع للهوى وتقديمه على قول الله وقول رسوله ﷺ، وعلامة هذا الاختلاف المذموم وأمارته ما يؤدي إليه من الفرقة والتنازع والتباغض بين المختلفين، وهذا الاختلاف غالباً ما تتولد عنه الفرق ويكون سبباً لها<sup>(١)</sup>.

ولهذا الاختلاف المذموم صور متعددة منها:

أ- مخالفة النص الحق البين من غير هدى ولا علم، بل بمحض الهوى ولفرط الجهل، فالمخالف للحق مذموم، والمتبع له محمود، فهذا اختلاف مذموم من جانب واحد وهو جانب المعرض عن الحق، وهو من باب اختلاف التضاد<sup>(٢)</sup>، ومثله اختلاف الناس إلى مؤمن وكافر، فالكافر مخالفته واختلافه مع المؤمن اختلاف مذموم، يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال سبحانه في محكم التنزيل: ﴿هٰذَانِ حَصْمَانِ اٰخْتَصَمُوْا فِي رِيْبٍ فَاَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُّصْبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيْمُ﴾ (الحج: ١٩).

وهذا الاختلاف والخصام بين الكافرين والمؤمنين، فالمؤمن يريد نصرة دين الله عز وجل، والكافر يريد إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل<sup>(٣)</sup>.

وقريب من هؤلاء الكفار في مخالفة الحق والإعراض عن نصوص الكتاب والسنة، أصحاب أهل البدع والفرق الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، وخلافهم

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥/ ٦٨)، الاستقامة لابن تيمية (١/ ٣٩)،

شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٧).

(٢) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٦).

هذا مذموم حرام عند ورود النص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا  
وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (ال عمران ١٠٥)  
وهذا الاختلاف المذموم المحرم قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: "هو كل ما  
أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً لم يحل الاختلاف فيه لمن  
علمه"<sup>(١)</sup>.

وهذا الاختلاف المذموم يكون من اختلاف التضاد، ويجري ذلك في أصول  
الدين العقديّة العلمية، أو في أصوله العملية الفقهية، فالمخالف في ذلك مخطئ قطعاً  
ولكن ينبغي أن يتنبه إلى أمر: أنه قد يكون القول الباطل فيه حق ما، أو معه دليل  
يقتضي حقاً ما، فينبغي قبول هذا الحق القليل وعدم رده، وإن ورد مع باطل كثير،  
إذ الحق يجب قبوله من أي قائل.

ب- وقد يغفل كثير من أهل السنة عن هذا الأمر فيرد الحق الذي جاء مع  
الباطل، حتى يبقى هو مبطلاً في البعض كما كان الأول (المخطئ) مبطلاً في  
الأصل<sup>(٢)</sup>.

من صور الاختلاف المذموم أن يقع في اختلاف النوع فيكون مع كلا الطائفتين  
بعض الحق، فلا تعترف إحدهما بما مع الأخرى من الحق ولا تنصفها، بل تزيد  
على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك.

وهذا الاختلاف مذموم من كلا الطائفتين، ومصدره البغي والظلم، كما قال  
تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ  
فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ٢١٣)

(١) الرسالة للإمام الشافعي (٥٦٠).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥١)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٩)، (١/ ١٨٧).

لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة، إذ أكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء وإلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء هو من هذا النوع<sup>(١)</sup>.

ج- من الاختلاف المذموم أيضاً ما يفعله كثير من أهل البدع والأهواء من إيمانهم ببعض الكتاب دون بعض، إذ هم يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه إما أن يتأولوه تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدون ما أنزله الله من معانيه<sup>(٢)</sup>.

د- قد يكون الاختلاف في أصله سائغاً مشروعاً ويكون من اختلاف التنوع، فيكون كلا القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلفت فيها الصحابة رضي الله عنهم حتى زجرهم النبي ﷺ وقال: {كلاهما محسن}، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ونحو ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! وهذا عين المحرم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ. ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقاتلين، وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٢، ١٥٦)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٨٢).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٨٣ - ٧٨٥)

باختصار.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٨).

فالمذموم هنا ليس هو الاختلاف، ولكن فعل المختلفين من البغي والظلم الذي سببه الجهل أو الهوى. إذ الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد<sup>(١)</sup>. والذم هنا واقع على من بغى على الآخر وظلمه.

هـ- من صور الاختلاف المذموم: مخالفة النص الثابت من قول الله وقول رسوله ﷺ بعد بلوغه الخبر تمسكاً بقول فلان من الناس، أو تقليداً لمذهب وعصبيية وحمية لأقوال الرجال<sup>(٢)</sup>، يقول الإمام أبو محمد علي بن حزم: "إن الله تعالى نصّ على أن الاختلاف شقاق وأنه بغي، ونهى عن التنازع والتفرق... فإن قال قائل إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس أفيلحقهم هذا الذم؟ قيل له وبالله تعالى التوفيق: كلا ما يلحق أولئك شيء من هذا، لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ووجهة الحق، فالمخطئ منهم مأجور أجراً واحداً لنيّته الجميلة في إرادة الخير، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم لأنهم لم يتعمدوه، ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم، والمصيب منهم مأجور أجريين، وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة فيما خفي من الدين ولم يبلغه، وإنما الذم المذكور والوعيد الموصوف لمن ترك التعلق بجبل الله تعالى الذي هو القرآن، وكلام النبي ﷺ بعد بلوغ النص إليه، وقيام الحجة به عليه، وتعلق بفلان وفلان، مقلداً عامداً للاختلاف، داعياً إلى عصبيية وحمية الجاهلية، قاصداً للفرقة، متحرياً في دعواه برد القرآن والسنة إليها، فإن وافقها النص أخذ به، وإن خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبي ﷺ فهؤلاء هم المختلفون المذمومون.

(١) انظر الاستقامة لابن تيمية (١ / ٣١).

(٢) قد يكون الإمام القائل لهذا معذور في مخالفته للنص، لعدم ثبوت النص عنده، أو عدم بلوغه إياه أو غير ذلك- كما تقدم في الاختلاف السائغ- ولكن لا عذر للمقلد الذي بلغه النص وثبت عنده، فهذا هو الذي يلحقه الذم.

وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين، وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلدين له، غير طالبين ما أوجه النص عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

و- من الاختلاف الذي قد يلحقه ذم خاصة إذا أدى إلى تنازع: الاختلاف في مسائل لا طائل من الاختلاف فيها، ولا عمل للمكلف يشملها، ولم يرد فيها نص قاطع مثل أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عن المفسرين في ذلك جائز، وأحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبّه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم. فأما من حكى خلافاً في مسألة، لم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى؛ فقد ضيع الزمان، وتكثرت بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور. والله الموفق للصواب<sup>(٢)</sup>.

٣- الاختلاف المحمود: وهو ما يحمد الخلاف فيه، بل يجب فيه المخالفة، والاختلاف مع الطرف الآخر، ومثاله: مخالفة المؤمن للكافر في اعتقاده وعمله، فهنا يحمد المؤمن لاتباعه للحق ومخالفة الباطل وأهله والإعراض عنه، أما الكافر فهو

(١) انظر الإحكام في أصول الأحكام (٥ / ٦٧ - ٦٨).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ١٩٧) باختصار وتصرف.

مذموم هنا لمخالفته الحق، فالحمد في هذا النوع لطائفة دون الأخرى<sup>(١)</sup>، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَحْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة ٢٥٣) وقال عزّ شأنه: ﴿ هَذَا نَحْصَمَانِ أَحْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (الحج ١٩)

فدم هنا الكفار لمخالفة الحق ومخاصمتهم للمؤمنين، ثم قال بعد ذلك مادحاً للمؤمنين حامداً مخالفتهم للكافرين؛ مبيناً جزاءهم لاتباعهم الحق: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُتْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٤) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد<sup>(٢)</sup> (الحج ٢٣-٢٤)

فهؤلاء المؤمنون كان ما لهم الجنة لما خالفوا أهل الكفر والضلال، فحمد مسعاهم وكان هذا نجاة لهم<sup>(٣)</sup>.

ومثله كذلك مخالفة أهل السنة والجماعة لأهل البدع وأهل الافتراق، مخالفتهم في المنهج والسلوك، واتباع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

ويلحق بهذا ما أمرنا به من مخالفة المشركين وأهل الكتاب، وأهل الفسوق والبدع في هيئاتهم وأحوالهم وأعيادهم ومناسباتهم، فالمخالفة في هذا وأمثاله مدوحة ومحمودة في الشرع، بل هي مقصد شرعي، ويقابلها النهي عن مشابهتهم والتشبه بهم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٦) بتصرف.

(٣) انظر أدب الخلاف لصالح بن حميد (١٢).

## المبحث الثاني

### تعريف الفرقة والفرق في اللغة والاصطلاح وأنواع الفرقة

تعريف الفرقة والفرق في اللغة:

أولاً: تعريف الفرقة: الفرقة مصدر الافتراق<sup>(١)</sup>، والافتراق في اللغة يأتي بمعان

عدة منها:

١- الفرق خلاف الجمع، ويقال: فرّق للصلاح فرّقاً، وفرّق للإفساد تفريقاً<sup>(٢)</sup>.

وقيل الفرق في المعاني، والتفريق في الأعيان<sup>(٣)</sup>.

أما التفريق والافتراق فقيل إنهما سواء، وقيل التفريق للأبدان، والافتراق في

الكلام، يقال: فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرقا<sup>(٤)</sup>.

٢- ويأتي الافتراق في اللغة بمعنى التباعد، فالفرق محرّكة تباعد ما بين الشئتين

وما بين المنسمين<sup>(٥)</sup>.

٣- والفرق يأتي بمعنى الفلق الذي هو الشق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء ٦٣)،

وهذه الآية تفسر لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ

فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة ٥٠)<sup>(٦)</sup>

(١) لسان العرب (١٠ / ٣٠٠)، مختار الصحاح (٢١٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكليات للكفوي (٦٩٥).

(٤) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠٠).

(٥) المنسم: خف البعير، انظر القاموس المحيط (١٥٠٠).

(٦) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠٠) بتصرف.



- ٤- ويأتي الفرق بمعنى الفصل بين الشيئين، فَرَقَ يَفْرُقُ فَرَقًا: فصل<sup>(١)</sup>. وفَرَقَتْ بين الشيئين فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة<sup>(٢)</sup>، والفرقان: كل ما فرق به بين الحق والباطل، وهو أبلغ من الفرق، لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره<sup>(٣)</sup>.
- ٥- ويأتي الافتراق بمعنى التشعب والانقسام، ومَفْرَقُ الطريق: متشعبه الذي يتشعب منه طريق آخر، وفَرَقَ له الطريق أي اتجه له طريقان<sup>(٤)</sup>.
- ٦- ويأتي الافتراق أيضاً بمعنى المباينة، يقال: فارق الشيء مفارقة وفراقاً: باينه، والاسم الفرقة. وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً. وفارق فلان امرأته مفارقة وفراقاً: باينها<sup>(٥)</sup>.
- ٧- ومن معانيه: البيان والوضوح والظهور، يقال: فَرَقَ لي هذا الأمر يَفْرُقُ فُرُوقاً إذا تبين ووضح. وفَرَقَ لي رأي أي: بدا وظهر<sup>(٦)</sup>.
- ٨- ومن معانيه: الانفراد والشذوذ، فيقال: الفريقة للقطعة من الغنم تشذ عن معظمها، وقيل: هي الغنم الضالة<sup>(٧)</sup>.
- ٩- ويأتي الافتراق بمعنى التبيد. يقال: فَرَّقَهُ تفريقاً وتَفَرَّقَ: بدده<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠١).

(٢) المفردات (٣٧٧).

(٣) الكلبيات للكفوي (٦٩٥)، المفردات للأصفهاني (٣٧٨).

(٤) لسان العرب (١٠ / ٣٠١)، القاموس المحيط (١١٨٤).

(٥) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠٠).

(٦) المرجع السابق (١٠ / ٣٠٦).

(٧) لسان العرب (٣ / ٣٠٤).

(٨) القاموس المحيط (١١٨٥).

١٠- ومن معاني الافتراق: البرؤ والإفاقة من المرض، يقال: أفرق المريض والمحموم: برأ.

١١- والفرق بالتحريك: الخوف<sup>(١)</sup>. وأطلق عليه ذلك لأن الفرق: تفرق القلب من الخوف، واستعمال الفرق فيه كاستعمال الصدع والشق فيه<sup>(٢)</sup>.

ويطلق الفرق على مسميات عدة: فالفرق: الكتاب، والفرق والفرق: مكيال ضخم لأهل المدينة، والفرق: إناء، والفرق يطلق على الجبل والهضبة والموجة<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: تعريف الفرق في اللغة: الفرق جمع فرقة، وجمع الفرق: أفرأق. والفرقة: الطائفة من الناس، وقيل هي القسم من كل شيء<sup>(٤)</sup>. يقال: الفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق.

والفرقة: طائفة من الناس، والفريق أكثر منه<sup>(٥)</sup>.

وقيل: الفرقة: للجماعة المتفردة من الناس، والفريق الجماعة المتفرقة عن آخرين<sup>(٦)</sup>.

فهناك الفريق، والفرقة أقل منه، والطائفة أقل من الفرقة، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة ١٢٢)<sup>(٧)</sup>

(١) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠٤)، الإقاموس المحيط (١١٨٥).

(٢) انظر المفردات (٣٧٨).

(٣) انظر لسان العرب (١٠ / ٣٠٥-٣٠٦) بتصرف.

(٤) انظر القاموس المحيط (١١٨٤)، لسان العرب (١٠ / ٣٠٠).

(٥) انظر المرجع السابق، وانظر الكلبيات (٦٨٦).

(٦) المفردات (٣٧٧).

(٧) انظر الكلبيات (٦٥٨).

تعريف الفرقة والفرق في الاصطلاح: نعرض أولاً لضوابط الفرقة، وبعض سمات أهلها المفارقين<sup>(١)</sup> لنخلص بعد ذلك إلى التعريف الاصطلاحي للفرقة والفرق:

١- من ضوابط الفرقة: أن كل من خالف الصراط المستقيم وجماعة المسلمين في المنهج والسلوك، فهو مفارق وعمله فرقة<sup>(٢)</sup>.

ولقد حذر الله سبحانه في كتابه العزيز من الافتراق، وأمر وحث على الائتلاف والوفاق، وبيّن أن طريقيهما واحد وهو التمسك بالكتاب والسنة، وأن الزيغ عن ذلك والبعد عنه هلاك وافتراق، يقول عزّ من قائل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)

و"صراطه" يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، يأمرهم سبحانه بأن يعملوا به ويجعلوه لأنفسهم منهاجاً يسلكونه، ولا يسلكوا طريقاً سواه، ولا يركبوا منهاجاً غيره، ولا يبغوا ديناً خلافاً من اليهودية والنصرانية والمجوسية وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات، في اتباعهم لها تشتت بهم في السبل المحدثه التي ليست لله بسبيل ولا طرق<sup>(٣)</sup>.

قال مجاهد بن أبي نجيح رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: البدع والشبهات. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

(١) ليس الغرض استقصاء سمات أهل التفرق والبدع بل ذكر ما يتعلق بالتعريف الاصطلاحي فقط.

(٢) انظر الإبانة لابن بطة (١/ ٢٩٣) تحقيق رضا بن نعيان معطي.

(٣) انظر تفسير الطبري (٨/ ٦٤) بتصرف، وانظر تفسير القرطبي (٧/ ٩٠)، فتح القدير للشوكاني

قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله<sup>(١)</sup>.

وكان قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله إذا تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ (مسك ٣٠) قال: إنكم قد قلم ربنا الله فاستقيموا على أمر الله وطاعته، وسنة نبيكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة، ثم لا تمرق منها ولا تخالفها، ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها، فإن أهل المروق من الإسلام منقطع بهم يوم القيامة، ثم إياكم وتصرف الأخلاق واجعلوا الوجه واحداً والدعوة واحدة، فإنه بلغنا أنه من كان ذا وجهين وذا لسانين كان له يوم القيامة لسانان من نار<sup>(٢)</sup>.

فأول سمات الافتراق مخالفة الكتاب والسنة، والخروج عن سيرة السلف الصالح في المنهج والسلوك. ولذلك حينما سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية قال: {ما أنا عليه اليوم وأصحابي}<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية قال: {هي الجماعة}<sup>(٤)</sup>. ولهذا وصفت الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم.

(١) تفسير الطبري (٨ / ٦٥).

(٢) الإبانة لابن بطة (١ / ٣١٨) تحقيق رضا بن نعان معطي.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤ / ١٩٨)، وسيأتي مزيد تخريج في الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الإيمان باب افتراق هذه الأمة (٥ / ٢٦)، وسيأتي مزيد تخريج في الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول.

أما الفرق الباقية، فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية... وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

ولقد عدّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني<sup>(٢)</sup> - صاحب الإمام أبي حنيفة - رحمهما الله - الخروج عن أصل من أصول معتقد السلف، واتباع أقوال أهل البدع، عده مفارقة للجماعة، يقول رحمه الله: "اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عزّ وجلّ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم<sup>(٣)</sup> فقد فارق الجماعة<sup>(٤)</sup>."

٢- إن كل مخالف للحق بجانب للصراط المستقيم هو مفارق لدينه<sup>(٥)</sup>، مفرّق لجماعة المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٥٩)

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢١٥).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، علامة فقيه، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: السير (٩/ ١٣٤)، الشذرات (١/ ٣٢٢).

(٣) هو: جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي السمرقندي، الكاتب المتكلم، أسّ الضلالة ورأس الجهمية ضال مبتدع، هلك في زمان صغار التابعين عام ١٢٨هـ. انظر: السير (٦/ ٢٦)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي محمد عبد الله الذهبي (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر قوله في الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٩).

(٥) لا يراد بمفارقه لدينه الحكم عليه بالكفر، فهذا يختلف بحسب البدعة التي فارق فيها الجماعة، فقد تكون بدعته مكفرة، فتكون مفارقه لدينه مفارقة ردة وكفر، وقد تكون بدعته غير مكفرة فيكون قد فارق الدين المطلق فأنقص منه ما أنقص، وسيأتي مزيد بيان في الفصل الأول من الباب الثاني إن شاء الله (٢٦٤).

وفي قوله: (فرقوا) قراءتان: قراءة "فارقوا"، وقراءة "فرقوا"، والقراءتان متفتحتا المعنى غير مختلفيه، وذلك أن كل ضال فلدينه مفارق، وقد فرق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده، فتهود بعض وتنصر آخرون، وتمجس بعض، وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعاً متفرقين غير مجتمعين، فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفارقون<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء الذين فارقوا دينهم المراد بهم اليهود والنصارى والمشركون، ويشمل أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه<sup>(٢)</sup>، إذ الكل ضلّ عن الصراط المستقيم وفارقه.

٣- من ضوابط الافتراق: أن تكون هذه المخالفة وهذا الخروج في أصل من الأصول الاعتقادية أو العملية، أو في بعض قواعد الدين الكلية، لا في جزئي من الجزئيات، ولا في المسائل الفرعية.

يقول الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي رحمه الله: "إن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كُليّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات تقتضي عدداً من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل ولا بباب دون باب.

واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافاً في فروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

(١) انظر تفسير الطبري (٨ / ٧٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (٨ / ٧٧)، تفسير القرطبي (٧ / ٩٧).

وتجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً؛ وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة، وإن كانت زلة العالم مما يهدم الدين... ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين بخلاف الكليات<sup>(١)</sup>.

فالفرقة إذاً تحصل بالمفارقة في الأصول الاعتقادية أو العملية، وكذلك تتحقق المفارقة بكثرة المخالفة في الجزئيات.

أما الاختلاف في المسائل الفقهية الفرعية فلا يدخل ضمن التفرق المذموم<sup>(٢)</sup> الذي ذكره ﷺ في قوله: {ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة...}، وإن كان لفظ الافتراق المذكور يقبله إلا أنه لا يصح أن يراد مطلق الافتراق، وإنما افتراق مقيد، وإن لم يكن في الحديث نص عليه، ففي الآيات مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الروم ٣١-٣٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم ٣١-٣٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٥٩).

وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على التفرق الذي صاروا به شيعاً، ومعنى صاروا شيعاً أي جماعات بعضهم قد فارق البعض، ليسوا على تآلف ولا تعاضد ولا تناصر، بل على ضد ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) الاعتصام للشاطبي (٤٦٨)، وانظر الموافقات له (٤ / ٥٣٨)، وانظر الفصل الثالث من هذا الباب عن زلة العالم في المبحث التاسع (١٩٦).

(٢) انظر ما تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل عن أنواع الاختلاف باعتبار حكمه.

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٥٩) باختصار.

ولذلك قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادي<sup>(١)</sup>: "وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين"<sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه إليه أنه ليس كل من خالف الحق في مسألة من مسائل الاعتقاد يعتبر مفارقاً لجماعة المسلمين خارجاً عن أهل السنة والجماعة بل يختلف ذلك بحسب مخالفته<sup>(٣)</sup>، يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: "ومما ينبغي أيضاً أن يعرف: أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة.

ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وقاله من الحق، لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها، ورد بالباطل باطلاً أخف منه، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة.

ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك.

(١) هو: عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي صاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، كان ماهراً في علوم عديدة خصوصاً علم الحساب، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: السير (١٧/ ٥٧٢)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٣).

(٢) الفرق بين الفرق له (٧)، وانظر الاعتصام للشاطبي (٢٤٢).

(٣) انظر المبحث الأول من هذا الفصل في أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه (٥٤).



ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات، ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع "الخوارج" المارقون<sup>(١)</sup>.

وبهذا الكلام تتبين سمة أخرى للتفرق: ألا وهي ما يصاحبه من عداوة وبغضاء، وتضليل وتفسيق بين المختلفين، ومفارقة لجماعة المسلمين، والتي نزيدها وضوحاً بالآتي:

٤- من سمات الافتراق المذموم: ما يقع بين أهله من فرقة، وما يلقي بينهم من عداوة وبغضاء تؤدي بهم إلى تضليل وتفسيق أو تكفير من خالفهم.

قال أبو العالية الرياحي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء<sup>(٣)</sup>.

ويزيد الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي المسألة وضوحاً فيقول: ". لهم - أي أهل الافتراق - خواص وعلامات يعرفون بها.. إحداهما: الفرقة التي نبّه عليها

(١) الفتاوى (٣/ ٢١٧).

(٢) هو: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري إمام، مقرئ، حافظ، مفسر، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. توفي سنة ٩٣هـ. انظر: السير (٤/ ٢٠٧)، الشذرات (١/ ١٠٢).

(٣) انظر الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٨) تحقيق رضا معطي نعلان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران ١٠٥) ، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة ٦٤) ، قال بعض العلماء<sup>(١)</sup>: صاروا فرقا لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٠٩) ... هم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات، والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله.

قال<sup>(٢)</sup>: ووجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين ولم يتفرقوا، ولا صاروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد إلى الرأي، والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً، واختلف في ذلك أقوالهم فصاروا محمودين لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به... ومع اختلافهم كانوا أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة، فلما حدثت الأهواء المردية، التي حذر منها رسول الله ﷺ، وظهرت العداوات وتحزب أهلها فصاروا شيعاً، دلّ على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثه التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه.

فكل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابير والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء<sup>(٣)</sup>.

(١) وجدت كلاماً قريباً من هذا الكلام للإمام إسماعيل الأصبهاني فلعله هو، انظر الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٢/ ٢٤٢).

(٢) القائل هو بعض العلماء.

(٣) انظر الاعتصام له (٤٩١)، بتصرف واختصار.

٥- من سمات أهل الافتراق: تحكيم أقوال الرجال والتحاكم إليها وتصويبها بإطلاق ومخطئة من عداها، وما ينتج عن ذلك من عداوة وبغضاء وفرقة كما تقدم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٥٩) ومعنى شيعاً: فرقاً وأحزاباً فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً، ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويبين الحق<sup>(١)</sup>.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الن ١) من الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ (الروم ٣١-٣٢) . وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون ٥٣) : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التي أحدثوا، بما لديهم فرحون" يقول: بما هم به متمسكون من المذهب فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم<sup>(٢)</sup>.

ويقارن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بين أهل السنة (الفرقة الناجية) وبين أهل الفرقة (الفرق الهالكة) فيمن تتبع كل فرقة فيقول: "فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة- كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك- كان من أهل البدع والضلال والتفرق"<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٨٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٨)، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٨)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٢).

(٣) الفتاوى (٣/ ٢١٦)، وانظر الاعتصام للشاطبي (٢/ ٤٩٦).

ثم يذكر حال أهل السنة والجماعة فيقول عنهم: "فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"<sup>(١)</sup>.

٧- إن المخالفة للصراط المستقيم، وللكتاب المبين وسنة رسول الله ﷺ الأمين، إن مخالفتها والخروج عليها وعنهما لا يقتصر على مفارقة أصول الاعتقاد أو أصول العمل، بل يلحق بذلك: شق عصا الطاعة والخروج على الإمام ليس بالقول والجدال والخصومات في الدين بل القتال بالسيف، ومفارقة جماعة المسلمين، والاعتزال عنهم منابذة ومعاداة، والخروج على الأمة بالسيف، فهذا كله من الفرقة ويعتبر صاحبه مفارقاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: {من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتل جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه}<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث ذكر رسول الله ﷺ أربع حالات للفرقة هي:

الأولى: الخروج عن طاعة الإمام وولي الأمر، ومعاداته بالسيف، فهذا العمل فرقة وصاحبه مفارق متوعد على فعله، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ يقول: {من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية}<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٣٨ نوي).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٤٠ نوي) ومعنى مات ميتة جاهلية: بكسر الميم: أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم. فإن أهل الجاهلية لم يكونوا يجعلون عليهم أئمة بل كل طائفة تغلب الأخرى شرح صحيح مسلم (١٢ / ٢٣٨)، الفتاوى (٢٨ / ٢٦٦).

الثانية: مفارقة الجماعة، والعمل على تفريق الجماعة، فكل مفارق للجماعة هو مفرق لها، وهذا يكون في حالتين:

أ- مفارقة الجماعة وتفريق كلمتهم بإشهار السيف عليهم، وإعلان القتال، ويدخل حينئذٍ في الخروج على السلطان.

فكل خارج عن طاعة ولي الأمر هو مفارق للجماعة، وليس كل مفارق للجماعة خارج عن طاعة ولي الأمر، يوضحه الآتي:

ب- تفريق الجماعة بإثارة الخصومات والجدال في الدين وإثارة مواطن الخلافات وتصعيدها لتدب الفرقة بين صفوف الجماعة، وتلقى العداوة والبغضاء بين أفرادها، ولا يلزم من ذلك خروج على الإمام، وما أكثر من يسلك هذا الطريق الآن عبر وسائل الإعلام المختلفة سعياً لتفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شمل الجماعة.

وفي هذه الحالة تكون مفارقتها للجماعة هي تركه لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم أن هذا هو الصراط المستقيم، ومُخالفه مفارق للجماعة والحق متبع للسُّبُل المفرقة.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: {الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينهما} قال بعد ذلك: "إلا من ثلاث" فعرفت أن ذلك من أمر حدث، فقال: "إلا من الإشراف بالله، ونكت الصفقة، وترك السنة" قلت: يا رسول الله أما الإشراف بالله فقد عرفناه، فما نكت الصفقة وترك السنة؟ قال: "أما نكت الصفقة: أن تباع رجلاً بيمينك ثم تخالف إليه فتقابله بسيفك، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة" (١).

(١) المستدرک للحاکم (١/ ١١٩ - ١٢٠) وقال عنه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد الله بن السائب الأنصاري ولا أعرف له علة، ووافقه الذهبي.

الثالثة: القتال تحت راية عُمِّيَّة، وهي الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه مثل تقاتل القوم للعصبية<sup>(١)</sup>، والأنساب والرياسة لا في سبيل الله كأهل الأهواء مثل قيس ويمن<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون العصبية لشر من عصبية ذوي الأنساب، وهي العصبية للدين الفاسد كحال الرافضة، فإن في قلوبهم من الغل والغيط على كبار المسلمين وصغارهم وصالحهم وغير صالحهم ما ليس في قلب أحد. وأعظم عبادتهم عندهم لعن المسلمين من أولياء الله متقدمهم ومستأخرهم. وهؤلاء أشد الناس حرصاً على تفريق جماعة المسلمين، والخروج على ولي الأمر ممن ليس على معتقدهم<sup>(٣)</sup> متى سنح لهم ذلك. ويلحق بهم في عصرنا ما يثار من العصبية للأوطان وللقوميات، والحزبيات والتيارات دون النظر إلى مدى متابعة ذلك لقول الله وقول رسوله ﷺ، بل هو تصويب لأقوالهم والسير على مناهجهم بمحض العصبية. ومن قاتل أو قتل تحت هذه الرايات فليس من أمة محمد ﷺ ويكون موته ميتة جاهلية كما في الحديث المتقدم.

الرابعة: الخروج على الأمة بالسيف، واستحلال الدماء والأموال دون تفريق بين مؤمن أو كافر، بر أو فاجر، ذمي معاهد أو محارب، وهؤلاء نوعان:

(١) عُمِّيَّة: بضم العين وكسرهما لغتان مشهورتان والميم مكسورة ومشددة والياء مشددة أيضاً.

انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٢ / ٢٣٨).

(٢) انظر الفتاوى (٣٥ / ١١).

(٣) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٦) بتصرف. وما أكثر من ينثق كنعيق الرافضة اليوم من علمانيين ومن

يدعون أنهم عقلانيون، وفي قلوبهم من العصبية لأرائهم والحقد للإسلام وأهل السنة خاصة ما الله به عليم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أ- البغاة وقطاع الطريق، الذين يقطعون الطريق ويقتلون من يلقونه من مسلم وذي لمجرد أخذ الأموال، وعامة الأئمة جعلوهم محاربيين لله ورسوله ساعين في الأرض فساداً، وإن كانوا يعتقدون تحريم ما فعلوه، ويقرون بالإيمان بالله ورسوله، ويشملهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٣) (١)

فهؤلاء بفعلهم هذا مفارقون للجماعة، وعملهم هذا يعتبر فرقة. وقريب منهم أن تختلف جماعتان أو أهل قرية مع قرية أخرى بسبب تعدد في مال أو دم حتى تقع بينهم العداوة فيصيروا حزينين، أو يختلفون في تقديم وال أو غير ذلك فيفترقون ويتنازعون ويتقاتلون، ففعلهم هذا فرقة، وهم مفارقون للجماعة، وجاء فيهم قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الآخَرَى فَقَتَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات ٩)

ويشعر به قوله ﷺ: {من فارق الجماعة قيد شبر فميتته جاهلية}.

فهذه النصوص ذكرت أن المفارق للجماعة يعتبر مفارقاً لها ولو كان بسبب دنيوي هو معصية وليس بدعة، إذ ليس ثم دليل يخصص مفارقة الجماعة بفعل أمر هو بدعة، بل النصوص تشمل الأمرين.

لكن هل يكون هؤلاء فرقة؟ ويدخلون ضمن الثنتين وسبعة فرقة المذكورة في

الحديث؟

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٢٥٧)، (١١ / ٣٥) بتصرف.

الأظهر أنهم لا يكونون فرقة، ولا يدخلون ضمن الحديث، وهذا ما جرى عليه أكثر العلماء في تصنيفاتهم لكتب الفرق<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي: "الأكثر في نقل أرباب الكلام وغيرهم أن الفرقة المذكورة إنما هي بسبب الابتداع في الشرع على الخصوص، وعلى ذلك حل الحديث من تكلم عليه من العلماء ولم يعدوا منها المفرقين بسبب المعاصي التي ليست ببدع"<sup>(٢)</sup>.

ب- البغاة الخارجون عن بعض أصول الشريعة الاعتقادية أو العملية المستحلون لدماء المسلمين وأموالهم من غير تفريق، مثل الخوارج وغيرهم، ففعل هؤلاء فرقة وهم بجماعتهم يكونون فرقة يفارقون بها الجماعة هم ومن سار على نهجهم، ويعتبرون محاربون لله ورسوله، وفعلهم أغلظ من فعل قطاع الطريق لمجرد المال لأنه قرن معصيته ببدعة، يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: "فالذي يعتقد حل دماء المسلمين وأموالهم، ويستحل قتالهم، أولى بأن يكون محارباً لله ورسوله ساعياً في الأرض فاسداً من هؤلاء"<sup>(٣)</sup>. كما أن الكافر الحربي الذي يستحل دماء المسلمين وأموالهم ويرى جواز قتالهم، أولى بالمحاربة من الفاسق الذي يعتقد تحريم ذلك. وكذلك المبتدع الذي خرج عن بعض شريعة رسول الله ﷺ وستته، واستحل دماء المسلمين وأموالهم هو أولى بالمحاربة من الفاسق... ولهذا أتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب"<sup>(٤)</sup>.

- (١) انظر في ذلك الاعتصام للشاطبي (٤٦٠، ٤٦٢) بتصرف وزيادة. وحديث الافتراق سيأتي الحديث عليه موسعاً في الباب الثاني، الفصل الأول من هذا البحث (٢٤٥).
- (٢) المرجع السابق (٤٦٢).
- (٣) يقصد من قطاع الطريق.
- (٤) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٥٨) باختصار وانظر الفتاوى (٣٥ / ١١). وسيأتي في الباب الثاني، الفصل الثاني عن الخوارج.



مما سبق يمكن تعريف الفرقة والفرق في الاصطلاح بالآتي: الفرقة هي الخروج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وعن جماعة المسلمين في أصل أو أكثر من أصول الدين سواء كانت أصول اعتقاد أو أصول عمل، فمن خرج عن معنى كلي أو قاعدة أصلية فيعد خروجه فرقة وصاحبه مفارقاً.

وكذلك من خرج على جماعة المسلمين وإمامهم بالسيف، وكان خروجه عن اعتقاد يعتقدّه يخالف به أصول الكتاب والسنة فخروجه فرقة، وصاحبه مفارقاً، وهو بهذا يكون فرقة هو وأتباعه.

أما إن كان قوله يخالف أصلاً اعتقادياً أو عملياً، وكان وحده ولم يكن له أتباع، ففعله فرقة، ويعتبر مفارقاً، ولكن لا يعتبر بأقواله فرقة، لأن الفرقة تكون أكثر من واحد كما ورد في اللغة<sup>(١)</sup>.

وقد يخرج الرجل وأتباعه على الجماعة وإمامهم بالسيف، ولكن ليس بسبب مخالفة في الاعتقاد بل مجرد بغى وعدوان (بسبب ذنوبي) فهذا يعتبر مفارقاً وفعله فرقة، ولكنه ليس بصاحب فرقة، ولا يعد من ضمن الثنتين وسبعين فرقة المذكورة في الحديث، لأنها فرق مخالفة في أصول الاعتقاد أو العمل كما هو ظاهر قول العلماء، والله أعلم.

وبتلخيص أكثر تُعرف الفرقة والفرق: الفرقة هي الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية، أو المتعلق بالمصالح العظمى للأمة، ومنه الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف<sup>(٢)</sup>.

أما الفرق التي هي جمع فرقة، فهم أهل الافتراق، وهم الفرق المتفرقة عن طريق السنة والجماعة، المفارقة لأئمة المسلمين وجماعتهم، السالكة لغير سبيل السنة

(١) انظر أول هذا المبحث: تعريف الفرقة والفرق في اللغة (٦٦).

(٢) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها لناصر العقل (٢٣).

وأهلها، المباينة لمنهج السلف الصالح، وهم: أصحاب السيف الخارجون على أئمة المسلمين، وأصحاب البدع في الجملة: هم أهل افتراق وأهواء، فالبدعة مقرونة بالفرقة<sup>(١)</sup>.

فائدة: هل تعد أهل السنة والجماعة والسلف الصالح فرقة؟

بالمعنى اللغوي نعم، فأهل السنة والجماعة جزء من كل أكبر، وقد عدّها رسول الله ﷺ الفرقة الثالثة والسبعين، واعتبرت الفرقة الناجية، من حيث كونها ليست الكل بل جزء منه، وكذلك تعتبر فرقة باعتبارها قسيمة للمفارقين، ويطلق عليها فرقة من باب المشاكلة والمقابلة<sup>(٢)</sup> أيضاً.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي فلا تعتبر فرقة، وليس فعلهم فرقة - حاشاهم من ذلك - بل هم الجماعة، وهم أهل الحق السائرون على الصراط المستقيم، المتبعون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

أنواع الفرقة: الفرقة فرقتان، فرقة الآراء والأديان، وفرقة الأشخاص والأبدان<sup>(٣)</sup>، وتفصيلها كالآتي:

أولاً: فرقة الآراء والأديان، ولها صورتان:

١ - مفارقة الدين الباطل واعتزاله واعتزال أهله، والفرقة هنا واجبة ممدوحة، فيجب مفارقة الباطل والكفر واعتزاله اعتقاداً وقولاً وفعلًا، وهذه سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقول سبحانه وتعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه

(١) المرجع السابق (٢٣) باختصار.

(٢) المشاكلة: هي التناسب المسمى بمراعاة النظر، وهو جمع أمر مع أمر يناسبه لا بالتضاد، وهي قسمان: تحقيقية وتقديرية، فالتحقيقية: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته - وهو المراد هنا في الحديث - والتقديرية: هي أن يكون فعل له لفظ دل عليه ولم يذكر، ويذكر لفظ كاللفظ الدال على ذلك الفعل. انظر الكليات للكفوي (٨٤٣).

(٣) كتاب العزلة لأبي سليمان حمد الخطابي (١٠).

أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) ... "فزع نبي الله تعالى إلى العزلة حين ظهر له عنادهم في قبول الدعوة، وإصرارهم على منابذة الحق، وقال تعالى ذكره في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَإِذْ أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (الكهف ١٦) ، وكانوا قوماً كرهوا المقام بين ظهرائي أهل الباطل، ففروا من فتنة الكفر وعبادة الأوثان، فصرف الله تعالى عنهم شرهم ودفع عنهم بأسهم، ورفع في الصالحين ذكرهم" (١).

ويلحق بذلك مفارقة مجالس البدع وأهل الأهواء المذمومة، ومجالس الفجور والمعصية فهذه يجب اعتزالها، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِنِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ٦٨-٦٩)

والمراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق من تحسين المقالات الباطلة والدعوة إليها ومدح أهلها، والإعراض عن الحق والقدح فيه وفي أهله... وكل خائض بالباطل، ومتكلم بمحرم أو فاعل لمحرم فإنه يحرم الجلوس معه، ويحرم الحضور عند حضور المنكر الذي لا يقدر على إزالته... أما إذا استعمل معهم تقوى الله تعالى بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زواله أو تخفيفه فهذا ليس عليه حرج ولا إثم (٢).

(١) كتاب العزلة لأبي سليمان حمد الخطابي (١٣)، وانظر ما تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل عن أنواع الاختلاف باعتبار حكمه (٦٤).

(٢) انظر تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي (٢ / ٤١٦) بتصرف واختصار، وانظر تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٦).

ويقول الإمام محمد بن علي الشوكاني محذراً من مجالس أهل الأهواء والبدع؛ مبيناً خطورة ذلك وضرره: "وفي هذه الآية<sup>(١)</sup> موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير. وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصره الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا.

ومن عرف هذه الشريعة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقذح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق وهو من أبطل الباطل، وأنكر المنكر<sup>(٢)</sup>.

وما أكثر مجالس البدع المعقودة في هذا الزمان، وما أكثر ألويتهم المرفوعة والتي تبث عبر وسائل الإعلام المختلفة: عبر القنوات الفضائية وما فيها من حوارات ولقاءات مع أهل البدع والأهواء تحت مسميات مختلفة، وبمزامع متعددة سواء تحت زعم تبادل وجهات النظر، أو سماع الرأي الآخر، أو الحوار المفتوح، أو حرية الرأي والفكر أو غير ذلك، ويلحق به ما ينشر عبر الشبكة العنكبوتية المسماة بـ

(١) الآية السابقة وهي قوله تعالى: "وإذا رأيت... الآية.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٢٨).

(الإنترنت) وما فيها من غرف محادثة، والتي يدخلها بعض المسلمين من باب حب الاستطلاع ويسوغ ذلك عنده أنه يستمع فقط! وهذا أمر خطير جداً، إذ يترتب عليه مفسد كثيرة منها:

أ- إن المستمع المسلم لا يخرج من هذه اللقاءات والحوارات بحق وقول فصل، بل إن طريقة العرض والمحتوى قد تشكك المسلم بما معه من معتقد حق، وما تربي ونشأ عليه من دين الإسلام الصحيح

ب- ما في هذه البرامج من ضرب كتاب الله بعضه ببعض، وإظهار الدين ونصوص الشريعة في صورة التناقض والاختلاف.

ج- ما يتسرب إلى نفوس المستمعين- من خلال طريقة الحوار- من أن الخوض في هذا الدين والقول فيه باب مفتوح وطريق ميسور لمن أراد سلوكه والقول فيه بما يشاء؛ من غير أن تكون معه الأدوات اللازمة لذلك من العلم بالكتاب والسنة وما يلحق به من علوم.

د- ما تتسم به هذه اللقاءات من تحكيم الرأي، وتقديمه على قول الله وقول رسوله ﷺ، كما هو شأن أهل البدع، فيتساهل المشاهد والمستمع ويعتاد رد النص الشرعي لرأي يراه أو يراه غيره.

فليحذر المسلم مثل هذه البرامج فإنها مجالس البدع، وأقوال لأهل الباطل التي أمرنا الله تعالى بالإعراض عنها واعتزالها، وعدم القعود والجلوس ولو للاستماع فقط.

٢- من صور فرقة الآراء والأديان: الفرقة في الدين الواحد، وهذا منهي عنه محذر من الوقوع فيه، وكل فرقة حذر منها في كتاب الله عزّ وجلّ ونهى عنها هي من هذا القبيل، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران ١٠٥)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ (الأنعام ١٥٩) ، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ (البقرة ١٧٦)

ولقد تقدم تفصيل القول في هذا النوع من الافتراق<sup>(١)</sup>.

ثانياً: فرقة الأشخاص والأبدان، وهي ثلاثة أنواع:

١- مفارقة الكفار واعتزال دار الكفر ، ويختلف حكم الأمر بالمفارقة والهجرة من دار الكفر بحسب حال الشخص، يقول الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: "لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فلهجرة منه

واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته، فمستحبه لتكثير المسلمين بها، ومعونتهم، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر"<sup>(٢)</sup>.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُحَارِبُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧٦﴾﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ

(١) انظر ما تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل عن أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه وحكمه (٥٥، ٦٠)، وانظر تعريف الفرقة في الاصطلاح (٦٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ١٩٠).

الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٣٨﴾ فَأَوْلَيْكَ  
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٣٩﴾ (النساء ٩٧-٩٩) (١)

٢- مفارقة ولي أمر المسلمين وجماعتهم ومنابتهم ومعاداتهم، وهذا منهي عنه، متوعد فاعله، كما تقدّم (٢).

٣- مفارقة الجماعة التي هي عوام الناس واعتزالهم، وترك الاختلاط معهم، وهذه الفرقة التي يسميها العلماء "العزلة" اختلفوا في حكمها (٣): وسئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟ فقال: "... هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعاً كلياً وإما حالياً، فحقيقة الأمر: أن الخلطة تارة تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالخلطة تارة، وبالانفراد تارة. وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها... ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه... وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره...

فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا، وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص (٤).

(١) انظر المغني لابن قدامة (٨ / ٤٥٦)، تفسير ابن كثير (١ / ٥١٤).

(٢) انظر تعريف الفرقة في الاصطلاح رقم ٦ وما بعدها.

(٣) انظر أقوال العلماء واستعراض أدلتهم وبيان ما فيها: إحياء علوم الدين للغزالي (٢ / ٣٢١)،

فتح الباري (١٣ / ٤٣) ..

(٤) الفتاوى (١٠ / ٢٤٤)، وانظر العزلة للخطابي (١١).

فينظر العبد إلى مدى حاجته للناس، ومدى حاجة الناس إليه، ويقدر الأمر بحسبه، وعليه مراعاة أمرين:

١- إن اختار العبد العزلة، وكانت مستحبة له فعليه أن يؤدي حقوق الله من أداء الجمع والجماعات مع الناس، وكذلك حقوق العباد من صلة الأرحام وإفشاء السلام، وعيادة المريض وما يجري مجراها من وظائف الحقوق الواجبة، فهذه لا تدخل ضمن العزلة، ولا يجوز اعتزال الناس فيها.

٢- إن اختار العبد الخلطة، فعليه أن يقتصد فيها ولا يفرط وأن تكون خلطته بهم في كل أمر فيه تعاون على البر والتقوى<sup>(١)</sup>، وأن يكون كما قال الإمام الشافعي: "الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط"<sup>(٢)</sup>.

ولقد وردت أحاديث من السنة النبوية المطهرة تحث على العزلة وتستحبها في أوقات معينة<sup>(٣)</sup>؛ وحالات خاصة منها: عند ظهور الفتن، وخوف المؤمن على دينه<sup>(٤)</sup>؛ وعند ظهور الفساد والاستعلان بالمعاصي من الناس واستحكامه بحيث لا يبقى مما يقابله من الخير إلا النادر<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب العزلة (١١).

(٢) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢ / ٣٤٦).

(٣) انظر الأحاديث في صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (١٣ / ٢٩ فتح)، باب التعرب في الفتنة (١٣ / ٤٠ فتح).

(٤) انظر فتح الباري (١٣ / ٣١)، تفسير القرطبي (١٠ / ٢٣٤).

(٥) انظر فتح الباري (١٣ / ١٦)، العزلة للخطابي (١٤ - ١٥).



وتستحب العزلة لمن كان في طبعه شر وظلم يخشى غلبه طبعه عليه، فيقع في ظلم الناس وأذاهم، فهذا الرجل تستحب في حقه العزلة، ليسلم ويسلمون<sup>(١)</sup>.  
ويستحب اعتزال الناس في فضول المباحات ومالا ينفع، وذلك بالزهد فيه<sup>(٢)</sup>.  
فائدة: تشرع العزلة عند الفتن في الجبال، والكهوف، وفي البيوت، وكل موضع يبعد عن الناس مثل الاعتكاف في المساجد، والشعاب واتباع الغنم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٣٢٦)، فتح الباري (١١/٣٣٠).

(٢) انظر الفتاوى (١٠/٢٣٢)، (١٩/٢٣٢)، فتح الباري (١١/٣٣٣).

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٠/٢٣٥).

## المبحث الثالث

## العلاقة بين الاختلاف والفرقة

بعد أن تبين معنى الاختلاف وأنواعه، وتبين معنى الفرقة وأنواعها، بان للقارئ النبيه أن العلاقة بين الاختلاف والفرقة هي علاقة عموم وخصوص مطلق؛ وهو أن يكون الكليان يجتمعان تارة ويفترقان أخرى؛ بحيث يفارق أحدهما صاحبه، والآخر لا يمكنه أن يفارقه<sup>(١)</sup>، فالذي يفارق هو الأعم مطلقاً، والآخر هو الأخص مطلقاً، والنسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق<sup>(٢)</sup>.

فالاختلاف هو الأعمّ مطلقاً، فإنه يكون مع الفرقة وبدونها، أما الفرقة فهي الأخص مطلقاً، ولا تكون إلا مع الاختلاف لا تفارقه، إذ هي نتيجة من نتائجه وثمره من ثماره، ولنلخص هذه العلاقة ونبينها بالآتي:

أولاً: إن كل فرقة تعد اختلافاً، ولا يعد كل اختلاف فرقة، فالفرقة اختلاف مخصوص، وهو الاختلاف المذموم والذي يشمل:

١- مخالفة النص البين من غير هدى ولا علم بل بمحض الهوى ولفرط الجهل، فالمخالف للحق مذموم، وهو من باب اختلاف التضاد فالقولان متنافيان، والمخالف المخطيء مفارق للحق مفرق لجماعة المسلمين<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٠٩).

(١) انظر آداب البحث والمناظرة لمحمد أمين الشنقيطي (٢٧).

(٢) تسهيل المنطق لعبد الكريم الأثري (٢٠).

(٣) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه، وتعريف الفرقة في الاصطلاح.

٢- مخالفة جماعة المسلمين وما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في المنهج والسلوك، فهذا اختلاف فرقة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعام ١٥٣)

٣- مخالفة إمام المسلمين والخروج عليه، ومفارقة الجماعة والخروج عليها بالسيف، فهذا اختلاف فرقة، والمفارق هنا مخالف للإمام وللجماعة مختلف معهم، مذموم متوعد على فعله<sup>(١)</sup>.

٤- إن اختلاف التفرق يكون في أصول الدين الاعتقادية أو العملية، أو بعض قواعد الشريعة وأمورها الكلية، وهذا هو الذي يؤدي إلى الفرقة والتنازع. أما الاختلاف في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات فهو اختلاف سائغ، ما لم تكثر فيه الجزئيات<sup>(٢)</sup>.

٥- من صور اختلاف التفرق: أن يقع الاختلاف بين طائفتين مع كل طائفة بعض الحق، فلا تعترف إحداها بما مع الأخرى من الحق، ولا تنصفها، بل تبغي وتظلم وينتج عن ذلك الفرقة والتنازع، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ٢١٣)

(١) انظر ما تقدم من تعريف الفرقة في الاصطلاح (٧٣).

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٢)، وانظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه (٥٥)، وتعريف الفرقة في الاصطلاح (٦٩).

٦- من صور اختلاف التفرق: ما يحدث من أهل الأهواء والبدع من الإيمان ببعض النصوص دون بعض، فما وافق قولهم أخذوه، وما خالفه تأولوه وحرفوا معناه، وهذا أمر يفتك بالأمة ويفرق شملها.

٧- من صور اختلاف التفرق: ما يحدث من بعض الناس من مخالفة النص الثابت من قول الله وقول رسوله ﷺ بعد بلوغه، تمسكاً بقول فلان من الناس، أو تقليداً لمذهب أو عصبية وحمية لأقوال الرجال التي يعادي ويوالي عليها، وهذا يؤدي إلى الفرقة والشقاق.

٨- إن كل اختلاف أدى إلى تفرق وتنازع يعتبر اختلاف فرقة، وهو مذموم حتى وإن كان في أصله اختلافاً سائغاً<sup>(١)</sup>.

ثانياً: إن الفرقة تنشأ عن الاختلاف، أما الاختلاف فلا يلزم منه التفرق، بل إن من الاختلاف ما هو سائغ ومنه ما هو محمود، والمذموم منه ما أدى إلى الفرقة<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: لذلك يمكن القول: إن كل مفارق هو مخالف، وليس كل مخالف مفارق.

رابعاً: إن حقيقة الاختلاف السائغ<sup>(٣)</sup> الواقع بين علماء الأمة ليس بخلاف بل وفاق ووثام، إذ أن هذا الاختلاف في الحقيقة ليس إلا اختلاف في الطريق المؤدي إلى مقصود الشارع الذي هو واحد.

ومن هنا يظهر وجه الموالاة والتحاب والتعاطف فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، حتى لم يصيروا شيعاً ولا تفرقوا فرقاً لأنهم مجتمعون على طلب قصد الشارع<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه .

(٢) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه .

(٣) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه .

(٤) انظر الموافقات للشاطبي (٤/ ٥٧٦) بتصرف.

لذلك هم من أهل الرحمة الداخلين تحت قوله: ﴿لَا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ<sup>١</sup> وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ (هود: ١١٨-١١٩) (١)

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا<sup>٢</sup> وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا<sup>٣</sup> كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣). قال: "وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع فإن ذلك ليس اختلافاً، إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون... وإنما منع الله اختلافاً هو سبب الفساد"<sup>(٢)</sup>.

خامساً: إن الاختلاف الحقيقي ليس في اختلاف اجتهاد العلماء، بل راجع إلى دخول الهوى المضل، واتباع المشابهة من النصوص حتى تحصل الغلبة والظهور، أو اتباع الغرائب حتى تحصل الفرقة والتنازع، وتلقى بينهم العداوة والبغضاء، والذم حينئذ يلحق بهذا النوع من الاختلاف لما ينتج عنه من شرور<sup>(٣)</sup>. يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: "الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا مجرد الاجتهاد"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٢)، تفسير ابن كثير (٢ / ٤٤٦).

(٢) تفسير القرطبي (٤ / ١٠٣).

(٣) انظر الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٧٦).

(٤) الاستقامة (١ / ٣١) وانظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه.

سادساً: إذاً: الاختلاف المذموم المؤدي إلى الفرقة هو ما كان مصاحباً للهوى، يقول الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي: "إن الخلاف - الذي هو في الحقيقة خلاف - ناشئ عن الهوى المضل، لا عن تحري قصد الشارع باتباع الأدلة على الجملة والتفصيل، وهو الصادر عن أهل الأهواء، وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق، وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل لم ينتج إلا ما فيه اتباع الهوى، وذلك مخالفة الشرع، ومخالفة الشرع ليست من الشرع في شيء، فاتباع الهوى من حيث يظن أنه اتباع للشرع ضلال في الشرع، ولذلك سميت البدع ضلالات لأن صاحبها مخطئ من حيث توهم أنه مصيب"<sup>(١)</sup>.

سابعاً: إن الفرقة عذاب، لما في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {الجماعة رحمة والفرقة عذاب}<sup>(٢)</sup>، فإن أدى الاختلاف إلى فرقة لحق بها، وإن كان اختلافاً سائغاً صار توسعة على الأمة<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: إن كل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً<sup>(٤)</sup>. فالشريعة جاءت أمرة بالوفاق والاتلاف والحث على الجماعة.

يقول الإمام أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي: "كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجب العداوة والبغضاء والتدابير والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الموافقات (٤ / ٥٧٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ / ٢٧٨، ٣٧٥)، السنة لابن أبي عاصم (١ / ٤٤) وقال عنه الألباني إسناده حسن.

(٣) انظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه (٥٨، ٦٠).

(٤) الاستقامة لابن تيمية (١ / ٣٧).

(٥) الاعتصام (٤٩١). وقد عزاه لبعض العلماء.

تاسعاً: إن الفرقة والاختلاف بسبب العصبية للشعارات، ورفع رايات ودعاوى غير راية لا إله إلا الله محمد رسول الله هي من عادات الجاهلية ودعاويها، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣)

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع<sup>(١)</sup> رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: {ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال دعوها فإنها منتنة<sup>(٢)</sup>}<sup>(٣)</sup>.  
عاشراً: إن البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر: إن الفرقة ضارة بالأمة مشتتة لشمليها، مضعفة لقوتها، أما الاختلاف فمنه ما ليس بضار بل منه المحمود، ومنه السائغ الذي هو توسعة على الأمة<sup>(٥)</sup>.

الثاني عشر: إن الفرقة مذمومة مطلقاً، أما الاختلاف فمنه المحمود ومنه السائغ، والمذموم منه ما أدى إلى فرقة وعداوة وبغضاء<sup>(٦)</sup>.

الثالث عشر: إن الاختلاف السائغ صاحبه مأجور حتى وإن أخطأ، فهو مع أجره معذور لاجتهاده، أما الفرقة فهي مذمومة وفاعلها مأزور غير معذور<sup>(٧)</sup>.

(١) الكسع المشهور فيه أنه ضرب الدبر باليد أو بالرجل، انظر فتح الباري (٨ / ٦٤٩).

(٢) منتنة: أي دعوة الجاهلية كلمة قبيحة خبيثة. المرجع السابق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقين (٨ / ٦٤٨ فتح)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (١٦ / ١٣٧ نووي).

(٤) الاستقامة لابن تيمية (١ / ٤٢).

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٢)، وانظر ما تقدم من أنواع الاختلاف باعتبار حكمه (٥٥، ٦٤).

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر ما تقدم من تعريف أنواع الاختلاف باعتبار حكمه (٥٥).

## الفصل الثاني

النهي عن الفرقة والتحذير منها في الكتاب والسنة

والآثار المروية عن الصحابة (رضي الله عنهم).

لقد وردت نصوص كثيرة تنهي عن الفرقة وتحذر من سلوك سبيلها، وتبين أضرارها ومخاطرها على الفرد وعلى المجتمع، في الدنيا والآخرة. يقول الإمام أبو بكر محمد الأجري<sup>(١)</sup> - رحمه الله: أمر الله عزّ وجلّ بلزوم الجماعة ونهانا عن الفرقة، وكذلك حذرنا النبي ﷺ الفرقة وأمرنا بالجماعة، وكذلك حذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين كلهم يأمرون بلزوم الجماعة وينهون عن الفرقة<sup>(٢)</sup>.

والمأمل للنصوص الواردة في ذلك يجدها قد حذرت من الفرقة بأساليب متنوعة، وبطرق عرض مختلفة، مما يدل دلالة واضحة على خطورة الفرقة<sup>(٣)</sup>، ومن هذه الأساليب التي سأذكرها جملة ثم يأتي بعد ذلك تفصيلها:

(١) هو: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الأجري، محدث، ثقة ضابط، كان صدوقاً خيراً، عابداً، صاحب سنة واتباع. له مؤلفات عدة منها: الغرباء والشريعة في السنة، توفي سنة ١٦٣ هـ. انظر: السير (١٦ / ١٣٣) (٣ / ٣٥)، وفيات الأعيان (٤ / ٢٩٢).

(٢) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٢٧٦).

(٣) لقد حاولت قدر المستطاع جمع النصوص الواردة في النهي عن الفرقة وتصنيفها لأساليب عدة، حيث أدلل على الأسلوب الواحد بما ورد من القرآن الكريم، وألحق به ما يدل عليه من أحاديث واردة، وآثار للصحابة رضي الله عنهم ليجتمع المعنى المراد والنصوص الدالة عليه في موضع واحد، وليكون أبعد عن التكرار، إذ ما ورد في القرآن الكريم جاءت السنة المطهرة مؤيدة ومؤكدة له أو موضحة مفصلة لمعناه، ومن ثم كانت أقوال الصحابة تفسر ما ورد من نصوص الكتاب والسنة، أو جاءت تنزلها منازلها حسب الوقائع والحوادث المستجدة لذلك خلا هذا الفصل من الباحث وجاء في نقاط.



- أولاً: الجمع بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد.
- ثانياً: الأمر بلزوم الجماعة والترغيب في ذلك، والتحذير من الفرقة والنهي عن الأسباب التي تؤدي إليها.
- ثالثاً: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق في الدنيا، وبيان الوعيد الشديد من الله تعالى لهم.
- رابعاً: التأكيد على أسباب الاجتماع، وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين حرصاً على الجماعة وسداً لباب الفرقة.
- خامساً: إن الفرقة والاختلاف عذاب وعقوبة من الله عزّ وجلّ للأمة حينما تعصيه، أما الاجتماع والائتلاف فهو رحمة بالأمة، ونعمة من الله على عباده المؤمنين.
- سادساً: الإخبار أن الفرقة واقعة لا محالة ليعلم هذا ويحذر.
- سابعاً: بيان أن الأصل في البشرية هو الوحدة والجماعة على التوحيد، وبيان أن التفرق والاختلاف في الشرك بالله تعالى طارئ حادث.
- ثامناً: وصية الله لأنبيائه ورسله بالاجتماع على التوحيد الخالص لرب العالمين، ونبذ الفرقة واطراحها.
- تاسعاً: تبرئة الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من أهل الافتراق ذماً للفرقة وتنظيراً منها ونهياً عنها.
- عاشراً: النهي عن مشابهة المشركين وأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم.
- الحادي عشر: إن التفريق بين المسلمين من أهداف وغايات المنافقين والكافرين من أعداء الدين.
- الثاني عشر: إن الفرقة من وسائل الشيطان ومكائده التي ينصبها للمسلمين على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة.

أولاً: الجمع بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد: لقد وردت نصوص عدة تأمر بالجماعة وتثني بالنهي عن الفرقة في موضع واحد مع أن الأمر بالجماعة يستلزم النهي عن الفرقة، والنهي عن الفرقة يستلزم الأمر بالجماعة ولو لم يذكر ذلك؛ فكل من أمر بشيء فقد نهى عن فعل ضده، ومن نهى عن فعل فقد أمر بفعل ضده<sup>(١)</sup>.

مما يؤكد وجوب الأمر بالجماعة وترك الفرقة والنهي عنها. ومن هذه النصوص: قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣)، ففي هذه الآية أمرنا الله عز وجل بالجماعة، ونهانا عن التفرقة<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري<sup>(٣)</sup> في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ "وتعلقوا بأسباب الله جميعاً يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله"<sup>(٤)</sup>.

- (١) انظر الفتاوى لابن تيمية (٣٦٨/١١) و(٣٠٠/١٠)، روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين عبداً لله بن قدامة المقدسي (٢٥ - ٢٦).
- (٢) انظر تفسير ابن كثير (٣٦٧/١)، فتح القدير للشوكاني (٣٦٧/١).
- (٣) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، وهو من ثقات المؤرخين، له عدة مؤلفات منها: "جامع البيان في تفسير القرآن"، "أختلاف الفقهاء"، توفي سنة ٣١٠ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٩١)، الأعلام (٦/ ٦٩).
- (٤) تفسير الطبري (٤/ ٢١). وذكر المفسرون في المراد بحبل الله ستة أقوال: فقليل إن المراد بالحبل: كتاب الله: القرآن، الثاني: إنه الجماعة، الثالث: إنه دين الله وهو الإسلام، الرابع: عهد الله، الخامس: إنه الإخلاص، والسادس: إنه أمر الله وطاعته. وهذا الاختلاف في المراد بالحبل في الآية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، إذا المعنى كله متقارب متداخل. انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١/ ٤٣٣)، وانظر تفسير القرطبي (٤/ ١٠٢).

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله في معنى الآية: "فإن الله يأمر بالآلفة وينهي عن الفرقة فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لسماك الحنفي<sup>(٢)</sup>: "يا حنفي الجماعة الجماعة!! فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقتها، أما سمعت الله عز وجل يقول "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأمر بالجماعة عام للأمة في كل زمان وكل مكان، هذا حالهم أن يكونوا مجتمعين متمسكين بحبل الله، فالله سبحانه وتعالى أمرهم بأن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وجميعاً: منصوب على الحال، أي كونوا مجتمعين على الاعتصام بحبل الله<sup>(٤)</sup>.

وفي هذه الآية وبعد أن أمرهم سبحانه بالجماعة والتمسك بها إذ به منعهم وأمنهم؛ نهاهم عن الفرقة فقال "ولا تفرقوا أي: لا تفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاة إلى أمره"<sup>(٥)</sup>.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة"<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر تفسير القرطبي (٤ / ١٠٢).

(٢) هو: سماك بن الوليد الحنفي أبو زحيل اليماني نزيل الكوفة، وثقه أحمد وابن المعين.

انظر: تهذيب التهذيب (٤ / ٢٣٥)، السير (٥ / ٢٤٩).

(٣) انظر تفسير القرطبي (٤ / ١٠٥).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١ / ٤٣٣).

(٥) تفسير الطبري (٤ / ٢١).

(٦) تفسير الطبري (٤ / ٢٢)، الشريعة للأجري (١ / ٢٩٩).

ومعنى نهيه تعالى عن الفرقة في قوله: "ولا تفرقوا: أي لا تفرقوا في دينكم كما افرقت اليهود والنصارى في أديانهم، ولا تفرقوا متابعين للهوى، والأغراض المختلفة"<sup>(١)</sup>.

ويجب أن يعلم المؤمن أن الاجتماع على الحق، والبعد عن الفرقة مما أمرنا الله به، ورضيه لنا، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: {إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال}.

فالله سبحانه حثنا على الاجتماع، وأمرنا بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ولكن لا يكون الاجتماع لمجرد الاجتماع، فالأمر بالاجتماع ليس اجتماع على أي شيء، أو اجتماع على لاشيء، بل اجتماع على الدين، اجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله، الاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والعمل بنصوص الشريعة كلها.

وفي هذا رد على كل مدعي مطالب باجتماع الأمة لمجرد الاجتماع، والسكوت عن باطل المخالف من أهل الأهواء، وترك الإنكار عليه في بدعته حتى لا يتعكر صفو هذا الاجتماع أو التقارب المزعوم، ورحم الله الإمام محمد القرطبي إذ بين الأساس الذي ينبغي أن يكون عليه الاجتماع، وبه يتحقق وحدة الصف فيقول: فأوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب

(١) انظر تفسير القرطبي (٤ / ١٠٣).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢ / ١١) بتصرف.

اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف<sup>(١)</sup>.

ويسبق الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله القرطبي في هذا المعنى، ويبين أن اجتماع الأبدان ليس بمعتبر ولا مقصود، بل المقصود والمعتبر الاجتماع على طاعة الله ورسوله، الاجتماع على الحق، فيقول بعد أن بين أن الأمر بلزوم جماعة المسلمين ليس له إلا معنى واحد ذلك أنه: «إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما. ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها<sup>(٢)</sup>».

ومما ورد في الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٢)

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ وقوله: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ونحو هذا في القرآن قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله<sup>(٣)</sup>».

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١٠٥).

(٢) انظر الرسالة له تحقيق أحمد شاعر (٤٧٥) باختصار وتصرف.

(٣) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٢٨١)، تفسير الطبري (٨ / ٨٨)، الإبانة لابن بطة (١ / ٢٧٥).

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس... وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، مستقيماً قويمًا لا اعوجاج به عن الحق، فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه، ولا تسلكوا طريقاً سواه ولا تركبوا منهجاً غيره، ولا تتبعوا ديناً خلافاً من اليهودية والنصرانية والمجوسية وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات"<sup>(١)</sup>.

نعم؛ إن الجماعة والائتلاف لا تتحقق إلا بوحدة المعتقد، ووحدة المنهج والسلوك عندها يتحقق للأمة الاجتماع على الحق، والسير على الصراط المستقيم الذي وصاهم ربهم به.

والفرقة تقع في الأمة حينما تتعدد المناهج وتتعدد الطرق، لذلك بين الله عز وجل لهم أن طريق الحق واحد، وأن السبيل إلى الاجتماع واحد وهو السير على الصراط المستقيم، أما إن أبو ذلك فإن السبيل ستخطفهم، ويتشعبوا في الضلالات والبدع، وواقع الأمة الآن شاهد على ذلك.

يقول الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: "إنما وحد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبيل لتفرقها وتشعبها"<sup>(٢)</sup>. وهذه السبيل بين معناها عبد الله بن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنه فقال: "لا تتبعوا الضلالات"<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: {خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطأً، ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: "هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها" ثم قرأ هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري (٨ / ٦٤) باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ١٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٨ / ٦٥).

(٤) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٢٩٠) وقال محققه إسناده حسن، ورواه الحاكم في المستدرک

(٢ / ٢٣٩، ٣١٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (١ / ٤٣٥،

٤٦٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١ / ١٣).

ويفسر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا الحدث، وذلك أن رجلاً قال لابن مسعود: "ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطره في الجنة، وعن يمينه جواد وعن يساره جواد، وثمّ رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة". ثم قرأ ابن مسعود: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣) (١)

وفي حديث النواس بن سمرعان الأنصاري (٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران، بينهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تفرقوا، وداع يدعو فوق الصراط، فإذا أراد إنسان فتح شيء من تلك الأبواب، قال له: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور، حدود الله، والأبواب: محارم الله، والداعي على رأس الصراط: كتاب الله تعالى، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم} (٣).

فانظر رعاك الله أيها المسلم كيف أمرنا الله عزّ وجلّ بسلوك هذا الصراط المستقيم والدخول فيه والاجتماع عليه، إذ لا يجيد عنه إلا مفارق لهؤلاء المجتمعين عليه من المسلمين فقال: "يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا".

(١) تفسير الطبري (٨ / ٦٥).

(٢) النواس بن سمرعان بن خالد بن عبد الله الكلابي، معدود في الشاميين، له ولأبيه صحبة، ويقال إن أباه سمرعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ٥٦٩)، الإصابة (٣ / ٥٧٦) ط / دار الفكر.

(٣) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٢٩٦) وقال محققه إسناده حسن، ورواه أحمد في المسند (٤ / ١٨٢)، والحاكم في المستدرک (١ / ٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١٤-١٥) وصححه الألباني.

نعم، "جميعاً، ولا شيء يجمع المسلمين بحق غير الإسلام، الانقياد للإسلام والعمل بشرائعه كلها وتطبيق أحكامه على مناحي الحياة، وعلى الأفراد سواسية... فدين الإسلام لا يقبل التجزئة. وما حلت النكبات بالأمة وابتلوا وعذبوا بالفرقة إلا لما شابها أهل الكتاب في الإيمان ببعض الكتاب وترك البعض<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الأمر بلزوم الجماعة والترغيب في ذلك، والتحذير من الفرقة والنهي عن الأسباب التي تؤدي إليها.

تقدم في العنصر الأول أن النصوص سلكت مسلك الجمع بين ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة في موضع واحد لتغليظ الأمر في ذلك. وكذلك سلكت النصوص مسلكاً آخر حينما أمرت بالجماعة في نصوص، ونهت عن الفرقة في نصوص أخرى، وقد سبق أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والنهي عن شيء يستلزم الأمر بضده.

ومن النصوص التي تحث على الجماعة وترغب بلزومها، وتبين أجر من لزم ذلك ولم يفارق، وتؤكد أن العصمة في وقت الفتن والمحن هو في التمسك بجماعة المسلمين، فهي المخرج والمنجي بإذن الله. منها قوله ﷺ: {من أراد مجبوحة<sup>(٢)</sup> فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد<sup>(٣)</sup>.

فانظر عظم الأجر على لزوم الجماعة، بل إن الخير كل الخير فيها كما قال رسول الله ﷺ {يد الله مع الجماعة<sup>(٤)</sup>.

(١) سيأتي مزيد تفصيل لمضار الفرقة في الفصل الرابع إن شاء الله (٢١٢).

(٢) مجبوحة الجنة: وسطها، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١ / ٩٨).

(٣) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٢٨٤)، ورواه الترمذي في سننه بلفظ مقارب وقال حديث حسن صحيح غريب، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤ / ٤٦٦).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤ / ٤٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٣٢)، سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة (٧ / ٩٢).



وفي حديث آخر يقول ﷺ: {إن الله لا يجمع أمي- أو قال أمة محمد ﷺ- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار} (١).

فيد الله مع الجماعة، ويد الله على الجماعة ينصرهم ويؤيدهم ويسددهم، وهو معهم، معية خاصة: معية النصر والتأييد؛ متى ما كانوا مجتمعين على الحق، مجتمعين على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ومما يبين فضل لزوم الجماعة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: {نصر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها فرب حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ عليهن صدر مسلم: إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم} (٢).

ومعنى لا يُغَلُّ: (بضم الياء وكسر الغين)، هو من الأغلال: الخيانة في كل شيء.

ويروى يُغَلُّ بفتح الياء من الغِلِّ وهو الحقد والشحناء: أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق.

وروى يُغَلُّ بالتخفيف: من الوغول: الدخول في الشر، والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تُستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر... (٣).

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤ / ٤٦٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٣٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٥ / ١٨٣)، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، بلفظ مقارب (٥ / ٣٤)، السنة لابن أبي عاصم (١ / ٤٥)، وقال الألباني عنه: إسناده صحيح.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣ / ٣٤١).

ولقد جعل رسول الله ﷺ هذه الأمور الثلاثة متوالية فلا بد من إخلاص العمل لله عز وجل فبالإخلاص تذلل الصعاب، ويصبر المؤمن مهما لاقى لأنه مخلص لله عز وجل يبتغي وجه ربه تعالى، وهذا يدفعه لأن يلتزم أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ فيناصح ولاة الأمر.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال {الدين النصيحة} قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم<sup>(١)</sup>، فجعل قاعدة الدين وما يمثله "النصيحة": والنصيحة لولاة الأمر تكون بالتوجيه والإرشاد وعدم السكوت عن المنكر إذا عملوه وتشجيعهم على الحق إن سلكوه، وطاعتهم على ذلك، وهذا في حق القادرين عليه. وكذلك تكون النصيحة لهم بلزوم جماعتهم، وهذا في حق كل أحد<sup>(٢)</sup>.

ولا تعني مناصحة ولاة الأمر الخروج عليهم بالسيف وقتالهم، فهذا منهي عنه لما يؤدي إليه من الفرقة والفتنة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم<sup>(٣)</sup>، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله أفلا ننايذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولائكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة<sup>(٤)</sup>.

ولذلك عقب في حديث "ثلاث لا يغفل عليهن... عقب بعد المناصحة لولاة الأمر، بالأمر الثالث وهو لزوم جماعتهم.

- 
- (١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢/ ٢٧ نووي).
- (٢) انظر الفتاوى (١/ ١٩)، فتح الباري (١/ ١٣٨)، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٢٢).
- (٣) معنى يصلون: أي يدعون. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٤٥).
- (٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (١٢/ ٢٤٤ نووي).

ولقد أمر الله عزّ وجلّ نبيه وأمه تبع له بلزوم الجماعة ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: {إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات... ثم قال رسول الله ﷺ: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة والجهاد والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع"}<sup>(١)</sup>.

فبهذه الكلمات الخمس التي أمرنا بها يلتئم شمل الجماعة، ويستصلح المجتمع، ويؤكد الحبيب المصطفى عليه السلام أن النجاة والعصمة من وقوع الفتن يكون بلزوم الجماعة، أما إذا انعدمت الجماعة وإمامها في وقت الفتنة، فلا خير في الفرق والسبل المتشعبة، فتعزل كلها، ولا يلتزم بشيء منها لأن الجماعة غير موجودة.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: {نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن<sup>(٢)</sup>، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك}<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام (٥ / ١٤٨) وقال عنه: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٧٨)، وشرح السنة للبغوي (١٠ / ٥١).

(٢) المراد بالدخن: الدخان ويشير إلى كدر الحال، وقيل الدخن كل أمر مكروه، وفي معنى الدخن قيل هو الحقد وقيل الدغل، ويشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر. انظر فتح الباري (١٣ / ٣٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦ / ٦١٥ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٢ / ٢٣٧ نووي).

ولقد بَوَّب النووي رحمه الله لهذا الحديث وغيره « باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة<sup>(١)</sup> ».

ويقول ابن بطال<sup>(٢)</sup> رحمه الله عن هذا الحديث: « فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور<sup>(٣)</sup> ».

فتبين لك أيها المسلم أهمية لزوم الجماعة ومدى الحاجة إليها، فهي من قواعد الدين، والخطر والشر في الفرقة، لذا جاء النهي عن الفرقة والتحذير منها في أكثر من موضع: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلفها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: "كلا كما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" <sup>(٤)</sup> ».

يقول الإمام أحمد بن حنبل العسقلاني رحمه الله: « وفي هذا الحديث الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف<sup>(٥)</sup> ».

ولقد كره رسول الله ﷺ اختلافهم لأن كلا القراءتين صحيحة حيث قال: « كلا كما محسن { فهو مصيب إذ قرأ ما قرأه رسول الله ﷺ، ونهاهما عن ذلك فقال:

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢ / ٢٣٧).

(٢) هو: أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي يعرف بابن اللجام شارح صحيح البخاري في عدة أسفار كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث عناية تامة، توفي سنة ٤٤٩ هـ. انظر: السير (١٨ / ٤٧)، الأعلام (٤ / ٢٨٥).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٧). وانظر الفصل الثالث، المبحث الثامن عن حكم الخروج على ولاية الأمر (١٨٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم (٥٤) أوله حديث «بينا امرأة ترضع ابنها...» (٦ / ٥١١ فتح).

(٥) انظر فتح الباري (١٣ / ١٠٢).

{ولا تختلفوا} وعلل سبب النهي بقوله: {فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا}. فلما كان الاختلاف يؤدي إلى الفرقة المؤدية إلى الهلكة كرهه عليه الصلاة والسلام ونهى عنه.

بل ونهى عن كل سبب يؤدي إليه، ففي الحديث عن رسول ﷺ قال: {اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه} (١).

وقوله: "ما اختلفت عليه قلوبكم" أي: اجتمعت، فاقرووه وأتتم مجتمعون عليه متآلفة قلوبكم متحدة، أما إن وقع الاختلاف وهو قوله: "فإذا اختلفتم" أي: في فهم معانيه، عندها تخشى عليكم الفرقة ووقوع النزاع بينكم فالواجب القيام عنه، لذلك قال: "فقوموا عنه"، أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر (٢).

ولقد كان ﷺ يغضب ويشتد غضبه عند اختلاف أصحابه في أمر من أمور الدين؛ خشية ما يؤدي إليه من فرقة وهلكة، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: {إنما أهلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب} (٣).

ولقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم من أشد الناس تحذيراً من الفرقة ونهياً عنها، وبياناً لأضرارها، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصحاً ومرشداً لرعيته: "إياكم والفرقة بعدي" (٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم (١٣ / ١٠١)

(فتح)، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦ / ٢١٨ نووي).

(٢) انظر فتح الباري (١٣ / ١٠١) بتصرف.

(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦ / ٢١٨ نووي).

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨ / ١٢٧).

ويقول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في إحدى خطبه محذراً من الفتنة التي تؤدي للفرقة، يقول: إياكم والفتنة فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستيصال<sup>(١)</sup>.

ولقد نصح النعمان بن بشير<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه أهل المدينة حينما خلعوا بيعة يزيد بن معاوية<sup>(٣)</sup> في نهاية عام ٦٢هـ، وحذرهم من عواقب الفرقة ومضارها، وما ينتج عنها من سفك للدماء، ودمار للديار، فقال لهم رضي الله عنه: إن الفتنة وخيمة، وقال: لا طاقة لكم بأهل الشام، فقال له عبد الله بن مطيع<sup>(٤)</sup>: ما يملك يا نعمان على تفريق جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا؟ فقال له النعمان: أما والله لكأني وقد تركت تلك الأمور التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الركب التي تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحى الموت بين الفريقين، وكأني بك قد ضربت جنب بغلتك إليّ، وخلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يُقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم، فعصاه الناس فلم يسمعوا منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر البداية والنهاية (٨ / ١٣٢).

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله، من أجلاء الصحابة، أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة، شهد صفين مع معاوية، ونزل الشام، توفي عام ٦٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٠ / ٤٤٧)، الاستيعاب (٣ / ٥٥٠).

(٣) هو: أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب القرشي الأموي الدمشقي، تسلم الملك عند موت أبيه كان أمير الجيش في غزوة القسطنطينية، توفي سنة ٦٤هـ. انظر: السير (٤ / ٣٥)، الشذرات (١ / ٧١).

(٤) عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي، حنكه رسول الله ﷺ لما ولد، وكان أميراً على قريش يوم الحرة، يوصف بالشجاعة والإقدام. لحق بابن الزبير في مكة وقتل معه في حصار الحجاج له أول عام ٧٤هـ. انظر: الإصابة (٣ / ٦٤) ط / دار الفكر، تهذيب التهذيب (٦ / ٣٦).

(٥) انظر البداية والنهاية (٨ / ٢١٦)، ولقد حدث ما حذر منه النعمان رضي الله عنه في وقعة الحرة في أول عام ٦٣هـ إذ أرسل يزيد بن معاوية لأهل المدينة مسلم بن عقبة المزني، فقتل من قتل من أهل المدينة. انظر البداية والنهاية (٨ / ٢١٧ - ٢١٨).

ثالثاً: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق في الدنيا، وبيان الوعيد الشديد من الله تعالى لهم.

إن الحق أبلج والباطل لجلج، فالحق هو الحق في كل زمان وكل مكان، لا يختلف ولا يتغير ولا يتعدد، بل هو واحد وما ذاك إلا لوحدة المصدر الذي يستقى منه؛ إنه من لدن حكيم خبير.

لذلك نجد النصوص حين تذكر الصراط تذكره بصيغة الإفراد لأنه واحد كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)

وبلزوم هذا الصراط تتحقق الجماعة، ويلتئم شمل الأمة، وبمخالفة هذا الصراط والبعد عنه تحدث الفرقة، ويجانب المرء الحق والصواب ويرتكب الباطل، هذا الباطل المتعدد المتلون والذي حذرنا الله تعالى منه.

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: إنما وحّد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقتها وتشعبها<sup>(١)</sup>.

نعم؛ إنها السبل، الظلمات، الضلالات، المحدثات، إنها متعددة متفرقة، وهذا حال أهل الفرقة: من حاد عن الصراط المستقيم، فهم في فرقة واختلاف، وتنازع وشقاق، كل واحد منهم يأخذ شقاً وجانباً غير جانب وشق الآخر.

ولقد وصفهم الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة ١٧٦)

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٧٧)

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٢).

وقال عزّ وجلّ عن الكافرين: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿٢﴾ ،  
وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ .

ففي الآيات السابقة يصف الله تعالى حال المخالفين للحق المفارقين له، وأنهم في شقاق: شقاق مع الحق، وشقاق مع القائمين به والداعين إليه، والشقاق في هذه الآيات يأتي بمعانٍ ثلاث<sup>(١)</sup>:

١- الشقاق بمعنى الخلاف والمعاداة والمنازعة وأصله من الشق وهو الجانب، فكان كل واحد من الفريقين في شق غير شق صاحبه<sup>(٢)</sup>.

وهذا حال المجانبيين للحق المفارقين له من أهل الكفر من الأديان والملل ومن أهل البدع أصحاب الفرقة؛ فهم في شقاق، في خلاف ومعاداة ومنازعة للحق، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿٢﴾ ، أي: "الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ"<sup>(٣)</sup>.

ووصف أهل الكتاب من اليهود والنصارى بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾<sup>ط</sup> (البقرة: ١٢٧) ، أي: إنهم إنما هم في عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله<sup>(٤)</sup>.

ووصف أهل البدع أصحاب القلوب المريضة بأنهم واقعون في الشقاق فقال سبحانه: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ (الحج: ٥٢)

(١) انظر غرائب القرآن و رغائب الفرقان لنظام الدين الحسن النيسابوري (١ / ٤٤١) بهامش تفسير الطبري.

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢ / ٩٧)، فتح القدير للشوكاني (١ / ١٤٧).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٩٩٧).

(٤) انظر تفسير الطبري (١ / ٤٤٤).



فيجعل الله عزّ وجلّ ما يلقيه الشيطان فتنة وضلالة<sup>(١)</sup> لطائفتين من الناس هما:  
أ- الذين في قلوبهم مرض: الشك والنفاق.

ب- والقاسية قلوبهم: وهم المشركون فإن قلوبهم لا تلين للحق أبداً ولا  
ترجع إلى الصواب بحال<sup>(٢)</sup>.

ثم سجل على هاتين الطائفتين بأنهم ظالمون فقال: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ  
بَعِيدٍ﴾ أي: عداوة شديدة<sup>(٣)</sup>.

فأهل الفرقة في شقاق وعداء للحق، وكذلك هم في شقاق فيما بينهم، قد  
تعددت أقوالهم، وتناقضت آراؤهم واختلفوا فيما بينهم، وهذا دليل على بطلان  
دعاويهم لأنهم إنما يتبعون السُّبُل. لذلك وصف أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ  
بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

﴿البقرة ١٧٦﴾

٢- المعنى الثاني للشقاق بأن تأتي بمعنى الشُّق وهو الصدع<sup>(٤)</sup>، أو الفصل في  
الشيء<sup>(٥)</sup>. ويطلق على أهل الفرقة وذلك لأنهم فارقوا الجماعة وشقوا عصا  
الطاعة<sup>(٦)</sup>، فهم في شقاق بهذا الاعتبار.

٣- والمعنى الثالث للشقاق أن يطلق ويراد به المشقة، وهي فعل ما يشق  
ويصعب فكان كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٣ / ٤٦٢).

(٢) انظر فتح القدير (٣ / ٤٦٢)، تفسير ابن كثير (٣ / ٢٢٤)، زاد المسير (٥ / ٤٤٣).

(٣) انظر فتح القدير (٣ / ٤٦٢).

(٤) انظر القاموس المحيط (١١٥٩).

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٣٩).

(٦) انظر تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (١ / ٤٤١) بهامش تفسير الطبري، زاد المسير (١ / ١٥١).

(٧) انظر تفسير غرائب القرآن (١ / ٤٤١) بهامش تفسير الطبري، تفسير القرطبي (٢ / ٩٧).

وهذا دأب أصحاب الفرقة كما وصفهم سبحانه: ﴿لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤)

ولقد وصفهم الله عزّ وجلّ بوقوع العداوة والبغضاء فيما بينهم لمخالفتهم بعض ما جاء من الحق، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤)

ولقد ذكر الله عزّ وجلّ ذلك كله تنفيراً من الفرقة وحثاً للأمة على الجماعة، لهذا جاء الوعيد الشديد للمفارق للجماعة الخارج عنها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ولقد وردت النصوص النبوية تتوعّد الخارج عن الجماعة المفارق لها بأشدّ وعيد<sup>(١)</sup>، وقد أورد الإمام مسلم عدة أحاديث في صحيحه حول هذا الموضوع؛ بوّب لها الإمام النووي تحت قوله: «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة»<sup>(٢)</sup>، وأورد تحتها عدة أحاديث منها: قوله ﷺ: {من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية}<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر في هذا الوعيد: الفصل الرابع، المبحث الأول من هذا الباب.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢ / ٢٣٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٣٨ نوي).

وقال أيضاً عليه السلام: {من رأى من أمره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية} <sup>(١)</sup>. وقال: {من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية} <sup>(٢)</sup>.

ويقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "والله ما فارق رجل الجماعة شبراً إلا فارق الإسلام" <sup>(٣)</sup>.

فهذا مما توعد الله به أهل الفرقة، وما ذاك إلا لسوء فعلهم، وفي هذا نهى عن الفرقة وردع عن سلوك سبُلها أو السير خلف دعائها، ويتعين حينها لزوم الجماعة والتمسك بها، هداًنا الله للحق وبصرنا به.

رابعاً: التأكيد على أسباب الاجتماع وبيان طرق تأليف قلوب المسلمين حرصاً على الجماعة وسداً لباب الفرقة: لقد سلكت النصوص الواردة في النهي عن الفرقة هذا المسلك للتأكيد على النهي عن الفرقة والأمر بلزوم الجماعة، إذ الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة أصل من أصول الإسلام العظيمة، وقاعدة من قواعد الدين، يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: "وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بمجبل الله جميعاً وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة" <sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً: "وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين" <sup>(٥)</sup>.

- (١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ "سترون بعدي أموراً تنكرونها" (١٣ / ٥ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٣٨ نوي). ومعنى ميتة جاهلية: أي صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم.
- (٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٣٨ نوي).
- (٣) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٢٨٠).
- (٤) الفتاوى (٢٢ / ٢١١)، وانظر الاستقامة له (١ / ٢٤).
- (٥) الفتاوى (٢٨ / ٣٣)، وانظر شرح صحيح مسلم (١٢ / ١١) للنووي.

والناظر في أركان الإسلام الخمسة يجد أن هذا الأصل قد تجلّى بوضوح في هذه الأركان... فالركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فعقيدة التوحيد هي أعظم ما يجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إذ هذه الكلمة ينطقها كل مسلم عربي أو غير عربي.

ويوحدة المعتقد تتحقق وحدة الجماعة، ومتى ما كان المعتقد خالصاً صافياً صائباً كانت الجماعة مجتمعة ملتزمة، أما إن دب الخلاف في العقيدة تلاه اختلاف في الجماعة وتفرق.

ثم إن وحدة المعتقد ووحدة الجماعة مما رضيهم الله لنا ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال}.

فقرن هنا بين وحدة المعتقد على توحيد الله، ووحدة الجماعة على الاعتصام بحبل الله.

أما الركن الثاني وهو الصلوات الخمس المفروضة فهي أنموذج أمثل للوحدة بين المسلمين في اتحادهم في عددها وأركانها، وشروطها وكيفيةها، مما يجمع المسلمين، ومما يجتمعون عليه.


وبالصلوة يعرف المسلم من الكافر إذ هي عمود الدين، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر} <sup>(١)</sup>.

ثم إن في أداء الصلاة جماعة في المسجد مثال واضح لكيفية تأليف القلوب، واتحاد الجماعة باتحاد الأبدان في أداء فعل واحد في مكان واحد خلف إمام واحد،

(١) سنن الترمذي، كتاب إيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة (٥ / ١٤) وقال عنه حديث حسن صحيح غريب، سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة (١ / ٢٣١)، سنن ابن ماجه، كتاب الإقامة، باب فيمن ترك الصلاة (١ / ٣٤٢).

لذلك جاء الأمر بتسوية صفوف الصلاة وإتمامها الأول فالأول، والإشارة إلى أن اختلاف الصف في الصلاة، سبب لاختلاف القلوب وتنافر النفوس، يقول الرسول الله ﷺ: {استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم} <sup>(١)</sup>. أي: إذا تقدم بعضكم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبكم ونشأ بينكم الخلف، ومنه الحديث الآخر: {لتسوء صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم} <sup>(٢)</sup>.

يريد أن كلاً منهم يصرف وجهه عن الآخر، ويوقع بينهم التباغض، فإن إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة <sup>(٣)</sup>.

ولقد عاب الله سبحانه على الذين اتخذوا مسجداً ضراراً في عهد رسول الله ﷺ إذ كان مقصدهم التفريق بين جماعة المسلمين فقال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾  (التوبة ١٠٧)

قال الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي: "قوله: قال: "وتفريقاً بين المؤمنين" أي يفرقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبي ﷺ. وهنا يدل على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقد الذمام والحرمة بفعل الديانة حتى يقع الأُنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وضر الأحقاد" <sup>(٤)</sup>.

- (١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف (٤ / ١٥٤ نوي).
- (٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإقامة (٢ / ٢٠٦ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف (٤ / ١٥٦ نوي).
- (٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٦٤).
- (٤) تفسير القرطبي (٨ / ١٦٣) ومسجد الضرار كان قد بناه المنافقون في عهد رسول الله ﷺ بقصد التفريق والإفساد ففضحهم الله وأمر رسول الله ﷺ بهدمه فهدمه. انظر تفصيل ذلك في العنصر الحادي عشر من هذا الفصل.

وهذا التكاثر والتآلف يتضح أيضاً في الركن الثالث من أركان الإسلام وهو الزكاة التي تزكي نفوس أبناء المجتمع المسلم قبل أموالهم، تزكيهم غنيهم وفقيرهم وتطهرها، تطهر الأغنياء من الجشع والبخل والشح، إذ يبذل هذا المال للفقراء حقاً مشروعا لهم. وتطهر الفقراء من الحقد والحسد الذي قد ينتاب بعض النفوس المحرومة حينما ترى غيرها من الأغنياء في نعمة ورخاء.

أما الركن الرابع من أركان الإسلام فهو الصوم؛ فالشهر الواحد الذي يصومه المسلمون في أوقات واحدة: من النهار إلى الليل، وامتناعهم عن المفطرات ذاتها، وتحلقهم بما حثهم الإسلام عليه حال صومهم، ثم تتويجهم هذه الوحدة في هذه العبادة بأداء عبادة أخرى تعطي أنموذجاً فريداً للتكافل الاجتماعي في البناء المسلم، ووحدة أبنائه وتعاضدهم بأداء زكاة الفطر ليشارك الجميع بأداء صلاة العيد، ويشاركون في الفرح بفضل الله ونعمته عليهم بإتمام صوم شهرهم، والأغنياء والفقراء في ذلك اليوم عندهم قوت يومهم.

كل ذلك حرصاً على قيام الجماعة المسلمة على أساس الألفة والمحبة، وسداً لباب الضغينة والحقد والحسد والشح الذي يفرق الجماعة ويفتك بالأمة.

والركن الخامس في هذا الدين العظيم: شعيرة الحج إلى البيت الحرام قال تعالى:

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحج ٢٧-٢٩)

فمن بداية الحج تظهر الوحدة جلية بين المسلمين في وحدة اللباس: لباس الإحرام، ووحدة القول: التلبية بالإحرام، ووحدة المكان: البيت الحرام، ووحدة الفعل: من الطواف بالبيت والتنقل في مشاعر الحج، ووحدة بذل المال والعطاء: من

تقديم الهدى، وهم في ذلك كله موحدون لله عز وجلّ مخلصون له العمل، متجهون إليه لا يقصدون أحداً سواه سبحانه.

وهذه الآيات في سورة الحج التي عرضت لشعائر الحج، وبعض أحكامه ذكرت بالتوحيد في أوله وفي ثناياه وفي خاتمته<sup>(١)</sup> لتؤكد أن وحدة العمل، ووحدة الجماعة لا تكون إلا بوحدة المعتقد بتوحيد الله رب العالمين.

هذه إشارات لما في أركان الإسلام من تحقيق الوحدة، والحرص على تحقيق الجماعة بين المسلمين.

ولو نظرنا إلى جانب آخر من جوانب هذا الدين العظيم والذي عمل على تأصيل مبدأ الجماعة والتحذير من الفرقة، لوجدنا ذلك في حثه على إقامة الأخوة بين المسلمين على أساس رابط الإيمان بالله، وحثه على القيام بواجب هذه الأخوة، وأداء حقوقها، يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٧١).

ففي هذه الآية بين الله عز وجلّ أن أساس الجماعة وسبب الاجتماع هو الإيمان، ورباط الأخوة الإيمانية: الأخوة في الدين أعظم رباط، وعلى أساسه يكون الولاء أو البراء، فقله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: يوالي بعضهم بعضاً، فهم يد واحدة يأمرون بالإيمان وينهون عن الكفر<sup>(٢)</sup>.

(١) أوله آية رقم (٢٦)، وفي ثناياه آية (٣١)، وخاتمته (٣٤) من سورة الحج.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٦٨).

ويبين الإمام إسماعيل ابن كثير رحمه الله أن الولاية بين المؤمنين في هذه الآية هي النصره والتعاقد فيقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: {المؤمن للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضاً} وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح أيضاً {مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر}<sup>(٢)</sup> (٣).

ويضيف العلامة محمد الشوكاني -رحمه الله- معنى آخر للولاية بين المؤمنين، وهي محبة المؤمن لأخيه المؤمن فيقول: قوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: قلوبهم متحدة في التوادد والتحابب والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين، وضمهم من الإيمان<sup>(٤)</sup>.

بهذا تكون الجماعة، وبهذا يتحقق الاتحاد في الأمة حينما تتناصر وتتعاقد، وتكون يداً واحدة، حينما تجتمع القلوب وتتعاطف على أساس قوي ورابط أبدي، على أساس الإيمان بالله تعالى الذي لا تؤثر عليه دنيا ولا غيره عرض زائل، عندها تستحق الأمة العلو والسيادة والريادة.

ويبين عبد الله بن عباس ويؤكد أن الولاء والبراء لا بد أن يقوم على أساس الإيمان بالله تعالى فيقول: أحب في الله وأبغض في الله، ووال في الله وعاد في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد حلاوة الإيمان وإن كثر صلواته وصيامه

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد (١/ ٥٦٥ فتح)، صحيح

مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين (١٦/ ١٣٩ نووي) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (١٠/ ٤٣٧ فتح) بنحوه، صحيح

مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين (١٦/ ١٤٠ نووي).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٨١)، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٠٥).



حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم أو عامتهم في الدنيا وذلك لا يجزئ عن أهله شيئاً<sup>(١)</sup>.

ويؤكد المولى الكريم سبحانه على الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، والتي بها يسد كل باب يؤدي إلى الاختلاف والفرقة، ومن خلالها يلتئم شمل الجماعة وتعم الألفة والمحبة، فيقول عزّ من قائل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠)

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي<sup>(٢)</sup> عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ يقول: "هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ إنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم"<sup>(٣)</sup>.

وحرصاً على هذه الرابطة المهمة بين المسلمين أمر بالإصلاح بين المسلمين لو طرأ على هذه الرابطة ما يوهنها أو يوجب تفرقها لذلك قال: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾.

(١) كتاب تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢٣٤)، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١ / ١٢٥)، وورد هذا الأثر في حلية الأولياء لأبي نعيم (١ / ٣١٢) ولكن عن ابن عمر مرفوعاً ماعداً قوله "وصارت موالة الناس... آخرة فإنه من قول ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، وهو أول من أنشأ مكتبة في القصيم، له نحو ٣٠ كتاباً منها: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن و القواعد الحسان في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٧٦ هـ. انظر: الأعلام (٣ / ٣٤٠).

(٣) تفسير السعدي (٧ / ١٣٣ - ١٣٤) باختصار يسير.

ثم يؤكد الله عزّ وجلّ رابطة الأخوة الإيمانية السابقة بأن ينهى عن الأسباب التي تؤدي إلى إضعافها من سلوكيات خاطئة تؤثر سلباً على المجتمع المسلم، والتي من شأنها أن توغر القلوب وتحرك الضغائن في النفوس فتتفرق القلوب وتهتز هذه الأخوة الإيمانية وتضطرب، لذلك قال سبحانه بعد الآية السابقة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِّ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات ١١-١٢)

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: {إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا<sup>(١)</sup>، ولا تناجسوا<sup>(٢)</sup> ولا تحاسدوا، ولا تباعضوا ولا تدابروا<sup>(٣)</sup> وكونوا عباد الله إخواناً<sup>(٤)</sup>}.  
 يقول الحافظ أحمد بن حجر رحمه الله عن قوله: "وكونوا عباد الله إخواناً": هذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم، كأنه قال إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً،

(١) قيل التجسس بالجيم تتبع الشخص لأجل غيره، وبالحاء تتبعه لنفسه. وقيل بالجيم البحث عن مواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، وبالحاء البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، وقيل غير ذلك. انظر فتح الباري (١٠ / ٤٨٢).

(٢) النجس كأن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، انظر فتح الباري (١٠ / ٤٨٤).

(٣) التدابر مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا عرض عنه حين يراه وقيل هو بمعنى التهاجر، وقيل معناه الإعراض عن السلام. انظر فتح الباري (١٠ / ٤٨٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن" (١٠ / ٤٨٤ فتح) واللفظ له، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن (١٦ / ١١٨ نووي).

ومفهومه إذا لم تتركوها تصيروا أعداءً، ومعنى كونوا إخواناً: اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتاً ونفيًا.

وقوله: "عباد الله: أي يا عباد الله مجذف حرف النداء، وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله فحقكم أن تتواخوا بذلك. قال القرطبي: المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة"<sup>(١)</sup>.

ومن حرص الإسلام على الجماعة، وعلى إبقاء الأخوة الإيمانية، وإغلاقه لباب الفرقة وسده لسبيلها، أنه أمر بالانتساب إلى الأسماء المشروعة ونهى عن الانتساب إلى غيرها، أو رفع شعارات تدعو إلى الحزبية، أو تنادي إلى القومية، خاصة إذا كانت هذه الشعارات وهذه الانتماءات ترفع للعصبية والحمية التي من شأنها أن تفرق بين الجماعة المسلمة، فتحل هذه الانتماءات والولاءات مكان الأخوة الإيمانية العامة الشاملة لكل مؤمن في مشارق الأرض ومغاربها.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: { ... وأنا آمركم بحمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي<sup>(٢)</sup> جهنم، قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم: المسلمین، المؤمنین، عباد الله }.

ولقد شدد الرسول ﷺ على من انتمى لغير هذا الدين العظيم، أو رفع شعارات أو انتماءات يتحزب لها، ويوالي ويعادي عليها، فهذا كله من دأب الجاهلية وعاداتها التي أمرنا بتركها والكف عنها، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله

(١) فتح الباري (١٠ / ٤٨٣).

(٢) جثي بضم أوله: واحدها جثوة، أي جماعات جهنم، والجثوة الشيء المجموع. انظر شرح السنة للبغوي (١٠ / ٥٢).

رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع<sup>(١)</sup> رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: { ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: دعوها فإنها منتنة }.

فعدّ رسول الله ﷺ هذه الانتماءات وهذه الدعاوى من أمور الجاهلية ووصفها بالقبح والخبث، مع أنهم انتسبوا رضي الله عنهم إلى أعمال سالحة، ومفاخر عظيمة في دين الله: الهجرة، والنصرة، ومع ذلك لما كانت للعصية وهمت أن تفرق بين المسلمين وتوقع القتال إذ أخذ كل سلاحه، سماها عليه الصلاة والسلام "دعوى جاهلية".

وهذه التسميات والانتماءات يختلف حكمها بحسبها وهي على ثلاثة أنحاء:

١- من هذه الانتسابات ما هو حسن محمود، وهو الانتساب إلى اسم شرعي جاء في الكتاب أو في السنة، كتسميتنا مسلمين، ومؤمنين، وعباد الله، والمهاجرين، والأنصار، وكان ينتسب الرجل إلى عمل مشروع كنسبة الرجل إلى أهل الحديث، أو إلى أهل السنة، فهذه تسميات وانتماءات محمودة جاء الشرع بها ومدح أهلها.

٢- ومن هذه الانتسابات ما هو مباح كالانتساب إلى قبيلة أو مصر أو جهة لقصد التعريف فقط. ويلحق به والله أعلم الانتساب إلى جهات معينة أو جماعات أو منظمات القصد منها تنظيم العمل وحسن إدارته وتوزيع الجهود، لتتكامل فيما بينها لخدمة المجتمع والدعوة إلى دين الله تعالى.

٣- ومن هذه الانتسابات ما هو مكروه أو محرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى كالانتساب إلى الطرق الصوفية أو الفرق الكلامية المذمومة.

(١) الكسع المشهور فيه أنه ضرب الدبر باليد أو الرجل، انظر فتح الباري (٨ / ٦٤٩).

ويلحق به: إذا كان الانتساب إلى اسم شرعي محمود أو انتساب إلى اسم مباح كقبيلة أو مصر لكن قصد من الانتساب الحمية والعصية وأفضى إلى الفرقة والخلاف فهذا مذموم منهى عنه<sup>(١)</sup>.

نسأل الله عز وجل أن ينعم على الأمة المسلمة بأن يؤلف بين قلوب أفرادها، وأن يرحمها ويجمعها على الإيمان به تعالى، إذ الجماعة نعمة من الله ورحمة، والفرقة عذاب كما سيأتي في النقطة الخامسة.

خامساً: إن الفرقة والاختلاف عذاب وعقوبة من الله عز وجل للأمة حينما تعصيه، أما الاجتماع والاتلاف فهو رحمة بالأمة ونعمة من الله على عباده المؤمنين.

لقد أمر الله عباده المؤمنين أن يلزموا الجماعة ويلتزموا السمع والطاعة، ويبن سبحانه أن النجاة تكون بالتمسك والاعتصام بجبله سبحانه الذي هو الجماعة<sup>(٢)</sup> كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣). ومتى ما عملت الأمة بأمر الله وأمر رسوله ﷺ عاشت بخير واستطاعت أن تبلغ دينها وتعلي كلمته، واستطاعت أن تقود البشرية إلى كل خير في الدنيا والآخرة.

والتأمل للقرون الماضية في تاريخ الأمة الإسلامية يجد هذا الأمر جلياً واضحاً؛ أنه متى ما تمسكت الأمة بكتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، واجتمعت على الحق واتفقت قلوبها؛ قويت هذه الجماعة وسادت وقادت، وهذا رحمة من الله بها، وما

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤١) بتصرف وزيادة.

(٢) هذه أحد المعاني الواردة لحبل الله انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١/ ٤٣٣)، وما تقدم في أول هامش (٣).

إن تدب الفرقة في صفوف الأمة، وتتخلى عن بعض ما أمرت به وتتهاون في تطبيق سنة نبيها ﷺ؛ تضعف وتهون وتصبح لقمة سائغة في أيدي الأعداء؛ وما ذاك إلا لأن الجماعة رحمة من الله بالأمة، أما الفرقة فهي عذاب وعقوبة من الله عز وجل يعاقب بها الأمة حينما تعصيه، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {الجماعة رحمة، والفرقة عذاب} (١).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {سألت ربي ثلاثاً فأعطيني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة (٢) فأعطينيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطينيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها} (٣).

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾، قال: {أعوذ بوجهك}. ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أعوذ بوجهك. فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (٤)، قال: هاتان أهون أو أيسر (٥).

قال علي بن خلف بن بطلال رحمه الله: أجاب الله دعاء نبيه في عدم استئصال أمته بالعذاب، ولم يجبه في أن لا يلبسهم شيعاً أي فرقاً مختلفين، وأن لا يذيق بعضهم

- 
- (١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن أبي العز الحنفي (٢ / ٧٧٧).
  - (٢) معناه: لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام فلله الحمد والشكر على جميع نعمه. صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ / ١٤).
  - (٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة (١٨ / ١٤ نووي).
  - (٤) سورة الأنعام آية: ٦٥، وهذه الآية وإن كانت في وعيد المشركين إلا أنه يلحق بهم من المسلمين من سار على هديهم من أهل البدع من مخالفة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، انظر تفسير الطبري (٧ / ١٤٣)، تفسير القرطبي (٧ / ٨).
  - (٥) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى: «أو يلبسكم شيعاً» (١٣ / ٢٩٥ فتح).

بأس بعض، أي: بالحرب والقتل بسبب ذلك، وإن كان ذلك من عذاب الله، لكنه أخف من الاستئصال، وفيه للمؤمنين كفارة<sup>(١)</sup>.

ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ قال: الأهواء والاختلاف. وقال في قوله: ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: يسلط بعضهم على بعض بالقتل والعذاب<sup>(٢)</sup>.

وكما بين الله عزّ وجلّ فيما مضى من نصوص أن هذه الفرقة عقوبة وعذاب؛ امتنّ الله عزّ وجلّ على المؤمنين بتأليف قلوبهم، وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع شملهم ووحّد كلمتهم بهذا الدين العظيم، وقيام الأخوة الإيمانية بينهم، وقد كانوا في جاهلية وشر وكفر بالله عزّ وجلّ، وفرقة لا يعلمها إلا الله، فجاء الله سبحانه بدينه ونبيه، وجمع بينهم، وفي هذا تنبيه للمسلمين على أهمية الجماعة وأنها من نعم الله العظيمة وآلائه الجزيلة، وفيه تنفير من الفرقة التي هي عقوبة وعذاب.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ (ال عمران ١٠٣)

يقول الطبري في تأويل قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ يقول: "واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أي: بشركم يقتل بعضكم بعضاً عصبية في غير طاعة الله، ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٩٦)، وانظر شرح الحديث مستوفى في فتح الباري (٨/ ٢٩١).

(٢) انظر تفسير الطبري (٧/ ١٤٢-١٤٣).

قلوبكم فجعل بعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداءً تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه<sup>(١)</sup>.

وعن قتادة بن دعامة السدوسي قوله: 'كنتم تذاجون فيها، يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام فأخى به بينكم، وألف به بينكم، أما والله الذي لا إله إلا هو إن الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب'<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: 'فأصبحتم بنعمته إخواناً فإنه يعني فأصبحتم بتأليف الله عزّ وجلّ بينكم بالإسلام وكلمة الحق والتعاون على نصره أهل الإيمان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر إخواناً متصادقين لا ضغائن بينكم ولا تحاسد، وقال رجل لعبد الله بن مسعود: كيف أصبحتم؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً'<sup>(٣)</sup>.

نعم، هذه صفة الجماعة المسلمة وحال أفرادها: متحابين بجلال الله؛ متواصلين في ذات الله؛ متعاونين على البر والتقوى<sup>(٤)</sup>.

ولقد نصر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ بنصره المؤزر، وبالمؤمنين المجتمعين على طاعة الله وطاعة رسوله، وهذا مما امتن الله به على نبيه ﷺ وأنعم الله به على المؤمنين إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾ (الأنفال ٢٢-٢٣)<sup>(٥)</sup> بالألفة والمحبة بين المسلمين، وبرباط الأخوة الإيمانية، تتحد الجماعة المسلمة وتقوى، وتسود وتقود، لتنشر هذا الدين العظيم.

(١) انظر تفسير الطبري (٤ / ٢٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (٤ / ٢٢)، وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٣٦٨).

(٣) انظر تفسير الطبري (٤ / ٢٤).

(٤) انظر ما تقدم في هذا الفصل، ثالثاً.

(٥) انظر تفسير السعدي (٣ / ١٨٦).



أما إذا نُزعت ورفعت هذه الألفة؛ حلّ محلها العداوة والبغضاء، ودبت الفرقة والخصومات بين الناس، وضعفت الجماعة الإسلامية، وعاشت العذاب بالفرقة إلا أن يرحمها ربها بالجماعة.

سادساً: الإخبار أن الفرقة واقعة لا محالة ليعلم هذا ويحذر: لقد نهى الله عزّ وجلّ عن الفرقة أشدّ النهي، وبين سبحانه أنها عذاب وعقوبة تحلّ بالأمّة المسلمة إذا اكتسبت من المعاصي ما تستحقّ به السخط والعقاب من الله عزّ وجلّ. ومع التحذير الشديد من الفرقة، والأمر اللازم بالجماعة والتمسك بها، أخبر المولى الخبير سبحانه أن هذه الفرقة لا بد وأن تدب؛ وأن هذه الأمّة ستفترق لا محالة، وأن هذا واقع كوناً وقدرأً، وإن كنا نهينا عن الفرقة شرعاً ودينأً<sup>(١)</sup>.

(١) الإرادة في كتاب الله تعالى نوعان: إرادة كونية قدرية وهي المشيئة، وإرادة شرعية دينية. وينبغي أن يتبسه المسلم إلى أمر مهم، وهو أنه سبحانه: ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وأنه عزّ شأنه وتقدّست أسماؤه، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. لذا لا يلتبس على المسلم أو يتوهم أن الله سبحانه حينما شاء الفرقة كوناً، وقَدَّر وقوعها في الأمّة - فهي واقعة لا محالة - أن هذا يستلزم رضاه عنها أو محبته لها. فالإرادة الكونية القدرية لا تستلزم المحبة والرضا، لأنها قد تكون مرادة لغيرها، أما الإرادة الدينية الشرعية فهي مرادة لذاتها محبوبة مرضية للمولى تعالى. يقول الإمام علي بن علي ابن أبي العز الحنفي: فأعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره. فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته، وما فيه من الخير، فهو مراد لإرادة الغايات والمقاصد. والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما. وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده... بل العاقل يكتفي في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية. فهو سبحانه يكره الشيء، ولا يتنافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوته. انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٢٨)، وانظر في المسألة: منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٥٦)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية (٤٦٤).

والإخبار عن وقوع الفرقة في الأمة، وأن الله عز وجل شاء ذلك وقدره علينا، لا يعني الاستسلام للفرقة والتخبط في سبلها، بل إن الله عز وجل نبه على ذلك وأخبر به ليحذر المسلم منها، ولا يسلك مسلكها، وينجو من كتب الله له النجاة منها.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۗ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)

يقول الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله في تفسيرها: 'وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم' (١).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۗ﴾ (يونس: ٩٩) أي: لو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم بحيث لا يخرج عنهم أحد، مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ويختلفون، ولكنه لم يشأ ذلك لكونه مخالفاً للمصلحة التي أرادها الله سبحانه، ولما كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس أخبره الله بأن ذلك لا يكون، لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة، والمصالح الراجحة لا تقتضي ذلك (٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ۗ﴾ (الرعد: ٣١)

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٧٤).

فإيمان الناس جميعاً وهدايتهم غير مرادة لله عزّ وجلّ كوناً، والفرقة واقعة بينهم لا محالة، فمن شاء الله عزّ وجلّ له الهداية هداة، ومن شاء له الضلال أضله سبحانه، فهو الملك الحكيم العليم جلّ شأنه<sup>(١)</sup>.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوقوع الفرقة في هذه الأمة فقال: {والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعين في النار}، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "هم الجماعة"<sup>(٢)</sup>.

فمما تقدم من نصوص تبين أن الافتراق واقع في الأمة، وحال المسلمين الآن خير شاهد على وقوع هذه الفرقة من رفع رايات الحزبية، والعصبية للرأي أو الرجال، وانتشار نعرات القومية ونداءات الجاهلية، وهذه الفرقة تكون بسبب الاختلاف في أمور الدين، أو بسبب التهالك على أمور الدنيا وما أكثرها.

ولقد جاءت هذه النصوص ليس فقط لتخبر وتعلم المسلم بوقوع الفرقة، ولكن تحبزه ليحتاط فلا يقع فيها، وتعلمه بها ليلزم الجماعة ويتمسك بالسنة ويحذر الفرقة.

يقول الإمام أبو بكر محمد الأجرى رحمه الله: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الله تعالى قد أعلمنا وإياكم في كتابه أنه لا بد من أن يكون الاختلاف بين خلقه، ليضل من يشاء، ويهدي من يشاء، جعل ذلك عز وجل موعظة يتذكر بها المؤمنون؛ فيحذرون الفرقة ويلزمون الجماعة، ويدعون المرء والخصومات في الدين، ويتبعون ولا يتدعون"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٤١٥)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٧٥)، فتح الباري (١٣ / ٢٩٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١ / ٣٢) وصححه الألباني، وسيأتي تخريج أحاديث الافتراق إلى ثلاث وسبعين فرقة في الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول (٢٤٥).

(٣) كتاب الشريعة (١ / ٢٨٠).

ويقول شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية بعد أن ذكر نصوصاً كثيرة تخبر بوقوع الافتراق في هذه الأمة قال: "وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته لينجو منه من شاء الله له السلامة"<sup>(١)</sup>.

لذلك يخطئ من يتعامل بسلبية وانهازية مع الأحداث الواقعة في الأمة، والفرقة التي تفتك بها منتظراً أقدار الله لتقع، محتجاً أنها واقعة لا محالة فلم العمل؟! مع أن المصطفى المختار أرشدنا ودفع هذه الشبهة عنا، فعن عمران بن حصين<sup>(٢)</sup> قال: {قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له أو لما يُسر له}<sup>(٣)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض فنكس وقال: {ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة} فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: "لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴿١﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٤﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٥﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٦﴾﴾ { (البقرة: ١٠٠-١٠٤).<sup>(٤)</sup>

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٣).

(٢) عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيد الخزاعي، كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، أسلم عام خيبر، وهو ممن اعتزل حرب صفين، توفي عام ٥٢هـ. انظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٥)، الاستيعاب (٣/ ٢٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله (١١/ ٤٩١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه، (١٦/ ١٩٨ نوي).

(٤) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرأ مقدوراً (١١/ ٤٩٤ فتح) واللفظ له، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي (١٦/ ١٩٦ نوي).

فانظر حينما سألوه: فيم يعمل العاملون؟ وظنوا أن التقدير يدفع إلى الاتكال وترك العمل، رد عليهم رسول الله ﷺ بإيجاب العمل فقال: «أعملوا نعم، يجب على المؤمن أن يعمل بما أمر الله به، ويجتهد بأخذ الأسباب الموصلة إلى السلامة في الدنيا والآخرة، وهو مع ذلك مؤمن بقدر الله وأنه كل ميسر لما خلق».

سابعاً: بيان أن الأصل في البشرية هو الوحدة والجماعة على التوحيد، وبيان أن التفرق والاختلاف في الشرك بالله تعالى طارئ حادث.

يقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ (البقرة: ٢١٣)

فيخبر الله عز وجل في هذه الآية أن الناس كانوا أمة واحدة، أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (١).

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (٢).

وقيل إن وقت كون الناس أمة واحدة على دين التوحيد يوم استخرج ذرية آدم من صلبه فعرضهم على آدم. يقول أبي بن كعب رضي الله عنه: كانوا أمة واحدة حيث عرضوا على آدم ففطروهم يومئذ على الإسلام وأقروا له بالعبودية، وكانوا

(١) وأصل الأمة: الجماعة تجتمع على دين واحد، ثم يكتفي بالخبر عن الأمة من الخبر عن الدين لدلائلها عليه. انظر تفسير الطبري (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢/ ١٩٤) باختصار وتصرف.

أمة واحدة مسلمين كلهم، ثم اختلفوا من بعد آدم<sup>(١)</sup>. فالله سبحانه إنما بعث الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف.

فالأصل في البشرية هو الاجتماع على التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ، والأصل أن الناس كانوا مجتمعين على الدين الواحد دين التوحيد، وأنه ما إن دب الشرك في الأمة إلا وقارنته الفرقة، فاستلزم بعثة الأنبياء والرسل رحمة من الله تعالى بالناس، وإعذاراً لهم فهو سبحانه كما في الحديث: {ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين}<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الآية ردّ على من زعم أن الأصل في البشرية الشرك والتعدد في الآلهة، ثم كان التوحيد<sup>(٣)</sup>. بل الأصل التوحيد ثم كان الشرك، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس ١٩)

يقول الإمام أبو جعفر محمد الطبري: فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة؛ إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به، وذلك أن الله عزّ وجلّ قال في السورة التي يذكر فيها يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فتوعد جلّ ذكره على الاختلاف لا

(١) انظر تفسير الطبري (٢/ ١٩٥) باختصار. يذكر الطبري رحمه الله فيه أن كلا الوقتين جائز...، وجائز أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أي هذه الأوقات كان ذلك، فغير جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عزّ وجلّ من أن الناس كانوا أمة واحدة فبعث الله بينهم لما اختلفوا الأنبياء والرسل، ولا يضرنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينفعنا العلم به إذا لم يكن العلم به لله طاعة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله (١٣/ ٣٩٩ فتح)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله (١٧/ ٧٨ نوي).

(٣) انظر في ذلك (الدين) لمحمد عبد الله دراز (١٠٧ وما بعدها).

على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان، ولو كان ذلك كذلك لكان الوعد أولى بحكمته جلّ ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك<sup>(١)</sup>.

وقيل إن المراد بالأمّة هو آدم عليه السلام، فكان آدم على الحق إماماً لذريته<sup>(٢)</sup>.

وسواء كان معنى الأمّة: الدين الخالص لله تعالى، أو معناه آدم لما قام بهذا الدين الخالص واجتمع ولده على هذا الدين حين الاختلاف؛ فهذا يؤكد أن الأصل في البشرية الاجتماع على التوحيد، وأن الفرقة حلّت بالبشرية حينما تركت هذا الأصل فطراً الشرك بالله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا تنبيه لأولي الألباب أن تحقق الجماعة المسلمة لا يكون إلا على التوحيد لله رب العالمين، وفيه تحذير من الإخلال بهذا التوحيد، أو الإتيان بما يؤثر فيه أو ينقصه أو يذهب من شركيات وبدع، لأن ذلك سيؤدي إلى الفرقة المذمومة المحذر منها.

ولما كانت الجماعة لا تتحقق إلا بالاجتماع على التوحيد الخالص لله تعالى، كانت هذه وصية الله لأتباعه ورسله وهذا ما سيتضح في النقطة الآتية إن شاء الله.

ثامناً: وصية الله لأتباعه ورسله بالاجتماع على التوحيد الخالص لله رب العالمين، ونبذ الفرقة وإطراحها: لقد حثّ الله تعالى على لزوم الجماعة، والبعد عن الفرقة بأن يبيّن أن هذا الأصل العظيم هو وصيته سبحانه لأتباعه ورسله، فحري بكل مسلم أن

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٩٦) وانظره في (١١/ ٦٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢/ ٩٥)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٢٩).

(٣) انظر في ذلك الفتاوى (٢٠/ ٦١).

يهتدي ويقتدي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين عملوا بما وصاهم به ربهم عز وجل.

يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى ١٣)

ومعنى إقامة الدين: العمل به على ما شرع لكم وفرض. ومعنى "ولا تتفرقوا" فيه أي لا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به كما اختلف الأحزاب من قبلكم<sup>(١)</sup>.

ويقول الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير: "أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف"<sup>(٢)</sup>. والدين الذي أمر به الله سبحانه الأنبياء بالاجتماع عليه والتمسك به هو دين واحد وهو دين الإسلام.

ودين الإسلام<sup>(٣)</sup> هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (آل عمران ٨٥). وهذا عام في كل زمان ومكان.

فنوح وإبراهيم ويعقوب، والأسباط وموسى وعيسى، والحواريون؛ كلهم دينهم الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له قال الله تعالى عن نوح: ﴿ فَإِنْ

(١) انظر تفسير الطبري (١٠/٢٥) باختصار وتصرف، وانظر تفسير القرطبي (٩/١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١١).

(٣) بمعناه العام، إذ الإسلام له معنيان: معنى خاص ومعنى عام، فالإسلام الخاص هو الذي بعث الله به محمدا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، أما الإسلام العام فأصله توحيد الله، وهو المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا، فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لني من الأنبياء. انظر الفتاوى (٣/٦٦).



تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٦﴾ (يونس ٧٦)

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ (البقرة ١٣٠-١٣١) <sup>(١)</sup>

ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿١٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلًّا إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿١٣﴾ (الأنبياء ١٢-١٣) ويقول سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيَ الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ (المؤمنون ٥١-٥٣) ومعنى الأمة هنا: الدين <sup>(٢)</sup>. أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله لا شريك له <sup>(٣)</sup>.

يقول عبد الله بن عباس قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ يقول: دينكم دين واحد <sup>(٤)</sup>.

ودين الإسلام الذي تمسك به الأنبياء جميعهم عليهم السلام ودعوا إليه هو توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان- ضمن مجموعة التوحيد (٢/ ٥٩٤) وانظر الفتاوى (٣/ ٦٤).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٢/ ٨٦).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٧/ ٦٧)، وإن كان دين الأنبياء واحد إلا أن شرائعهم مختلفة فلكل جعل الله له شريعة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: "الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد". انظر فتح الباري (٦/ ٤٨٩)، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/ ٣٧٨).

(٥) انظر فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٣).

والوصية بلزوم الجماعة، والاجتماع على توحيد الله عز وجل، والحذر من سلوك سبيل الفرقة ليست وصية خاصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل هي وصية لازمة لكل مسلم كما قال جل شأنه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف ١٥٣)

ولقد كان محمد ﷺ هو أول العاملين بوصية الله سبحانه له بلزوم الجماعة، والحذر من الفرقة، لذلك برأه الله سبحانه من الفرقة وأهلها كما سيتضح في الآتي إن شاء الله.

تاسعاً: تبرئة الله لنبيه محمد ﷺ من أهل الافتراق ذمّاً للفرقة وتنفيراً منها وهياً عنها: لما كان الأمر بلزوم الجماعة أمراً مؤكداً عليه في نصوص الكتاب والسنة، جاء القرآن الكريم ليحث على الجماعة، وينفر من الفرقة ويحذر من سلوك سبيلها ببيان تبرؤ محمد ﷺ من كل مفارق لجماعة المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأعراف ١٥٩)

فهؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً: هم كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وكانوا شيعاً﴾ أي: فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن الله قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه.

فالصراط المستقيم هو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برآء منها كما قال تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأعراف ١٥٩) (١).

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٧) بتصرف، وانظر مستزيداً تفسير الطبري (٨/ ٧٨)، زاد المسير

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله ﷺ في شيء، ثم قرأت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ١٠٩) (١).

وكما أن الله برأ نبيه ﷺ من أهل الفرقة، كذلك أعاده سبحانه من أن يرى عذاب الله وعقوبته بالفرقة تدب في أمته مع أنه سبحانه أخبره أن الفرقة ستقع (٢).

كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ (المؤمنون ٩٣-٩٤)

فيقول الله تعالى في هذه الآية أمراً نبيه محمداً ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم (٣)، ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ أي: قل يا محمد رب إن تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك (٤).

ولقد أعاد الله نبيه محمداً ﷺ، فلم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة (٥). وإن كانت الآية في الاستعاذة من العذاب الذي قد يجلب للمشركين، لكن يلحق بهم من هذه الأمة من سلك مسلكهم وكان على نهجهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله (٦).

(١) انظر تفسير الطبري (٨ / ٧٨).

(٢) انظر ما تقدم في هذا الفصل سادساً (١١٠).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣ / ٢٤٦).

(٤) انظر تفسير الطبري (١٨ / ٣٩).

(٥) انظر تفسير الطبري (٧ / ١٤٥).

(٦) انظر تفسير الطبري (٧ / ١٤٦).

عاشراً: النهي عن مشابهة المشركين وأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم.

من شدة عناية الإسلام بتحقيق وحدة الجماعة المسلمة وتماسكها، والتحذير من تفرقها، حرص على تمييز هذه الجماعة، واستقلاليتها عن باقي الجماعات الإنسانية لتظل بأفرادها متماسكة متحدة متميزة، لذلك نهينا عن التشبه بالكفرة من المشركين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة؛ فنهينا عن مشابهتهم في أمورهم الدينية والدينية جملة، وخصّ بعض الأمور بالنهي عنها كالنهي عن مشابهتهم في أعيادهم أو في طريقة صومهم، أو مشابهتهم في أخلاقهم وسلوكياتهم كالحسد والبغي، وكتم العلم، أو الغلو في الدين وغير ذلك كثير.

كل ذلك ليضمن تميّز الشخصية المسلمة، ويحول دون ذوبانها في شخصيات غيرها وانصهارها بهم مما يورث ضعفها ودخول الفرقة بين صفوفها<sup>(١)</sup>.

ودلّ على هذا النهي نصوص الكتاب والسنة وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الحاقة: ١٦-١٨)

فنهى الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ عن اتباع أهواء الذي لا يعلمون. وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه إتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٩٢-٩٤).

الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به<sup>(١)</sup>. فالآية ناهية عن مشابهة الكافرين، ومتابعتهم فيما يهونونه<sup>(٢)</sup>.

ولقد دلت السنة المطهرة على النهي عن مشابهة الكافرين، والإخبار أيضاً أن هذا سيقع ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {لتبعن سنن من كان قبلكم شراً شراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم} قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"<sup>(٣)</sup>.

"وهذا كله خرج منه - عليه الصلاة والسلام - مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرمات. فعلم أن مشابهتها: اليهود والنصارى، وفارس والروم مما ذمه الله ورسوله"<sup>(٤)</sup>.

ولقد أكد النهي عن مشابهة الكافرين والتحذير منه الصحابة الكرام رضي الله عنهم بما أخبروا من وقوعه: فيقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا كائن فيكم"<sup>(٥)</sup>.

بل إن حذيفة رضي الله عنه يؤكد عدم خصوصية بني إسرائيل بما وقع منهم، وأن ما وقع منهم سيقع مثله في هذه الأمة... فعن الهمام بن الحارث<sup>(٦)</sup> قال: "كنا

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٩٧).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٩٧-٩٩) فقد بسط ابن تيمية هذه المسألة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ "لتبعن سنن من كان قبلكم" (١٣ / ٣٠٠ فتح)، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦ / ٢١٨ نووي).

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٦٩)، (١ / ١٠٢)، فتح الباري (١٣ / ٣٠١).

(٥) انظر السنة لأبي عبد الله محمد المروزي (٨٦).

(٦) هو: همام بن الحارث النخعي الكوفي الفقيه العابد وثقه يحيى بن معين. انظر: السير (٤ / ٢٨٣)،

التهذيب (١١ / ٦٦).

عند حذيفة فذكروا ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (السنة ٤٤) وقال رجل من القوم: إنما هذه في بني إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر! كلا والذي نفسي بيده حتى تحذى السنة بالسنة حذو القذة بالقذة<sup>(١)</sup>.

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص: "لتركبن سنة من قبلكم حلوها ومرها"<sup>(٢)</sup>.  
ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن أشبه الناس سمناً وهيئة بني إسرائيل أنتم، تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله"<sup>(٣)</sup>.

كل هذه النصوص وغيرها جاءت تخبر عن وقوع ذلك ليحذر.  
ومما خصّ بالنهي عن مشابهتهم فيه: النهي عن الفرقة، وقد جاءت النصوص تنهي عن مشابهة الكافرين في الفرقة بطرق ثلاث:

١- بيان أن التفرق والاختلاف من أمور الكافرين من المشركين وأهل الكتابين والذين نهينا عن مشابهتهم جملة في أمورهم الدينية والدنيوية.  
يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران ١٠٥)  
فإنه عز وجل ينهى المؤمنين من أن يشابهوا اليهود والنصارى، ويتابعوهم في تفرقهم واختلافهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا النهي ليس هو نهى عن المشابهة فقط، بل حقيقته نهى عن التفرق والاختلاف في الدين.

(١) انظر السنة للمروزي (٨٥).

(٢) انظر السنة للمروزي (٨٥)..

(٣) انظر السنة للمروزي (٨٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٤ / ٢٦).

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قوله: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحو هذا في القرآن: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله" (١).

ويقول الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله عن الآية: "ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضيين في افتراقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليه" (٢).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: {ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة} قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي" (٣).

ومن النصوص الواردة في النهي عن مشابهة الكافرين في تفرقهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ (الروم ٣١-٣٢). فنهى الله عز وجل في هذه الآية عن مشابهة أهل الشرك بالله سبحانه الذين بدلوا دينهم وخالفوه، ففارقوه وكانوا أحزاباً وفرقاً كاليهود والنصارى وغيرهم (٤).

(١) انظر تفسير الطبري (٤ / ٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٣٦٨).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥ / ٢٥-٢٦) وقال عنه: "هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه يمثل هذا إلا من هذا الوجه وسيأتي مزيد تخريج ودراسة في الباب الثاني إن شاء الله، في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٤) انظر تفسير الطبري (٢١ / ٢٨) بتصرف.

٢- الطريق الثاني في النهي عن الفرقة هنا: بيان سبب تفرق أهل الكتاب ليحذر المسلم ذلك، ولا يسلك سبيلهم.

فلقد وردت النصوص الكثيرة التي تذكر اختلاف أهل الكتاب في الدين وتفرقهم عن الحق، وأن هذا الاختلاف والتفرق لم يكن عن جهل منهم للحق، ولم يكن قصور في التبليغ؛ بل بلغوا وبين لهم أمم البيان، وجاءتهم الحجج الواضحات، وقامت عليهم البراهين الساطعات بالحق المبين من رب العالمين، ولكنهم استكبروا وأعرضوا عن الحق بغياً وعدواناً وظلماً، ولقد أعمتهم الدنيا عن رؤية الحق، وأطغاهم طلب الملك وحب الرياسة عن العدل وإتباع دين الله عزّ وجلّ، فكان حالهم أن تنكبوا الطريق وحادوا عن الصراط المستقيم ووقعوا في الفرقة والاختلاف<sup>(١)</sup>.

يقول المولى الكريم سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٣﴾﴾ (البقرة: ١١٣) ونصب بغياً على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغى لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم<sup>(٢)</sup>.

ويخبرنا الله تعالى بما أعطى بني إسرائيل من الدلائل والحجج الواضحات، والنعم السابغات فيقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ وءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ

(١) انظر تفسير الطبري (٢/ ١٩٦).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٣٠).



فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ (الجمعة ١٦-١٧)

فانظر رعاك الله ما أنعم الله على بني إسرائيل، وما أعطاهم من الدلائل التي تهديهم إلى الحق، وتجمعهم وتعليهم وتوصلهم إلى رضوان الله، ومع ذلك أعرضوا وأقبلوا على الدنيا فتنافسوها فأهلكتهم وبغى بعضهم على بعض فاختلفوا وتفرقوا<sup>(١)</sup>.

والآيات في هذا الباب كثيرة، وعلى المسلم أن يعتبر بمن كان قبلنا، ولا يجعل الدنيا تصده عن دين الله، ولا حب الرياسة وإتباع الهوى يليه عن ذكر الله، وليعلم أن النجاة في العمل بما أمر الله وأمر رسوله ﷺ؛ وأن الضلال في الإعراض عن اتباعهما، والخروج عن طاعتهما.

٣- الطريق الثالث في التحذير من الفرقة: بيان أن الفرقة والاختلاف كانت سبب هلاك الأمم الماضية، ولقد جاءت نصوص كثيرة تحذر من الفرقة بالتنبيه على هذا الأمر المهم والتأكيد عليه، ليحذر المسلم من ذلك، ويعتبر بمن سبق، ويلزم الجماعة ففيها العصمة.

ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلفها فجنت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: "كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا".

فانظر كيف كره رسول الله ﷺ اختلافهم، مع أن كلا القرائتين صحيحة، حيث قال: "كلاكما محسن" فهو مصيب إذ قرأ ما أقرأه رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد كره اختلافهما ونهاهما عن ذلك فقال: "ولا تختلفوا، وعلل سبب النهي بقوله: فإن من

(١) انظر تفسير السعدي (١/ ٢٦١).

كان قبلكم اختلفوا فهلكوا، فلما كان الاختلاف يؤدي إلى الفرقة المؤدية إلى الهلكة كرهه ﷺ ونهى عنه<sup>(١)</sup>.

ولقد فقه الصحابة رضي الله عنهم هذا عن رسول الله ﷺ، وعلموا أن الفرقة تؤدي إلى الهلكة معتبرين بحال أهل الكتاب السابقين، فلقد قدم حذيفة بن اليمان على عثمان رضي الله عنهما؛ وكان حذيفة يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية معلقاً على حديث ابن مسعود السابق وأثر حذيفة بعد سوقهما: فأفاد ذلك بشيئين: أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا. والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم<sup>(٣)</sup>.

ولقد وردت نصوص كثيرة من السنة النبوية، ووقائع متعددة في اختلاف بعض الصحابة عند رسول الله ﷺ في شيء من أمور الدين، فيخرج عليهم رسول الله ﷺ غاضباً مستكراً لاختلافهم، محذراً إياهم، مبيناً لهم أن هذا الاختلاف كان سبب هلاك الأمم السابقة.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: {إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب}<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري (١٣/ ١٠١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (٩/ ١١ فتح).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع تشابه القرآن (١٦/ ٢١٨ نوي).

وعن عمرو بن شعيب<sup>(١)</sup> عن أبيه عن جده: {أن نفرأ كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج، فكأنما فقيه في وجهه حب الرمان! فقال: "أهَذَا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا؛ إنكم لستم مما ههنا في شيء. انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي هيتم عنه فانتهوا عنه"}<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى أحمر وجهه، حتى كأنما فقيه في وجنتيه الرمان، فقال: {أهَذَا أمرتم؟ أم هذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه}<sup>(٣)</sup>.

ولقد ذكرت روايات عدة ليتبين للقارئ مقدار إنكاره عليه الصلاة والسلام للاختلاف في دين الله؛ لأنه من موجبات الفرقة التي هي من أسباب الهلكة، ولأن هذا الاختلاف هو سبب هلاك من قبلنا، وسبب ضلالهم.

فهل يعتبر سفهاء زماننا الذين يبحثون عن زلات العلماء ويعلنونها، ويبحثون عن اختلافات الفقهاء ليبرزوها؟! دون فقه وفهم لأسباب الاختلاف ولا حتى لأنواعه فضلاً عن أدبه.

- 
- (١) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي فقيه أهل الطائف ومحدثهم، تابعي حسن الحديث. توفي سنة ١١٨ هـ. انظر: السير (٥/ ١٦٥)، الشذرات (١/ ١٥٥).
- (٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٩٦)، ونحوه في سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (١/ ٣٣)، وقال صاحب الزوائد عنه "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات".
- (٣) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٤/ ٤٤٣) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٢٣).

وهل يعتبر المسلمون وينظرون إلى أن سبب انحطاطهم وتخلفهم، وتسلب الأعداء عليهم هو بسبب تفرقهم، إذ الفرقة هي الهلكة، والعصمة والنجاة لا تكون إلا بالجماعة، والاجتماع على الحق: على طاعة الله ورسوله.

وما فتى أعداء الدين يمحكون الخطط، ويدسون الدسائس لإضعاف المسلمين بتفريق جماعتهم، وتشتيت كلمتهم، كما سيتضح في الآتي إن شاء الله.

الحادي عشر: إن التفريق بين المسلمين من غايات وأهداف المنافقين والكافرين من أعداء الدين: مازال أعداء الدين منذ أن بزغت فجر الرسالة المحمدية يكدون المكائد للإسلام وأهله، ويحملون الغل والحقد على هذا الدين، ويحاولون جاهدين صد الناس عن الحق المبين، وإضعاف المسلمين، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين تعني إضعافهم وتنجيتهم عن القيادة والسيادة للبشرية... فعبثاً يحاول المسلمون استرضاءهم، لأنهم لن يرضوا أبداً مهما قدم المسلمون من تنازلات دنيوية؛ ولن يرضوا إلا بالتنازل عن هذا الدين العظيم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِي وَلَا لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ بِرَحْمَتِهِ قَوْمًا لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ تِجَارَتُهُ تُبْدَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۗ﴾ (البقرة: ١٢٠)

﴿ (البقرة: ١٢٠) (١) .

ويقول الله جل ثناؤه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩)

(١) انظر في تفسير الآية: تفسير ابن كثير (١/ ١٥٥).

ففي هذه الآية يحذر الله عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم<sup>(١)</sup>.

ومن أساليب الكفار في الصد عن هذا الدين العظيم، ومحاولاتهم لإضعاف المسلمين ما يسعون لتحقيقه جاهدين ببث الفرقة والاختلاف في المجتمع المسلم، وإفساد ذات البين، إذ من أكثر ما يسؤوهم الجسد الواحد المسلم، البناء المتراص المتحاب، ولقد كانت محاولاتهم للتفريق منذ العهد النبوي، ويسجل القرآن ذلك ليتنبه المسلمون في حاضرهم، ويعتبرون بما حصل من أعدائهم في السابق، إذ ما زالوا يسعون لتحقيق الهدف نفسه: التفريق بين المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكُتَّابُ لِمَ تُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٢﴾﴾ (آل عمران ١١-١٢)

ففي هذه الآية توبيخ ووعيد من الله تعالى للكفرة من أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصددهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقاتهم<sup>(٢)</sup>.

وهم في ذلك يلتمسون لسبيل الله الزيف والتحريف، ويريدون ردّ الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد<sup>(٣)</sup>، ويريدون لأهل دين الله الضلال<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٤٦).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١ / ٣٦٥).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (١ / ٤٣٠).

(٤) انظر تفسير الطبري (٤ / ١٦).

ويروي محمد بن جرير الطبري رحمه الله سبب نزول هذه الآية: "وهو أنه مرَّ شاس بن قيس<sup>(١)</sup> - وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملاً بني قيلة بهذه البلاد، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه، فقال: أعمد إليهم، فاجلس معهم وذكرهم يوم بُعث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار - وكان يوم بُعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج - ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا، وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شتّم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح موعدكم الظاهرة - والظاهرة الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: {يا معشر المسلمين الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً}، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا وعانق الرجال من الأوس

(١) هو: شاس بن قيس من يهود بني قينقاع، وكان عدواً للنبي ﷺ وللمسلمين. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١٤).

والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع<sup>(١)</sup>.

وهذه المحاولات لإضعاف المسلمين وتفريقهم على مبدأ 'فرق تسد' ليست قاصرة على الأعداء من الخارج، بل هناك أعداء أخطر منهم؛ أعداء ينخرون في المجتمع من الداخل: إنهم المنافقون؛ الذين ذكرهم الله في كتابه وحذر منهم، وبين شنيع أفعالهم، وفضح مخططاتهم التي يستهدفون بها الإسلام وأهله، فكان منهم الإرجاف والتخذيل للمسلمين، وبث الخوف من الأعداء بين أفراد المجتمع المسلم ليتنازل عن حقه ودينه، يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب ١٨)

ويقول الله سبحانه: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاجِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٦) ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴾ (الأحزاب ٦٠-٦١)

ويقول أيضاً: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ وَبِمِيتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (ال عمران ١٥٦)

وهذا الإرجاف والتخذيل، وبث الانهزامية في نفوس المسلمين يفعله المنافقون بدافع الحسد والحقد الدفين لأبناء المجتمع المسلم، وأشد ما يكدرهم وينغص عليهم فرحتهم أن يصيب المسلمين خيراً، يقول الله تعالى: ﴿ هَتَّانَتْمْ أَوْلَاءُ حُبُوبِهِمْ وَلَا حُبُوبَكُمْ وَتُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ

(١) تفسير الطبري (٤ / ١٦)، وانظر أسباب النزول لأبي الحسن علي الواحدي (٩٨) تحقيق:

الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٦﴾  
 تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَابَرُوا وَتَتَّقُوا لَا  
 يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٧﴾ (آل عمران ١١٦-١١٧)

وأقصى ما يتمنونه: إخراج المسلمين من الإسلام إلى الكفر، حالهم حال أعداء  
 الدين من اليهود والنصارى، يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا  
 فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ  
 تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا  
 نَصِيرًا﴾ (النساء ٨٩)

ولقد سعى المنافقون جاهدين لإفساد ذات البين، والعمل على تفريق جماعة  
 المسلمين، وبث الخلاف في كلمتهم، وتفكيك وحدتهم، شأنهم شأن كل عدو حاقد  
 لهذا الدين.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا  
 بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ  
 أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة ١٠٧) ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ  
 أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ  
 يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة ١٠٧-١٠٨)

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ  
 إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصّر في الجاهلية، وقرأ  
 علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم  
 رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة  
 عالية وأظهرهم الله يوم بدر؛ شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر  
 بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ



فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان، ولما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ، ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك؛ فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: {إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله}. فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة<sup>(١)</sup>.

فانظر رعاك الله وتأمل سبب نزول هذه الآيات، وكيف حرص المنافقون على تفريق المسلمين باتخاذ مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ، كفراً بالله ومحادة لرسول الله ﷺ، فيصلي فيه بعض المؤمنين دون مسجد رسول الله ﷺ، وبعضهم في مسجد رسول الله ﷺ فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧١) باختصار، وانظر أسباب النزول للواحيدي (٢١٩)، تفسير القرطبي

(٨/ ١٦١)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٢٨)، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر تفسير الطبري (١١/ ١٨).

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء، خرج رجال من الأنصار فبنوا مسجد النفاق<sup>(١)</sup> ويقصد بمسجد النفاق: مسجد الضرار المذكور في الآية.

وهؤلاء المنافقون رغم أعمالهم الشنيعة، وأفعالهم المفضوحة ما زالوا يحاولون الاستتار، وإظهار خلاف ما يبطنون، لذلك دائماً يزعمون الإحسان، ويرفعون شعار الإصلاح لتروج أكاذيبهم، وتنطوي حيلهم وخدعهم على ضعف الإيمان، وعلى قلبي العلم، لذلك زعموا أن قصدهم من بناء هذا المسجد كل خير وإحسان فقالوا: "وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى"<sup>(٢)</sup>.

ولكن هيهات أن تنطلي حيل المنافقين وأكاذيبهم على رب العالمين، ولا على عباده العالمين بقول الله وقول رسوله ﷺ.

لذلك نهى الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ والأمة تبع له في ذلك عن أن يقام في هذا المسجد الضرار، أي: يصلي فيه أبداً، فقال: "لا تقم فيه أبداً".

ثم حثه على الصلاة بمسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى: وهي طاعة الله وطاعة رسوله، وجمعاً لكلمة المؤمنين، ومعقلاً وموثلاً للإسلام وأهله فقال سبحانه: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾<sup>(٣)</sup> (التوبة: ١٠٨)

فهاهي ذا الحوادث والوقائع منذ القرن الأول للإسلام ومحاولات أعداء الدين في تفريق المسلمين الذي سجلها القرآن الكريم كل ذلك نهياً للأمة عن الفرقة وتحذيراً منها، فهل يدفع ذلك المسلمين إلى الاتحاد وجمع الكلمة ورأب الصدع، وهل تستفيق الأمة من غفلتها، وتعمل على توحيد صفوفها إذ في ذلك قوتها

(١) تفسير الطبري (١١ / ١٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (١١ / ١٨).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٣٧٢) بتصرف.

وإعلاء لدينها، وغيظ ودحر لعدوها، أسأل الله ذلك، فالمستقبل للأمة مشرق، والوعد الرباني محقق كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: {لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون} (١).

الثاني عشر والأخير: إن الفرقة من وسائل الشيطان ومكائده التي ينصبها للمسلمين على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة: ما يزال الشيطان يعلن العداوة لبني الإنسان منذ أن لعن وطرده من رحمة الله سبحانه وتعالى، ولقد طلب من الله عز وجل الإنظار وطول الحياة ليضل العباد، ويفتنهم عن دينهم.

ولقد توعد العدو اللعين باتخاذ كافة السبل لذلك قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٣٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٣٧﴾ (الأعراف ١٧-١٣)

توعد عدو الله بأن يصد الناس عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بسلوكه، وحذرنا المولى سبحانه من الحياد عنه، واتخاذ السبل والضلالات مكانه كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله هو كتاب الله (٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي... (١٣) / ٢٩٣

فتح، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين (١٣) / ٦٥ نووي.

(٢) تفسير الطبري (٤) / ٢١، الشريعة للأجري (١) / ٢٩٧.

وما زال الشيطان بآدم عليه السلام حتى أخرجه من الجنة، وما زال بني آدم حتى أوقع بينهم الفرقة والعداوة بصددهم عن الإيمان بالله تعالى، وإيقاع الكفر والشرك الذي فرقه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (نوس ١٦)

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان الناس أمة واحدة: كانوا على الإسلام كلهم<sup>(١)</sup>.

ويذكر الإمام عبد الرحمن بن الجوزي<sup>(٢)</sup> رحمه الله كيد الشيطان لآدم عليه السلام، ثم كيده لأحد ولدي آدم بقتل أخيه، ثم يذكر أن الأمر جرى بعد ذلك على السداد والاستقامة، وكانت الأمة واحدة، والدين واحد والمعبود واحد كما قال قتادة رحمه الله: كان بين آدم ونوح -عليهما السلام- عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا، فكادهم العدو إبليس، وتلاعب بهم حتى انقسموا قسمين: كفاراً ومؤمنين<sup>(٣)</sup>، فكادهم بعبادة الأصنام وإنكار البعث<sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: {ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نخلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء

(١) انظر كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام لابن الجوزي (٤٧). وانظر ما تقدم في سابعاً.

(٢) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن حمادي الجوزي البغدادي الحنبلي، كان مجراً في التفسير وعلامة في السير والتاريخ موصوفاً بحسن الحديث، حامل لواء الوعظ، له مصنفات عدة منها: "صيد الخاطر"، "تلبس إبليس"، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: السير (٢١ / ٣٦٥)، وفيات الأعيان (٣ / ١٤٠).

(٣) المرجع السابق (٤٧-٤٩) باختصار وتصرف.

(٤) انظر إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية (٢ / ٢١٨).

كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم<sup>(١)</sup> عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرهم أن يشركوا بما لم أنزل به سلطاناً...<sup>(٢)</sup>.

فالشيطان حريص على تفريق الناس وتحزيبهم بصددهم عن توحيد الله عز وجل الذي يجمعهم، وإلقاء الشرك ونشره بينهم، فهو كفيل بتفريقهم<sup>(٣)</sup>.

يقول بن الجوزي رحمه الله: أعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف. فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً، وبالدواء سماً، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام...

فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ، فرفع القابح، وشرع المصالح. فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره؛ سالمين من العدو وغروره. فلما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات<sup>(٤)</sup> فعادت الأهواء تنشيء بدعاً، وتضيق سبيلاً ما زال متسعاً، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف، وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل؛ فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل، انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ١٩٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٧/ ١٩٧ نووي).

(٣) انظر ما تقدم في هذا الفصل في النقطة السابعة: أن الأصل في البشرية هو الوحدة والجماعة على والتوحيد (١١٣).

(٤) أغباش جمع غبش بفتحين، وهو بقية الليل أو ظلمة آخره. انظر القاموس المحيط (٧٧٤).

(٥) انظر تلبيس إبليس لجمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (١٠ - ١١) باختصار يسير.

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب، فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة، فترد عليه كما أخرجها"<sup>(١)</sup>.

ويقول المولى سبحانه محذراً المؤمنين من أن تنطلي عليهم حيل الشيطان ومكائده، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصْذِكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

فالشيطان حريص على إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ليفترقوا، وهو يسلك كل سبيل ليصل إلى هدفه، بل إن من الأعمال المحببة إليه التفريق بين الرجل وزوجته إذ بذلك تهدم الأسرة التي هي لبنة للمجتمع المسلم، وبضعف الأسرة يضعف المجتمع، ويضعف أفرادها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم"<sup>(٢)</sup> أنت {<sup>(٣)</sup>.

بل إن التفريق بين الناس جماعات وأفراداً هي من مكائده وحبائله منذ قديم الزمان، فهاهو ذا يسعى بالتفريق بين يوسف عليه السلام وأخوته، إذ يلقي العداوة

(١) انظر تلبس إبليس (١١).

(٢) نعم: بكسر النون وإسكان العين، وهي نعم الموضوعه للمدح، فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ / ١٥٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس، (١٧ / ١٥٧ نووي).

والبغضاء في نفوس أخوة يوسف لأخيهم يوسف عليه السلام، فيقدمون على التخلص منه بإلقائه في البئر، يقول تعالى حاكياً عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف ١٠٠)

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: {إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم} (١).

ومعناه: آيس أن يعبد أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم، بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها (٢).

ولذلك حرص الإسلام أشد الحرص على سد هذه الطرق في وجه الشيطان، فلا يستطيع أن يلج منها ليفرق بين المؤمنين، فاعتنى الإسلام بغرس معنى المحبة الإيمانية في القلوب، وجعلها من أوثق عرى الإيمان، وصان وحافظ على الحقوق الأخوية بالنهي عن التباغض والتحاسد، والتجسس وكل ما يورث عداوة وفرقة بين المسلمين، بل جعل شرط كمال الإيمان أن يجب المرء ما يحبه لنفسه، ودلنا على كل ما يوطد الحب في الله ليتحقق الجسد الواحد، والبناء المتراس المتلاحم الذي يصمد ويتصدى لخطط الشيطان ومكائده في التحريش بين المسلمين (٣).

يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء ٥٣)

يقول الحافظ إسماعيل بن كثير رحمه الله عن هذه الآية: يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب في تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس (١٧ / ١٥٦ نوي).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم (١٧ / ١٥٦ نوي).

(٣) انظر ما تقدم في هذا الفصل رابعاً.

الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينه، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بمجديدة فإن الشيطان ينزغ في يده أي: فربما أصابه (١) (٢).

ولقد دعا الله سبحانه المؤمنين كافة بالدخول في الإسلام وطاعة الله عز وجل والتمسك بها، وأمرهم بلزومها، وحذرهم من خطوات الشيطان وخطراته التي يوسوس بها ليصدهم عن دين الله، ويفرقهم عن صراطه المستقيم، فقال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨) (٣).

ولقد تظن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى مكائد الشيطان وحيله، ونبه عليها فقال حينما قتل الخوارج بالنهروان: "بؤساً لكم! لقد ضركم من غركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ومن غرهم؟ قال: الشيطان، وأنفس بالسوء أماره، غرتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون" (٤).

وبين الإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية كيد الشيطان وحيله للعقول بإلقاء الشبهات فيها، وتزيين الآراء والبدع لها فيقول رحمه الله: "ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيد، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفره من الفعل الذي هو أنفع

(١) يشير إلى قوله ﷺ لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يديه فيقع في حفرة من النار، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح (١٣/ ٢٣ فتح).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥).

(٣) انظر في تفسيرها: تفسير القرطبي (٣/ ١٧).

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٨).



الأشياء له حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله كم فتن بهذا السحر من إنسان؟!  
 وكم حال بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟! وكم جلا الباطل وأبرزه  
 في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟! وكم بهرج من  
 الزيوف على الناقدين، وكم روج من الزغل على العارفين!؟

فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة، والآراء  
 المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك  
 بعد مهلك<sup>(١)</sup>.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، ويرينا الباطل باطلاً  
 ويرزقنا اجتنابه.

### الفصل الثالث

#### أسباب الفرقة في الكتاب والسنة والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم

تمهيد: لقد قدر الله سبحانه وتعالى وكتب كل ما هو كائن من مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، يقول الرسول ﷺ: {كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء} <sup>(١)</sup>.

وكان مما قدره الله وشاءه وأعلمنا به أن يقع الاختلاف، وتقع الفرقة في البشرية ما بين إيمان وكفر، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ<sup>ط</sup> وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ <sup>(٣)</sup> ﴿ (هود ١١٨-١١٩)

وشاء الله سبحانه وقدر أن تقع الفرقة في الأمة الواحدة، يقول رسول الله ﷺ: {إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة} <sup>(٤)</sup>.

وهذا التقدير السابق سبب من أسباب الفرقة ولا كسب للعباد فيه <sup>(٥)</sup>، فهو واقع تحت مشيئة الله الكونية العامة <sup>(٦)</sup>.

وهذا ليس مجال البحث في هذا الفصل؛ إذ الحديث هنا عن أسباب الفرقة التي هي من كسب العباد وفعلهم، وتقع بسببهم بإذن الله تعالى <sup>(٧)</sup>، والتي يطالب المسلم باجتنابها والحذر منها.

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (١٦ / ٢٠٣ نوي).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، شرح السنة (٤ / ١٩٨).

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٢ / ٤٣٨).

(٤) انظر ما تقدم من بيان حول تقدير الله الكوني للفرقة، وأنه ليس بحجة على ترك العمل، الفصل الثاني سادساً (١١٠) في الهامش.

وهذه الأسباب المؤدية للفرقة منها ما هو نابع من أفراد المجتمع المسلم فهي أسباب داخلية. ومنها أسباب خارجية؛ إذ كان للديانات المجاورة للمسلمين من يهودية، نصرانية، ومجوسية؛ أثر في إذكاء أسباب الفرقة، ومدّها لتقوى وتستمر، وتفرّق بين المسلمين سواء من بقي على دينه ولم يدخل الإسلام، أو من دخل الإسلام بنية خبيثة، وهدفه الكيد لهذا الدين، وتفريق الأمة المسلمة.

قال أبو محمد علي بن حزم مبيناً سبب خروج كثير من الفرق عن دين الإسلام: "الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم ... فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاضمهم الأمر، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل وقت يُظهر الله تعالى الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح"<sup>(١)</sup>.

ولم أفرد الأسباب الخارجية بمبحث مستقل بل اكتفيت بالإشارة إلى أثر هذه الديانات في تصعيد أسباب الفرقة في المجتمع المسلم، واستغلالها لتحقيق أهدافها، وذلك عند ذكر الأسباب الداخلية كل بما يناسبه وذلك لأمر:

١- إن كيد الأعداء ما كان ليؤثر - بإذن الله - لولا وجود الأسباب الداخلية في الأمة، وتقبل المجتمع المسلم لذلك.

٢- لأن هذه الديانات لم تكن تعلن دعوتها لدياناتها، ولم تكن تعلن أهدافها في تفريق الأمة والكيد للإسلام - غالباً - بل كانت تستخفي، وتقتنص الفرص المناسبة والأسباب المواتمة في المجتمع المسلم لتحقيق أهدافها.

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٢٧٣) باختصار.

٣- ليتفطن المسلم إلى كيد أعداء الدين، وكيف يستغلون أسباب الفرقة أو يشيرونها ويفتعلونها، فيكون المسلم على حذر من ذلك، ويكون أبعد ما يكون من إعانة الكافرين والمنافقين على تفريق أمته<sup>(١)</sup>.

أما عن أسباب الفرقة فأذكرها هنا إجمالاً ثم يأتي تفصيلها:

- ◀ أولاً: الجهل.
- ◀ ثانياً: الابتداع وعدم الاتباع.
- ◀ ثالثاً: تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ﷺ .
- ◀ رابعاً: الجدل والخصومات في الدين، والتأويل الفاسد.
- ◀ خامساً: الغلو في الدين، وردود الأفعال.
- ◀ سادساً: التعصب المذهبي والطائفي، والتقليد للرجال وتقديم أقوالهم على قول الله ورسوله ﷺ.
- ◀ سابعاً: التنازع على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور (البغي).
- ◀ ثامناً: الخروج عن طاعة أولي الأمر (العلماء والأمراء).
- ◀ تاسعاً: التشنيع على أولي الأمر والتقول عليهم، وتأليب الناس ضدهم، وتتبع زلاتهم والاحتجاج بها.
- ◀ عاشراً: التشبه بالكافرين واتباع السنن.
- ◀ الحادي عشر: اتباع الهوى.

(١) انظر ما تقدم في الفصل الثاني الحادي عشر: أن التفريق بين المسلمين من غايات وأهداف المنافقين والكافرين (١٢٣).

## المبحث الأول

## الجهل

لقد حثَّ الله تعالى على العلم، وبين منزلة العلماء والثواب العظيم لهم عند الله قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة ١١) (١).

وذمَّ الله تعالى الجهل وحذر منه، وبين أنه سبب إغراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين، وأن الناس لجهلهم كذبوا بهم، يقول تعالى مخبراً عن قول نوح لقومه: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (هود ٢٩).

وذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوط لعمل جريمتهم البشعة من اللواط، يقول تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (النمل ٥٥).

والجهل أيضاً يدفع الناس للشرك بالله، قال تعالى عن موسى عليه السلام وقومه: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف ١٣٨).

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل} (٢).

(١) انظر كتاب أخلاق العلماء لأبي بكر الآجري (١٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن (١٣ / ١٣ فتح)، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (١٦ / ٢٢٣ نووي).

وقال أيضاً: {إن من أشرار الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا} <sup>(١)</sup>. فرتب عليه السلام على قلة العلم ورفع جهل وكثرته؛ كثرة وقوع المحرمات وانتهاكها، ومن أعظمها القتل وهو الهرج، وهذا القتل الذي يقع هو: بين المسلمين بعضهم البعض، وهو دليل على تفرقهم ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إن بين يدي الساعة هرجاً، قال: قلت يا رسول الله ما الهرج؟ قال: "القتل" ... ثم قال: "ليس يقتل المشركين، ولكن يقتل بعضهم بعضاً... الحديث"} <sup>(٢)</sup>.

وهذا الجهل الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه سيقع في الأمة، وأنه سيكون من أسباب تفرقها هو جهل بأمرين:

أ- الجهل بعلوم الشريعة.

ب- الجهل باللغة العربية.

أ- الجهل بعلوم الشريعة: لما علم الصحابة رضوان الله عليهم خطورة الجهل على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة حرصوا على تعليم الناس أمور دينهم، وعلى تلقين أبنائهم أصول الاعتقاد وتوصيتهم بالتمسك بالسنة.

فكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوصي الناس بتعلم العلم فيقول: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله أو قال أصحابه <sup>(٣)</sup>. إذ الجهل خطر عظيم

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب رفع العلم وظهور الجهل (١/١٧٨ فتح)، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه (١٦/٢٢١ نوي).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الثبت في الفتنة (٢/١٣٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٥٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/٨٧)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطه (١/٣٣٣) تحقيق: رضا نعيان معطي، البدع والنهي عنها لابن وضاح (٢٥)، السنة للمروزي

يقود الناس إلى البدعة والإحداث في الدين والسير على غير هدى، وخير مثال على ذلك ما حدث وعبد الله بن مسعود حاضر، وذلك أن أناساً من أهل الكوفة خرجوا إلى الجبانة<sup>(١)</sup> يتعبدون واتخذوا مسجداً، وبنوا بنياناً فأتاهم عبد الله بن مسعود، فقالوا: "مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن لقد سرنا أن تزورنا، قال: ما أتيتكم زائراً، ولست بالذي أترك حتى يُهدم مسجد الجبان، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله ﷺ؟! أرايتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم من كان يجاهد العدو، ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أتم أعلم منهم. قال<sup>(٢)</sup>: واسترجع فما برح حتى قلع أبنيتهم وردهم"<sup>(٣)</sup>.

فانظر كيف عزا ابن مسعود ﷺ ما فعلوه إلى الجهل إذ أمرهم بالتعلم فقال: "ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم".

"وهذا ما فقهه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأن أشد ما يفرق الأمة ويوقع بينهما الاختلاف هو الجهل بدينها، فقد خلا عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ودينها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: كيف تختلف هذه الأمة ودينها واحد وقبلتها واحدة- زاد سعيد وكتابها واحد-، قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر وانتهره عليّ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر

(١) الجبانة: الصحراء، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٣٠).

(٢) القائل هو الشعبي الراوي.

(٣) شرح السنة للبغوي (١٠/ ٥٤).

فيما قال فعرفه، فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه.

وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجهاً، فذهب كل إنسان مذهباً لا يذهب إلى الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب، أو يقف بهم دون اقتحام حى المشكلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادئ الرأي، أو التأويل بالتخرض الذي لا يغني من الحق شيئاً، إذ لا دليل عليه من الشريعة، فضلوا وأضلوا<sup>(١)</sup>.

لذلك كان على المجتهد المتصدر للتعليم والفتيا العلم بعلوم الشريعة المتضمن العلم بكتاب الله تعالى وما يلحق به من معرفة أحكامه ومعانيه وفرضه وأدبه وإرشاده وإباحته، وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه<sup>(٢)</sup>.

وعليه أيضاً العلم بالسنة النبوية دراية ورواية<sup>(٣)</sup>، وكذلك عليه العلم بالإجماع والقياس. يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "على أن ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس...<sup>(٤)</sup>".

فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا... وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له إن شاء الله<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٥٣).

(٢) انظر الرسالة للشافعي (٣٩ - ٤١).

(٣) انظر روضة الناظر لابن قدامة (١٩٠)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (١١٢٩/٢).

(٤) الرسالة للشافعي (٣٩).

(٥) الرسالة (٤١).



ومن العلم بعلوم الشريعة العلم بمقاصدها وقواعدها الكلية<sup>(١)</sup>، ولقد نبّه رسول الله ﷺ إلى ذلك، وأخبر أن الأمة ستبتلى بمن يدعي العلم، وليس له حظ منه إلا حفظ النصوص دون فهم لمعانيها، واستيعاب لها أو معرفة بمقاصد الشريعة وقواعدها، ومتى ما تصدر - من هذا شأنه - وترأس حدثت الفتنة ووقعت الفرقة، يقول النبي ﷺ واصفاً الخوارج: {إن من ضنضيء هذا<sup>(٢)</sup> قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان}<sup>(٣)</sup>.

ولقد تربي الصحابة ﷺ على يد محمد ﷺ على تلقي النصوص وفهمها واستيعابها، والعمل بها، يقول عبد الله بن عمر ﷺ: "لقد لبثنا برهة من دهر وأحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، تنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلّم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما يتعلم أحدكم السورة. ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، يقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يعرف حلاله ولا حرامه، ولا أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدقل".

ومرّ علي بن أبي طالب على قاص فقال: "أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الموافقات للشاطبي (١/٧٠)، (٤/٤٧٧)، روضة الناظر لابن قدامة (١٩٠).

(٢) يعني به: ذا الخويصرة، وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني، الفصل الثاني إن شاء الله (٢٩٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه (١٣/٤١٦).

فتح)، وانظر الموافقات للشاطبي (٤/٥٣٩)، وانظر الباب الثاني، الفصل الثاني، المبحث الأول،

الأحاديث الواردة عن الخوارج (٢٩٨).

(٤) كتاب العلم لأبي خيثمة زهير النسائي (١٤٠) ضمن مجموعة كنوز السنة، تحقيق وتخريج

محمد الألباني.

فيجب على العلماء أن يلموا بعلوم الشريعة، وأن يجمعوا الأمة بذلك، ومتى ما اختل هذا الأمر وتصدر الناس ورأسهم من يدعي العلم وهو في الحقيقة جاهل بشيء مما مضى، فهنا تقع الفتنة في الأمة والاختلاف في الدين، ويصاب المجتمع المسلم بالفرقة.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوقوع هذا الأمر وحذرنا من ذلك ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا} (١).

ويزيد الشاطبي رحمه الله المسألة تفصيلاً ويبين أن من أسباب الفرقة: "ترأس الجهلة، وأن الاختلاف المؤدّي للفرقة لا يصدر أبداً من العلماء الراسخين في العلم، فيقول: فاعلموا أن الاختلاف في بعض القواعد الكلية لا يقع في العاديّات الجارية بين المتبحرين في علم الشريعة، العالمين بمواردها ومصادرها. ثم يذكر أن الاختلاف المؤدّي للفرقة والذي يلقي العداوة بين المسلمين إنما يقع حينما: يُعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك، ويُعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً، ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع، وتارة يكون في كل أصل من أصول الدين - كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية - فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كليّاتها، حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها، ولا رسوخ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع، وعليه نبّه الحديث الصحيح (٢) (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١/١٩٤ فتح)، صحيح مسلم، كتاب

العلم، باب رفع العلم وقبضه (١٦/٢٢٣ نوي).

(٢) يعني الحديث الصحيح المذكور سابقاً إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً.

(٣) الاعتصام للشاطبي (٤٤٥) باختصار يسير.

ولقد جاء التحذير من ترؤس الجهلة على لسان رسول الله ﷺ، وأخبر أن ذلك من أشراف الساعة فقال عليه الصلاة والسلام: {إن من أشراف الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر} (١).

والتماس العلم عند الأصاغر لا يكون إلا بترأسهم وتصدرهم للفتيا من جهة، وذهاب العلماء الراسخين أو تنحيتهم من جهة أخرى (٢).

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: "ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم" (٣). وقال: "قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم: إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتدياً" (٤).

وقال ابن مسعود ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أكابرهم، فإذا جاءهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا" (٥). وليس المراد بالأصاغر هنا: صغار السن، فقد كان عمر ﷺ يستشير الصغار، وكان القرءاء أهل مشورته كهولاً وشباناً (٦).

وإنما المراد بالأصاغر الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه في الكتاب والسنة فيضلون ويضلون. وأهل البدع، أصاغر في العلم (٧).

- 
- (١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١ / ٨٥)، جامع بيان العلم (١ / ٦١٢)، ذم الكلام للهروي (٥ / ٧٥). انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢ / ٣٠٩) رقم (٦٩٥).
- (٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٦).
- (٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١ / ٦١٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ٨٤) بنحوه.
- (٤) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١ / ٦١٥).
- (٥) جامع بيان العلم (١ / ٦١٧)، ذم الكلام للهروي (٥ / ٧٧).
- (٦) انظر الاعتصام (٤٤٦)، جامع بيان العلم (١ / ٦١٩).
- (٧) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٦)، ذم الكلام للهروي (٥ / ٧٦)، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢ / ٣١٠).

وقيل الذي يُستفتى ولا علم عنده<sup>(١)</sup>.

ولقد جاءت نصوص أخرى تحذّر من ترؤس هؤلاء الجهلة وتصدرهم لقيادة الأمة، إذ بذلك تجتلب المحن والفتن على المسلمين، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق الروبيضة (قيل: وما الروبيضة؟ قال: "الرجل التافه) في أمر العامة}{<sup>(٢)</sup>.

إن ترؤس هؤلاء الأصاغر الجهلة إضاعة للأمانة مؤذن بقرب قيام الساعة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ حينما سأله أعرابي: متى الساعة؟ قال عليه الصلاة والسلام: {إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال: وكيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة}{<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن حجر: "إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الأشراف، ومقتضاه أن العلم ما دام قائماً ففي الأمر فسحة. وكان المصنف<sup>(٤)</sup> أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر"<sup>(٥)</sup>.

وما حدثت الفتنة في الأمة ودبت الفرقة إلا حينما تصدّر مثل هؤلاء الناس وقادوهم، وهذا ما حدث في الفتنة على عثمان رضي الله عنه وهذا كان وصف الخارجين عليه المقدمين على قتله، فقد كانوا من الأعراب ومن سفهاء الناس وعامتهم.

(١) انظر جامع بيان العلم (١/ ٦١٢، ٦١٨).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدة الزمان (٢/ ١٣٤٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٠٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول (١/ ١٤١ فتح).

(٤) هو الإمام البخاري.

(٥) فتح الباري (١/ ١٤٣).

ولما خرج سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخارجين على عثمان - وعثمان رضي الله عنه محصور - فرأى سعد رضي الله عنه رؤساءهم، صفق بيديه أحدهما على الأخرى ثم استرجع ثم أظهر الكلام فقال: "والله إن أمراً هؤلاء رؤساؤه لأمر سوء"<sup>(١)</sup>، وصدق رضي الله عنه وهل أسوأ من قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، والذي نتج عن قتله اندلاع الفتن، وفشو الفرقة في الأمة الإسلامية.

والناظر لأحوال أهل البدع ورؤسائهم المفرقين للأمة شيعاً، يجدهم بعيدين عن استيعاب علوم الشريعة، جاهلين بفهم معانيها ومعرفة قواعدها ومقاصدها، مُعرضين عن تتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما أوقعهم في الاختلاف والفرقة<sup>(٢)</sup>.

ويبوّب الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله باب فيمن تأول القرآن وتدبره وهو جاهل بالسنة ثم يقول: ... أهل البدع أجمع أضربوا عن السنة، وتأولوا الكتاب على غير ما بينت السنة، فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته<sup>(٣)</sup>.

ولجهل أهل البدع نجدهم عند مناظرتهم لأهل السنة العالمين بقول الله وقول رسوله، نجدهم ينقطعون ويحيدون في المناظرة بالمتقول من الكتاب والسنة، ويقرون على أنفسهم بذلك وأنهم إنما يجيدون الرأي والنظر والقياس، فهذا بشر المريسي<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٧٢). وكان رؤساؤهم عبد الرحمن بن عديس ومالكاً الأشر وحكيم بن جبلة.

(٢) انظر خلق أفعال العباد للبخاري (٧٦).

(٣) جامع بيان العلم (٢/١١٩٩). وانظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/٢٣).

(٤) هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة البغدادي المريسي فقيه متكلم، كان داعية للقول بخلق القرآن، تنسب له فرقة المريسية من المرجئة، توفي سنة ٢١٨ هـ انظر: السير (١٠/١٩٩)، الشذرات (١/٤٤)، الفرق بين الفرق (١٥٣).

لما ناظر الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني<sup>(١)</sup> في مسألة خلق القرآن التي يدعيها بشر، وكانت المناظرة بمحضرة الخليفة العباسي "المأمون"<sup>(٢)</sup>، أظهر بشر من الجهل بالقرآن والسنة الشيء الكثير، ولما حاد عن المناظرة بنص التنزيل، قال: "عندي أشياء كثيرة إلا أنه"<sup>(٣)</sup> يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فليدع مناظرتي بنص التنزيل وليناظرني بغيره"<sup>(٤)</sup>.

ولا عجب أن يكون هذا حال أصحاب البدع من الجهل بالكتاب والسنة، والبعد عن تلقي العلم من السلف الصالح، وتصدرهم قبل استيعابهم لما قال الله وقال رسوله ﷺ مع دخول الشبهات إليهم، فهذا واصل بن عطاء<sup>(٥)</sup> اعتزل حلقة الحسن البصري وكون له حلقة يرأسها يعلم فيها الناس رأيه فضل وأصل<sup>(٦)</sup>. وهؤلاء الخوارج الأزارقة فأول من أظهر البدع الزائدة فيهم رجل يقال له عبد ربه الكبير وهو بائع رمان، وعبد ربه الصغير وهو معلم كتاب<sup>(٧)</sup>. وهذا جهم بن

(١) هو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي صاحب الحسن جرت بينه وبين الميرسي مناظرة في القرآن وهو صاحب كتاب "الحيدة"، وكان من أهل العلم والفضل، ومن تفقه على الشافعي واشتهر بصحبته. انظر تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩).

(٢) هو: المأمون العباسي عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس سابع الخلفاء من بني العباس، وأحد أعظم الملوك قرأ العلم والأدب، ودعا إلى القول بخلق القرآن، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: السير (١٠/ ٢٧٢)، الأعلام (٤/ ١٤٢).

(٣) أي الإمام عبد العزيز.

(٤) كتاب الحيدة للإمام عبد العزيز الكناني (٥٠).

(٥) هو: واصل بن عطاء المعتزلي أبو حذيفة المخزومي البصري، هو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، له كتاب "المنزلة بين المنزلتين"، توفي سنة ١٣١هـ.

انظر: السير (٥/ ٤٦٤)، الشذرات (١/ ١٨٢).

(٦) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (١١٨)، وخرجت من واصل بن عطاء فرقة المعتزلة.

(٧) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٧٢)، التبصير في الدين للأسفراييني

صفوان يُسئل عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فيفتى بأن عليها العدة، فيخالف كتاب الله بجهله. فقد قال الله ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ (الأحزاب ٤٩) (١).

لذلك يوصي أبو الدرداء ﷺ هذه الوصية العظيمة فيقول: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَسَائِرِ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، إِنْ أَغْنَى النَّاسَ رَجُلٌ عَالِمٌ أَفْتَقَرَ إِلَى عِلْمِهِ فَفَنَعَ مَنْ افْتَقَرَ إِلَيْهِ، وَإِنْ اسْتَغْنَى عَنْ عِلْمِهِ نَفَعَ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي وَضَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ، فَمَا لِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَمُوتُونَ وَجِهَالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ الْأَوَّلُ وَلَا يَتَعَلَّمَ الْآخِرُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَالِمَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَزَادَ عِلْمًا وَمَا نَقَصَ الْعِلْمَ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ الْجَاهِلَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجَدَ الْعِلْمَ قَائِمًا، فَمَا لِي أَرَاكُمْ شَبَاعًا مِنَ الطَّعَامِ جِيَاعًا مِنَ الْعِلْمِ (٢).

تنبيهات:

١- إن من الجهل: عدم العمل بالعلم، ولقد ذمَّ الله سبحانه علماء السوء الذين يقولون ما لا يعملون فقال ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)

لذلك كان الصحابة ﷺ حريصين على العمل بالعلم الذي تعلموه، يخافون من السؤال يوم القيامة، يقول أبو الدرداء ﷻ: «إِنْ أَخِيفَ مَا أَخِيفَ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: وَقَدْ عَلِمْتَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ» (٣). ويوصينا ﷻ فيقول: «لَا تَكُونُ تَقِيًّا حَتَّى تَكُونَ عَالِمًا، وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ جَمِيلًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا» (٤).

(١) انظر خلق أفعال العباد للبخاري (٣٢).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٦٠٢/١).

(٣) جامع بيان العلم (٦٨٠/١)، اقتضاء العلم للعمل للبغدادي (١٧٦) ضمن مجموعة كنوز السنة.

(٤) جامع بيان العلم (٦٩٨/١).

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "تعلموا، تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا"<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاطبي: "العلم المعتبر شرعاً- أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق- هو العلم الباعث على العمل الذي لا يُخَلِّي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً"<sup>(٢)</sup>.

ثم إن مخالفة عمل العالم لقوله الذي يدعو إليه قد يصد الناس عن دين الله تعالى، خاصة إذا كان عمله ظاهراً لهم، ثم إنه قد يوقعهم في الفتنة من حيث هو عالم فيقتدي بعمله، ولجهل الناس قد يتلبس عليهم من عمله ما هو صحيح موافق للحق، بما هو باطل فالله المستعان.

٢- إن من الجهل: عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه وهذا نتيجة قصور العلم لذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج بأنهم {يقروون القرآن لا يجاوز حلقهم}<sup>(٣)</sup>. يقول ابن تيمية: "وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه"<sup>(٤)</sup>.

٣- من الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه<sup>(٥)</sup>، فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة وإنكار ما يجمله، فلقد أنكرت أم يعقوب على عبد الله بن مسعود لعنه اللواشحات والمتنصتات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، وقالت له: ما هذا؟ قال: "ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله". قالت: والله لقد قرأت ما بين

(١) جامع بيان العلم (١ / ٧٠٥)، اقتضاء العلم العمل (١٦٤).

(٢) الموافقات (١ / ٦١)، وانظر فضل علم السلف على علم الخلف لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٦٤ - ٦٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج (١٢ / ٢٨٢ فتح).

(٤) الفتاوى (٣ / ٢٠).

(٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١ / ١٦٧).



اللوحين فما وجدته. فقال: والله لئن قرأته لقد وجدته. ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المشر ٧) (١).

لذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى ما يفعله المسلم عند الجهل ببعض العلم فقال: {ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه}. ولم يقل نازعوا فيه أو اعملوا برأيكم أو ردوا ما جهلتم.

٤- إن من الجهل: أن ينكر الإنسان ما يجله وما غاب عن علمه خاصة إذا كان مع المخالف فيقع منه التكذيب ببعض الحق، ومن الجهل أن يرد بعض الحق الذي يكون مع مخالفه إذا كان مختلطاً بالباطل، فيؤدي هذا الرد إلى الاختلاف والنزاع (٢).

٥- إن من الجهل: الانشغال والاهتمام بالعلوم الدنيوية التي يتحصل المسلم بها على وظيفة ودخل، ويكون انشغاله على حساب تعلمه أمور دينه الأساسية، فكثيراً ما نجد من المسلمين من بلغ مراتب عالية في العلوم الدنيوية، ولكنه قليل العلم في أمور دينه حتى لا يكاد يفرق بين أركان الصلاة وواجباتها فضلاً عن مستحباتها، فيكون بذلك لقمة سائغة وبيئة خصبة لتقبل البدع ونشرها، إذ لا حصانة لديه من العلم الشرعي الصحيح.

لهذا يجب على ولاة الأمر والمربين الحرص على تزويد المناهج الدراسية بالعلوم الشرعية الكفيلة بتزويد المسلم كفايته وحاجته، مع تعليمهم العلوم الدنيوية فلا تعارض ألبتة بين الأمرين (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المتنصتات (١٠ / ٣٧٧ فتح)، صحيح مسلم كتاب

اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (١٤ / ١٠٥ نووي).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٥١)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١ / ١٨٧)، وانظر ما تقدم في الفصل الأول عن أنواع الاختلاف باعتبار حكمه.

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١ / ٢٦)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١١٣٥).

٦- إن من الجهل: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض، أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية، يقول الشاطبي رحمه الله: "ومدار الغلط في هذا الفصل<sup>(١)</sup> إنما هو على حرف واحد وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضمّ أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها... إلى أن قال: فشان الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضاً كأعضاء الإنسان... وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما؛ أي دليل كان عفواً وأخذاً، وإن كان ثمّ ما يعارضه من كلي أو جزئي، فكأن العضو الواحد لا يعطى في مفهوم أحكام الشريعة حكماً حقيقياً، فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به"<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للمسلم أن يتنبه إلى مخططات أعداء الدين الموجهة للمسلمين من محاولتهم تجزئة الشريعة، والحد من العمل بها، وتعطيل بعض أحكامها لإضعاف المجتمع المسلم، ومحاولتهم الدائمة لتشكيك الناس في السنة النبوية، يقولون في أحد مؤتمراتهم التنصيرية في معرض خطبهم لمحاربة الإسلام وإضعاف المسلمين والسيطرة عليهم: "وهناك خطان رئيسيان يجب أن توجه على امتدادهما هذه الدراسة المكثفة، والقاهرة المسلمة تمثلهما. الأول: وهو علم التوحيد والفلسفة التقليديين القديمين، اللذين تمثلهما جامعة الأزهر. والثاني: هو الحركة العصرية التي تمس بقدر كبير أو قليل كل مسلم شاب يتلقى تعليماً على النمط الغربي، والذي كما قلت يكمن في محاولة النفاذ إلى الجذرية التاريخية العملية للإسلام، وإمعان

(١) الفصل بعنوان: باب في مأخذ أهل البدع في الاستدلال، انظر الاعتصام (١٧٨).

(٢) الاعتصام (١٩٧-١٩٨).

النظر في وضع خطة لسياسة جديدة، وعلم توحيد جديد، وفلسفة جديدة ومجتمع جديد على أساس من القرآن من غير إضافة من التراث مهما كانت<sup>(١)</sup>.

ولقد علم أعداء الدين أهمية العلم الشرعي في بقاء الأمة المسلمة وقوتها، وعلموا أيضاً خطورة الجهل وكيف أنه أقوى سلاح لتفريق هذه الأمة ومن ثم السيطرة عليها، فعمدوا جاهدين إلى نشر الجهل بالدين الإسلامي بين صفوف أبنائه، ومحاولة فصل المسلم عن دينه، ثم استغلال المسلمين الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتلالية، ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم.

ولقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق هدفهم من نشر الجهل بين المسلمين منها:  
 < استفادوا من فترة احتلالهم لبلاد المسلمين بالتدخل في المناهج التعليمية، ومحاولة إحلال المنهج الغربي - كما يدعون - مكان المناهج الإسلامية في البلاد المحتلة.

< عملوا على محاولة استبعاد دراسة القرآن، والسنة والتاريخ الإسلامي في البرامج التعليمية العامة<sup>(٢)</sup>.

< العمل على تشويه عقائد المسلمين، وإثارة الشكوك والشبهات حولها<sup>(٣)</sup>، عبر وسائل التربية والتعليم من جهة، وعبر وسائل الإعلام من جهة أخرى. وكم

(١) الوثيقة الإسلام الخطر نص الخطاب الذي ألقاه و.ه.ت جايردني في مؤتمر أدنبره للتبشير الدولي المنعقد بالقاهرة عشية السبت ١٨ يونية ١٩١٠م، ترجمة: محمود الشاذلي، (٢٣) ط/ المختار الإسلامي.

(٢) انظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح (١٨١)، دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور بن نايف زين العابدين (١١٩، ١٥٦).

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاث لعبد الرحمن حنبكة الميداني (٤٤)، وانظر (٧٥، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٤٩)، دراسات في السيرة النبوية (١٥٩)، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي لأنور الجندي (٤١، ٢٨٧).

خدم المستأجرون والمندسون، والمنافقون، والجهلاء، أعداء الدين في تحقيق أهدافه<sup>(١)</sup>.

« مساندة الحركات الهدامة التي تظهر بصورة الإسلام والإسلام منها براء كالقاديانية التي ما ترعرعت إلا في أحضان الاحتلال الإنجليزي للهند<sup>(٢)</sup>. والبهائية التي تخدم بوضوح مصالح وأهداف الصهيونية والصليبية<sup>(٣)</sup>.

ولم يقتصر أعداء الدين من نشر الجهل بالدين الإسلامي وتعزيز وجوده، بل عمدوا أيضاً إلى محاولة تجهيل المسلمين بلغة دينهم لغة القرآن الكريم: "اللغة العربية، وهاك تفصيل ذلك وبيانه.

ب- الجهل باللغة العربية: من الجهل الذي يؤدي إلى سوء فهم نصوص الشريعة ومن ثم تعدد الآراء وتفرقتها هو الجهل باللغة العربية، لذا عُدَّ تعلّم اللغة العربية من العلوم الواجب على المجتهد معرفتها، إذ علم اللغة العربية علم لا يحصل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه، فالمجتهد بلا بُد مضطر إليه<sup>(٤)</sup>. يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "وما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله عزّ وجلّ وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها... وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن - يعني النحو - كما يُتعلّم القرآن<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاث (٢٧٤)، دراسات في السيرة النبوية (٢٧٨).

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاث (٢٧٧)، احذروا الأساليب الحديثة (٣٠٩).

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاث (٢٧٤)، احذروا الأساليب الحديثة (٣١٤)، الإسلام والحضارة

الغربية لمحمد محمد حسين (١٨، ٤١، ١٠١).

(٤) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/٤٨٤) بتصرف.

(٥) جامع بيان العلم (٢/١١٣٢).

ولقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن<sup>(١)</sup>. وما ذاك إلا لأن القرآن الكريم إنما نزل بلسان العرب على الجملة، وطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة<sup>(٢)</sup>.

وكثيراً ما يقع الخطأ والاشتباه في فهم النصوص الشرعية بسبب الجهل بلسان العرب، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "... أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جهل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها<sup>(٣)</sup>.

وكم من شبهة دخلت على أهل الفرقة والبدعة لجهلهم بلسان العرب، ولقد عدّ الإمام الشاطبي من المآخذ التي تؤخذ على أهل البدع والتي تعد من سماتهم: "تخصّصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله: فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليس كذلك، كما حكى عن بعضهم أنه سئل عن قول الله ﷻ: ﴿رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ﴾<sup>(٤)</sup>، فقال: هو هذا الصرصر، يعني صرار الليل". ثم ذكر رحمه الله أمثلة كثيرة تبين جهلهم بالعربية ثم قال: "فمثل هذه الاستدلالات لا يعبأ بها وتسقط مكاملة أهلها... إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى اتباع الهوى، فحق ما حكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: إنما هذا القرآن كلام فضعه مواضعه

(١) جامع بيان العلم (٢/ ١١٣٣).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٣٧٥) (٢/ ٣١٩)، وانظر الرسالة للشافعي (٤٢).

(٣) الرسالة (٥٠).

(٤) سورة آل عمران: ١١٧.

ولا تتبعوا به أهواءكم، أي: فضعه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك، فإنه خروج عن طريقه المستقيم إلى اتباع الهوى.

وعن الحسن رحمه الله أنه قيل له: أرأيت الرجل يتعلم العربية ليقيم بها لسانه ويقيم بها منطقته؟ قال: نعم! فليتعلمها، فإن الرجل يقرأ بالآية فيعيها توجيهها فيهلك. وعنه أيضاً قال: أهلكتكم العجمة، تتأولون القرآن على غير تأويله<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاطبي أيضاً: "ولعلك إذا استقرت أهل البدع المتكلمين أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبایا الأمم، ومن ليس له أصالة باللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه"<sup>(٢)</sup>.

ولقد أظهر بشر المريسي القائل بخلق القرآن من جهله باللغة العربية ما أظهره عند مناظرته للإمام عبد العزيز الكناني في أكثر من موضع وكان جهله بالعربية من أسباب قوله بخلق القرآن. حتى قال الإمام عبد العزيز عنه: "وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله لأنهم ليسوا من العرب، ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأول القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وإنها تتكلم بالشيء كما يجري على لسانها، وكل كلامهم ينقض بعضه بعضاً، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم ولا يعتقدونه عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك، وسمعت عبد الملك بن قريب الأصمعي<sup>(٣)</sup> وقد سأله رجل فقال له: أتدغم الفاء في الباء؟ فتبسم الأصمعي - وقبض على يدي وكان لي إلفاً صديقاً - فقال: أما تسمع يا أبا

(١) الاعتصام للشاطبي (١٩١ - ١٩٣) باختصار، والحسن هو الحسن البصري.

(٢) الاعتصام (٤٤٧).

(٣) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، تصانيفه كثيرة منها: الإبل، الأضداد، توفي سنة ٢١٦ هـ. انظر: السير (١٠ / ١٧٥)، الأعلام (٤ / ١٦٢).

محمد؟! ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال: يا هذا أتدغم الفاء في الباء في لغة ماني الساساني... فأما العرب فلا تعرف هذا<sup>(١)</sup>.

إن جهل أصحاب البدع باللغة العربية جعلهم يقولون بأصولهم الاعتقادية البدعية، والتي يفارقون بها جماعة المسلمين ويفرقون الأمة، ويخالفون نصوص الكتاب والسنة، وليس لهم مستند إلا الجهل والرأي والظن،<sup>(٢)</sup> فقد جاء عمرو بن عبيد<sup>(٣)</sup> إلى أبي عمرو بن العلاء<sup>(٤)</sup>، فقال: يا أبا عمرو، يخلف الله وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت إن وعده على عمل عقاباً، يخلف وعده؟ قال أبو عمرو: من العجمة أتيت. يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد خلفاً ولا عاراً أن تعد شراً ثم لا تفعله، ترى إن ذاك كرمأً وفضلاً، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله<sup>(٥)</sup>.

فعلى المسلمين ولاة وعامة العناية باللغة العربية حكاية وفهماً، والحذر مما يحيكه أعداء الدين من المحاولات الأكيدة التي يعملونها لصرف المسلمين عن دينهم وكتاب ربهم بصرفهم عن اللغة العربية، بوسائل شتى ودعاوى كاذبة، منها أن

(١) انظر كتاب الحيدة (٤٣).

(٢) انظر قول المعتزلة في إنفاذ الوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين كتاب شرح الأصول الخمسة، للقااضي عبد الجبار المعتزلي (٦١١، ٦١٥)، وانظر الباب الثاني، الفصل الرابع، المبحث الأول (٣٧٧).

(٣) هو: أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري المعتزلي مولى بني تميم كبير المعتزلة صاحب فرقة العمروية من المعتزلة، توفي سنة ١٤٢ هـ. انظر: السير (٦ / ١٠٤)، الشذرات (١ / ٢١٠)، الفرق بين الفرق (٨٤).

(٤) هو: زيان بن عمار التميمي المازني البصري: أبو عمرو ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة، توفي عام ١٥٤ هـ بالكوفة. انظر: السير (٦ / ٤٠٧)، فوات الوفيات لمحمد الكشي (٢ / ٢٨).

(٥) تاريخ بغداد للبغدادي (١٢ / ١٧٥).

اللغة العربية صعبة التناول والاستعمال، ولا تواكب التقدم الحضاري المادي، فأخذوا يدعون إلى إحلال اللهجة المحلية العامية مكانها، كما دعوا إلى إحلال اللغة الأجنبية من إنجليزية أو فرنسية أو غيرها مكان اللغة العربية، وجعل هذه اللغة الأجنبية هي لغة الدراسة واللغة الرسمية في البلاد، كما عملوا إلى الدعوة إلى رسم المصحف بالرسم الإملائي الحديث، وترك الرسم العثماني بدعوى التسهيل والتيسير، وهدفهم صد المسلمين وتجهيلهم بالقرآن الكريم ولغته<sup>(١)</sup>.

إن بتنحية اللغة العربية أو إهمالها يتحقق للأعداء هدفان، وتضرب الأمة المسلمة بذلك ضربتين هما:

١. جهل الناس بدينهم، وبفهم كتاب الله تعالى، إذ ليس المقصود من نزول القرآن قراءته فقط، بل تدبر معانيه والعمل به، ولا يكون ذلك إلا لمن يجيد اللغة العربية.

٢. تمزيق الأمة المسلمة، والقضاء على عامل من عوامل وحدة الأمة، وتحقيق جماعتها ألا وهو عامل اللغة، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم هي من عوامل جمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فأنى اتجهت إلى قطر إسلامي، ولقيت مسلماً حييته بتحية الإسلام العربية "السلام عليك... فرد السلام باللسان العربي، وإن سألته عن حاله أجابك بلسان عربي: الحمد لله؛ تسري بينهم الألفة والمحبة وإن اختلفت ألوانهم وأجناسهم، فالذي يجمعهم كتاب ربهم القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر هامش كتاب الرسالة للشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر (٤٩).

(٢) انظر للاستزادة في معرفة أساليب الأعداء في كيدهم للغة العربية: أجنحة المكر الثلاثة لعبد الرحمن حبنكة الميداني (٣٤٦)، كتاب احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح (١١٦)، دراسات في السيرة النبوية (١٨٣).



وبهذه اللغة العربية لغة القرآن ولغة الدين يكتب الفكر، وتكتب ثقافة الأمة أجمع، فتوحد الأمة وتستقل عن غيرها، وتتبع كتاب ربها لا تتبع غيره<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الرسالة للشافعي (٤٨ - ٤٩).

## المبحث الثاني

## الابتداع وعدم الاتباع

إن من أعظم ما فرق الأمة الإسلامية وأوهن جسدها: الابتداع في دين الله تعالى، إذ لو فتح الباب لكل إنسان أن يقول في الدين برأيه، وأن يحدث في الشرع ما يستحسنه بذوقه لتفرقت سبل الضلالات بالجماعة المسلمة- وهي الآن كذلك-، لذلك نهينا عن اتباع السُّبُل، وأمرنا باتباع الصراط المستقيم كما يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)

ولقد عثون الإمام الآجري الباب الأول من كتابه كتاب الشريعة: "باب: ذكر الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، بل الاتباع وترك الابتداع"<sup>(١)</sup>. فهو يرى رحمه الله أنه بلزوم الجماعة يكون الاتباع، وإن الفرقة تكون بالابتداع في دين الله.

ولقد جاء الأمر الأكيد بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والتحذير من الإحداث في الدين الذي لا يكون إحداثاً إلا بترك سنة الرسول ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء ٥٩)

ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٥٦)

(الأحزاب ٥٦)

ويحذر ﷻ من الإحداث في الدين فيقول: {إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة} (٢).

(١) كتاب الشريعة (١/ ٢٧٥).

(٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٩)، وصححه الألباني في تحقيقه له.

وقال ﷺ: {إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان} (١) والهنات جمع هنة: والمراد بها هنا الفتن والأُمُور الحادثة (٢). فالبدع والمحدثات تفرّق الأمة المسلمة، وفي حديث آخر بيّن ﷺ أن في ترك سنته واتباع البدع تفريق للجماعة، فيقول حذيفة بن اليمان ﷺ: {كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم. فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها. فقلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك}.

فذكر ﷺ من الأحوال التي ستحدث أنه سيأتي أقوام يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته، وذكر ﷺ الدعاة على أبواب جهنم، وهم من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال كالخوارج والقرامطة (٣).

وكان حذيفة ﷺ فهم أن الأحوال السابقة من ترك السنة، والعمل بالبدعة والدعوة إليها، كفيل بتمزيق الجماعة المسلمة، لذلك سأل لما أمره ﷺ بلزوم الجماعة، فقال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟.

(١) صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٢ / ٢١٤ نووي).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢ / ٢٤١).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم (١٢ / ٢٣٧) للنووي، فتح الباري (١٣ / ٣٦).

وفي حديث آخر يبين ﷺ أن هذه البدع، وهذا الإحداث في الدين يفرّق الأمة المسلمة، ويوقعها في الاضطراب فتتهزّز السلطة والقيادة، والذي من شأنه أن يريق دماء المسلمين، لذلك يوصينا ﷺ بالسمع والطاعة على من تولى أمر المسلمين، واجتمعت عليه كلمتهم ولو عبداً حبشياً مادام أنه يسير بهم بكتاب الله تعالى، فالعلاج الوحيد لما ستقع فيه الأمة- وهي واقعة الآن فيه- من الاختلاف والفرقة، هو اتباع سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والابتعاد عن هذه الضلالات المفرقة للجماعة، فعن العرياض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: {أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ}.

ولخطورة البدعة يحذرننا منها ﷺ وينهانا عنها فيقول: {إياكم والبدع} <sup>(١)</sup>. وليعلم أن الافتراق من لوازم البدعة، والفرقة من سمات أصحابها، يقول ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الحدود ١٠٥). قال قتادة: يعني أهل البدع <sup>(٢)</sup>.

يقول الشاطبي رحمه الله: "والفرقة من أخس أوصاف المبتدعة، لأنه خرج عن حكم الله، وباين جماعة أهل الإسلام" <sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/٢٠)، وحسنه الألباني في تحقيقه له.

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٣).

(٣) الاعتصام (٩٠).

ولقد جاء الحكم صريحاً فيمن أحدث في هذا الدين فقال عليه الصلاة والسلام: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد} <sup>(١)</sup> أي: مردود عليه غير مقبول، لما في هذا الإحداث من خطر بالغ على الدين، يقول الإمام ابن القيم: "ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها" <sup>(٢)</sup>، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد <sup>(٣)</sup>.

ولقد حذر الصحابة من البدع، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن أصدق القليل قيل الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها" <sup>(٤)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" <sup>(٥)</sup>. ولقد اشتد نكير ابن مسعود على من أحدث في الدين وابتدع قولاً وعملاً، ومن ذلك أنه جاء رضي الله عنه إلى قوم حلق جلوس في المسجد ينتظرون الصلاة، وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة فيسبحون مئة. فجاءهم رضي الله عنه مع جمع من أصحابه ووقف على إحدى تلك الحلقات وقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسييح. قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شيء! ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم رضي الله عنهم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنيته لم تكسر، والذي نفسي

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور (٥ / ٢٢١ فتح)، صحيح

مسلم، كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة (١٢ / ١٦ نووي).

(٢) أي للبدع.

(٣) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، هذبه عبد المنعم العزي (٢٠٨).

(٤) كتاب السنة للمروزي (٩٠)، البدع والنهي عنها لابن وضاح (٢٤).

(٥) كتاب السنة للمروزي (٩٣).

بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتحو باب ضلالة. قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا: {إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم} وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى.

قال عمرو بن سلمة بن الحارث الكوفي<sup>(١)</sup>: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: "أنه لم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد، وهو يقول: لقد أحدثتم بدعة ظلماً أو قد فضلتم أصحاب محمد علماً<sup>(٣)</sup>".

فانظر كيف أنكر عليهم ابن مسعود بشدة ولم يعذرهم لحسن نيتهم، بل قال: "وكم من مرید للخير لن يصبه" إذ لا تكفي النية الحسنة للفعل ليقبل، بل لا بد من اتباع هدي محمد ﷺ وسنته.

وتقدم<sup>(٤)</sup> كيف قلع أبنية القوم الذين اتخذوا مسجداً في الصحراء يتعبدون فيه خارج محلة الكوفة- وكيف شدد النكير عليهم، كل ذلك زجراً للبدع وأهلها لعلمهم بخطورة هذا الأمر.

قال عبد الله بن عمر: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسناً<sup>(٥)</sup>". وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن أبغض الأمور إلى الله: البدع"<sup>(٦)</sup>. بل إن الصحابة يرون

(١) هو: ابن سلمة بن الحارث الكوفي الهمداني، تابعي كبير من أصحاب علي، مات عام ٨٥هـ.

انظر الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن الرازي (٦/ ٢٣٤)، السير (٣/ ٥٢٤).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٦٨ - ٦٩)، كتاب ما جاء في البدع لمحمد بن وضاح (٤٤).

(٣) كتاب ما جاء في البدع لابن وضاح (٤٤).

(٤) انظر القصة (١٣٦) من هذا الفصل.

(٥) كتاب السنة للمروزي (٩٤).

(٦) كتاب السنة للمروزي (٩٥)، الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة الشافعي (١٩).

أن العمل اليسير على السنة خير من اجتهاد وعمل كثير على بدعة، يقول عبد الله بن مسعود: 'القصْد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة'<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً: 'إياكم والتبدع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق'<sup>(٢)</sup>.

ويخبرنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن الاهتداء التام لا يكون إلا بالاتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الزيغ يحصل للعبد بحسب ما فرط، فيقول رضي الله عنه: 'لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ'<sup>(٣)</sup>.

ويوصي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالاتباع فيقول: 'أتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم'<sup>(٤)</sup>.

ويقول ابن عباس: 'عليكم بالاستقامة والاتباع، وإياكم والبدع'<sup>(٥)</sup>.

ويقول الزبير بن العوام: 'السنن السنن، فإن السنن قوام الدين'<sup>(٦)</sup>.

وقام عمر بن الخطاب خطيباً في المدينة يوصي بالاتباع، ويحذّر من الزيغ عن ذلك فيقول: 'أيها الناس إنه قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً'<sup>(٧)</sup>.

(١) الباحث على إنكار البدع والحوادث (١٧).

(٢) كتاب السنة للمروزي (٩٦)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٥٢/١).

(٣) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٤٦) تحقيق رضا نعيان معطي.

(٤) كتاب العلم لأبي خيثمة النسائي (١٢٢) ضمن مجموعة كنوز السنة.

(٥) ذم الكلام للهروي (٤/ ١٤).

(٦) كتاب السنة للمروزي (١١١).

(٧) جامع بيان العلم (٢/ ١١٧٨).

ويقول حذيفة بن اليمان: يا معشر القراء، استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً<sup>(١)(٢)</sup>.

ووصايا الصحابة كثيرة متضافرة تأمر بالاتباع وتحذر من الابتداع، ولقد سار من بعدهم على نهجهم من التحذير من البدع، فأفردوا مصنفات خاصة تأمر بالاتباع ولزوم السنة، وتحذر من البدع لخطورتها<sup>(٣)</sup>. حتى لو عدت البدعة بسيطة، أو بدا الإحداث في الدين صغيراً، أو كان أمراً فرعياً ميسوراً، فإن لهذا خطره، ويجب الحذر منه والنهي عنه، يقول الإمام أبو محمد الحسن البربهاري<sup>(٤)</sup>: "واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يُشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها،

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (١٣ / ٢٥٠ فتح) ومعنى كلامه: أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير، لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حساً وحكماً. انظر فتح الباري (١٣ / ٢٥٧).

(٢) وانظر المزيد من وصايا الصحابة بلزوم السنة والاتباع وتحذيرهم من الابتداع: كتاب السنة للمروزي (٩٣، ١٠٥)، الإبانة لابن بطة (١ / ٣٢٩ - ٣٥٣) تحقيق نعيان، شرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي (١ / ٨٨).

(٣) مثل كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧)، وكتاب ما جاء في البدع للإمام محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٧)، وكتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠)، وكتاب شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري (ت ٣٢٩)، وكتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة الشافعي (ت ٦٦٥)، وكتاب الحوادث والبدع لأبي بكر محمد الطرطوشي (ت ٥٣٠) وغيرها كثير.

(٤) هو: أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، شيخ الحنابلة بالعراق، كان شديد الإنكار على أهل البدع بيده ولسانه. له مصنفات منها: شرح كتاب السنة، توفي سنة ٣٢٩هـ. انظر: الشذرات (١ / ٣١٩)، الأعلام (٢ / ٢٠١).



ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه، حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحد من العلماء، فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختار عليه شيئاً فتسقط في النار<sup>(١)</sup>.

والعجب أن من المسلمين من يستصغر البدع ويستهن بها، أو يحتج بالعادة والتقليد على مشروعيتها، أو يحتج بأنه لا يريد إلا خيراً، ولم يعمل إلا خيراً استحساناً لما يعمل من وجهة نظره، ولا دليل عليه من قول الله وقول رسوله ﷺ، وهذا كله من الجهل الذي يفرق المسلمين<sup>(٢)</sup>.

لذلك اشتد نكير الصحابة ﷺ على المخالفين لسنة رسول الله ﷺ، المعارضين لها بأرائهم فعن أبي قتادة<sup>(٣)</sup> قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب<sup>(٤)</sup>، فحدثنا عمران يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: {الحياء خير كله} أو قال: {الحياء كله خير} قال بشير: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينه ووقاراً لله، ومنه ضعف؛ قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه، وقال: لا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث. قال: فأعاد

(١) شرح السنة له (٦١).

(٢) انظر أمثلة على ذلك الحلية لأبي نعيم (٦ / ٣٢٦)، الرسالة الشافعي (٤٤٣)، ذم الكلام للهروي (٢ / ٢١٣).

(٣) أبو قتادة هو تميم بن نذير العدوي وقيل ابن الزبير، ثقة قليل الحديث. انظر: الطبقات (٧ / ١٣٠) ط/ دار بيروت، شرح صحيح مسلم (٢ / ٧).

(٤) هو: بشير بن كعب الحميري العدوي البصري العابد، أحد المخضرمين، كان أحد القراء والزهاد. انظر: السير (٤ / ٣٥١)، تهذيب التهذيب (١ / ٤٧١).

بشير، فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجييد... إنه لا بأس به<sup>(١)</sup>، حيث ظن ﷺ أن المعارض زنديق<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مغفل<sup>(٣)</sup> أنه رأى رجلاً من أصحابه يخذف، فقال له: "لا تخذف فإن رسول الله ﷺ يكره أو قال ينهى عن الخذف، فإنه لا يُصطاد به الصيد، ولا ينكأ به العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين". ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: "أخبرك أن رسول الله ﷺ كان يكره أو ينهى عن الخذف، ثم أراك تخذف؟! لا أكلمك كذا وكذا..."<sup>(٤)</sup>.

وخرج عبادة بن الصامت مع رجل إلى أرض الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير، وكسرة الفضة بالدراهم، فقال: "يا أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: { لا تبايعوا الذهب إلا مثلاً بمثل لا زيادة بينهما ولا نظرة } فقال رجل: لا أرى الربا يكون في هذا إلا ما كان من نظرة. فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك عليّ فيها إمرة. فلما قفل لحق بالمدينة، فقال عمر: ما أقدمك يا أبا

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان (٢ / ٧ نوي)، صحيح البخاري،

كتاب الأدب، باب الحياء (١٠ / ٥٢١ فتح) وذكره مختصراً.

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسله لابن القيم (١٣٨).

(٣) عبد الله بن مغفل المزني، صحابي فاضل، من أصحاب الشجرة، وكان أحد العشرة الذين بعثهم

عمر ليفقهوا الناس، سكن البصرة، وتوفي بها عام ٦٠ هـ وقيل ٥٩ هـ. انظر: الاستيعاب (٢ /

٣٢٥) بهامش الإصابة، الإصابة (٢ / ٣٧٢) ط / دار الفكر.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، إباحة ما يستعان به على الاصطياد (١٣ / ١٠٥ نوي)،

صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف (١٠ / ٥٩٩) وذكره مختصراً، والخذف

رمي الإنسان بحصاة أو نواة ونحوهما، انظر شرح صحيح مسلم (١٣ / ١٠٥).

الوليد؟ فقصّ عليه القصة، فقال: ارجع إلى أرضك وبلدك، ولا إمرة له عليك فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك<sup>(١)</sup>.

ووقع لأبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً باع كسرة من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل. فقال الرجل: ما أرى بمثل هذا بأساً. فقال أبو الدرداء: من يعذرني من فلان أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها<sup>(٢)</sup>.

وكانوا أيضاً ينكرون على من عارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي رجل آخر مهما كانت ديانتهم ومكانتهم، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "تمتع النبي صلى الله عليه وسلم. فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عُرَيْة؟! قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: "أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: نهى أبو بكر وعمر؟!<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري<sup>(٤)</sup> تعليقاً على مثل هذه النصوص: "فاعتبروا يا أولي الأبصار، فستان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم، والشح على أديانهم، وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرائهم، هذا عبد الله بن مغفل صاحب رسول

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٥٦) تحقيق رضا نعيان، وأحاديث النهي عن بيع الذهب بالذهب أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب البيوع باب بيع الذهب بالذهب (٤/ ٣٧٩ فتح)، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الربا (١١/ ٩ نووي).

(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٥٧) تحقيق رضا نعيان.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٣٧).

(٤) هو: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري الحنبلي، مصنف كتاب الإبانة الكبرى، إمام عابد، فقيه، محدث، توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر: السير (١٦/ ٥٢٩)، الشذرات (٢/ ١٢٢).

الله ﷺ وسيد من ساداتهم، يقطع رحمه ويهجر حميمه حين عارضه في حديث رسول الله ﷺ، وحلف أيضاً على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما في صلة الأقرين وقطيعة الأهلين، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء... يظعنون عن أوطانهم وينتقلون عن بلدانهم، ويظهرون الهجرة لإخوانهم، لأجل من عارض حديث رسول الله ﷺ وتوقف عن استماع سنته، فيا ليت شعري كيف حالنا عند الله عزّ وجلّ ونحن نلقي أهل الزيغ في صباحنا والمساء؟! يستهزئون بآيات الله، ويعاندون سنة رسول الله ﷺ حائدين عنها، وملحدين فيها، سلمنا الله وإياكم من الزيغ والزلل<sup>(١)</sup>.

إن هذا التحذير من البدعة والهلاك الذي يحيط بصاحبها ليس فقط لخطورة البدعة على الفرد، بل لخطورتها على الأمة وتقويضها لأركان الدين، ولقد أدرك أعداء الدين خطورة البدع، وأهميتها في تفريق الجماعة المسلمة، وزعزعة العقيدة الإسلامية التي توحد المسلمين وتجمعهم، فعملوا على إشعال البدع بين المسلمين، ومساندتها ورعايتها، فما خرجت السبئية إلا من أحضان اليهودية<sup>(٢)</sup>، وما ضلّ جهم بين صفوان إلا بعد منا قشته للسمنية<sup>(٣)</sup>.

وما المعتزلة ومناهجهم الكلامية إلا من أثر الفلسفة اليونانية. وما زال أعداء الإسلام يواصلون طريقهم في محاولات جادة لإضلال المسلمين وصدّهم عن دينهم، بالتشكيك في السنة النبوية والطعن في شخصية الرسول ﷺ وإثارة الشبهات حولها<sup>(٤)</sup>.

(١) الإبانة (١/ ٢٥٩) تحقيق رضا نعيان.

(٢) انظر الباب الثاني، الفصل الثالث فيه مزيد بيان عن السبئية (٣٤٥، ٣٥١).

(٣) السمنية: قوم في الهند دهريون ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٥).

(٤) انظر صراع الغرب مع الإسلام، لأصف حسين، ترجمة مازن مطبقاني (٩٢، ١١٥).

وما يقوم به المستشرقون من العمل على إخراج كتب أهل البدع وتحقيقها ونشرها بدعوى إحياء التراث الإسلامي، وما نشرت كتب الفلسفة وكتب أهل الاعتزال إلا تحت مسمى حرية الفكر والعقل المزعومة؟!.

ويتكلم د. حسن عزوزي - رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس، يتحدث عن مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي، ويذكر أهم عناصر التغريب والتشويه التي يوظفها الخطاب الاستشراقي في دراسة الفكر الإسلامي، والتي ذكر منها:

التركيز على أهمية دراسة الفرق الباطنية، إذ نجد معظم المستشرقين المهتمين بمجالات الأفكار في الإسلام، وحقول المعرفة الصوفية، يؤكدون خصوصية الاتجاهات الباطنية وحركات الملاحدة والقرامطة في الإسلام، والاهتمام بالشخصيات القلقة والغامضة في الإسلام كالحلاج وابن الراوندي وإخوان الصفا وغيرهم.

فالمستشرق الفرنسي لويس ماسينون "قصر حياته كلها على دراسة حياة الحلاج وفكره الصوفي، وألف كتاباً من أربع مجلدات كبيرة عن ذلك. وأنجز المستشرق هنري كوريان مشروعاً فكرياً ضخماً تجسد بالخصوص في الاهتمام بالفكر الشيعي.

يقول د/ حسن عزوزي: "إن التعاطف الاستشراقي مع المذاهب الصوفية المنحرفة، والرفع من شأن الشخصيات القلقة في الإسلام؛ يهدف إلى زعزعة أسس الفكر الإسلامي الأصيل، والانحراف بالمسار السليم للتفكير الإسلامي التاريخي نحو متاهات الفلسفات المضللة، ومسائل الاتحاد والحلول المتطرفة، وهم في تمجيدهم للتصوف يرجون من ذلك صرف المسلمين عن الجهاد في سبيل الله..."<sup>(١)</sup>.

(١) انظر مقال "مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي"، ج ٢، للدكتور حسن عزوزي، رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس - رقم العدد (٤٥١) الشهر (٥)، السنة (٢٠٠٣).

أخيراً، إنه لا حياة للمسلمين ولا قوة لهم ولا نصر إلا باتباعهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يقتدوا بالصحابة ؓ في موقفهم منهما تسليماً وانقياداً واتباعاً، وعلى المسلم أن يوقن أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، فهذا يدحر كل بدعة، يقول الإمام ابن القيم: فإن السنة بالذات تمحق البدعة، ولا تقوم لها، وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة، وأزالت ظلمة كل ضلالة؛ إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس. ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة إلا المتابعة، والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله بالاستعانة والإخلاص، وصدق اللجأ إلى الله، والهجرة إلى رسوله بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة، والله المستعان<sup>(١)</sup>.

= وانظر في ذلك: المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي (١٩/ ٨٧، ١٣٥)، الإسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين (١٢٥، ١٤٦).

(١) تهذيب مدارج السالكين (٩٠٢)، وانظر الرسالة التبوكية لابن القيم (٥٢).

## المبحث الثالث

## تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ﷺ

علمنا كيف أن البدعة من أعظم الأسباب التي فرقت المسلمين، وأن المبتدعة لجهلهم ردوا نصوص الكتاب والسنة وحرفوها بتأويلاتهم، وما ذلك إلا لأنهم خالفوا أهل السنة والجماعة المسلمين لنصوص الوحيين، المقدمين لهما على كل قول ورأي.

خالفوهم في منهج التلقي فقدموا الرأي على قول الله وقول رسوله، وأي نص يخالفهم إما تأولوا معناه تحريفاً، أو ردوه تعنتاً وجهلاً بأعدار واهية وحجج سقيمة، ويبين ابن أبي العز الحنفي طريقة أهل الشقاق والفرقة، ومنهجهم في تلقي النصوص، فيقول إنهم قالوا: "بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد. فالتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تنفيذ اليقين!! وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات!.

قالوا: والآحاد لا تنفيذ العلم ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق: ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ حَسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي مَخْرَجٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٥٧﴾ (النور ٤٠-٣٩)

ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص...!. أما عن طريقة تعاملهم مع النصوص فيقول: "بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته"<sup>(١)</sup>، وما ظنه معقولاً، فما وافقه قال إنه محكم وقبله واحتج به!! وما خالفه قال إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تفويضاً!! أو حرّفه وسمى تحريفه تأويلاً!! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم.

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول ولا قول فلان"<sup>(٢)</sup> فهذه هي طريقة أهل البدع في تلقي النصوص وهم كما وصفهم الفاروق عمر رضي الله عنه أنهم أعداء السنن، وبين رضي الله عنه سبب هذا العداء بين أهل الفرقة والبدعة وبين السنة فيقول: "أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم"<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى: "أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا"<sup>(٤)</sup>.

لذلك اشتد نكير أهل السنة - كما قال ابن أبي العز - على أصحاب الرأي لهذا المنهج السقيم الذي يهدم الدين، ويفرق المسلمين، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مبيناً خطورة تقديم الرأي على النص: "لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشد مما كان

(١) انظر كيف قلبوا المسألة إذ المفترض عرض البدعة على النص لا العكس!؟

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٩٨ - ٥٠٠)، وانظر: الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٧٨، ٣٢، ٣٧)، التسعينية لابن تيمية (٢/ ٦٣١).

(٣) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٥٥) وقال عن هذه الآثار وغيرها وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة.

(٤) المرجع السابق.



قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماءكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قوم يفتون برأيهم" وفي لفظ آخر: "وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها، ولكن بذهاب العلماء ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه"<sup>(١)</sup>.

ويحذر سهل بن حنيف<sup>(٢)</sup> من تقديم الرأي على النص فيقول: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته"<sup>(٣)</sup>.

وعن عروة بن الزبير<sup>(٤)</sup> قال: "إن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، فأخذوهم بالرأي فضلّوا وأضلّوا"<sup>(٥)</sup>. يقول الإمام إسماعيل الأصبهاني<sup>(٦)</sup>: "فهذا يدل على أن هذا التباين والفرقة إنما حدثت من المسائل المحدثّة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا"<sup>(٧)</sup>.

- (١) فتح الباري (١٣ / ٢١)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١٠٤٤).
- (٢) هو: سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، صحابي جليل من السابقين، شهد المشاهد كلها، شهد صفين مع علي بن أبي طالب، توفي بالكوفة عام ٣٨هـ. انظر: الإصابة (٣ / ١٣٩)، السير (٢ / ٣٢٥).
- (٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (١٣ / ٢٨٢ فتح).
- (٤) هو: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالماً صالحاً، لم يدخل في شيء من الفتن، مات في المدينة عام ٩٣هـ. انظر الوفيات (٣ / ٢٥٥)، السير (٤ / ٤٢١).
- (٥) ذم الكلام للهروي (١ / ٣٥٥).
- (٦) هو: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني يلقب بقوام السنة، من أعلام الحفاظ ومن الأئمة في التفسير والحديث واللغة، توفي عام ٥٣٥هـ. انظر: الشذرات (٤ / ١٠٥)، الأعلام (١ / ٣٢٢).
- (٧) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٢٤٢).

ويبين الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة<sup>(١)</sup> أن منهج أهل السنة المقدم لنصوص الوحي على كل قول هو الذي يجمع المسلمين، بخلاف منهج أهل الرأي والكلام، المقدم لهما على قول الله وقول رسوله فيقول: "ولو أردنا - رحمك الله - أن نتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم، لخرجنا من اجتماع إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن انس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف، لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون ... لا يختلفون في هذه الأصول"<sup>(٢)</sup>.

وتقدم في المبحث السابق كيف أنكر الصحابة الكرام على من ردّ حديث رسول الله ﷺ وعارضه برأيه، إذ الأمر من الله بالتسليم لقول الله وقول رسوله، والنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والنهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات ١)

ويقول ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن كَحْبَطَ أَعْمَلِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات ٢)

يقول ابن القيم: "فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم"<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي، المروزي، كان ثقة ديناً فاضلاً قليل الرواية، كثير التصانيف، توفي عام ٢٧٦هـ. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٣)، الوفيات (٤٢/ ٣).

(٢) تأويل مختلف الحديث (٦٤).

(٣) انظر إعلام الموقعين (١/ ٥١).

ويقول: لذلك لم يكن الصحابة ﷺ يعارضون نصوص الوحي بالرأي، بل كانت النصوص أجلّ في صدورهم وأعظم في قلوبهم من أن يعارضوها بقول أحد من الناس، ولكنهم كانوا يستشكلون بعض النصوص ويوردون استشكالاتهم على النبي ﷺ فيجيبهم عليها، وكانوا يسألونه عن الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض، ولم يكن أحد منهم يورد عليه معقولاً يعارض النصّ ألبتة، ولا عرف فيهم أحد - وهم أكمل الأمة عقولاً - عارض نصاً بعقله<sup>(١)</sup>.

يقول علي بن أبي طالب ﷺ: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه<sup>(٢)</sup>.

لذلك كان منهج الصحابة ﷺ في الفتيا أنه إذا عرضت لأحدهم مسألة وسُئل عنها نظر فإن كانت في الكتاب والسنة قضى، وإن لم يجد فيها قولاً سأل من هو أعلم منه هل عندك علم من كتاب أو سنة، فإن لم يجد جمع أهل العلم واستشارهم فإن اجتمع رأيهم على شيء قضى به<sup>(٣)</sup>.

وهذا الرأي الذي يصير إليه الصحابة عند عدم وجود النص هو من الرأي المباح، إذ الرأي على ثلاثة أقسام<sup>(٤)</sup>:

١. القسم الأول: رأي يعين على فهم الكتاب والسنة، ورد الأصول إلى الفروع وإلحاق النظر بنظيره، وهذا هو الرأي الصحيح الحق الذي لا مندوحة عنه لأحد من المجتهدين.

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله (١٣٦-١٣٩) باختصار وتصرف.

(٢) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٥٨).

(٣) انظر إعلام الموقعين (١/ ٥٦) وكانت هذه طريقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، انظر: إعلام الموقعين (١/ ٦٢). وانظر جامع بيان العلم (٢/ ٨٤٧).

(٤) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٥٣-٦٦-٨٥) إذ بسط ابن القيم الحديث عنها.

ولقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يوصيه ويقول: "أعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور"<sup>(١)</sup>.

٢. القسم الثاني: الرأي الذي يصار إليه إذا تعذر أن يجد حكماً للواقعة في الكتاب وفي السنة، ولم يقل به أحد من الصحابة، فحينها يجتهد العالم رأيه<sup>(٢)</sup>. وهذا النوع هو موضع الاشتباه، والذي سوَّغ الصحابة العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بُد، وهذا الرأي لا نعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته لهما، فغايته أنه يسوغ العمل به عند الحاجة إليه من غير إلزام للعمل به، ولا إنكار على من خالفه.

لقي عمر بن الخطاب رجلاً فقال له: "ما صنعت؟ قال: قضى علي وزيد بكذا، فقال: لو كنت أنا لقضيت بكذا. قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك. فلم ينقض ما قال علي وزيد"<sup>(٣)</sup>.

فهذا هو المنهج، وهذا هو الأدب واحترام الرأي الآخر إن كان رأياً بشرياً مشتركاً، لا يعارض نصاً شرعياً، فيحترم هذا الرأي ولا يسفه، ولا يحقر قائله أو ينقص منه، وإن كان مخالف. لذلك لم يكن الصحابة يصوبون آرائهم ويقطعون بأنها الحق<sup>(٤)</sup>، فهذا أبو هريرة إذا قال في شيء برأيه قال: "هذه من كيبي"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر إعلام الموقعين (١/٦٣)، (١/٤٧)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (١/٧٨٢).

(٢) انظر إعلام الموقعين (١/٧٩-٨٥) بتصرف واختصار.

(٣) انظر إعلام الموقعين (١/٦٥).

(٤) انظر إعلام الموقعين (١/٥٤).

(٥) انظر إعلام الموقعين (١/٦٤).

وكان ابن عمر إذا لم يجد في الأمر يُسأل عنه شيئاً قال: "إن شئتم أخبرتكم بالظن"<sup>(١)</sup>. ويقول عبد الله بن مسعود في مسألة المفوضة<sup>(٢)</sup>: "أقول فيها برأبي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه"<sup>(٣)</sup>.

أما إن كان الرأي يخالف نصاً من كتاب أو سنة فلا هوادة في دين الله، ولا حرية لهذا الرأي، بل هو رأي مذموم مردود، والمعول والمقدم هو قول الله وقول رسوله وهو الحق.

٣- القسم الثالث من أقسام الرأي: الرأي المذموم، وهو باطل بلا ريب، وليس من الدين، وهو ما جاءت النصوص بدمه والنهي عنه، وهو ما عابه السلف، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وهو أنواع وعلى درجات منها:

أ- الرأي المخالف للنص وهو أعظمها جرماً، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد<sup>(٤)</sup>.

ب- الكلام في الدين بالخرص والظن، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها، واستنباط الأحكام منها<sup>(٥)</sup>.

ج- الرأي المبتدع وهو البدع المخالفة للسنن، لأن أصحابها استعملوا قياسهم وآرائهم في رد الأحاديث لحجج واهية أو شبهات مردودة، أو تأويل لا يعرفه

(١) انظر إعلام الموقعين (١/ ٥٩).

(٢) التفويض في النكاح: التزويج بلا مهر.

(٣) انظر إعلام الموقعين (١/ ٥٧).

(٤) انظر إعلام الموقعين (١/ ٦٧).

(٥) انظر إعلام الموقعين (١/ ٦٨)، وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٠٣٩).

اللسان ولا أهل الأثر<sup>(١)</sup>. فحرفوا لأجلها النصوص عن مواضعها، وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد... فملؤا به الأوراق سواداً والقلوب شكوكاً والعالم فساداً... فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدي، وأحيي بها من ضلالة؟! وكم هدم بها من معقل الإيمان وعمر بها من دين الشيطان؟!<sup>(٢)</sup>.

د- من الرأي المذموم: الاشتغال بحفظ العضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردها على أصولها، والنظر في عللها واعتبارها، أو استعمال فيها الرأي قبل أن تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع<sup>(٣)</sup>. إن مما أثر على إدخال الرأي المذموم إلى المجتمع المسلم: اختلاطهم بأبناء الأديان المجاورة، كما كان لترجمة كتب اليونان أثر كبير في أعمال الرأي المذموم، وتجربة بعض المسلمين على تقديم الرأي على النص، أو رد النصوص وتحريفها تحت مسمى: الرأي والعقل<sup>(٤)</sup>.

وما زال أعداء الدين يحاولون تفريق الأمة، وإضعاف تمسك المسلمين بدينهم، وإبعادهم عن سبيل سعادتهم: القرآن والسنة، وتجريتهم وتشجيعهم على عدم التسليم والانقياد لنصوص الشرع، تحت دعاوى زائفة وشعارات تافهة من القول بجرية الفكر، وتحرير العقل من الجمود، أو التخلص من الرجعية، وذم التقليد: وهم يقصدون بذلك كله: ذم الاتباع لقول الله وقول رسوله ﷺ، وذم التسليم والطاعة لحكم الشريعة.

(١) انظر جامع بيان العلم (١٠٥٢/٢) بتصرف واختصار.

(٢) انظر إعلام الموقعين (٦٨/١) باختصار.

(٣) انظر جامع بيان العلم (١٠٥٤/٢)، وانظر في الرأي المذموم فتح الباري (٢٨٧/١٣)، الاعتصام للشاطبي (٨٠).

(٤) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاري (١/٩-١١)، المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي (١٩).

إن ما يدعونه من المطالبة بجرية الفكر والرأي، حقيقته كفر بالله تعالى وردة عن هذا الدين العظيم، إنها ليست حرية للفكر بل حرية للكفر بالله<sup>(١)</sup>.

والمنهج في ذلك ما قاله الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٥٦)

وكما قال ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الشهف ٢٩)

لكن أن يختبئ المنافقون تحت شعار الحريات ليفسدوا على المسلمين دينهم، ويثيروا الشبهات في النفوس، ويكونوا دعاة على أبواب جهنم، فهذا مرفوض ومردود.

إذاً: القضية ليست قضية الرأي المفتوح، أو الرأي المغلق الجامد، أو مسألة قبول الرأي الآخر أو محاولة استيعاب المخالف، إنما هي مسألة إيمان وتسليم، أو كفر وجحود، يقول الإمام محمد الزهري<sup>(٢)</sup> رحمه الله: "من الله عز وجل الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم"<sup>(٣)</sup>. ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا تثبت

(١) انظر كتاب "حرية الفكر أم حرية الكفر" لعبد العزيز سعيد الزهراني، الإسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين (٢٢-٣٤).

(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، تابعي من أكابر الحفاظ والفقهاء، وهو أول من دوّن الحديث. توفي عام ١٢٤ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٤٥)، الوفيات (٤/ ١٧٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة ٦٧).

(١٣/ ٥٠٣ - فتح).

قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه<sup>(١)</sup>.

ويكفينا بياناً لبطلان منهج أهل الفرقة والشقاق، أهل البدع من تقديم الرأي والعقل على قول الله وقول رسوله ﷺ حالهم من تعدد آرائهم وتناقضها، واختلافهم فيما بينهم وعلى أنفسهم، يقول مطرف بن الشخير<sup>(٢)</sup>: "لو كانت الأهواء كلها واحدة لقال القائل: لعل الحق فيه، فلما تشعبت وتفرقت عرف كل ذي عقل أن الحق لا يتفرق"<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام إسماعيل الأصبهاني مبيناً سبب اختلاف أهل البدع وتفرقهم هو بسبب منهجهم واعتمادهم على آرائهم، فيقول: "وما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، أنهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، وغط واحد يجرون فيه على طريقة لا يجيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

(النساء ٨٢)

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١ / ٢٣١).

(٢) هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله الحرشي العامري. الإمام القدوة، الحجة، الفقيه العابد من كبار التابعين، توفي سنة ٨٦هـ بالبصرة. انظر: السير (٤ / ١٨٧)، والشذرات (١ / ١١٠).

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ٩٢١).



وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير، تراهم أبدأً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الشمس: ١٤)

وهل على الباطل دليل أظهر من هذا؟ قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، فأورثهم الاتفاق والائتلاف. وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، إذ دلائل العقل قلما تتفق، بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر<sup>(١)</sup>.

ختاماً، ينبغي أن نتذكر دائماً قوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)

(١) انظر الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩-٢٤١) باختصار وتصرف.

## المبحث الرابع

## الجدل والخصومات في الدين، والتأويل الفاسد

لما كان تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ﷺ يؤدي إلى اختلاف الأقوال، وكل واحد من المختلفين من المبتدعة مقتنع برأيه معجب به، يرى الحق فيه دون غيره، لذلك يسعى جاهداً لإثباته وإبطال رأي خصمه، فأدى ذلك إلى تنازع أهل البدعة والفرقة، وإلى جدل فيما بينهم حول أمور دينهم، وأدى بهم إلى تأويل النصوص تأويلاً يوافق ما يذهبون إليه، دون نظر إلى دلائل الدليل فمزق الدين شر مزق وعمت الفرقة الأمة الإسلامية.

إن من العثرات التي وقع فيها أهل الفرقة والشقاق، ومن الثمرات المرة التي جنوها:

أ- ما وقعوا فيه من جدل وخصومات في الدين.

ب- ما جنوه من التأويل الفاسد للنصوص. وإليك تفصيل ذلك:

أ- الجدل والخصومات في الدين: الجدل<sup>(١)</sup> المنهي عنه هو الكلام فيما لم يؤذن في الكلام فيه، كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما، وكمتشابهات القرآن، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: {تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ

(١) السجل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره. انظر الكليات للكفوي (٣٥٣)، التعريفات للجرجاني (٧٨).

رَبَّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ (ال عمران ٧) . قال رسول الله ﷺ: { فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم }<sup>(١)</sup> (٢) . وفي رواية أخرى { فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو به فهم الذين عنى الله تعالى فاحذروهم }<sup>(٣)</sup> .

ويبين أبو إمامة الباهلي<sup>(٤)</sup> أن: المراد بقوله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ . فيقول: الخوارج وأهل البدع<sup>(٥)</sup> .

ولقد جاء القرآن الكريم ذاماً لأهل البدع أصحاب الفرقة المتبعين للمتشابه، الذين يجادلون فيه بغير علم ولا هدى، بل يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله<sup>(٦)</sup> .

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴿ (غافر ٥٦) ﴾

وفي آية أخرى يذم الله ﷻ حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل، الذين يتركون ما أنزل الله على رسوله، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء<sup>(٧)</sup> يقول الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ (الحج ٣)

- (١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات (٨/ ٢٠٩ فتح)، صحيح مسلم كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦/ ٢١٦ نوي).
- (٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٣٨٠).
- (٣) كتاب الشريعة للأجري (١٠/ ٤٧٩).
- (٤) هو: صدى بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو إمامة صحابي، كان مع علي في صفين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام عام ٨١هـ.
- (٥) انظر الاستيعاب (٤/ ٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٠).
- (٦) انظر الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٩٤) تحقيق رضا نعيان معطي، تفسير الطبري (٣/ ١٢١).
- (٧) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٨٦).
- (٨) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٠).

فهذا حال الضلال الجهال المقلدين، أما الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع، فقد ذمهم الله وعابهم بأنهم يجادلون ويصدون عن الحق، ويضلون الناس بلا عقل صحيح ولا نقل صريح بل بمجرد الرأي والهوى <sup>(١)</sup>، يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي آلِهَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۗ ثَانِي عَظِيمٍ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۗ﴾ (الحج ١٠-٨)

وهذا الصنف من الناس من أبغض الناس إلى الله تعالى كما في الحديث: {إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم} <sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل} ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْرُهُو مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف ٥٨) <sup>(٣)</sup>.

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل" <sup>(٤)</sup>.

وصدق رحمه الله فهذا حال أهل البدع والأهواء من كثرة تنقلهم من قول إلى آخر، والمتصفح للكتب المصنفة في الفرق يجد فيها من شناعة قول القوم وجرأتهم

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٣)، كتاب الشريعة (١/ ٤٣٤)، الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٧-٢٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله وهو ألد الخصام (٨/ ١٨٨ فتح)، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦/ ٢١٩ نووي). والألد الخصم: الرجل شديد الخصومة الحاذق بها كلما احتج عليه بحجة أخذ جانب آخر، والمذموم هنا الخصومة بالباطل. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ٢١٩).

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الزخرف (٥/ ٣٧٨) وقال عنه حديث حسن صحيح، كتاب الشريعة للأجري (١/ ٤٣٠).

(٤) كتاب الشريعة (١/ ٤٣٧).

على القول في الله، وعلى الله، وفي دين الله الشيء الكثير، ويلحظ القارئ مدى اختلافهم وتفرقهم فيما بينهم، وفي معتقدهم ودينهم وكأن لكل فرقة رباً تصفه، وديناً تنتحله، وما اختلفوا إلا لتقديمهم لأرائهم السقيمة المختلفة على قول الله وقول رسوله ﷺ، ولكثرة ما يقع بينهم من جدل وخصومة، وما يؤدي إليه من تأويلات فاسدة تزيد الدين تمزيقاً والأمة تفريقاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)</sup>.

### تسيهات:

١- إن النهي عن المجادلة والخصومة في الدين ليس نهياً عن مطلق النظر والاحتجاج والمناظرة. فالمراد بالنهي: الخصومة بالباطل وبغير علم ولا سلطان من قول الله تعالى، وقول رسوله ﷺ، فالمنظر والمجادل بالباطل ليس معه نقل صحيح ولا عقل صريح، فهذه مناظرة ومجادلة مذمومة، تدخل الريب والشك في نفس صاحبها وفي نفوس السامعين. أما مطلق المجادلة والمناظرة إن كان بعلم فهي مشروعة مطلوبة للدعوة إلى دين الله تعالى، وإلحاق الحق وإبطال الباطل، وتكون من المؤمن العالم بقول الله وقول رسوله ﷺ مع كل أصناف المخالفين من كافرين مشركين وثنيين أو أهل كتاب، ومع أهل البدع، وتكون مع المسلم الذي اشتبه عليه الأمر ويطلب الاستهداء والبيان<sup>(٢)</sup>.

٢- يخطئ من يناظر المخالف دون تحديد لأصل يرجع إليه ويحتكم عنده عند الاختلاف، فمناظرة تجري دون ذلك هي محاصمة ومعاودة وصراخ؛ كما هو حاصل في كثير من وسائل الإعلام والتي لا تعدو مناظراتها غالباً إلا تشويشاً على العامة وتلبيساً وتدليساً، لأنها مجادلة بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

(١) انظر خلق أفعال العباد للبخاري (٦٧)، الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٣٥).

(٢) انظر كتاب النبوات لابن تيمية (٢ / ٦١٩-٦٢١) بتصرف. ولقد أخبر الله عز وجل عن مجادلة

الأنبياء لأقوامهم كما في سورة [هود: ٣٢]، [الأنعام: ٨٠-٨٣]، [النحل: ١٢٥].

٣- إن العلماء كرهوا مناظرة ومجادلة من يريد المناظرة فقط دون طلب منه للحق، أو طلب لاتباعه، فمن كان هذا قصده تُرك ولم يخاطب ولم يجادل، بل يسكت عنه<sup>(١)</sup>.

٤- إن مما نهى عنه أن تكون المناظرة بين طرفين: القصد منها المغالبة والاستظهار بالحجة، وكل منهما يتمنى خطأ صاحبه وغلبة نفسه عليه، دون طلب منهما للحق حتى يتبع، أو بغية للفائدة<sup>(٢)</sup> أو مناصحة للأمة، هنا: السكوت أسلم<sup>(٣)</sup>.

٥- ليس كل بدعة يرد عليها ويجادل صاحبها، فربما كانت البدعة خفية، وصاحبها مغمور غير مشهور، فهذا يترك هو وبدعته إذا لم يدعُ إليها، لأن في الرد على البدعة وفي مجادلة صاحبها نشر لها وإعلان وتنبية للعامة، فقمع مثل هذه البدع يكون بالسكوت عنها وتجاهلها<sup>(٤)</sup>، لذلك يخطئ من يستخرج مذاهب باطلة قديمة، وبدع ميتة، أو ليست رائجة في عصره أو بلده، فيخرجها للعامة ليرد عليها، فهو في الحقيقة لم يقمعها برده، بل أحيائها ونشرها بفعله. فالبدعة التي ترد ويجادل وينظر أصحابها هي البدعة المنتشرة في زمانه ومكانه.

٦- ينبغي على العلماء وولاة الأمر مجاهدة أصحاب البدع باللسان والسنان، وأن تكون حجة العلماء وسلطانهم وبرهانهم صحيح النقل وصريح العقل ليقطعوا دابر هذه البدعة<sup>(٥)</sup>، ويجلوا هذه الشبهة. يقول ابن تيمية رحمه الله: "فكل من لم يناظر

(١) انظر كتاب الشريعة (١/ ٤٥١) بتصرف.

(٢) انظر كتاب الشريعة (١/ ٤٦٢) بتصرف.

(٣) انظر كتاب الشريعة (١/ ٤٦٤).

(٤) ولا يعني ذلك عدم نصح المبتدع بل ينصح ويبين له الحق لكن لا يجادل علناً عند الناس.

(٥) انظر الشريعة (١/ ٤٥٤)، (٥/ ٢٥٤)، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة

(٤٧)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٥٤٢).

أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرههم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين<sup>(١)</sup>.

٧- إن المجادلة والمناظرة لأهل الباطل لا تكون إلا من العلماء العالمين ذوي الحججة، أما عامة الناس فينبغي عليهم اعتزال مجالس أهل البدع وعدم الدخول في مناظرتهم أو مجادلتهم لأنه ليس معه من العلم ما يحصنه ويصونه من شبهات الباطل، فقد يدخل في نفسه شيء من هذه الأهواء والبدع<sup>(٢)</sup>.

٨- أخيراً: ينبغي أن نتنبه إلى ما يحكيه أعداء الدين من محاولات لنشر الجدل والخصومة بين المسلمين في أمور دينهم، وليس هذا بغريب إذ كانت اليهود في عهد الرسول ﷺ تأتي بالأمور المشتبهات تجادل بها رسول الله ﷺ وتثير الشبه في نفوس المسلمين، كسؤالهم عن الأحرف المقطعة في القرآن وتأويلهم لها التأويل الفاسد حتى نزل قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران ٧)<sup>(٣)</sup>.

وهناك صنف خطير عاضد اليهود في نشر بذور الشبهات، والجدل في هذا الدين القويم، وهو بذلك يسعى لتفريق المسلمين: إنهم المنافقون الذين ما فتئوا يجادلون في دين الله بالباطل وينشرون هذه البذور كما حكى القرآن عنهم يوم أحد قولهم: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ (آل عمران ١٥٤)

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٥٧).

(٢) انظر كتاب الشريعة (١/ ٤٣٦)، (٥/ ٢٥٤٠) الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٣٨). وما تقدم في الفصل الأول، المبحث الثاني، عن اعتزال مجالس البدع (٧٩).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٢١)، فتح الباري (٨/ ٢١١).

وقولهم: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (ال عمران ١٥٦) . فصارت هذه الاعتراضات والمجادلات كالبذور ظهرت منها الشبهات كالزروع<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على كل ناظر وسامع ما لكثير من وسائل الإعلام الموجودة الآن من دور في إثارة الشبهات والجدل والخصومات، وتضخيم المسائل، وتعميم المشاكل، أو افتعالها للطعن في الإسلام، وحتى يدخل في نفس العامة أن الحل للعيش بأمان وسعادة هو في تحلي المسلم عن دينه، أو تهاونه وتنازله عن بعض أمر ربه، فالله المستعان.

ب- التأويل الفاسد<sup>(٢)</sup>: التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد<sup>(٣)</sup>، وهو صرف اللفظ عن ظاهره<sup>(٤)</sup>، أو هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح<sup>(٥)</sup>، وهذا التأويل هو الذي يتنازع فيه الناس في كثير من الأمور الخبرية والطلبية.

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٨ - ٢٩) بتصرف.

(٢) التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. والكلام نوعان: إما خبر وإما طلب، فتأويل الخبر هو عين المخبر به. فتأويل ما أخبر الله به من صفاته العلى وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه وما هو موصوف به من الصفات العلى. والخبر عن الله أو عن اليوم الآخر نعلم منه معناه، أما حقيقته التي هي كيفيته فلا يعلمها إلا الله تعالى. أما تأويل الأمر (الطلب): هو نفس الفعل المأمور به كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يتأول القرآن. والتأويل في كلام كثير من المفسرين من أهل الحديث والفقه، بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه، وهذا التأويل يرجع إلى فهم المؤمن ويحصل في الذهن، وهذا التفسير والتأويل يمد حقه ويرد باطله. انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥٢)، مختصر الصواعق المرسله (٧-١٢).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥٥ - ٢٥٦)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤-٢٠) باختصار وتصرف.

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسله (١٢).

(٥) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٤).



واعلم أن من مناهج أهل البدعة والفرقة رد النصوص بالتأويل الفاسد كما قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران ٧)

يقول الإمام الطبري رحمه الله: "فمعنى الكلام: فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيث عنه، فيتبعون من أي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، وتصرفت معانيه، بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق، تلبساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه"<sup>(١)</sup>.

ثم يقول عن المراد بهؤلاء: "إنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها تأويلاً منه بعض متشابه أي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات.. كائناً من كان وأي أصناف البدعة كان"<sup>(٢)</sup>.

ويرد ابن أبي العز الحنفي على هؤلاء المحرفين لنصوص الكتاب والسنة بادعاء التأويل، ويبين ضرره على الدين، وتفريقه للأمة فيقول: "والحق: أن ما دلّ عليه القرآن فهو حق، وما كان باطلاً لم يدل عليه، والمنازعون يدعون دلالته على الباطل الذي يتعين صرفه!".

فيقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه قد فتح عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين لا تقدرّون على سدّه، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالاته المفهومة بغير دليل شرعي، فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟! فإن قلت:

(١) انظر تفسير الطبري (٣/ ١١٨-١٢٠) باختصار وتصرف، وانظر تفسير القرطبي (٤/ ١١).

(٢) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٢١).

ما دلّ القاطع العقلي على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟! فإن القرمطي الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع! ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد! ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى!! وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام. ويلزم حينئذ محذوران عظيمان:

أحدهما: أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحت قبل ذلك بجهلاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدعون أن العقل يدلّ على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة.

المحذور الثاني: أن القلوب تنحلّ عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ به العباد... ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دلّ عليه، وإن خالفته أولوه! وهذا فتح باب الزندقة والانحلال نسأل الله العافية<sup>(١)</sup>.

وللتأويل الباطل أنواع عدة<sup>(٢)</sup>، والمتأولون أصناف متعددون بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب قصور أفهامهم ووفورها، وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشد انحرافاً<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥٧) باختصار يسير، وانظر مختصر الصواعق المرسلة (١٨- ٨٢) حيث عد التأويل الفاسد الطاغوت الأول الذي تولى كسره وبيان فساده، وانظر درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤-٢٠).

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة (١٣).

(٣) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ٢٥٠).

وبين ابن قيم الجوزية خطورة التأويل وجنابته على الإسلام، وتفريقه للأمة فقال: "فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دلّ عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ وهل افتراق أهل الكتابين، وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل؟! وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً، وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل؟ وما الذي سفك دم علي عليه السلام وابنه الحسين وأهل بيته غير التأويل؟ وما الذي أراق دماء المسلمين وسادتهم في الفتن غير التأويل؟ وما الذي جرد الإمام أحمد بين العقابين وضرب السياط حتى عجت الخليفة إلى ربها تعالى غير التأويل؟ وما الذي خلد خلقاً من العلماء في السجون حتى ماتوا غير التأويل؟".

وهل دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية إلا من باب التأويل؟ فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل<sup>(١)</sup>.

وللمرء أن يتساءل: إن كان التأويل الفاسد بهذه الخطورة، وبهذه الشناعة! كيف راج على كثير من المسلمين وقبلوه؟!

يجيب العلامة ابن القيم على ذلك ويبين أن من أسباب ذلك:

١- أن يأتي التأويل الفاسد مموهاً بزخرف من القول، مكسواً حلّة الفصاحة ورشيق العبارة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

(١) انظر إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٠ - ٢٥٢) باختصار وتصرف، والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من فرق غلاة الشيعة، انظر: الباب الثاني، الفصل الثالث، المبحث الأول عن غلاة الشيعة (٣٤٥).

بَعْضِ زُخْرَفِ الْقَوْلِ غُرُورًا ۖ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

(الأقسام ١١٢)

٢- أن يخرج المعنى الذي يريد إبطاله (وهو القول الحق) في صورة مستهجنة تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسماع، فيسمى عدم الانبساط إلى الفساق: سوء خلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة وشرّاً وفضولاً. ويسمون إثبات الصفات لكمال الله تعالى تجسيماً وتشبيهاً وتمثيلاً... كما أنهم اخترعوا لأهل السنة لقباً قبيحة وسموهم حشوية، ومجبرة ومجسمة، ومشبهة، ولعنوهم وبدوهم بل وكفروهم... فلما وضعوا لهذه المعاني الصحيحة تلك الألفاظ المستكرهة تم لهم تعطيلها ونفيها على ما أرادوا<sup>(١)</sup>. وقبلها ضعاف العقول قليلو العلم والتميز... وما يزال منهج أهل البدع والفرقة واحداً من العمل على الصد عن الحق وترويج الباطل، والتشنيع على أهل السنة والجماعة بما يروج الآن من القول عن عقيدة السلف بأنها عقيدة وهابية، أو أنهم متشددون، أو مقلدون، رجعيون، أصوليون... أو إرهابيون... أو غير ذلك من الألفاظ المستهجنة الشنيعة والقصد منها صرف الناس عن الحق إلى الباطل فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- ومن أساليبهم في ترويج التأويل الباطل: أن يعزو المتأول تأويله إلى جليل القدر، نبيل الذكر من العقلاء أو من آل بيت النبي ﷺ، أو من حصل له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق، ليحليه بذلك في قلوب الجهال. فإنه من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم، حتى أنهم ليقدمون كلامه على كلام الله ورسوله، ويقولون هو أعلم بالله منا، وبهذا الطريق توصل الرافضة والباطنية إلى ترويج باطلهم وتأويلاتهم حين أضافوها إلى أهل بيت رسول الله ﷺ لما علموا أن

(١) انظر مختصر الصواعق المرسله (٥٧-٥٩) باختصار وتصرف.

المسلمين متفقون على محبتهم وتعظيمهم... فلا إله إلا الله كم من زندقة وإلحاد وبدعة قد نفقت في الوجود بسبب ذلك، وهم برآء منها<sup>(١)</sup>.

فانظر أيها المسلم حولك، وتنبّه كيف يُروج الباطل ويُصد عن الحق بهذه الحيل والأساليب، فكن على حذر، ولا يصدتْك عن الحق ما يحاك من الباطل، واسأل الله الثبات.

تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik

أنظر قناة التليغرام

تحميل كتب و رسائل علمية

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

utan Undangan

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٥٩).

## المبحث الخامس

## الغلو في الدين، وردود الأفعال

لقد جاء الإسلام أمراً بالاعتدال والاقتصاد والوسطية في كل أمر<sup>(١)</sup>، حتى ميّزت هذه الأمة وخصّت بذلك، قال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة ١٤٣)

وقال سبحانه أمراً بالاستقامة والاعتدال، ناهياً عن الغلو والطغيان: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود ١١٢)

وحذرنا رسول الله ﷺ من الغلو ومجازة الحد المشروع لنا، فقال عليه الصلاة والسلام ناهياً عن الغلو، مبيناً أنه سبب هلاك من قبلنا: {اياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين}<sup>(٢)</sup>.

ويبين ﷺ أن هذا المنتع الغالي المتعمق، المجاوز للحد في قوله وفعله<sup>(٣)</sup> هالك لا محالة فيقول: {هلك المنتعون} قالها ثلاثاً<sup>(٤)</sup>.

ويقول ﷺ في شأن أهل الكتاب ناهياً إياهم عن الغلو: ﴿يَتَأْهَلُ الْكُتَّابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقْنَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء ١٧١)

(١) انظر في ذلك الفتاوى (٣/ ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٠-٢٥٢)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ١٣٣).

(٢) سنن النسائي، كتاب المناسك، باب التقاط الحصى (٥/ ٢٧٨)، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٠٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي له (٢/ ٦٤٠).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ٢٢٠).

(٤) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المنتعون (١٦/ ٢٢٠) نووي.

ويقول ﷺ: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

﴿ (السنة ٧٧) ﴾

وبين الإمام الطحاوي اعتدال هذا الدين وبعده عن الغلو فيقول: "ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام... وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس"<sup>(١)</sup>.

والناظر لأقوال الفرق المبتدعة التي فرقت الأمة بذلك يجدها خرجت بسبب الغلو والتقصير، فالمعطلة غلو في التنزيه وقصروا في الإثبات، والمشبهة غلو في الإثبات وقصروا في التنزيه، وكلاهما أخذ ببعض النصوص وترك بعضاً، والحق في الاعتدال والجمع بين النصوص.

أما الخوارج فغلوا في إثبات الأعمال وعدها من الإيمان حتى كفروا المسلمين بمجرد المعصية، وقابلهم المرجئة فغلوا حتى أخرجوا العمل من الإيمان. فكان الغلو في ردود الأفعال سبباً لأن ترد البدعة بدعة والباطل بباطل.

يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة رحمه الله: "ولما رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر، وكثر بينهم التنازع حمل البغض لهم واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلوه، وعارضوا إفراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهم في الجبر"<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن أبي العز الحنفي: "فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في عليّ وأولئك كفروه؟ وأولئك غلوا في الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا في الوعيد حتى نفوا بعض الوعيد

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٨٦)، وانظر مستفيداً كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم محمد باعبد الله (٣٠٣).

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (٢٠)، وانظر (٢٢، ٤٠-٤٢) منه.

أعني المرجئة. وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه، وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم، وغيروه في اللفظ تارة، وفي المعنى أخرى، فلبسوا الحق بالباطل، وكتموا حقاً جاء به نبيهم، فتفرقوا واختلفوا... وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم<sup>(١)</sup>.

من الخطأ إذاً: أن تُرد البدعة ببدعة، وينقض الباطل بباطل مثله، إنما المنهج في الرد على أهل البدع ما ذكره ابن تيمية حيث يقول: كثير من الناس مع أهل البدع الكلامية والعملية بهذه المنزلة: إما أن يوافقوهم على بدعهم الباطلة، وإما أن يقابلوها ببدعة أخرى باطلة، وإما أن يجمعوا بين هذا وهذا، وإنما الحق في أن لا يوافق المبطل على باطل أصلاً، ولا يُدفع باطله بباطل أصلاً، فيلزم المؤمن الحق وهو ما بعث الله به رسوله ﷺ، ولا يخرج منه إلى باطل يخالفه: لا موافقة لمن قاله، ولا معارضة بالباطل لمن قال باطلاً، وكلا الأمرين يستلزم معارضة منصوصات الكتاب والسنة بما يناقض ذلك وإن كان لا يظهر ذلك في بادئ الرأي<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أن ردّ الباطل بباطل، والبدعة ببدعة من طرق استزلال الشيطان لبني آدم فينبغي الحذر منه فيقول: لا يجوز لأحد أن يغير شيئاً من الشريعة لأجل أحد... فإن الشيطان قصده أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم ولا يبالي إلى أي الشقين صاروا، فينبغي أن يجتنب جميع هذه المحدثات<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٩) باختصار.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٩٢) وانظر (١/ ٢٥٤) و(٧/ ٢٨٨).

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٣٣-١٣٤) باختصار.



## المبحث السادس

التعصب المذهبي والطائفي، والتقليد للرجال، وتقديم أقوالهم

على قول الله ورسوله ﷺ

إن من أسباب الفرقة ما يقع فيه بعض المسلمين من الغلو والتعصب في الأشخاص، والتقليد الأعمى لأقوالهم وتقديمها على قول الله وقول رسوله ﷺ، وهذا مما حذرنا الله تعالى منه، وأمرنا أن نعتبر بحال أهل الكتاب الذين غلوا في عيسى عليه السلام، وتعصبوا له ولأتباعه فأدى بهم ذلك إلى انحرافهم عن الصراط المستقيم، يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ (النساء ١٧١)

يقول ابن كثير: فின்றى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصرارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوههم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ (التوبة ٢١)

ويقول عليه السلام مينا سبب ضلال القوم وسبب هذا الغلو: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ

وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ (المائدة: ٧٧) . ومعنى الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية... وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً، وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال<sup>(١)</sup>.

ولقد جاء النهي من رسول الله ﷺ عن المبالغة في المدح والثناء أو رفع الإنسان فوق منزلته، إذ لما جاءه وفد بني عامر قالوا له: أنت سيدنا، فقال: "السيد الله تبارك وتعالى" قالوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: "قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان"<sup>(٢)</sup>.

فانظر كيف خاف عليه الصلاة والسلام من إضلال الشيطان لعباد الله تعالى بالمبالغة في المديح فيدخل الشيطان على المسلمين من باب تعظيم الرجال والتعصب لهم ولأقوالهم؛ وقد فعل.

ولقد عدَّ الإمام الشاطبي رحمه الله: أن التصميم على اتباع العوائد - وهي اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك، وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق - عده من أسباب الاختلاف والفرقة، وهذا هو التقليد المذموم الذي ذم الله عزَّ وجلَّ متبعيه حينما قالوا: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣) ثم قال: ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الزخرف: ٢٤) فنبههم على وجه الدليل الواضح، لكنهم استمسكوا بمجرد تقليد الآباء<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير (٧٨/٢).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في كراهية التماذج (٤/ ٢٥٤).

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٥١).

ويبين عمرو بن العاص رضي الله عنه صورة من صور هذا التقليد المذموم الذي يصد عن اتباع الحق وذلك أن رجلاً قال له: ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك؟ قال عمرو: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم (يعني أباه ومن هم في طبقتهم) وكانوا ممن تُوازي حلومهم الجبال. فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليه، قلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين، فوقع في قلبي الإسلام<sup>(١)</sup>.

إن التقليد والاتباع المحرم المذموم هو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول كائناً من كان المخالف<sup>(٢)</sup>.

وهذا التقليد المذموم والتعصب الأعمى قد جرّ ويلات كثيرة على الأمة المسلمة، وأوجب أنواعاً من الفساد كثيرة<sup>(٣)</sup>، منها: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والاتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن، والهمز، واللمز. ويبعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، ويبعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلح بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والاتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله.

وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها رسوله<sup>(٤)</sup>.

فكل من نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴿٣٢﴾ (الروم ٣٢)<sup>(٥)</sup>.

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال للذهبي (٦٠٦).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (١٩ / ١٤١).

(٣) انظرها مبسوطة في الفتاوى (٢٢ / ٢١٠-٢١٦).

(٤) انظر الفتاوى (٢٢ / ٢١٠-٢١١) باختصار.

(٥) انظر الفتاوى (٢٠ / ٨)، وانظر (١٩ / ٣٩-٤٠).

ثم ليعلم أن المتعصب لأحد المذاهب الفقهية فيه شبه بأهل البدع، وهو قريب من منهجهم متحلي ببعض سماتهم، يقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقي فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقي، كالرافضي، وكالخارجي، فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن تعصب لواحد من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء"<sup>(١)</sup>.

### تنبيهات:

١- إن التعصب المذهبي والطائفي يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين فتضعف الجماعة لذلك، وتفرق ويتسلط عليها أعداؤها، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها"<sup>(٢)</sup>.

٢- إن هؤلاء المتعصبين - حقيقة - لا يريدون بتعصبهم الوصول إلى الحق وطلبه، أو معرفة مراد الله ومراد رسوله ﷺ لاتباعه، بل غاية أحدهم اتباع الظن ونصرة هواه.

٣- إن كل متعصب لإمام أو مذهب أو طائفة ليس هو من العلماء الربانيين، بل هو جاهل بأصول الشريعة وقواعدها الكلية، إذ هو بتعصبه لمذهبه ومنازعته في مسألة من المسائل يوالي ويعادي عليها، يكون قد قدم هذا الفرع على أصل من أصول الدين وهو الأمر بالجماعة والاتلاف، فهو آخذ بجزئية من جزئيات الشريعة ينازع عليها في هدم أصل من أصول الدين وكلية من كلياته، وهذا من جهله"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الفتاوى (٢٢ / ١٥٢)، وانظر كتاب الشريعة للأجري (٢ / ٧٣٠).

(٢) انظر الفتاوى (٢٢ / ١٥٤).

(٣) انظر الفتاوى (٢٢ / ١٥٤)، الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٣٥).

٤- إن كثيراً من هؤلاء المتعصبين الجهال ليس لهم مستند من العلم الصحيح من قول الله وقول رسوله، ولا من العقل الصريح، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة أو حكايات من بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقاً وقد تكون كذباً، فيدعون قول الله وقول رسوله الحق إلى قول غيره الذي يحتمل الصحة والفساد<sup>(١)</sup>.

٥- إن الاتباع المطلق يجب أن يكون لمحمد ﷺ وسنته، أما ما عداه من الناس فقد يكون عمله مشروعاً أو غير مشروع، فلا يصح الاقتداء به على الإطلاق، وجعل عمله حجة ودين، يقول علي بن أبي طالب ﷺ: "ياكم والاستنان بالرجال، فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء"<sup>(٢)</sup>.

٦- يخص من الرجال ما سنّ الاقتداء بهم، وهم الصحابة ﷺ ومن جرى مجراهم وهو ما عناه علي ﷺ بقوله: "فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء"<sup>(٣)</sup>.

ويعقد لنا ابن القيم مقارنة جميلة بين من سلف من المتبعين، ومن خلف من المقلدين المتعصبين، وبين منهج الفريقين، فيقول بعد ذكره لحال القرون الثلاثة المفضلة الأولى، وأن سيرتهم في الاتباع واحدة ويذكر حال القرن الرابع من السلف الصالح: "فسلكوا على آثارهم اقتصاصاً، واقتبسوا هذا الأمر عن مشكاتهم اقتباساً، وكان دين الله ﷻ أجلاً في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً أو معقولاً أو تقليداً أو قياساً، فصار لهم الثناء الحسن في العالمين، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة

(١) انظر الفتاوى (٢٢/ ١٥٤)، وانظر (٢٠/ ١٦١).

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٥١).

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٥١).

والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته طاروا إليه زرافات ووحدانا، ثم خلف من بعدهم خلوف فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون قنعوا بمحض التقليد وقالوا: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون". والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب. قال الشافعي قدس الله روحه: "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"<sup>(١)</sup>.

أما عن دور أعداء الدين في الداخل والخارج في استغلال هذا السبب المفرق للأمة، والعمل على إذكاء ناره واستمراره، فقد عملوا ونجحوا في القضاء على الوحدة الإسلامية بالقضاء على الخلافة الإسلامية، واستغلوا في العصر الحديث- الاحتلال الغربي الذي كان جائماً على معظم بلاد المسلمين في تقسيم بلاد المسلمين وتقطيعها وتفتيرها، وحدها بحدود زادت البعد والهوة بين أبناء الأمة، فمزق قطر المسلمين إلى أقطار، وقسم بلدها إلى بلاد، وعمدوا إلى إحياء النعرات القومية والعرقية، ودعم الدعاوى الطائفية في كل بلد مسلم، فأصبح لكل بلد ولكل جنس ولاءات وانتماءات غير الانتماء لعقيدة التوحيد ولدين الإسلام، يوالي ويعادي عليها، فغاب مفهوم الجسد الواحد، والبناء المتراس عن الواقع وغيب عن الأذهان، فالله المستعان وعليه التكلان"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر إعلام الموقعين (١/٦-٧) باختصار، وانظر ما تقدم في الفصل الثاني، المبحث الثاني في تعريف الفرقة اصطلاحاً، رقم (٥).

(٢) انظر الإسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين (١٩٥، ٢٢٣)، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي لعلي محمد جريشة ومحمد الزبيق (٣٧، ٧٥).

ولكن ما يزال - بإذن الله - الأمل موجود، والوعد الرباني قائم، ثم جهود المخلصين لهذا الدين المتبعين هدي السلف الصالح، الساعين لنصرة دين الله عزّ وجلّ الحريصين على جماعة الأمة وائتلافها. لذلك على كل مسلم أن يتنبّه إلى خطط الأعداء وإلى ما يحاك ضده، ولا ينتهج نهج البيغوات التي تردد ما حولها دون فهم وفقه لما يقال.

وعلى المرابين والدعاة، والقائمين على وسائل الإعلام مسؤولية عظيمة أمام الله عزّ وجلّ لتعليم المسلمين معنى الولاء والبراء كما أمر الله عزّ وجلّ، وتعليمهم معنى الحب في الله والبغض في الله، وتحذيرهم من خطورة الدعوة إلى القومية أو الطائفية أو الحزبية وغيرها من الدعوات التي من شأنها تقسيم المسلمين، وإحلالها محل الانتماء للإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) انظر في خطط الأعداء: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسيد صالح (١١٥-١٣١)، (١٥٣، ١٦٣)، أجنحة المكر الثلاثة لعبد الرحمن الميداني (٢٢٠، ٣٠١-٣٣٧).

## المبحث السابع

التنازع على السلطة والملك وحب الرئاسة والظهور (البغي)<sup>(١)</sup>

أخبرنا الله عزّ وجلّ عن أهل الكتاب واختلافهم، وكشف لنا سبحانه عن سبب تفرقهم مع ما عندهم من العلم الذي كان يجب أن يجمعهم، ويحسم الخلاف الذي وقعوا فيه، ولكنهم حقيقة اختلفوا عن علم، وتفرقوا عن عمد، وما ذاك إلا لبغي بعضهم على بعض، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران ١٩) ، وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (التورى ١٤)

قال أبو العالية عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ بغياً على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري في معناه: أنهم أتوا ما أتوا من الباطل على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه تعدياً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان<sup>(٣)</sup>.

(١) البغي في اللغة: مجاوزة الحد، ويأتي بمعنى التعدي والعدول عن الحق، والاستطالة على الناس، والظلم والفساد، والكبر والحسد والاستعلاء. انظر لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٧٨، ٧٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٤٢).

(٢) انظر تفسير الطبري (٣ / ١٤٢).

(٣) انظر المرجع السابق.



فالذي فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور والسعي لحصول ذلك ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم وقطع رقابهم<sup>(١)</sup>. ولقد حذر عثمان بن عفان رضي الله عنه من ذلك، فقال في آخر خطبة له جماعة بعد كثرة الفتوحات قال للناس: "... لا تبطننكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، واتقوا الله، واحذروا من الله الغير، وألزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً"<sup>(٢)</sup>.

إن التهالك على الدنيا والسعي الحثيث للحصول على المناصب والرئاسة فيها مذموم، إذ يطبع صاحبه على الحسد، والشح ويدفع ساعيه لظلم الناس ليتحقق مطلوبه، والفساد يظهر في البلاد والعباد إذا صدر هذا العمل من فئتين من الناس - المفترض فيهم الإصلاح والإخلاص - فإن صدر من الأمراء، وصدر من العلماء وقعت البلية، وعمت الرزية، وتمكن العدو من المسلمين لأن ولائهم من العلماء والأمراء في شغل شاغل لتحقيق مصالحهم ومطامعهم. فتقع الفرقة في كيان الأمة لأن المصلحين من العلماء والأمراء متفرقون فيما بينهم، مختلفون في مصالحهم فكيف يجمعون الأمة ويسعون لإصلاح الناس؟! إن فاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك جاء التحذير الشديد من الرسول الرحيم عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الأنصار بقدوم مال من البحرين تعرضوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الفجر، فتبسم عليه السلام ثم قال: {أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ فقالوا: أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وقتلككم كما أهلكتهم} وفي رواية: {وتلهيكم كما أهتهم}<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٣) (٤/ ٢٩)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢١٣، ٣٢٦).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢١٥) باختصار.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية (٦/ ٢٥٨ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الزهد، من أوله (١٨/ ٩٥ نووي) واللفظ له.

ولقد أخبر عليه الصلاة والسلام بوقوع ذلك في هذه الأمة ففي حديث آخر قال: {إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: "أو غير ذلك؟ تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون- أو نحو ذلك- ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض"}<sup>(١)</sup>.

ولقد رتبت الأمور بعضها على بعض في الحديث، إذ الأمر يأتي بالتدرج، قال النووي رحمه الله: "قال العلماء التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكرهية أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد، أما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها، والتدابير: التقاطع وقد بقي مع التدابير شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض، أما التباغض فهو بعد هذا ولهذا رتبت في الحديث"<sup>(٢)</sup>. وأما قوله: "... ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين.. أي ضعفاءهم فيجعلون بعضهم أمراء على بعض"<sup>(٣)</sup>.

ولقد أخبر ﷺ أن هلاكاً سيقع في الأمة عند تنازع ولاتها على الملك، ففي الحديث أنه قال: {هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش}<sup>(٤)</sup>.

والمراد بالغلمة هنا جمع غليم بالتصغير وهو الضعيف العقل والتدبير والدين، ولو كان محتلاً<sup>(٥)</sup>.

فأخبر ﷺ أن ولايتهم هلاك للأمة، وذلك أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبط بتوالي الفتن<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد، من أوله (١٨ / ٩٦ نووي).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨ / ٩٦).

(٣) المرجع السابق (١٨ / ٩٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: {هلك أمتي على يدي أغلمة}، (١٣ / ٩ فتح).

(٥) انظر فتح الباري (١٣ / ٩).

(٦) انظر فتح الباري (١٣ / ١٠).

ولقد جاء في وصف الخوارج أنهم: "حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام" ومن كان هذا وصفه حري به أن يسارع في الفتنة جهلاً منه، مع ما قد يجتمع معه من حب الرئاسة والظهور، وهذا كان حال الخارجين على عثمان رضي الله عنه، المثيرين النزاع حول السلطة، المفرقين للأمة، إذ المتبع لتراجم هؤلاء الخارجين على عثمان رضي الله عنه يجدهم ممن يوصف بالشجاعة والجرأة والإقدام، ومع حب الرئاسة والظهور، وليس بينهم من يوصف بالعلم والفقہ<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن الخارجين على عثمان رضي الله عنه كان سبب خروجهم طلب الرئاسة والملك، أنه لما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستقر له الأمر بعد وقعة الجمل، استعمل رضي الله عنه عبد الله بن عباس على البصرة وبلغ ذلك مالكا الأستر<sup>(٢)</sup> - وهو من الخارجين على عثمان - فغضب وقال: "علام قتلنا الشيخ<sup>(٣)</sup>؟ إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقثم<sup>(٤)</sup>، والبصرة لعبد الله، والكوفة لعلي<sup>(٥)</sup>!"

- 
- (١) انظر حاشية العواصم من القواصم في ثوبه الجديد، تحقيق في مواقف الصحابة لمحج الدين الخطيب (١٠٩ - ١١٥).
- (٢) هو: مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأستر، كان من ملوك العرب، وأحد الأشراف والأبطال، وكان ممن ألب على عثمان وحضر حصره في المدينة، شهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، توفي عام ٣٧ هـ. انظر: السير (٤ / ٣٤)، تهذيب التهذيب (١٠ / ١١).
- (٣) يقصد به عثمان رضي الله عنه.
- (٤) هو: قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ وأخو الفضل وعبد الله وعبيد الله له صحبه، وقد أُرِدْفه النبي ﷺ خلفه، وكان يشبه بالنبي ﷺ وهو قليل الرواية. انظر: السير (٣ / ٤٤٠)، تهذيب التهذيب (٨ / ٣٦١).
- (٥) انظر تاريخ الطبري (٣ / ٣١) حاشية العواصم من القواصم لمحج الدين الخطيب (١١٥).

بل إنهم صرحوا بأن خروجهم وشغبهم على عثمان كان طلباً للرئاسة، فقد كان هؤلاء النفر<sup>(١)</sup> أثاروا الشغب والفتنة في الكوفة، فسيرهم عثمان رضي الله عنه إلى معاوية في الشام، فذكرهم معاوية بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة<sup>(٢)</sup>، وبيّن لهم معاوية كيف أن ولاية الأمر للمسلمين جنة فقال: "أن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة"<sup>(٣)</sup>، فلا تسدوا عن جنتكم....

فقال صعصعة بن صوحان<sup>(٤)</sup>: "أما ما ذكرت من الجنة، فإن الجنة إذا احترقت خُلص إلينا"<sup>(٥)</sup>. أي إذا قتلنا ولاتنا صارت الولاية إلينا<sup>(٦)</sup>.

ولقد كتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهم يصفهم فقال: "إنه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول ولا أديان. أثقلهم الإسلام وأضجرهم العدل. ولا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة، وأمواهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم..."<sup>(٧)</sup>.

(١) منهم: عبد الرحمن بن عديس، ومالك الأشتر، وحكيم بن جبلة، وابن الكواء الشكري، وصعصعة بن صوحان العبدي وأخوه زيد، وجندب بن زهير الغامدي وغيرهم، انظر تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٩).

(٢) انظر العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب (١١٦).

(٣) معنى جنة أي ستر، لأنه يمنع العدو أذى المسلمين، ويكف أذى بعضهم عن بعض. انظر فتح الباري (٦/ ١١٦).

(٤) هو: صعصعة بن صوحان العبدي أبو طلحة، أحد خطباء العرب، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، توفي بالكوفة في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الإصابة (٣/ ٢٥٩)، السير (٣/ ٥٢٨).

(٥) انظر الخبر في الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي، جمع أحمد عرموش (٣٨).

(٦) انظر حاشية العواصم من القواصم للخطيب (١١٦).

(٧) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٣٩).

إن إثارة الشغب والفتنة في الأمة، وظهور الخلافات السياسية بين ولاة أمر المسلمين من شأنه أن يضعف الدولة الإسلامية، ويشجع على ظهور الفرق المبتدعة، إذ السلطة التي كانت تقمع الفرق المبتدعة وتردها؛ مشغولة الآن بهذه الخلافات، فسرعان ما تطل الفتنة برأسها، وترفع البدعة لوائها لتفرق الجماعة المسلمة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في وصف الخوارج: { يخرجون على حين فرقة من الناس }<sup>(١)</sup>.

ولقد عاب الصحابة رضي الله عنهم التنازع على السلطة والتقاتل على الملك، فعن سعيد بن جبير<sup>(٢)</sup> فقال: خرج علينا عبد الله عمر فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول: "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة" فقال: "هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كقتالكم على الملك"<sup>(٣)</sup>.

فالرجل أراد أن يحتج بالآية على مشروعية القتال في الفتنة التي تقع بين المسلمين، والتي كان ابن عمر يرى ترك القتال فيها، ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلّة، فأخبره عن الفتنة المأمور بالقتال فيها، وقوله: "وليس كقتالكم على الملك" أي: في طلب الملك، وهو يشير إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ابنه وبين ابن الزبير وما أشبه ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦ / ٦١٧ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه (٧ / ١٥٨ نوي)..

(٢) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي أبو محمد وقيل أبو عبد الله، قال الطبري: هو ثقة إمام، حجة على المسلمين قتل في شعبان سنة ٩٥ هـ. انظر: السير (٤ / ٣٢١)، تهذيب التهذيب (٤ / ١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "الفتنة من قبل المشرق"، (١٣ / ٤٥ فتح).

(٤) انظر فتح الباري (١٣ / ٤٧).

ولقد ذمّ أبو برزة الأسلمي<sup>(١)</sup> رضي الله عنه وأنكر القتال على الملك ولطلب الدنيا فقال: إني احتسبت عند الله أنني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد ﷺ حتى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم. إن ذاك الذي بالشام والله إن يقاتل إلا على دنيا<sup>(٢)</sup>، وإن هؤلاء الذين بين أظهركم والله إن يقاتلون إلا على دنيا<sup>(٣)</sup>، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل على الدنيا<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

إن المنازعة على الملك والسلطة مذمومة لكل أحد، فما بالك إذا كانت المنازعة من قبل العلماء؟!.

إن صلاح العلماء وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر صلاح للأمة، وبالمقابل فإن فسادهم وسوء نياتهم بلاء وفتنة للأمة، لذلك جاء الوعيد الشديد لمن طلب العلم بقصد الرئاسة والظهور، وكان همه الحصول على متاع دنيوي بهذا العلم

(١) هو: نضلة بن عبيد الأسلمي أو برزة مشهور بكنيته، صاحب النبي ﷺ، روى عدة أحاديث، توفي سنة ٦٤ هـ. انظر: الإصابة (٦/ ٢٣٧)، السير (٣/ ٤٠).

(٢) يقصد به مروان بن الحكم وقصد بيعة ابن الزبير وبائع له أهل الشام.

(٣) أي: أهل البصرة.

(٤) يقصد به عبد الله بن الزبير لما بوع بالخلافة.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه (١٣/ ٦٩ فتح)، فأبو برزة رضي الله عنه ذمّ الطوائف الثلاث كلها لأنه كان لا يرى قتال المسلمين أصلاً، فكان يرى لصاحب الحق أن يترك حقه لمن نازعه فيه ليؤجر على ذلك ويمدح بالإيثار على نفسه لئلا يكون سبباً لسفك الدماء. وهذا رأي ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً، ولكن الجمهور على أن الفتنة مختصة بها إذا وقع القتال بسبب التغالب في طلب الملك، وأما إذا علمت الباغية فلا تسمى فتنة وتجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة. انظر فتح الباري (١٣/ ٤٧، ٧٠).

الرباني، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار} (١).

يقول الإمام الآجري محذراً من هذا المسلك: فَمَنْ طَلَبَهُ لِلْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ، وَالْجِدْلِ وَالْمِرَاءِ، وَتَأْكُلَ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ، وَجَالَسَ بِهِ الْمُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ، لِيَنَالَ بِهِ الدُّنْيَا فَهُوَ يَنْسَبُ نَفْسَهُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَخْلَاقُهُ أَخْلَاقُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ، فَتَنَّةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، لِسَانُهُ لِسَانُ الْعُلَمَاءِ، وَعَمَلُهُ عَمَلُ السَّفَهَاءِ (٢).

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لَو أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنْهُمْ بَدَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا (٣).

ويبين معاذ بن جبل رضي الله عنه خطورة العلماء طلاب الرئاسة والدنيا فيقول في كل مجلس يجلسه: هُلكَ المَرْتَابُونَ، إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنَةٌ يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيَفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنَ حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ: مَا هُمْ بِمَتَّبِعِي حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَيَأْيَاكُمْ وَمَا أَبْتَدِعَ فَإِنَّمَا أَبْتَدِعُ ضَلَالَةً (٤).

فهذا الرجل الجاهل الذي قرأ القرآن وتحلى بزِي العلماء - وليس منهم - يبتدع في دين الله، ويضل عباد الله، كل ذلك طلباً للرئاسة وحب الظهور، فهذا الصنف من الناس من شأنه أن يفرق الأمة بما ينشر بينهم من بدع وضلالات.

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٥ / ٣٢) وقال عنه حديث غريب

لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٣٧).

(٢) انظر أخلاق العلماء (٧٨).

(٣) انظر أخلاق العلماء للآجري (٨٨).

(٤) كتاب الشريعة للآجري (١ / ٤٠٥)، والحلية لأبي نعيم (١ / ٢٣٢).

وليس هذا فقط، بل من شأنه أن يسارع في كل فتنة ويخرج عن كل قول ومذهب؛ متى ما برقت الدنيا أمامه، ووعد بمنصب أو رئاسة<sup>(١)</sup>، وصدق عبد الله ابن المبارك حينما قال:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها<sup>(٢)</sup>

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٧-٤٤٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٣٥).



## المبحث الثامن

### الخروج عن طاعة أولي الأمر (العلماء والأمراء)

لقد أمر الله عزّ وجلّ بطاعة أولي الأمر، وعدّ ذلك من طاعته كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء ٥٩)، واختلف في المراد بـ "أولي الأمر" هنا: فقيل: إنهم الأمراء، وقيل إنهم العلماء والفقهاء<sup>(١)</sup>. والظاهر أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن قيم الجوزية مرجحاً أن المراد بأولي الأمر: العلماء والأمراء: والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً، فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فإن العلماء وولاته حفظاً وبيانا وذباً عنه، ورداً على من ألد فيه وزاغ عنه.

والأمراء وولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به، وأخذهم على يد من خرج عنه. وهذان الصنفان هما الناس، وسائر النوع الإنساني تبع لهما ورعية<sup>(٣)</sup>.

نعم، إن هؤلاء هما الناس، وسائر النوع الإنساني تبع لهما ورعية، ومتى ما اختل هذا الميزان وقعت الفرقة في الأمة، ودبّ الضعف في كيانها.

(١) انظر تفسير الطبري (٥ / ١٥٠)، الرسالة للشافعي (٧٩)، أخلاق العلماء للأجري (٢٠)، كتاب السنة للمروزي (٤١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩٧)، مختصر شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي اختصره أبو القاسم عمر القزويني (٦٨).

(٣) الرسالة التبوكية (٥٠).

إن تنحية العلماء عن منصب الولاية والقيادة<sup>(١)</sup>، والخروج عن قولهم ورأيهم خطر عظيم، وأمارة من أمارات الساعة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة} <sup>(٢)</sup>.

والمراد بـ"الأمر": هو جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافه والأمانة والقضاء، والإفتاء وغير ذلك <sup>(٣)</sup>.

ومعنى الحديث: "أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عبادته وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها" <sup>(٤)</sup>.

وقد يغفل بعض الناس عن أهمية طاعة العلماء، ويقللون من خطر الخروج عن مشورتهم، فنجد كثيراً من يتحدث عن وجوب طاعة الأمراء، وأهميته في تحقق الجماعة واستتباب الأمن في المجتمع، وهذا حق.. ولكنهم يغفلون عن أهمية طاعة العلماء، وحاجة الأمة كلها رؤساء وأمراء وعامة إليهم.

إن الخروج عن طاعة العلماء الربانيين، وترك مشورتهم مفسد للدين والآخرة، ولا يعني هذا تقديسهم أو التعصب لأقوال الرجال، ليس هذا إطلاقاً، بل متى ما عارض قولهم قول الله ورسوله ردّ ولم يقبل، فقولهم معتبر ورأيهم متبع لأنهم

(١) لا يعني ذلك أن إمام المسلمين والخليفة ينبغي أن يكون أعلم الناس، لا بل تجوز ولاية الرجل مع وجود من هو أعلم منه، لكن يجب عليه لزوم مشورة العلماء الربانيين. انظر اختصار غياث الأمم في التياث الظلم لأبي المعالي الجويني، اختصار محمد الحسيني (٣٢)، الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي (٢/ ٢٩٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة (١١ / ٣٣٣ فتح).

(٣) انظر فتح الباري (١١ / ٣٣٤).

(٤) انظر فتح الباري (١١ / ٣٣٤).

يتبعون ما جاء من ربهم ويبينونه للناس، يقول الإمام أحمد بن حنبل واصفاً العلماء: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة<sup>(١)</sup>.

أما أولي الأمر من الأمراء فطاعتهم واجبة مادام أنهم يحكمون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فالله سبحانه قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، فلم يقل "وأطيعوا أولي الأمر" بل عطف طاعتهم على طاعة الرسول إذ أنه لا تجب طاعة أحدهم إلا إذا اندرجت تحت طاعة الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

فطاعة أولي الأمر إذاً ليست طاعة مفردة مستقلة، بل طاعتهم طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم، واجبة لهم مادام أنهم يحكمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(٣)</sup>. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: {اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة}<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: {السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة}<sup>(٤)</sup>. وقال: {إنما الطاعة في المعروف}<sup>(٤)</sup>.

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الرحمن عميرة (٨٥).

(٢) انظر الرسالة التبوكية (٤٨) بتصرف.

(٣) انظر الرسالة للشافعي (٨٠)، كتاب السنة للمروزي (٤١)، الرسالة التبوكية لابن القيم (٤٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (١٣/ ١٢١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (١٢/ ٢٢٦ نوي).

وقال عليه السلام: {من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه} (١).

وكان ما قاله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع قوله: {إن أمرت عليكم عبد مجدع - حسبها قالت أسود (٢) - يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا} (٣).

وفي هذه النصوص فوائد وأحكام منها:

١- وجوب طاعة الإمام وأن طاعته من طاعة رسول الله ﷺ.

٢- إن من أطاع الأمراء ممثلاً أمر الله ورسوله فأجره على الله، أما إن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذ من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعه عصاهم، فماله في الآخرة من خلاق (٤)، يقول الرسول ﷺ: {ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم، وهم عذاب أليم... وذكر منهم: "رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لديناه، إن أعطاه ما يريد وقى له؛ وإلا لم يف له} (٥).

٣- إن المراد بالإمام هنا: ليس مقصوراً على إمامة المسلمين العامة، بل يشمل كل من ولي أمراً من أمور المسلمين وقام بأمر الناس، وكانت توليته من الإمام العام (٦). فيجري عليه الحكم.

- 
- (١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به (٦ / ١١٦ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (١٢ / ٢٢٣ نوي)..
- (٢) القائل ذلك راوي الحديث يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.
- (٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢ / ٢٢٦ نوي).
- (٤) انظر الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ١٣).
- (٥) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا (١٣ / ٢٠١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم إسبال الإزار (٢ / ١١٥ نوي).
- (٦) انظر فتح الباري (٦ / ١١٦)، (١٣ / ١٢٢).

- ٤- إن طاعة الإمام ليست طاعة مطلقة أو مستقلة، بل طاعتهم تكون ما أطاعوا الله ورسوله، فالطاعة في المعروف. وبالتالي:
- ٥- لا طاعة للإمام إذا أمر بمعصية الله تعالى، فيحرم على من كان قادراً على الامتناع عن طاعة الإمام إذا أمر بمعصية، تحرم عليه هذه الطاعة<sup>(١)</sup>.
- ٦- إن على المؤمن أن يتقي الله، ولا تأخذه العزة بالإثم، وتأخذه الأنفة من أن يطيع وينقاد لمن ولي أمر المسلمين مهما كان شكله أو نسبه، مادام أنه يحكم بكتاب الله تعالى.
- ٧- إن وجوب طاعة الإمام، والنهي عن الخروج عليه لا تعني المداهنة والمسايرة لهذا الإمام على حساب الدين، ولا تعني السكوت عن المنكر وتحسين فعل الإمام، بل يجب إنكار المنكر، والأمر بالمعروف مع البقاء على الطاعة العامة، قال رسول الله ﷺ: {إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد بريء ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع} <sup>(٢)</sup>. وقال: {إذا رأيت من ولاكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً عن طاعة} <sup>(٣)</sup>.
- فمن كره ذلك المنكر فقد بريء من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه، فليكرهه بقلبه وليبرأ ولا إثم عليه، أما الإثم والعقوبة فتكون على من رضي وتابع <sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فتح الباري (١٣ / ١٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٢ / ٢٤٣ نووي).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٢ / ٢٤٤ نووي).

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٢ / ٢٤٣)، وانظر الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٢٧٧)، (٧ / ٧٥).

وقد يظن بعض الناس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم القتال ويوقع في الفتنة، فيظن التعارض بين الأمرين، وهذا غير صحيح، يقول الإمام ابن تيمية: وكثير من الناس قد يرى تعارض الشريعة في ذلك فيرى أن الأمر والنهي لا يقوم إلا بفتنة، فإذا أن يؤمر بهما جميعاً، أو يُنهى عنهما جميعاً، وليس كذلك. بل يؤمر وينهى، ويصبر عن الفتنة؛ كما قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (شقان ١٧) (١).

إن طاعة الإمام المسلم واجبة حتى لو كان ظالماً وجائراً فلا يجوز الخروج عليه بالسيف (٢) أو الإخلال بالأمن من التفجير وغيره، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: {إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم} (٣).

وقال أيضاً: {من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية} (٤).

وقال ﷺ لما ذكر الأئمة الذين يهدون بغير هديه، ويستنون بغير سنته، وسأله حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: {تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع} (٥).

(١) انظر الاستقامة (١ / ٤١).

(٢) وهذا هو قول غالب أهل السنة، انظر الإمامة العظمى لعبد الله الدميحي (٥٠٢ - ٥٤٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (١٣ / ٥ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة (١٢ / ٢٣٢ نوي).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (١٣ / ٥ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة الجماعة (١٢ / ٢٤٠ نوي).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة السلمين عند ظهور الفتن (١٢ / ٢٣٨ نوي).

ولما سُئِلَ عليه الصلاة والسلام إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ أجاب عليه الصلاة والسلام: {اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم} (١).

ففي هذه النصوص نهي وتشديد في الخروج من طاعة السلطان. فقد حذر عليه الصلاة والسلام من أدنى الخروج حينما قال: {من خرج عن السلطان شبراً وشبراً كناية عن معصية السلطان ومحاربه... والمراد بالمفارقة: السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكفى عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق} (٢).

ولقد فقه الصحابة رضي الله عنهم مراد رسول الله ﷺ، وطبقوه خير التطبيق، وعملوا بكل النصوص الواردة في ذلك، فكانوا أمموزجاً عملياً لأقوال الرسول ﷺ: في طاعة الأمير والانصياع لحكمه ما لم يأمر بمعصية الله، كل ذلك سعياً لجمع الكلمة، والبعد أشد البعد عن الفرقة وسبيلها.

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه لما عزله عمر بن الخطاب وولّى أبا عبيدة بن الجراح مكانه رضي الله عنهم، أمر عمر بمقاسمة أبي عبيدة مال خالد نصفين، ففعل حتى أخذ إحدى نعليه وترك الأخرى، وخالد يقول: سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين (٣).

وهذا عبد الله بن عمر يبايع عبد الملك بن مروان لما اجتمع الناس عليه، ويكتب له البيعة على شرطها فقال: 'إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك

(١) المرجع السابق (١٢ / ٢٣٦ نوي).

(٢) انظر فتح الباري (١٣ / ٧).

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ١٨).

أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بنيّ قد أقروا بمثل ذلك<sup>(١)</sup>.

ويعلنها عمرو بن العاص للسائل الذي يسأله إذا أمر الإمام بالمعصية؟ فيقول رضي الله عنه: "أطعه في طاعة الله وواعصه في معصية الله"<sup>(٢)</sup>.

بل إنهم رضي الله عنهم وأرضاهم يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويذكر بعضهم بعضاً بمحدث رسول الله ﷺ إذ قد يغفل الإنسان أو ينسى، فلما استعمل زياد بن أبيه<sup>(٣)</sup> الحكم الغفاري<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه في غزو أتاه عمران بن حصين ولقيه بين الناس فقال: أتدري لِمَ جئتك؟ فقال له: لِمَ؟ قال: هل تذكر قول رسول الله ﷺ للرجل الذي قال أميره: قع في النار! فقام الرجل ليقع فيها فأدرك فاحتبس، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال: {لو وقع فيها لدخلا النار جميعاً، لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى}<sup>(٥)</sup>؟ قال: نعم. قال: إنما أردت أن أذكرك هذا الحديث<sup>(٦)</sup>.

ولقد عمل الحكم الغفاري رضي الله عنه بوصية رسول الله ﷺ والتزم أمره، فحينما غنم رضي الله عنه شيئاً كثيراً في هذا الغزو الذي أمر عليه؛ جاءه كتاب زياد

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس (١٣ / ١٩٣ فتح).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة (١٢ / ٢٣٤ نووي).

(٣) هو: زياد بن عبيد الثقفي، وهو ابن سمية الذي صار يقال له ابن أبي سفيان، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق وكان كاتباً لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، توفي سنة ٥٣هـ. انظر الإصابة (٣ / ٤٢)، السير (٣ / ٤٩٤).

(٤) هو: الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري، صحابي فاضل مقدم، وجهه زياد إلى خراسان فغزا وغنم وأقام بمرور ومات بها عام ٥٠هـ. انظر الإصابة (٢ / ٢٩) ط/ دار الفكر، تهذيب التهذيب (٢ / ٤٣٦).

(٥) الحديث أصله في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (١٢ / ٢٢٧ نووي).

(٦) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨ / ٤٧).



بن أبيه على لسان معاوية رضي الله عنه أن يصطفي من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله، فرد عليه: "إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، أو لم يسمع لقوله عليه السلام: { لا طاعة لمخلوق في معصية الله }؟ وقسم في الناس غنائمهم<sup>(١)</sup> .

ويوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سويد بن غفلة<sup>(٢)</sup> فيقول: "لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً، وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك، فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني"<sup>(٣)</sup> .

يقول الإمام الأجرى في معنى قول عمر رضي الله عنه: "يُحتمل - والله أعلم - أن نقول: من أمر عليك من عربي أو غيره فأطعه فيما ليس لله في معصية، وإن حرمك حقاً لك أو ضربك ظلماً لك أو أخذ مالك، فلا يملكك على ذلك أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه.

وقد يحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة؛ يحتمل أن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بضرب من لا يجلب ضربه، أو أخذ ماله؛ فلا يسعك أن تطيعه. فإن قال لك: لئن لم تفعل ما أمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك، فقل: دمي دون ديني، لقول النبي ﷺ: {إنما الطاعة في المعروف}<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨ / ٤٧).

(٢) سويد بن غفلة: أبو أمية الجعفي مخضرم من كبار التابعين، قدم المدينة لما دفن النبي ﷺ وكان مسلماً في حياته، نزل الكوفة وتوفي عام (٨١هـ). انظر السير (٤ / ٦٩)، الحلية (٤ / ١٧٤).

(٣) كتاب الشريعة للأجرى (١ / ٣٧٩).

(٤) انظر كتاب الشريعة (١ / ٣٨١) باختصار.

كل هذه النصوص وهذه المواقف تأمر بالسمع والطاعة لأولي الأمر لعلمهم الأكيد أن الخروج عن طاعة أولي الأمر سبب خطير من أسباب الفرقة.

واعتبر بما أصيبت به الأمة من الفرقة، وما بُليت به من ظهور الفرق التي مزقت كيانها حينما حصل الخروج على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما أعقب ذلك من تفرق وفتن وقاتل بين المسلمين بعد أن كانوا في اجتماع وأمان ورخاء<sup>(١)</sup>.

وقد قال ﷺ لما أشرف على أطم من أطام المدينة لأصحابه: {هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر}<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: "أختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه. ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم<sup>(٣)</sup>."

ثم ليعلم أن سبب خروج أصحاب الأهواء والفرقة على الحكام وعلى أولي الأمر هو بسبب عدم الصبر على جور الإمام، وعدم الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تراهم يسارعون إلى السيف والقتال، يقول الإمام الحسن البصري- رحمه الله- بعد أن أتاه رهط أيام يزيد بن المهلب فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم ثم قال: "والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه. ووالله ما جاءوا يوم خير قط" ثم تلا: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) انظر مضار الفرقة في الفصل الرابع، المبحث الأول من هذا الباب (٢١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ "ويل للعرب" (١٣ / ١١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة (١٨ / ٧ نووي).

(٣) انظر فتح الباري (١٣ / ١٣) باختصار.

يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ  
الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ  
وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ (الأعراف ١٣٧) (١)

فائدة: إن وقوع الجور من الأئمة ليس نقصاً فيهم فقط، بل هو دليل على  
نقص في الأمة والرعية، فكما تكونون يولّى عليكم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى  
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٧﴾ (الأعراف ١٣٧) (٢).

إن وجود الظلم من الولاة والأمراء نذير للأمة وتحذير لها أن الظلم واقع من  
رعاياها، فعلى كل مسلم يريد أن يصلح الله حال الأمراء عليه أن يصلح نفسه  
أولاً، وأن يبدأ بالعودة إلى الله، وأن يستقيم على الصراط المستقيم لأن الله وعد  
وقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا  
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ﴾ (الرعد ١١)

مسألة: متى يجوز الخروج على الإمام بالسيف وقتاله وخلعه؟

بيّن لنا رسول الله ﷺ متى يكون ذلك، إنها في حالة واحدة في حال الكفر بالله  
عزّ وجلّ، ففي الحديث عن عبادة بن الصامت قال: {دعانا النبي ﷺ فبايعناه... على  
السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن  
تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان} (٣).

وفي حديث آخر لما ذكر من تغير الأمراء قالوا له: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟  
قال: {لا، ما صلوا} (٤).

(١) انظر كتاب الشريعة للأجري (١/ ٣٧٤)، وانظر الاستقامة لابن تيمية (١/ ٣٢ - ٤١).

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ١٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قوله النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (١٣ / ٥ فتح)،

صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (١٢ / ٢٢٨ نوي).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٢ / ٢٤٣

نوي).

وفي حديث آخر قوله: { ... وشرار أمتكم الذين تبغضوهم ويبغضونكم، وتلعنوهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله ألا ننازدهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة... } الحديث<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمه الله: "لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن حجر عن الوالي الكافر: "إنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوى على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض"<sup>(٣)</sup>.

ختاماً: إن طاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء وتكاملهما في السيادة والرئاسة على الأمة، وتعاونهما في العمل بقول الله وقول رسوله ﷺ، وسياسة الرعاية بذلك إنه والله لصالح للدنيا والآخرة، وهو خير ما يجمع الأمة المسلمة ويعزها ويعلي كلمتها، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأولوا الأمر صنفان: الأمراء والعلماء، وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى بما يقوله ويفعله طاعة الله ورسوله واتباع كتاب الله"<sup>(٤)</sup>.

"وإذا انفرد السلطان عن الدين، أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس... وهاتان السبيلان الفاسدتان - سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمله بما يحتاج إليه

(١) صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع (١٢ / ٢٤٤ نووي).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢ / ٢٤٣).

(٣) فتح الباري ١٣ / ١٢٣، وانظر مستزيداً كتاب الطريق إلى الخلافة "أختصار غياث الأمم" للجويني، اختصار محمد الحسيني (٤٠ - وما بعدها).

(٤) الفتاوى (٢٨ / ٢١٤) باختصار.

من السلطان والجهاد والمال، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك إقامة الدين - هما سبيل المغضوب عليهم والضالين، فالأولى للضالين النصارى، والثانية للمغضوب عليهم اليهود<sup>(١)</sup>.

"فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه... فإن قوام الدين بالكتاب الهادي، والحديد الناصر كما ذكره الله تعالى"<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق (٢٨ / ٢١٨) باختصار.

(٢) المرجع السابق (٨ / ٢١٩) باختصار.

## المبحث التاسع

التشنيع على أولي الأمر والتقول عليهم، وتأليب الناس ضدهم

وتتبع زلاتهم والاحتجاج بها

إن من الأسباب التي تفرّق الأمة المسلمة وتدعو للخروج على الجماعة وإمامها ما يفعله بعض المغرضين وأصحاب الأهواء، أو الجهّال من التشنيع على أولي الأمر ولهم في ذلك طرق كثيرة منها:

١- التقول على أولي الأمر من علماء وأمراء، والكذب عليهم، ولهم في هذا أهداف.

٢- محاولة تحقير أولي الأمر والخط من شأنهم بالاحتجاج بزلاتهم، والعمل على هتك سترهم وتصيّد أخطائهم، وتضخيمها ونشرها، أو تأويل ما يقع حسب ما يهون، ووفق ما يخدم مصالحهم. وبيان ذلك بالآتي:

١- التقول على أولي الأمر، والكذب عليهم: لقد دأب أهل الأهواء وأصحاب الفرقة على التقول على أولي الأمر لتأليب الناس ضدهم، ولإعطاء أنفسهم مبرراً لخروجهم على الجماعة وعلى إمام المسلمين، فأشعلوا الفتنة وأراقوا دماء المسلمين.

ولقد سلك مدبروا الفتنة الخارجون على عثمان رضي الله عنه هذا المسلك فكذبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان حينما سرقوا خاتمه وزوروا الكتاب باسمه إلى عامله بمصر يأمره بقتل من رجع عنه من ثوار مصر<sup>(١)</sup>.

(١) انظر العواصم من القواصم (١٢١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١١٧).

وزوروا كتاباً آخر بلسان علي بن أبي طالب إلى ثوار أهل العراق - الذين شرعوا في السير نحو ديارهم بعد محاورتهم لعثمان واقتناع أغلبهم - يطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

ولم يكتف هؤلاء الثوّار بذلك بل سعوا إلى التقوّل والكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكتابة كتاب باسمها تأمر الناس فيه بالخروج على عثمان<sup>(٢)</sup>.

وبيّن محب الدين الخطيب أثر التقوّل على الولاية، وأثر الوشايات الكاذبة في التحريض على الخروج على الإمام، فقال: كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول ﷺ فريقين: رؤساء خادعين على درجات متفاوتة، ومرؤوسين مخدوعين، وهم الكثرة التي بُثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين، ومحرومين سلبوا حقهم<sup>(٣)</sup>.

إن حب الدنيا والطمع في الرئاسة يدفع أصحاب الأهواء إلى الكذب على ولاية الأمر، وإلى تزييف الحقائق، وتأويل المواقف، كل ذلك ليحصل مرادهم من تأليب الناس على الولاية، ومن تبرير عداوتهم لهم، فانظر كيف أن بعض بني مروان كان يشيع أن علياً رضي الله عنه لم يكن خليفة راشداً، بل كان ممن ينازع على الملك؟! وكذبوا فيما قالوا<sup>(٤)</sup>.

بل دفع حب الدنيا والمالاة والمعاداة فيها إلى سب علي رضي الله عنه، وسب بعض الصحابة الكرام، والدعوة إلى ذلك، والتجاسر على التقوّل عليهم<sup>(٥)</sup>. فنعوذ بالله من الخذلان، ومن استزلال الشيطان.

(١) انظر العواصم من القواصم (١٢٢).

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٨٢)، العواصم من القواصم (١٢٣).

(٣) انظر حاشية العواصم من القواصم له (١٢٠).

(٤) انظر مختصر سنن أبي داوود للحافظ المنذري (٧/ ٢٧).

(٥) المرجع السابق (٧/ ٢٨).

كما أن من أسباب التقوّل على الولاة ورؤوس الناس أن هؤلاء الجهّال أصحاب الفرقة والضلال إذا سمعوا كلاماً مجملاً من ولي الأمر زادوا فيه وحملوه ما لا يحتمل، تقول عائشة رضي الله عنها: "يرحم الله علياً، إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله. فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث"<sup>(١)</sup>.

لذلك كان عمر رضي الله عنه يحاط لنفسه من ذلك، فيقول للناس: "إني قائل مقالة قدر لي أن أقولها، فمن عقلها ورعاها فليحدث بها حتى تنتهي به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحل له أن يكذب علي"<sup>(٢)</sup>.

لقد شرط عمر للنقل عنه: الفهم الصحيح لما قاله، والأمانة في النقل فقال: "فمن عقلها ورعاها، فالتقول على الناس عموماً إما أن يكون بسبب عدم فهم ما قيل، وتحميل الكلام ما لا يحتمل، وتأويله على هوى فهم السامع لا على مراد القائل. أو يكون بسبب الخيانة في النقل والكذب فيه، وهذا يفسد كثيراً في أحوال الناس العامة، فما بالك إذا كان هذا المنهج يتبع في النقل عن المسؤولين وولاية الأمر؟!".

فينبغي لكل مسلم أن يتقي الله عزّ وجلّ ويعلم أن قوله من عمله، وأن الله سائله عنه يوم القيامة، فيتقي الله فيما ينقل عن الناس عامة، وعن أولي الأمر والمسؤولين خاصة، ولا يكن ديدنه ومحور حديثه: يقولون إنه قيل كذا وكذا، ويزعمون أنه حصل كذا وكذا؟!!!.

إن الأمر خطير إن كان كذباً على الأمراء والمسؤولين، فما بالك إذا كان كذباً على العلماء حملة هذا الدين، إن الخطب أشد.

(١) المسند للإمام أحمد (١ / ٨٦)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٧ / ٢٨٠) تفرد به أحمد وإسناده

صحيح.

(٢) انظر خلق أفعال العباد للبخاري (٧٧).



إن الكذب على العلماء، والتقوّل عليهم يراد به أمران: - الأول: إما أن يراد به التشنيع عليهم والطعن فيهم، والخط من قدرهم بين الناس، وحقيقة هذا الطعن: طعن في الدين، إذ العلماء حملته، وتشكيك في تعاليمه: إذ العلماء الربانيون هم ورثة الأنبياء الحاصلون لواء الدعوة لهذا الدين، القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا عيبوا ولمزوا وطعن فيهم فهو طعن في علمهم الذي يحملون ويبلغون.

إنها محاولة من أعداء الدين لزعزعة ثقة الناس بالعلماء، ومن ثم فقد المرجعية العلمية في أمور دينهم، ونشر الجهل بذلك بينهم فيسهل تفريقهم وإضعافهم.

والثاني: أن يراد بالكذب على العلماء: ترويح القول الباطل، والتدليس على الناس، ونشر البدعة والضلالة بنسبته إلى إمام مشهور، وعالم موثوق، فلما يسمع الناس أن هذا قول فلان من العلماء يقبلون هذا القول لثقتهم بهذا العالم دون النظر إلى القول نفسه، وبهذا تروج البدعة وتفترق الأمة، وأكثر من يسلك هذا الأسلوب: أصحاب الأهواء والبدع، إذ ينسبون أقوالهم الباطلة للعلماء المشهورين<sup>(١)</sup>.

فعلى المسلم أن يتثبت في النقل عن العلماء من مصادرهم وكتبهم، ولا يطير بكل كلمة تقال وتحكى عن عالم أو إمام ويغرر بها، بل عليه أن يتروى ويتثبت<sup>(٢)</sup>.

ولعل الخطب الآن في العصر الحديث أشد لنفوذ داء الكذب على العلماء، وسرعة انتشاره، لسرعة وسائل الإعلام الحديثة التي يتابعها عامة المسلمين، وصدق

(١) انظر ما تقدم من: أسباب رواج التأويلات الفاسدة في المبحث الرابع، من هذا الفصل (١٧٠)، وانظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد السلمي (٢٥١).

(٢) انظر كتاب الاستقامة لابن تيمية (١ / ١٠٩)، الفتاوى (٢٦ / ٣٣٤)، وانظر أمثلة كذب القدرية على الحسن البصري رحمه الله، مختصر سنن أبي داود للمنذري (٧ / ١٦ - ١٧).

رسول ﷺ حينما قال: {ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف} <sup>(١)</sup>.

٢- من الطرق التي تسلك للتشنيع على أولي الأمر: محاولة تحقيرهم والخط من شأنهم بالاحتجاج بزلاتهم، والعمل على هتك سترهم، وتصيّد أخطائهم وتضخيمها ونشرها، أو تأويل ما يقع منهم حسب ما يهون ووفق ما يخدم مصالحهم، وهاك توضيح ذلك:

أ- زلة العالم: مما جاء في التحذير منه عن الأئمة الأعلام: التحذير من زلة وخطأ العالم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ثلاث يهدمن الدين: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون" <sup>(٢)</sup>.

ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن مما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حق، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق" <sup>(٣)</sup>.

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلساً للذكر إلا قال: "الله حكم قسط هلك المرتابون، وكان مما قاله يوماً: "... وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال: قلت <sup>(٤)</sup> لمعاذ: ما يدريني - رحمك الله - أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى! اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي

(١) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في كف اللسان (٤ / ١٠٢)، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة (٤ / ٤٧٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب في كف اللسان في الفتنة (٢ / ١٣١٢)، ذم الكلام للهروي (١ / ٤٢٦) وقال محققه أبو جابر عبد الله الأنصاري إن الحديث حسن لغيره.

(٢) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ٩٧٩).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٩٨٠).

(٤) القائل هنا هو يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ وجلسائه وقد حكى هذا الخبر.

يقال: ما هذه؟! ولا يثينك ذلك عنه؛ فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورا<sup>(١)</sup>.

إن في كلام معاذ رضي الله عنه فوائد وقواعد في التعامل مع زلة العالم منها:

١- الحذر من زيغة الحكيم وزلته فإنها فتنة، وإن الشيطان حريص على إضلال الناس وتفريقهم بإزلال العالم الحكيم، وإجراء كلمة الباطل على لسانه لترويحها بين المسلمين.

يقول ابن تيمية مبيناً كيف تكون الفتنة والحنة للناس بزلة العالم فيقول: "ولكن وقوع مثل هذا التأويل من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صار من أسباب الحن والفتنة، فإن الذين يعظموهم قد يقتدون بهم في ذلك، وقد لا يقفون عند الحد الذي انتهى إليه أولئك، بل يتعدون ويزيدون زيادات لم تصدر من أولئك الأئمة السادة، والذين يعلمون تحريم جنس ذلك الفعل، قد يعتدون على المتأولين بنوع من الذم فيما هو مغفور لهم، ويتبعهم آخرون فيزيدون في الذم ما يستحلون به من أعراض إخوانهم وغير أعراضهم ما حرمه الله ورسوله، فهذا واقع كثير في موارد النزاع الذي وقع فيه خطأ من بعض الكبار"<sup>(٢)</sup>.

٢- إن الغرض من التحذير من زيغة العالم وزلته هو عدم اتباعه في هذه الزلة أو الاحتجاج بها، إذ الحجة في قول الله وقول رسوله وإليهما ترد موارد النزاع<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب من دعا إلى السنة (٤ / ٢٠٢)، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داوود (٣ / ٨٧٢).

(٢) الاستقامة (١ / ٣٠١)، وانظر الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٣١).

(٣) انظر الاستقامة (١ / ٣٠٠)، الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٣٢)، إعلام الموقعين (٣ / ٢٨٢، ٢٨٤).

٣- إن الحق يجب أن يقبل ممن قاله أياً كان، وأن الباطل يجب أن يرد على من قاله أياً كان<sup>(١)</sup>.

٤- أما كيف نعرف أن هذا القول من العالم خطأ وزلة؟ فبيّن معاذ رضي الله عنه ذلك بقوله: "أجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال: ما هذه؟، وفي رواية أخرى: هي كلمة تروءكم وتنكرونها وتقولون ما هذه؟"<sup>(٢)</sup>.

فزلتة ضابطها أنه يخالف بها جمهور الأمة، والعلماء المجتهدون هم الذين يعرفون ما وافق الحق وما خالفه<sup>(٣)</sup>، وينكرون على العالم زلته، يقول ابن تيمية: "وهنا أصل يجب اعتماده: وذلك أن الله سبحانه عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، ولم يعصم أحادها من الخطأ، لا صديقاً ولا غير صديق، لكن إذا وقع بعضها في خطأ فلا بد أن يقيم الله فيها من يكون على الصواب في ذلك الخطأ. وإذا كان فيها من يأمر بمنكر متأولاً، فلا بد أن يكون فيها من يأمر بذلك المعروف"<sup>(٤)</sup>.

ويقول الشاطبي رحمه الله: "فإن قيل فهل لغير المجتهدين من المتفقيين في ذلك ضابط يعتمده أم لا؟ فالجواب أن له ضابطاً تقريبياً، وهو أن ما كان معدوداً في الأقوال غلطاً وزلاً قليلاً جداً في الشريعة، وغالب الأمر أن أصحابها منفردون بها، قلما يساعدهم عليها مجتهد آخر، فإذا انفرد صاحب قول عن عامة الأمة، فليكن اعتقادك أن الحق مع السواد الأعظم من المجتهدين، لا من المقلّدين"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر إعلام الموقعين (١/ ١٠٤) في وجوب قبول الحق ممن قاله.

(٢) انظر جامع بيان العلم (٢/ ٩٨١).

(٣) انظر الاستقامة (١/ ٢٩٩) باختصار.

(٤) انظر الاستقامة (١/ ٢٩٩) باختصار.

(٥) الموافقات (٤/ ٥٣٤).

٥- إن زلة العالم لا توجب هجرانه أو الخط من قدره، لذلك قال معاذ: "ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع"، فهذا هو المنهج في التعامل مع العلماء الأجلاء، وهذه هي وسطية الإسلام واعتدال السلف الصالح، يقول ابن القيم: "معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم، والحق في خلافها لا توجب إطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقية فيهم، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما... فلا نؤثمهم ولا نعصمهم، ولا نقبل كل أقوالهم ولا نهدرها... ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم، أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله، ومن له علم بالشرع والواقع يعلم أن الرجل الجليل قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده"<sup>(١)</sup>.

٦- إنه من الواجب على كل مسلم عدم حكاية الأقوال الضعيفة، أو العمل على نشرها بين المسلمين، وربما سمعها أحد من العامة فاتبعها لجهله، أو عمل بها موافقة لهواه، يقول ابن القيم: "فإذا كنا قد حذرنا زلة العالم، وأمرنا مع ذلك أن لا نرجع عنه، فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلدها، بل يسكت عن ذكرها إن تيقن صحتها، وإلا توقف في قبولها؛ فكثيراً ما يحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له، وكثير من المسائل يخرجها بعض الأتباع على قاعدة متبوعة، مع أن ذلك الإمام لو رأى أنها تفضي إلى ذلك لما التزمها"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣) باختصار وتصرف، وانظر الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي

ﷺ "بعثت بالسيف بين يدي الساعة لابن رجب الحنبلي (٩٠-٩٣).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٦) باختصار يسير.

إن إثارة هذه الأقوال الضعيفة للعلماء، والتشويش بها على عامة المسلمين، والطعن بها على علمائهم ومذاهبهم من حيل أعداء الدين لتفريق المسلمين، وتشكيكهم في الحق الذي معهم، يقول ابن تيمية: "ومثل هذه المسألة الضعيفة"<sup>(١)</sup> ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين، لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرباً من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتر يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة، ويوقعهم في مذاهب الرافضة وأهل الإلحاد. والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

ب- من طرق التشنيع على أولي الأمر: ما يقوم به أهل الأهواء وأصحاب الفرقة من هتك ستر أولي الأمر، وتصيّد أخطائهم والعمل على تضخيمها ونشرها بين الناس، وهذا أسلوب دنيء يخالف ما أمرنا به من الستر على المسلم وعدم التجسس عليه، وتلمّس العذر له إن أخطأ، والعمل على مناصحته لا فضحه. ثم إن هذا التصرف الذي يديره أهل الأهواء، وتلوكة العامة جهلاً منها بذلك، من شأنه أن ينشر البغضاء والعداوة في الأمة خاصة إذا كان هذا الأمر صادراً من العامة ضد ولاة أمرها<sup>(٣)</sup>.

ثم إنه إذا انتشر هذا الأسلوب وقعت الهوة بين أولي الأمر وبين العامة<sup>(٣)</sup>، وفقدت الثقة بين هؤلاء وهؤلاء، وعمت الفوضى، وتفرقت الأمة وفقدت مرجعيتها، وأصبحت لقمة سائغة لكل خارجي مقاتل، أو عدو مخادع.

(١) يقصد بالمسألة: قول من قال: بجواز نكاح الرجل من ابنته من الزنا. انظر الفتاوى (٣٢ / ٨٦).

(٢) انظر الفتاوى (٣٢ / ٨٨).

(٣) انظر ما تقدم عن مكانة أولي الأمر من العلماء والأمراء في المبحث الثامن من هذا الفصل

فيجب على المسلم ألا ينظر للفعل الصادر من أخيه المسلم دون نظر إلى مبرراته، والسؤال عن مقتضاه حتى تتضح له الصبورة، مثال ذلك أن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن خلال، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الناس يقولون: إن ابن عباس يكتب الحرورية. ولولا أنني أخاف أن أكتم علماً لم أكتب له"<sup>(١)</sup>.

مثال آخر: أن حذيفة بن اليمان كان بالمدائن، وكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان الفارسي فيذكرون قول حذيفة، فيقول سلمان: "حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان، فما صدقك ولا كذبك.

فأتى حذيفة سلمان في مبقلة فقال: يا سلمان، ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال سلمان: إن رسول الله ﷺ كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه، ويرضى فيقول في الرضى لناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورث رجلاً حب رجال، ورجالاً بغض رجال، وحتى توقع اختلافاً وفرقة؟ ولقد علمت أن رسول الله ﷺ خطب فقال: {أيما رجل من أمي سبته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة إلى يوم القيامة}. والله لتنتهين أو لأكتبن إلى عمر"<sup>(٢)</sup>.

ويروي البخاري في صحيحه<sup>(٣)</sup> أن رجلاً من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: "من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟

(١) انظر كتاب السنة للمروزي (١٤٢).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ (٤ / ٢١٤)، وصحح الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٨٨٢).

(٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان (٧ / ٥٤ فتح).

قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

فالسائل كان ممن يتعصب على عثمان ويعيب عليه، فأراد بالسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه، ولذلك كبر مستحسنًا لما أجابه به ابن عمر، لكن ابن عمر أظهر له العذر عن جميعها لما عرف قصده، وقال له في آخر كلامه: "أذهب بها الآن معك" أي: اقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان<sup>(١)</sup>.

ونجد بعض المسلمين ينتهج نهج هذا المصري من تصيد الأخطاء، واستلاها، دون تلمس للأعذار أو نظر للمحاسن.

والعجب كل العجب كيف استزل الشيطان الناس في استباحتهم أعراض العلماء والأمراء والمشهورين من المسلمين، والتساهل في الخوض في سبهم وشتمهم، وغيبتهم، فبعض المجالس<sup>(٢)</sup> لا تدور إلا بما قال هذا العالم أو فعل ذلك

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٧ / ٥٩).

(٢) سواء كانت مجالس عادية، أو مجالس وأندية عبر القنوات الفضائية، أو الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).



الأمير؛ مما قد يكون من أموره الخاصة والتي يستتر بها، وكأنه لا حرمة لهم، أو أن غيبتهم مباحة، بل الأمر يتعدى الغيبة ليصل إلى البهتان، فاحذر أخي المسلم من هذا المزلق، فإنه مؤشر خطير على سوء حال الراعي والرعية<sup>(١)</sup>.

ج- إن سبل الضلال كثيرة، وحبل الشيطان عديدة، لذلك نجد أصحاب الأهواء والفرقة المخالفين للسنة يعمدون إلى ما يصدر من أولي الأمر من أقوال أو أعمال- خاصة إن كانت مجملة أو فيها إبهام- فيعمدون إلى تأويلها تأويلاً فاسداً حسب ما يشتهون، ويحاولون الاستدلال بالنصوص وفق ما يخدم مصالحهم، فهذا رجل سائل يأتي عبد الله عمر رضي الله عنه ويقول له: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أغير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أغير بهذه الآية التي يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٩٣)، قال: فإن الله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه: إما يقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافق فيما يريد قال: فما قولك في عليّ وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في عليّ وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليّ فابن عم رسول الله ﷺ وختنه- وأشار بيده- وهذه ابنته أو بنته حيث ترون<sup>(٢)</sup>.

فهذا السائل يعتقد أمراً فجاء يسأل لا سؤال استفهام ومعرفة، بل سؤال من اعتقد شيئاً ويريد أن يؤيده ويحتج له، فكان السائل يرى قتال من خالف الإمام

(١) انظر ما تقدم في المبحث الثامن من هذا الفصل.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" (٨ / ٣٠٩ فتح).

الذي يعتقد طاعته، وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك، ولذلك لما رأى أن ابن عمر لا يوافقهما فيما يعتقدونه ولا يؤيده على استدلاله، صرح بمراده وقال: "فما قولك في عليّ وعثمان؟ فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان<sup>(١)</sup>."

ومن الأمثلة على تحريف الأقوال وصرفها حسب ما يهواه السامع لا على حسب مراد القائل: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أرسلت إلى ابن عمر تقول له: "بلغني أنك تحرم صوم رجب؟ فقال لها ابن عمر: فكيف بمن يصوم الأبد؟!<sup>(٢)</sup>."

يقول الإمام أبو بكر محمد الطرطوشي<sup>(٣)</sup> تعليقاً على هذا الأثر: "وقديماً حرّف العامي على الخاص: هذا ابن عمر كان يكره صوم رجب كله إما حذراً أن يعتقد الجاهل أنه مفروض، وإما حذراً أن يعتقد سنة ثابتة مؤقتة، فقال الناس: حرّم ابن عمر صيام رجب، وهذا التحريف ديدن الناس اليوم، والله المستعان"<sup>(٤)</sup>.

وصدق الإمام الطرطوشي فهذا التحريف ديدن الناس اليوم! لذلك يجب على العلماء والأمراء ورؤوس الناس البعد عن مواطن الشبه، والحذر من الأمر الملتبس وإن كان في نفسه مباحاً، حتى لا يلتبس على العامة لجهلهم وقصر نظرهم، أو لسوء ظن بعضهم، فعلى أولي الأمر دفع الريبة عن أنفسهم وإيضاح الموقف وعدم السكوت أو التأجيل، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وذلك أن صفية بنت

(١) انظر فتح الباري (٨ / ٣١٠).

(٢) انظر كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي (١٤١).

(٣) هو: أبو بكر محمد بن الوليد بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي، الفقيه، شيخ المالكية، وعالم الإسكندرية كان إماماً عالماً، زاهداً ورعاً. توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر: السير (١٩ / ٤٩٠)، الوفيات (٤ / ٢٦٢).

(٤) كتاب الحوادث والبدع (١٤١).

حيي زوجه جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة؛ مرّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: {على رسلكما، إنما هي صفة بنت حيي}. فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبرّ عليهما، فقال النبي ﷺ: {إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً} (١).

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث من الفوائد... التحرّز من التعرّض لسوء الظن، والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم" (٢).

لذلك لما أبصر عمر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله وعليه ثوبان ممشقان (٣)، قال له: "ما هذا ياطلحة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر" (٤)، فقال: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم، ولو رآك أحد جاهل قال: طلحة يلبس الثياب المصبغة وهو محرم، وإن أحسن ما يلبس المحرم البياض، فلا تلبسوا على الناس" (٥).

كما أنه ينبغي على أولي الأمر: علماء وأمراء، وعلى المعارضين لهم: أن يفتحوا باب الحوار والنقاش للنظر في سبب الخلاف بينهما ووجه الاعتراض،

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوادثه إلى باب المسجد، (٤ / ٢٧٨ فتح).

(٢) فتح الباري (٤ / ٢٨٠).

(٣) أي مصبوغ بالمشق وهو المغرّة وهو صبغ أحمر. انظر لسان العرب (١٠ / ٣٤٥)، النهاية في غريب الحديث (٤ / ٢٨٥).

(٤) أي مصبوغ بالمدر، والمدر: الطين اليابس، انظر النهاية في غريب الحديث (٤ / ٢٦٧)، لسان العرب (٥ / ١٦٢).

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٢٢٠).

وطرح كل أوجه النقد ومناقشتها لتجلية الموقف، فإن كان فيه لبس وضح، وإن كان العالم أو الأمير أو الرئيس مخطئاً تراجع عن خطئه؛ إذ لا عصمة لأحد من الناس إلا الأنبياء.

إن ترك الحوار والاستفهام، وترك التثبت يجلب الفتنة والمحنة للأمة، واعتبر بما حدث مع عثمان رضي الله عنه ومع الخارجين عليه المخالفين لأمره، إذ طلب عثمان رضي الله عنهم - وهذا من فقهه وعلمه - في بادئ الأمر أن يستعقبوه، وأن يعرف منهم سبب غضبهم وخروجهم عليه، ويسمعوا له ويفهموا سبب فعله، ولما حدث الحوار بين الطرفين تمهدت الأعذار، وانزاحت العلل، ولم يبق لهؤلاء الخارجين الثائرين شبهة، خاصة من كان من الأتباع المخدوعين المغرر بهم، فما أن سمعوا قول عثمان رضي الله عنه وحجته إلا عرفوا الحقيقة واقنعوا ورجعوا إلى ديارهم<sup>(١)</sup>.

لكن أصابع الفتنة ما زالت تعبت بعقول العامة، وتنتشر الفرقة في جسد الأمة مستعملة الكذب والشائيات والتزوير، فما أن أقفلت الجموع الثائرة على عثمان رضي الله عنه إلى ديارهم راضية مقتنعة، إلا بعثت الكتب المزورة في أثرها تغريها بالرجوع<sup>(٢)</sup>، فكان ما كان من عودتها وحصارها لأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتله محصوراً شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.

فهذه الجموع الثائرة لم تنصت لصوت الحق دائماً، ولم تثبت وتبين في كل مرة، ولم تتحاكم إلى قول الله رسوله ﷺ بل جعلت الهوى لها قائداً والكذب حجة فضلت وأضلت، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) انظر حاشية العواصم من القواصم لمحج الدين الخطيب (١٢٠).

(٢) انظر ما تقدم في أول هذا السبب من هذا الفصل.

## المبحث العاشر

## التشبه بالكافرين، واتباع سننهم

لقد حذرنا الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ من اتباع سنن الكافرين<sup>(١)</sup> خاصة أهل الكتابين، وأخبرنا أن أمته ستتبع السنن الماضية الضالة، وأنها ستفترق كما افترقوا. وفي هذا بيان أن تقليد الكفرة واتباع طريقتهم وسيرتهم من أسباب الفرقة التي دبت في الأمة، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحداً}. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: {لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها شبراً شبراً وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟}<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر عن أبي واقد الليثي<sup>(٣)</sup> أنه قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ينوطون بها

(١) السنة في الأصل الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، انظر النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٦٨)، لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٢٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتبتعن سنن من كان قبلكم، (١٣/ ٣٠٠ فتح)، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦/ ٢١٩).

(٣) هو: الحارث بن عوف مشهور بكنيته واختلف في اسمه، صحابي حمل لواء بني ليث وضمه وسعد يوم الفتح وحنين، مات عام ٦٨ هـ بمكة. انظر: الإصابة (٤/ ٢١٥) دار الفكر، الاستيعاب (٤/ ٢١٥).

أسلحتهم<sup>(١)</sup>، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر إنها السنن قلتم- والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الاعراف ١٣٨) . لتركبن سنن من كان قبلكم} (٢).

ويقول ابن تيمية: فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم. وقد كان ﷺ ينهى عن التشبيه بهؤلاء وهؤلاء<sup>(٣)</sup>.

ولقد جاءت نصوص كثيرة تأمرنا بمخالفة الكفار، وتنهى عن التشبه بهم، ولقد خصت الفرقة بمزيد ذكر في كتاب الله عزّ وجلّ حيث جاء النهي عن مشابهة الكافرين في تفرقهم خاصة<sup>(٤)</sup>، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (ال عمران ١٠٥)

ويأمر الله عزّ وجلّ نبيه بمخالفة الكافرين وعدم اتباع أهوائهم، يقول عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجّة ١٨)، ويقول سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا

(١) ينطون بها أسلحتهم: أي يعلقونها بها، ويعكفون حولها. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٣).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٢١٨)، واللفظ له، وسنن الترمذي، كتاب الفتن باب لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/ ٤٧٥)، وقال الترمذي عنه: "حديث حسن صحيح"، وانظر صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ٢٣٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨١، ١٧٠).

(٤) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٠١)، وانظر ما تقدم في الفصل الثاني عشر عن النهي عن مشابهة الكافرين وأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم (١١٧).

وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
 وَاقٍ ﴿٣٧﴾ (الرعد ٣٧)

والناظر لأحوال الأمة الآن يجد أن الفرقة قد دبت بين المسلمين، وأن البدعة قد  
 فشت فيهم، وأن في كثير منها مشابهة ومضاهاة للكافرين، مثل الغلو في الصالحين،  
 وكنتم العلم أو تحريفه كما فعلت اليهود، أو جحد الحق الذي مع المخالف كما  
 فعلت اليهود والنصارى، والغلو في الدين والابتداع فيه من البناء على القبور،  
 واتخاذ العبادات والأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله<sup>(١)</sup>، والذي من شأنه أن  
 يحرف الناس عن الصراط المستقيم، ويلجئهم للسبل المفرقة للأمة.

وحاضر المسلمين اليوم شاهد على ذلك من ترك أكثرهم نصوص الوحيين  
 وجريهم خلف الكافرين ومتابعة عوائدهم وسننهم سواء كان على مستوى الدولة  
 في السياسة والحكم أو على مستوى الفرد في الأخلاق والسلوك مما يوهن جسد  
 الأمة، ويبث الفرقة والاختلاف فيها كما هو واقع الآن.

ولقد بين ابن تيمية رحمه الله الحكمة من النهي عن مشابهة الكافرين، والأمر  
 بمخالفتهم، وأن في ذلك مزيد تمسك بالصراط المستقيم فقال: "وإنما الغرض أن نبين  
 ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، وأن يفتح باب إلى معرفة  
 الانحراف..."

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة، وكان من هذه الحكمة أن شرع له من  
 الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في  
 الهدى الظاهر لأمر منها: أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين  
 المتشابهين، يقود إلى موافقة ما؛ في الأخلاق والأعمال.

(١) انظر دراسات في الأهواء والفرق والبدع لناصر العقل (٣٥٧ - ٣٦٠)، التشبه المنهي عنه في  
 الفقه الإسلامي لجميل اللويحق (٤٩، ٥٢، ١٧٧، ٣٣٩).

ومنها أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام- الذي هو الإسلام لست أعني مجرد التوسم به ظاهراً، أو باطنياً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة- كان إحساسه بمفارقته اليهود والنصارى باطنياً وظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التميز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين<sup>(١)</sup>.

وإن صاحب هذا التقليد للكافرين هوى في النفوس كان أدهى وأمر، وأشد تفريقاً للأمة، لما في اتباع الهوى من صد عن الصراط المستقيم، كما يتضح بالآتي:

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/٩٢-٩٤) باختصار.



## المبحث الحادي عشر

## اتباع الهوى

لقد أمرنا الله عزّ وجلّ بوجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ، ووصانا سبحانه بلزوم الصراط المستقيم واتباعه، وبيّن سبحانه أن من خرج عن الصراط المستقيم لما تهواه نفسه فهو تائه ضالّ بذلك<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)

إنهما أمران لا ثالث لهما: إما أن يكون المرء متبعاً للحق، أو يكون متبعاً للهوى، يقول الإمام الشاطبي في معرض ذمه للبدع: "أنه<sup>(٢)</sup> اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص ٢٦)، فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجرداً إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وبيّن في موضع آخر أن اتباع الهوى من أسباب الاختلاف ووقوع الفرقة في الأمة فقال: "من أسباب الخلاف: اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ / ١٩).

(٢) أي: اتباع البدع.

(٣) الاعتصام (٣٥).

عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك»<sup>(١)</sup>.

والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعاً ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ (البقرة ٢٦).

وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصاً على الغلبة والظهور بإقامته العذر في الخلاف، وإنما أدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق<sup>(٢)</sup>، لذلك لم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم<sup>(٣)</sup>.

ولقد جاء الأمر صريحاً لمحمد ﷺ باتباع الشرع الحنيف، والنهي عن اتباع الهوى فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الحجرات ١٨).

والشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به، وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة، فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله على عباده من هداة.

ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمونهم بذلك...

(١) المرجع السابق (٤٤٧)، وانظر المبحث الثالث من هذا الفصل (١٥٧).

(٢) انظر الموافقات للشاطبي (٤/ ٥٧٦)، وانظر منه (٤/ ٥٣٦).

(٣) انظر الاعتصام (٤٥٠).

قال أبو العالية: تَعَلَّمُوا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يميناً وشمالاً، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء<sup>(١)</sup>.

وصدق أبو العالية رحمه الله، فهذه الأهواء المذمومة قد فرقت الأمة، وفككت كيان الجماعة المسلمة<sup>(٢)</sup>، ولقد أخبرنا عن ذلك محمد ﷺ لنحذر منها، ونجانبها، ونلزم الجماعة المسلمين، ونسلك الصراط المستقيم، ففي الحديث عن معاوية بن أبي سفيان قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر: {أن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمي قوم يهوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يدع منه عرقاً ولا مفصلاً إلا دخله}<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: {إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء}<sup>(٤)</sup>. ولقد أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على الرجل الذي قال له: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال له ابن عباس: "أهوى كله ضلالة"<sup>(٥)</sup>.

وها هو ذا عبد الله بن عمر يقول: "ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء"<sup>(٦)</sup>.

- (١) الاستقامة لابن تيمية (١ / ٢٥٣ - ٢٥٤)، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١ / ٩٧).
- (٢) انظر ما تقدم في المبحث الثالث والرابع عن التأويل الفاسد (١٥٧، ١٦٨).
- (٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١ / ٧)، وصححه الألباني هناك، وانظر ما سيأتي في الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول عن حديث الافتراق ورواياته (٢٤٥).
- (٤) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١ / ١٢)، وقال الألباني: إسناده صحيح.
- (٥) كتاب الشريعة للأجري (١ / ٤٤٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ١٣٠).
- (٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي (١ / ١٣٠).

وليعلم أن النهي عن اتباع الهوى نهى يشمل: هوى الشهوات وهو داء العصاة، الذي يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق كفسق الأعمال ونحوها وهو الاستمتاع بالخلق.

وهوى الشبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وهو يقع بالاعتقاد الباطل كالبدع ونحوها، وهو الخوض في الباطل.

وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (التوبة: ١٩).

ولقد كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

والدواء لهذين الدائنين يكون بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (السجدة: ٢٤).

فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تدفع الشبهات<sup>(١)</sup>.

إن النهي في اتباع الأهواء ليس نهياً عن اتباع أهواء الأمم السابقة، بل يلحق به متابعة أهل الأهواء والبدع في بدعهم، أو مداهنتهم عليها والسكوت عن الإنكار عليهم تحت أي دعوى من الدعاوى الحديثة التي تزعم التقريب أو التأليف بين الفرق، وهي في حقيقتها تطالب بتنازل أهل السنة عن السنة وعن الاتباع، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١١٨ - ١٢٣) باختصار وتصرف، إعلام الموقعين (١/ ٦٨،

١٣٦)، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٩٧).

حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلِيئِهِمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ آلِهَةٍ إِلَّا يَتَّبِعُهَا ۚ أَتَتَّبِعُهَا إِنْ هُوَ اللَّهُ هَادِيَ ۗ وَلَئِنْ أَتَّبَعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ  
الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ (البقرة ١٢٠)

يقول: وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع عنه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه، ترك الدهان لأهل البدع والتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما، فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً، وأبان من أخلاقه لينا لا يرضيه إلا اتباع بدعته، والدخول في مداخله والوقوع في حبائله، فإن فعل العالم ذلك... فهو إذ ذاك ماله من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة، وهالك بلا شك ولا شبهة<sup>(١)</sup>.

والمتأمل لأسباب الفرقة التي تقدم ذكرها، يجد أنها تدور في رحاها بين الجهل وبين اتباع الهوى والظلم، لذلك لا اجتماع للأمة إلا بوحدتها على كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم، والتزام صراطه المستقيم علماً وعملاً، حقاً وعدلاً، وما أحوجنا إلى سؤال الله ذلك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله، وعدل ينافي ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل، والعدل المفصل، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم"<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح القدير للشوكاني (١ / ١٣٥).

(٢) الفتاوى (١٤ / ٢٧)، وانظر درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٠٩)، منهاج السنة النبوية

## الفصل الرابع

### مضار الفرقة في الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة

المبحث الأول : مضار الفرقة في الكتاب والسنة والآثار المروية عن الصحابة ﷺ

#### المطلب الأول: ضرر الفرقة على الفرد المفارق

لقد جاء النهي الأكيد والتحذير الشديد من الفرقة<sup>(١)</sup>، كما أن الله عزّ وجلّ توعّد الساعي في تفريق الأمة، المفارق لجماعتها بالوعيد الشديد مما يلحق به الضرر البالغ، ومن ذلك:

أولاً- الوعيد الشديد من الله تعالى لأهل الفرقة: لقد توعّد الله سبحانه المفارق للجماعة المسلمة في نصوص عديدة، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥)

فمن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، وخالف ما اجتمعت عليه الأمة المحمدية<sup>(٢)</sup>، وخالف طريق المسلمين<sup>(٣)</sup> فقد عرض نفسه للعقاب الشديد من الله عزّ وجلّ في قوله تعالى: ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥) أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف ٥)

وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا النار يوم القيامة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ما تقدم: الفصل الثاني ثالثاً.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٥).

(٣) انظر تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٧).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٦).

وقال الله عزّ وجلّ متوعداً المفارقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال ١٣)

فهؤلاء الذين خالفوا الله ورسوله وساروا في شق وتروكوا الشرع والإيمان واتباعه في شق، وشقوا العصا وجعلوها فرقتين... فهؤلاء توعدهم بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هو الطالب الغالب لمن خالفه وناواه، لا يفوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه<sup>(١)</sup>.

ويكفي أهل الفرقة أصحاب البدع وعيدا لهم أن رسول الله ﷺ منهم بريء، وهم منه برءاء<sup>(٢)</sup>. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام ١٥٩)

عن الحسن البصري قال: خرج علينا عثمان بن عفان ﷺ يوماً يخاطبنا، فقطعوا عليه كلامه، فتراموا بالبطحاء، حتى جعلت ما أبصر أديم السماء، قال: وسمعنا صوتاً من بعض حجر أزواج النبي ﷺ فقيل: هذا صوت أم المؤمنين، قال: فسمعتها وهي تقول: ألا إن نبيكم قد برئ من فرق دينه واحترز، وتلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعند الطبري أن أم سلمة قالت: ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله ﷺ في شيء، ثم قرأت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

ولما كان هؤلاء المفارقون بريئين من محمد ﷺ، ومحمد منهم بريء توعدهم الله فقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ (الأنعام ١٥٩).

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨١) بتصرف.

(٢) انظر ما تقدم: الفصل الثاني تاسعاً (١١٦).

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٣)، وأم المؤمنين هنا هي أم سلمة رضي الله عنها يفسره الأثر الذي بعده.

(٤) انظر تفسير الطبري (٨/ ٧٨).

أي: أنا الذي إليّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد، إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم، ويوم القيامة يجازي كلّ منهم بما فعله في الدنيا، المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة كما قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

ثانياً- تسويد الوجوه يوم القيامة: إن الفضيحة أن يأتي أهل الفرقة أصحاب البدع يوم القيامة وقد اسودت وجوههم عقاباً لهم لما أحدثوه في دين الله وفارقوا به المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٦) (ال عمران ١٠٥-١٠٦)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: يُعني يوم القيامة حين تبييض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة- قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٢).

ثالثاً- أن شذوذه عن الجماعة شذوذ إلى النار: هذا ما توعد به رسول الله ﷺ المفارق للجماعة، فإن مفارقتها هذه وشذوذه عن الصراط المستقيم إنما هو شذوذ إلى النار والعياذ بالله، قال رسول الله ﷺ: {إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار}.

بل إن هذا الذي خلع طاعة إمامه، وفارق جماعة المسلمين قد ارتكب إثماً عظيماً عند الله ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: {فمن خرج عن الجماعة قيد شبر فقد

(١) انظر تفسير الطبري (٧٩/٨) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٩٠).



خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع}. وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "والله ما فارق رجل الجماعة شبراً إلا فارق الإسلام".

رابعاً- إن المفارق يأتي يوم القيامة ولا حجة له: ولا يسأل عنه لسوء حاله، ففي

الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له}.

وقال: {ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً، وأمة أو عبد

أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فترجعت بعده} (١).

خامساً- الحرمان من الشرب من حوض رسول الله ﷺ: ما أشد عطش الناس يوم

القيامة؟! ومن أشد الحرمان أن يحرم العبد المسلم من أن يشرب من حوض نبينا محمد ﷺ شربة لا يظماً بعدها أبداً، ويخشى على المبتدعة المفارقين لجماعة المسلمين أن يكونوا ممن يحال بينهم وبين الشرب من الحوض (٢).

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم،

وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم} (٣).

وقال ﷺ: {أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم

اخرجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك} (٤).

(١) مسند الإمام أحمد (٦ / ١٩)، المستدرک للحاکم (١ / ١١٩)، کتاب السنة لابن أبي عاصم مختصراً (٤٢٢) وقال عنه الألباني: إسناده صحيح.

(٢) انظر فتح الباري (١١ / ٣٨٥، ٤٦٣)، الاعتصام للشاطبي (٥٤) التذكرة للقرطبي (٣٠٦)، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع لجلال الدين السيوطي (١٥ - ٢٣)، النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ٢٣٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (١١ / ٤٦٦ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ (١٥ / ٥٥ نوي).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله "واتقوا فتنة" (١٣ / ٣ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ (١٥ / ٥٩ نوي).

سادساً- الموت ميتة جاهلية: إن هذا المفارق للجماعة لو مات وهذا حاله فميتته ميتة جاهلية قال رسول الله ﷺ: {من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية}.

ويقول ﷺ: {من رأى من أمره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية}.

والمراد بالمفارقة: السعي في حلّ عقد البيعة التي حصلت للأمر ولو بأدنى شيء، فكفى عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير الحق<sup>(١)</sup>.

فهذا وعيد شديد لكل من يسعى لقلب الحكم وحلّ البيعة بسيفه بالإفساد كالتفجير والتهديد والقتل وإخلال الأمن، أو بلسانه بتأليب الناس على الإمام وتحريضهم للخروج عليه، فمن هذا شأنه ومات على ذلك فحال موته كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لا أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً<sup>(٢)</sup>.

سابعاً- البعد عن التوبة، واستدراجه في معصيته: لقد حجب الله سبحانه التوبة عن صاحب البدعة المفارق للجماعة<sup>(٣)</sup> الخارج عن الصراط المستقيم، يقول رسول الله ﷺ: {إن الله حجب- أو قال حجب- التوبة عن كل صاحب بدعة}<sup>(٤)</sup>.

وعن يحيى بن أبي عمرو السيباني<sup>(٥)</sup> قال: 'كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة

(١) انظر فتح الباري (١٣ / ٦ - ٧)، وانظر ما تقدم في الفصل الثالث، المبحث الثامن.

(٢) انظر فتح الباري (١٣ / ٧) بتصرف وزيادة.

(٣) إن المفارق للجماعة بمعصيته هذه التي تعتبر من البدع هو من ضمن المبتدعة، يقول الشاطبي: 'وأما مفارقة الجماعة فبدعتها ظاهرة، لذلك يجازى بالميتة الجاهلية'. انظر الاعتصام (٣٨٥).

(٤) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢١) وقال عنه الألباني 'حديث صحيح'.

(٥) هو: يحيى بن أبي عمرو السيباني أبو زرعة الحمصي، ابن عم الأوزاعي، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر تهذيب التهذيب (١١ / ٢٦٠).

توبة، وما ينتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منه<sup>(١)</sup>.

وتصديق ذلك ما قاله رسول الله ﷺ عن الخوارج: {يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون إليه حتى يرجع السهم إلى فوقه}<sup>(٢)</sup>.

ولعل بيان سبب حجب التوبة عنه وبعدها منه في قوله ﷺ بعد ذكر الافتراق المشهور وذكره لافتراق أمته قال: {وإنه سيخرج في أمي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله}.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله شارحاً ذلك: "وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جداً لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع، فعلى حكم التبعية لا بحكم الأصل مع ضميمة أخرى: وهي أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي في زعمه، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك، وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة"<sup>(٣)</sup>.

ثم ما الذي يصدّه عن الاستمساك بمنهجه، والازدياد من رأيه، وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره، واعتقاداته أوفق وأعلى؟ أفيئيد البرهان مطلباً؟! ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (السنن ٣١)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر كتاب ما جاء في البدع لمحمد بن وضاح القرطبي (١١٧ - ١١٨).

(٢) الاعتصام (١٠٠).

(٣) انظر الاعتصام (١٠١) بتصرف

وينبغي أن نعلم أن هذه النصوص لا تدل على أن لا توبة أصلاً للمبتدع المفارق للجماعة، بل قد يتوب ويرجع إلى السنة والجماعة، وقد وقع، فالعموم في الحديث ليس عموماً بإطلاق يقتضي الشمول، بل هو عموم عادي يقتضي الأكثرية<sup>(١)</sup>.

وأغلب من تحجب عنهم التوبة، وتكون بعيدة المنال عنه: مَنْ قد أشرب قلبه بهذه البدعة، وأعجب برأيه وفعله، وظن أنه يتقرب بذلك إلى الله، فأخذ يدعو إلى بدعته وفعله، ويوالي ويعادي على ذلك، فهذا بحق يتجارى به الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه<sup>(٢)</sup>.

ولقد توعد الله سبحانه هذا المفارق للجماعة المعجب ببدعته توعدته باستدراجه على عمله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء ١١٥) فهذا المفارق للجماعة السالك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، المخالف سبيل المؤمنين يجازيه الله تعالى بأن ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نحسن فعله في صدره ونزينه له استدراجاً له، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف ٥)<sup>(٣)</sup>

ثامناً - عدم قبول العمل وإحباطه: إن هذا المفارق للجماعة، المحدث في دين الله، المخالف لسنة رسول الله ﷺ عمله مردود عليه وإن ظن أنه حسن وصواب، أو

(١) انظر الاعتصام (٥٢٦).

(٢) انظر تفصيل ذلك: الاعتصام للشاطبي (١٠٠، ٥٢٣ - ٥٣٤)، وانظر ما سيأتي (٢٤٦) هامش

(٣) معنى الكلب.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٦)، وانظر كتاب الاعتصام للشاطبي (٤٨).

كانت نيته حسنة فلا ينفعه ذلك ما دام أنه مخالف للسنة، يقول رسول الله ﷺ: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد}، فلا يقبل الله منه ما ابتدع وأحدث في دين الله فإنه ضلالة<sup>(١)</sup>.

وقيل إن صاحب البدعة لا يقبل منه عمل بإطلاق على أي وجه وقع، من وفاق السنة أو خلافها، قال ابن عمر رضي الله عنهما عن القدرية: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، فوالذي يحلف به عبد الله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما تقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر<sup>(٢)</sup>.

وكذلك جاء عن عبادات الخوارج حينما ذكر من صلاتهم وصيامهم وعملهم الصالح قال بعد ذلك ﷺ: {يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية}.

ويؤيد هذا القول ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: {المدينة حرم من عائر إلى كذا، من أحدث فيها حديثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل}<sup>(٣)</sup>.

وذلك على رأي من فسر الصرف بالفريضة، والعدل بالنافلة، وهذا شديد جداً على أهل الإحداث في الدين<sup>(٤)</sup>.

وقيل بل يرد عمله ولا يقبل إذا كانت بدعته أصلاً يتفرع عليه سائر الأعمال، كما إذا ذهب إلى إنكار العمل بخبر الواحد بإطلاق، أو كانت بدعته تخرجه عن

(١) انظر الاعتصام (٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أول من قال بالقدر (١ / ١٥٣ نووي).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة باب حرم المدينة (٤ / ٨١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٩ / ١٣٤ نووي)، وعائر أو عثر اسم جبل معروف بقرب المدينة. انظر فتح الباري (٤ / ٨٢).

(٤) انظر الاعتصام للشاطبي (٨٥) بتصرف، فتح الباري (٤ / ٨٦).

الإسلام، أو كان اعتقاده في الشريعة ضعيفاً بأن يدعي أنها مكملة أو تابعة لرأيه وعقله<sup>(١)</sup>.

تاسعاً- الحرمان من شفاعة الرسول ﷺ: ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: {رجلان ما تنالهما شفاعتي، إمام ظلم غشوم، وآخر غالٍ في الدين مارق منه}<sup>(٢)</sup>.

عاشراً- البعد عن رحمة الله، والوقوع في عذابه تعالى: إن أهل الفرقة بعيدون عن رحمة الله تعالى، إذ الرحمة تكون لأهل الاتفاق والاتلاف من الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأُمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩). فأهل الاختلاف المذكورين في الآية مباينون لأهل الرحمة<sup>(٣)</sup>، معرضون لعذاب الله قال رسول الله ﷺ: {الجماعة رحمة، والفرقة عذاب}، فالفرقة وأهلها بعيدون عن رحمة الله، واقعون في عذابه، معرضون أنفسهم لعقوبته تعالى<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر- جواز قتل المفارق المفرق للجماعة، وهدر دمه: لقد أجاز الشرع الحكيم قتل المفارق لجماعة المسلمين الساعي لتفريقها إذا لم يندفع إلا بذلك، وما ذاك إلا لخطورة فعله على الأمة، بل وجعل دمه هدرأ لا دية ولا قصاص فيه<sup>(٥)</sup>. قال رسول الله ﷺ: {إنه ستكون هنات وهنات<sup>(٦)</sup>، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان}. وقال أيضاً: {من أتاكم وأمركم جميع على رجل

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٨١-٨٨) باختصار وتصرف.

(٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢٣) وقال عنه الألباني: "حديث صحيح". وانظر الاعتصام (٩٦).

(٣) انظر الاعتصام (٤٤٢).

(٤) انظر ما تقدم في الفصل الثاني خامساً (١٠٨).

(٥) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٢ / ٢٤١).

(٦) الهنات جمع هنه وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا: الفتن والأمور الحادثة.

انظر شرح صحيح مسلم (١٢ / ٢٤١).

واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه} (١).

الثاني عشر- تسلط الشيطان عليه وملازمته له: إن شأن كل معرض عن الحق، مقبل على هواه مخلد إلى دنياه شأنه أن يكون ولياً للشيطان، تابعاً له، يقول الله عز وجل: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَهُ ءَايَاتِنَا فَاَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (الأعراف ١٧٥-١٧٦)

قال رسول الله ﷺ: {من أراد بمجوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد}.

وقال أيضاً: {يد الله مع الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الشاة ذئب الغنم} (٢).

فليحذر المفارق للجماعة، الساعي في تفريق كلمة المسلمين، والعامل على شق عصا الطاعة، فليحذر من استزلال الشيطان إياه، وتزيينه له عمله (٣)، وليعد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليلزم الصراط المستقيم، جماعة المسلمين، وليكن ولياً من أولياء الرحمن، وليبعد عن حزب الشيطان.

الثالث عشر- إن صاحب البدعة الساعي للفرقة تنزع منه العصمة، ويبعد عن الرحمة، ويوكل إلى نفسه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٢) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٢ / ٢٤١ نووي).

(٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٩٩)، وقال عنه الألباني (حديث صحيح).

(٣) انظر ما تقدم في الفصل الثاني عشر (١٢٧).

إِحْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَيَّ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (آل عمران ١٠٢-١٠٣)

فأشعر أن الاعتصام بحبل الله هو تقوى الله حقاً، وأن ما سوى ذلك تفرقة لقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ والفرقة من أحس أوصاف المبتدعة لأنه خرج عن حكم الله وباين جماعة أهل الإسلام<sup>(١)</sup>.

الرابع عشر- ما يلقي المفارق للجماعة من الذل في الدنيا والغضب من الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنُأَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ (الأعراف ١٥٢). فالآية وإن كانت في شأن عبادة العجل من بني إسرائيل، ولكن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ عموم فيهم وفيمن أشبههم من حيث كانت البدع كلها افتراءً على الله.

فكل من ابتدع في دين الله فهو ذليل حقير بسبب بدعته، وإن ظهر لبادي الرأي في عزه وجبريته فهم في أنفسهم أذلاء، وما العز الذي ينالوه إلا بسبب ملازمتهم للسلطين واللوذ بأهل الدنيا، أما من لم يقدر على ذلك فهو ذليل مستخف بدعته عن الجمهور<sup>(٢)</sup>. ومن ذلة أهل البدع والفرقة ما جاء في النهي عن توقيهم ومجالستهم ومخالطتهم<sup>(٣)</sup>.

الخامس عشر- أن هذا المبتدع المفرق لجماعة المسلمين المفارق لصراطه المستقيم عليه إثم من عمل بدعته، وسار على ضلالتة إلى يوم الدين، فياله من إثم عظيم ووزر ثقيل؟!<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٨٩-٩٠).

(٢) انظر الاعتصام (١٠١-١٠٢)، وانظر الحكم الجديدة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: "بعثت بالسيف بين يدي الساعة لابن رجب الحنبلي (٨٩-٩٠).

(٣) انظر الاعتصام (٩٠).

(٤) انظر الاعتصام (٩٧).



قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (التحل ٢٥)

وقال رسول الله ﷺ: {ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء} (١).

السادس عشر- أنه يخشى عليه الفتنة وسوء الخاتمة: جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله وسأله: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال: لا تفعل، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ تَخَالَفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدور ١٣) (٢)

وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه، وما سنه نبيه ﷺ دون ما اهدوا إليه بعقولهم (٣).

لذلك قال عبد الله بن مسعود لمن رآهم في المسجد يذكرون الله بطريقة جماعية قال لهم: لقد أحدثتم بدعة ظلماً أو قد فضلتم أصحاب محمد علماً (٤). وفي لفظ آخر: لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم أو أنكم تمسكون بذنب ضلالة (٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة (١٦ / ٢٢٦ نوي).

(٢) انظر الحلية لأبي نعيم (٦ / ٣٢٦)، الاعتصام (١٣٢).

(٣) انظر الاعتصام (١٠٧).

(٤) انظر كتاب فيه ما جاء في البدع لابن وضاح (٤٤ - ٤٥).

(٥) انظر الاعتصام (١٠٤).

وأما ما يخاف عليه من سوء الخاتمة لأن صاحب البدعة الساعي في الفرقة مصر على ما نهى الله عنه، ومن مات مصرراً على المعصية فيخاف عليه<sup>(١)</sup>.  
 ويلخص الشاطبي ما تقدم ويزيد فيقول: "فاعلموا أن البدعة"<sup>(٢)</sup> لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجالس صاحبها تنزع منه العصمة، ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها، وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً؟! وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقى عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ، ويخاف عليه أن يكون معدوداً في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة، يعذب بنار جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ وتبرأ منه المسلمون، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة"<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: ضرر الفرقة على المجتمع المسلم

إن ضرر الفرقة عظيم، وخطرها جسيم على المسلمين أجمع، ولعل القارئ لحظ معنا في الفصول الماضية كيف أن شرر الفرقة كان بادياً، وضررها كان فاشياً ينهش في جسد الأمة، ومن هذه المضار:

أولاً- تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتسلب الأعداء على الأمة المسلمة: لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجهاد في سبيله فقال عزّ من قائل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة ٧٣)

(١) انظر الاعتصام (١٠٤).

(٢) تقدم أن مفارقة الجماعة من البدع. انظر "سابعاً من هذا المطلب" (٢١٥).

(٣) انظر الاعتصام (٨٣).

وقال سبحانه: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة ٤١) . ولقد جعل الجهاد ذروة سنام الإسلام التي يعلو بها الأمم، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: {رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد} (١).

ثم إن الذل والمهانة تقع على الأمة إذا تركت الجهاد في سبيل الله قال رسول الله ﷺ: {إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم} (٢).

يقول علي بن أبي طالب ﷺ: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف... فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا (٣).

إن الأمة القوية والدولة المتماسكة العاملة بأمر الله وأمر رسوله ﷺ هي التي تستطيع أن تقيم الدين وترفع علم الجهاد، ومتى ما شُغلت الأمة بهمومها، وانصرفت الدولة إلى تسكين الثائرة بين أبنائها، وتوطيد حكمها، فهي مشغولة عن جهاد عدوها.

- 
- (١) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة (٥ / ١١)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان (٢ / ١٣١٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٢٨).
- (٢) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة (٣ / ٢٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٦٦٣).
- (٣) نهج البلاغة المنسوب إلى سيدنا علي بن أبي طالب بشرح محمد عبده (١ / ٦٧) باختصار يسير.

وحينما تشغل الأمة بالأمها، وتضعف لتفرقها وتترك جهاد أعداء الدين، فلا ريب أن العدو يتربص بها، ويتسلط عليها، قال رسول الله ﷺ: {إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إني إذ قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من باقظارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد. فالله لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ماداموا بضد هذه الأوصاف المذكورة في قوله: حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً. فأما إذا وجدت هذه الأوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم وإمامهم كما وقع<sup>(٢)</sup>.

فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينها تفرقت جماعتهم، واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى<sup>(٣)</sup>.

وحاضر العالم الإسلامي برهان واقع، وتاريخها الماضي أصدق شاهد؛ أنه متى عز المسلمون دينهم، وأقاموا شرع الله تعالى، وامتلوا أمره ونهيه علماء وأمراء وعامة، واثقفوا واجتمعوا صفواً واحداً ضد عدوهم فهم الأعلون الغالبون.

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ١٣) نوي.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الوهاب (٣٢٤).

(٣) انظر إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عتيق (١٤٩).

أما إذا ضعف الامتثال لأمر الشريعة، وتفرقت الأمة واشتغلت بقتال بعضها بعضاً، فهنا يتسلط العدو ويغلب ويتصر.

يقول ابن كثير واصفاً حال الخلافة الإسلامية من عز وجهاد عند اتحاد صف المسلمين في خلافة عمر وعثمان وواليه معاوية رضي الله عنهم للشام، ويصفها حينما وقع النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما، فيقول: "ولم تنزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في بلاد الروم والفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي؛ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: "والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يالعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت". فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي فانهقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته. فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته؛ والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعتق<sup>(١)</sup>.

هذا هو حال أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر، فما أن تحل الفرقة بين المسلمين حتى يثوروا ويغزوا بلاد الإسلام، يقول ابن كثير: "ثم دخلت سنة ٧٠ هـ فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام، واستضعفوهما لما يرون من

(١) البداية والنهاية (٨ / ١١٨ - ١١٩) ..

الاختلاف الواقع بين بني مروان وابن الزبير، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام<sup>(١)</sup>.

فالله المستعان، بعد أن كان ملك الروم يدفع الجزية للمسلمين، صار المسلمون يدفعون له ثمن سكوته وكفّه عن بلادهم، فأى ضرر أشد على الأمة من تسلط أعدائها بسبب فرقتها واختلافها فيما بينها، فهل ينظر المسلمون إلى تاريخهم، ويتعظوا بأسلافهم، ويعودوا إلى الاجتماع صفاً مرصوفاً ويداً واحدة وجماعة متحدة، تعمل بكتاب ربها وتهتدي بسنة نبينا ﷺ ضد عدوها؟ نسأل الله ذلك.

ويعطينا شيخ الإسلام ابن تيمية صوراً عدة تظهر تسلط العدو الكافر على الأمة المسلمة حينما تتفرق وتختلف فيقول: "بلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها، كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها"<sup>(٢)</sup>.

ويقول: "وفي دولة بني بوية ونحوهم كان منهم أصناف المذاهب المذمومة، قوم منهم زنادقة، ومنهم قرامطة كثيرة، ومتفلسفة، ومعتزلة، ورافضة، وهذه الأشياء كثيرة فيهم غالبية عليهم، فحصل في أهل الإسلام والسنة في أيامهم من الوهن ما لم يعرف، حتى استولى النصارى على ثغور الإسلام، وانتشرت القرامطة في أرض مصر والمغرب والشرق وغير ذلك، وجرت حوادث كثيرة"<sup>(٣)</sup>.

ويقول مبيناً سبب هذا التسليط: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة - علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها - هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

(١) البداية والنهاية (٨ / ٣١٣).

(٢) الفتاوى (٢٢ / ١٥٤).

(٣) الفتاوى (٤ / ١٩).

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ<sup>١</sup> وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ (المائدة ١٤) (١)

نعم، إن الله يعاقب الأمة المسلمة حينما تعصيه ويعذبها بما يدب بينها من فرقة وتناحر حينما تتهاون في العمل بكتابها وسنة نبيها ﷺ، فهل من عودة إلى الدين والعمل به؟ ليعود للأمة مجدها وسيادتها<sup>(٢)</sup>.

ثانياً- ذهاب قوة المسلمين: إن من مضار الفرقة الجسيمة والتي تقع على الأمة ما يحدث بسببها من ذهاب قوة المسلمين: القوة المعنوية، والقوة المادية، لما تسببه الفرقة من تناحر وتقاتل بين الجماعات المسلمة كما في الحديث: {حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً}.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيْتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام ٦٥)

فاستجاب الله دعاء نبيه وأعاذه من الأمرين الأولين، ولم يجبه في الأمرين الآخرين وهو أن يجعلهم فرقا مختلفين، ويذيق بعضهم بأس بعض بالحروب والقتل<sup>(٣)</sup>.

إن الفرقة متى ما دبت في الأمة قاتل بعضهم بعضاً، وصار كل يريد الغلبة لنفسه، والسيادة للمكه، وتحقيق مصلحة نفسه، حتى لو قتل أخاه المسلم، وسبى أهله واعتدى على أرضه وماله.

(١) الفتاوى (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر ما تقدم في الفصل الثاني خامساً (١٠٨)، وانظر فتح الباري (١٣/ ٢٩٦)، (٨/ ٢٩١).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٩).

وانظر ما تقدم في الفصل الثالث، المبحث السابع (١٧٩).

ولعل المسلم ينظر ويعتبر بما حصل من مفاسد عظيمة جراء الخروج على عثمان رضي الله عنه، ومفارقة الجماعة والإمام؛ فخرج عليه السفهاء الجهلاء حتى قتلوه شهيداً مظلوماً رضي الله عنه وأرضاه.

ولقد نبّه عثمان رضي الله عنه وحذّر الذين حاصروه يريدون قتله ونبههم على ضرر الفرقة فقال: "يا أيها الناس لا تقتلوني واستتبيوني، فوالله لئن قتلتموني لا تصلون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه"<sup>(١)</sup>.

ولما قتل عثمان قال حذيفة بن اليمان: "والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنها لبناً، ولئن كان قتله شراً ليمتصن بها دماً"<sup>(٢)</sup>. وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنهم يوم قتل عثمان: "اليوم هلكت العرب"<sup>(٣)</sup>. وقال: "والله لا تهرقون محجماً من دم إلا ازددتم من الله بعداً"<sup>(٤)</sup>.

ولقد امتصت الأمة الدماء بقتل عثمان رضي الله عنه، فبعد الرخاء والأمن بدأت الفتن تشور بين المسلمين وفي بلادهم، وبدأ القتال والتفرّق يطحن في كيان الأمة، فجاءت وقعة الجمل، وأعقبها صفين، وقتل من المسلمين خلق كثير، فقتل في الجمل قرابة العشرين ألفاً، وفي صفين سبعون ألفاً<sup>(٥)</sup>. وما توالى على المسلمين من وقائع ونكبات أشد وأنكى.

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٧١).

(٢) انظر الطبقات الكبرى (٣ / ٨٣).

(٣) المرجع السابق (٣ / ٨١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر تاريخ خليفة خياط (١٨٦، ١٩٤).



وانظر كيف أشغلت الخلافة الإسلامية في العصور الماضية والحاضرة بقتال الفرق الخارجة الشاقة لعصا الطاعة، وكم من الدماء سفكت لتسكين ثائرتها؟ وكم من الأموال أنفقت لإسكات هذه الفرق؟.

إن زعزعة الأمن، وإثارة القلاقل والفتن في المجتمع المسلم تنهك اقتصاده، وتبعثر طاقاته التي من المفترض أن تجتمع لإعمار الأرض بدين الله، والدعوة إلى توحيد المولى سبحانه، والجهاد في سبيله لإقامة الحق ورد الباطل.

فهل يكف هؤلاء المبتدعة أصحاب الفرقة عن مساعدة أعداء الإسلام على الإسلام وأهله؟ وليتقوا الله فيما يقومون به ويفعلونه من إذهاب قوة المسلمين، وإضعاف مواردهم. وليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليسيروا مع الجماعة المسلمة على الصراط المستقيم لتكون صفاً واحداً يعلو ويعلو...، ويرد كيد الأعداء، ويتذكروا قول المولى عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران ١٠٣)

ثالثاً- الهزيمة والفشل: مما لا شك فيه أن الهزيمة والفشل تصيب الجماعة المتفرقة، المختلفة فيما بينها، والمعرضة على قيادتها، إذ كيف ينتصرون ويغلبون وهم لم ينتصروا بعد على هوى أنفسهم، ولم يغلبوا شيطانهم<sup>(١)</sup>.

ولقد نبه المولى العزيز سبحانه عباده المؤمنين على ذلك، وأمرهم بالاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ليتحقق لهم النصر على عدوهم، ولكن إن أبو إلا التفرق والاختلاف فالضرر لاحق بهم من الهزيمة والفشل.

(١) انظر ما تقدم الفصل الثاني، الثاني عشر (١٢٧).

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِعَةً فَانْتَبُوا  
وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا  
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الأفان ٤٥-٤٦)

فيا أيها المؤمنون أطيعوا ربكم ورسولكم فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا  
تخالفوهم في شيء، ﴿وَلَا تَنزَعُوا﴾ أي: لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم.  
﴿فَتَفْشَلُوا﴾ أي: فتضعفوا وتجنوا. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: تذهب قوتكم  
وبأسكم ووحدتكم، وتنقطع دولتكم، ويدخلكم الوهن والخلل<sup>(١)</sup>، والضعف عن  
جهاد العدو والانكسار له<sup>(٢)</sup>.

لذلك يوصيهم الله عزّ وجلّ بالصبر فيقول في ختام الآية: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ  
مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما  
أمرهم الله ورسوله، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون  
قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم  
فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى  
جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والجيوش  
وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله  
وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض  
ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في  
زمرتهم إنه كريم تواب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير الطبري (١٠/١١)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٦٥)،

تفسير ابن كثير (٢/٣٠٣).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٠/١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٠٣).

إن القوة والنصر مع الوحدة والجماعة: وحدة الرأي، ووحدة القيادة، ووحدة القوة، وإن الهزيمة والفشل مع الفرقة والاختلاف وتعدد القيادات حتى لو كثر العدد.

مثال ذلك ما حكاه الإمام ابن كثير رحمه الله يقول: "لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام ليمانعوا به أهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوه وحاولوه، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآراؤهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم.

وعن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون مسالمون من سالم، محاربون من حاربت، فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشووه، فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه<sup>(١)</sup>. ثم كان ما كان من الصلح مع معاوية وتنازله عن الخلافة له، فرضي الله عنهم وأرضاهم<sup>(٢)</sup>.

رابعاً- خروج الفرق، وفشو الفتن والبدع: ما أن تفرق الأمة، وتخالف أمر الله تعالى لها بالتزام الجماعة وسلوك الصراط المستقيم إلا وتقوى الفرق، وتخرج على إمام المسلمين، وتقاتل الجماعة، وتوقد معها الفتنة، وتنشر معها البدعة مما يزيد الأمة وهناً، والمسلمين بلاء<sup>(٣)</sup>. ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخوارج {أنهم يخرجون في فرقة من الناس}.

(١) البداية والنهاية (٨ / ١٦ - ١٧) باختصار، وانظر مثال آخر (٨ / ١٢٩) منه.

(٢) البداية والنهاية (٨ / ١٦ - ١٧) باختصار، وانظر مثال آخر (٨ / ١٢٩) منه.

(٣) انظر ما تقدم في الفصل الثالث، المبحث الثاني والسابع (١٤٨، ١٧٩).

وهذا شأن الفرق المبتدعة، شأن الضلالات والظلمات لا تجسر على الخروج إلا عند ضعف شمس الحق، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك، مثل: دولة المهدي، والرشيدي ونحوهما ممن كان يعظم الإسلام والإيمان، ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين، كان أهل السنة في تلك الأيام أقوى وأكثر، وأهل البدع أذل وأقل..."

وفي دولة أبي العباس المأمون ظهر الخُرْمِيَّة<sup>(١)</sup> ونحوهم من المنافقين، وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، وراسل ملوك المشركين من الهنود ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة.

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين<sup>(٢)</sup>، وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال، وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة...

فتولد عن ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه<sup>(٣)</sup>.

خامساً- وقوع العداوة والبغضاء، وذهاب المحبة والألفة: إن من أصول الدين العظيمة، وقواعده المهمة التي هي من جماع الدين ما وصى الله به من تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين<sup>(٤)</sup>.

(١) الخرمية فرقة من غلاة الشيعة، انظر ما سيأتي، الباب الثاني، الفصل الثالث، المبحث الأول عن غلاة الشيعة (٠٣٤٥).

(٢) وظهور ذلك يدل على وقوع الفرقة في الأمة لكثرة الطوائف فيها.

(٣) الفتاوى (٤/ ١٨ - ١٩) باختصار، والجهمية أصحاب الجهم بن صفوان، انظر مختصر مقالاتهم في الباب الثاني، الفصل الرابع، المبحث الأول عن فرق القدرية (٣٧٩).

(٤) انظر الفتاوى (٢٨/ ٣٣)، (٢٢/ ٢١١)، وانظر ما تقدم في الفصل الثاني رابعاً (١٠١).

ولكن يأبى أهل الفرقة والبدعة ذلك فما يزالون يهدمون الدين، ويفرقون قلوب المسلمين، ويوقعون بينهم العداوة والبغضاء، بما يفعلونه من تفريق المسلمين شيعاً وأحزاباً، يقول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الروم ٣١-٣٢)

ولقد أخبر الله عز وجل عن حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع والشقاق الواقع بينهم، والذي هو مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة ١٧٦) ، وقال سبحانه: ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (البقرة ١٣٧) . وقال عز وجل: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الحج ٥٢)

فهؤلاء المفارقين للجماعة، المخالفين للحق في شقاق: عداوة ومنازعة للحق وأهله، وعداوة ومنازعة فيما بينهم، يسعون لشق عصا الطاعة ولصدع الكلمة، وكما وصفهم سبحانه: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١١٤﴾﴾ (١) (الحشر ١١٤) . إن كل هذه العداوة والبغضاء التي بين أهل الفرقة وبين أهل الحق، والتي هي فيما بين المختلفين أنفسهم كلها بسبب تركهم ما أمروا به من الجماعة وإقامة الألفة والمحبة في المجتمع المسلم، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ

(١) انظر ما تقدم في الفصل الأول، المبحث الثاني، تعريف الفرقة في الاصطلاح (١٧١)، والفصل الثاني ثالثاً (٩٨).

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ (المائدة: ١٤).

يقول ابن تيمية رحمه الله: فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب<sup>(١)</sup>.

ويبين الإمام الشاطبي كيف يوقع أهل الفرقة بتفرقهم العداوة والبغضاء في الأمة فيقول: "وقد بين عليه الصلاة والسلام أن فساد ذات البين هي الحالقة، وأنها تحلق الدين، هذه الشواهد تدل على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع. وأول شاهد عليه في الواقع قصة الخوارج إذ عادوا أهل الإسلام حتى صاروا يقتلونهم، ويدعون الكفار كما أخبر عنه الحديث الصحيح، ثم يليهم كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك، فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال وعذاب وقتل أيضاً، حسبما بينه جميع أهل الأخبار.

ثم يليهم كل من ابتدع بدعة فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة، ويذمونهم ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكيين على الدنيا، ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكيين عليها، كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: "لو شهد عندي عليّ وعثمان وطلحة والزبير على شرك نعل ما أجزت شهادتهم".

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة<sup>(٢)</sup> في السكتين؟ فقال: "ما تصنع بسمرة!! قبح الله سمرة". بل قبح الله عمرو بن عبيد. فهكذا أهل الضلال يسبون

(١) الفتاوى (٣/ ٢٥٩)، وانظر (١٣/ ٢٢٧).

(٢) الحسن هو الحسن البصري وسمرة هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي جليل، معروف بالشجاعة والإقدام، نزل البصرة ومات بها عام ٦٠هـ وقيل مات بالكوفة. انظر الإصابة (٣/ ١٣٠) د/ دار الفكر، السير (٣/ ١٨٣).

السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة ٣٢).

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح، وكفر الصحابة رضي الله عن الصحابة، ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء<sup>(١)</sup>.

ولما كانت الفرقة بهذه الخطورة وهذا الضرر كان الصحابة ﷺ أبعد ما يكون عنها، وأسلم الناس منها كما سيأتي ويتضح في المبحث القادم إن شاء الله.

(١) الاعتصام (٩٥) باختصار يسير، وانظر ما تقدم في الفصل الأول: المبحث الثاني رابعاً: إن من سمات الافتراق ما يقع فيهم من عداوة (٧١).

## المبحث الثاني

## سلامة الصحابة ﷺ من الفرقة

لقد اختار الله عزّ وجلّ الصحابة ﷺ لصحبة نبيه ﷺ، وتبليغ دينه إلى الناس كافة، وما ذاك إلا لما علم ما في قلوبهم من محبة الحق، والعمل على نصرته، والاجتماع عليه، وبذل الأموال والأنفس في سبيل ذلك، يقول الحسن البصري رحمه الله واصفاً الصحابة: "أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله عزّ وجلّ لصحبة نبيه وإقامة دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"<sup>(١)</sup>.

وقد تقدّم معنا شيئاً عن فضل الصحابة وعن فقههم<sup>(٢)</sup>، ولعله بان لنا موقفهم من الفرقة من خلال الفصول السابقة، وكيف أنهم ذمّوها وعابوها، فهم أعرف الناس بخطرها وضررها، وكانوا كذلك أبعد الناس عنها وأسلمهم منها، ولا يعني ذلك أنهم ﷺ لم يختلفوا؛ بل اختلفوا ولكنهم لم يفترقوا، وهذا شأن أهل الرحمة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) ، فهم يختلفون اختلافاً لا يضرهم<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

(١) انظر كتاب الشريعة للأجري (٤/ ١٦٨٦).

(٢) انظر التمهيد، المبحث الثاني.

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤٢).



اللَّهُ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١﴾  
 (النساء ٥٩). وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم  
 في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام إسماعيل الأصبهاني رحمه الله: «إنا وجدنا أصحاب رسول الله  
 ﷺ اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين،  
 ونظروا فيما أذن لهم، فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة... وكانوا مع هذا  
 الاختلاف أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ولم ينقطع عنهم نظام  
 الألفة»<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان الصحابة ﷺ متآلفين، مجتمعين، بعيدين عن أهل الفرقة وعن  
 مناهجهم، وهناك نماذج ودلائل عدة على ذلك منها:

أولاً: ما تقدم من أقوالهم العديدة في أمرهم المسلمين بالجماعة، ونهيهم عن  
 الفرقة، وتحذيرهم من مغبة عواقبها<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن عباس ﷺ لسماك الحنفي: «يا حنفي الجماعة الجماعة!! وإنما هلكت  
 الأمم الخالية لتفرقتها، أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ  
 جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران ١٠٣)

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما  
 حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون  
 في الفرقة».

(١) الفتاوى (٩٥/٢٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢٤١) باختصار، وانظر عامه فهو كلام مفيد.

(٣) انظر ما تقدم في الفصل الثاني: النهي عن الفرقة والتحذير منها في الكتاب والسنة والآثار المروية  
 عن الصحابة (٩٠).

ويقول عمر بن الخطاب ؓ محذراً الأمة: "إياكم والفرقة بعدي". أما علي بن أبي طالب ؓ والذي يسير على نفس المنهج يقول: "الاختلاف حالقة الدين وفساد ذات البين، وإياكم والخصومات فإنها تحبط الأعمال، والاختلاف يدعو إلى الفتنة، والفتنة تدعو إلى النار، ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال ٤٦)".<sup>(١)</sup>

وهذا معاوية بن أبي سفيان ؓ ينصح الأمة ويحذرها من الفتنة فيقول: "إياكم والفتنة فلا تهموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستيصال".

ثانياً: العمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف: لقد حرص الصحابة ؓ على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفها، وسعوا إلى سد باب الفرقة حتى لو كان على حساب مصلحته، فمصلحة المسلمين أولى، وحقق دماهم أخرى بالعمل لأجله.

وخوفاً من الفرقة سارع الصحابة ؓ بتولية أبي بكر الصديق الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، ولإدراكهم أهمية جمع كلمة المسلمين على رجل يتولاها، اجتمعوا ؓ على بيعة أبي بكر ؓ ولم يقضوا شيئاً من أمر تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه حتى أحكموا أمر البيعة<sup>(٢)</sup>.

لقد كانوا يعلمون أهمية الاجتماع على طاعة الإمام، إذ في الخروج عن أمره ومخالفته زعزعة للأمن وتآليب للناس، وتفريق لجماعة المسلمين لذلك لما حج عثمان ؓ سنة ٢٩هـ وهو خليفة وأتم الصلاة في منى ولم يقصرها، عاتبه في ذلك عبد الرحمن بن عوف، واعتذر له عثمان ؓ بأنه قد تزوج بمكة فكان في حكم المقيم لا المسافر، وبأن أناساً من أهل اليمن ظنوا أن الصلاة للمقيم ركعتان، فأتم عثمان ؓ لذلك.

(١) ذم الكلام للهروي (٩/٤).

(٢) انظر شرح السنة للبقوي (١٠ / ٨١، ٧٨-٨٤).

ولما خرج عبد الرحمن بن عوف من عند عثمان لقي عبد الله بن مسعود وخاطبه في ذلك فقال ابن مسعود: "الخلاف شر، قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً. فقال عبد الرحمن بن عوف: "قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف يكون الذي تقول" أي نصلي معه أربعاً<sup>(١)</sup>.

هذا هو منهج العالمين بأمر الله تعالى، المدركين أهمية الجماعة وخطر الفرقة، وأنه أصل من أصول الدين وقاعدة من قواعده الكلية، لا يقدمون عليه أمر جزئي أو فرعي من أمور الدين<sup>(٢)</sup>.

يقول العلامة صالح بن المهدي القبلي<sup>(٣)</sup>، مبيناً حرص الصحابة على جمع الكلمة، واحتواء الخلاف وتجاوزه من أجل ذلك يقول: "أن أكثر إغضائهم كان لصيانة أخوة الإسلام وحرمة أهله، لا لتساهل في الخلاف، حتى ربما يقضي أحدهم ويترك رأيه خشية شيوع الخلاف"، كقول علي عليه السلام: "أقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الخلاف، حتى تكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي"<sup>(٤)</sup>.

ونقم ابن مسعود على عثمان عليه السلام ترك القصر وتابعه في الصلاة، فقبل له، فقال: "الخلاف كله شر". فتركوا التنويه بالخلاف محاذرة لتفاقم الشر، لا لأنه مرضي

(١) انظر حاشية العواصم من القواصم لمحج الدين الخطيب (٨٩)، وعزاه لتاريخ الطبري (٥/٥٦-٥٧).

(٢) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله عليه السلام في الأخبار للطبري (١/٢٢٤-٢٢٦) مسند عمر بن الخطاب، البداية والنهاية لابن كثير (٧/١٥٤).

(٣) انظر الموافقات للشاطي (٤/٥٣٥).

(٤) وهو: صالح بن مهدي بن علي القبلي، مجتهد، من أعيان الفقهاء، ولد في قرية ميقبل في اليمن، كان على مذهب الإمام زيد، ترك اليمن ورحل إلى مكة فاشتهر وكتب فيها مؤلفاته وتوفي بها، من كتبه: "الإتحاف لطلبة الكشاف" توفي سنة ١١٠٨ هـ انظر الأعلام (٣/١٩٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (٧/٧١ فتح).

عندهم، بل مراد الله تعالى كما شاع في المتأخرين وانتشر، إنما كان المهم المقدم عند أحدهم أن يكون الناس جماعة أو يموت سالماً من الفتنة كما قاله علي عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ويضرب لنا ذو النورين عثمان بن عفان عليه السلام أروع مثال وأصدقه لحرص الصحابة عليهم السلام على جمع الكلمة، والعمل على حقن دماء المسلمين ولو بسفك دمائهم، فلقد ضحى بنفسه ولم ينخلع من الخلافة خشية على أمة محمد عليه السلام أن يتركوا بلا إمام، أو تكون سنة للخارجين فيفتح باب شر على الأمة.

لقد دخل عبد الله بن عمر عليه السلام على عثمان وهو محصور في الدار، وقال: "ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأحنس؟ قال ابن عمر: ما أشار به عليك؟ قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي فإن خلعتُ تركوني، وإن لم أخلع قتلوني، قال ابن عمر: رأيت إن خلعت تترك مغلداً في الدنيا؟ قال: لا، قال: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا. قال ابن عمر: رأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ قال: لا. قال: فلا أرى أن تُسنَّ هذه السنة في الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصاً قمصكه الله <sup>(٢)</sup>."

وفي رواية عن عثمان أنه قال: "أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله <sup>(٣)</sup>"، وقال: "والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض <sup>(٣)</sup>".

وليس هذا فقط؛ بل إنه عليه السلام نهى الصحابة عن الدفاع عنه، وقاتل من حاصروه حتى لا يراق دم بسببه، فقد جاء زيد بن ثابت إلى عثمان وقال له: "هذه الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصاراً لله مرتين. فيقول له عثمان: أما القتال فلا <sup>(٤)</sup>".

(١) العلم الشامخ (٤٨٦).

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٦٦).

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٧٢).

(٤) انظر الطبقات (٣/ ٧٠)، وانظر العواصم من القواصم لابن العربي (١٢٥-١٢٩).



تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik



أنظر قناة التليغرام  
تحميل كتب و رسائل علمية  
Info

[t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah](https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah)

utan Undangan



ثبات على المنهج وتصميم على الحق ولو عذل العاذلون، ولا م اللائمون، ولم يكن السعي لجمع الكلمة والعمل على حقن الدماء صادر من الحسن بن علي وحده، بل كان هذا موقف الصحابة ﷺ ففي المقابل كان معاوية ومن معه من الصحابة حريصين أيضاً على جمع الكلمة وعقد الصلح، وحقن الدماء، لذلك أرسل معاوية للحسن بن علي ﷺ يطلب منه الصلح ويشترط لنفسه ما شاءه لا عن قلة عدد جيشه بل خوفاً من إراقة دماء المسلمين.

فروى البخاري عن الحسن البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية- وكان والله خير الرجلين - أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش... فقال: اذهب إلى هذا الرجل فاعرضاً عليه، وقولا له واطلبا إليه<sup>(١)</sup>.

فأتياه فدخلا عليه فتكلما، وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به... فصالحه. فقال الحسن<sup>(٢)</sup>: ولقد سمعت أبا بكر<sup>(٣)</sup> يقول: رأيت رسول

(١) أي طلب الصلح والتنازل عن الخلافة لمعاوية.

(٢) الحسن البصري راوي القصة.

(٣) هو: نفع بن الحارث وقيل: نفع بن مروح تلى في حصار الطائف ببكرة فاشتهر بأبي بكر مولى النبي ﷺ ومن فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم، توفي سنة ٥١ هـ وقيل ٥٢ هـ. انظر الإصابة

(٦/ ٢٥٢)، السير (٣/ ٥).

الله ﷺ على المنبر- والحسن بن علي إلى جنبه- وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: {إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين} (١).

يقول الإمام محمد بن الحسين الأجرى رحمه الله عن ذلك: "أنظروا رحمكم الله وميزوا فعل الحسن الكريم بن الكريم أخ الكريم ابن فاطمة الزهراء مهجة رسول الله ﷺ، الذي قد حوى جميع الشرف، لما نظر إلى أنه لا يتم ملك من ملك الدنيا إلا بتلف الأنفس وذهاب الدين، وفتنة متواترة وأمور تتخوف عواقبها على المسلمين، صان دينه وعرضه، وصان أمة محمد ﷺ، ولم يجب بلوغ ما له فيه حظ من أمور الدنيا، وقد كان لذلك أهلاً، فترك ذلك بعد المقدرة منه على ذلك تنزيهاً منه لدينه، ولصلاح أمة محمد ﷺ ولشرفه، وكيف لا يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: {إن ابني هذا سيد، وإن الله عز وجل يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين} (٢).

هذا هو المنهج، وهذا هو موقف الصحابة من الفرقة، موقف ثابت لثبات ما يستندون إليه من قول الله وقول رسوله ﷺ لا يتبدل أو يتغير، وإن تغير الأشخاص، فالخلافة والملك يعرض على صحابي آخر فيأباه خوفاً على الأمة، وخشية إراقة دماء المسلمين، فلقد عرضت الخلافة على عبد الله بن عمر لكنه رفضها وقال: "إني والله لئن استطعت لا يهراق في سبي محجمة دم" (٣).

ويقال له: لو أقمت للناس أمرهم، فإن الناس قد رضوا بك كلهم. فيقول لهم: "أرأيتم إن خالف رجل بالمشرك؟ قالوا: إن خالف رجل قُتل، وما قتل رجل في

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ: "أبني هذا سيد...."، (٣٠٦/٥ فتح).

(٢) كتاب الشريعة (٥/ ٢١٧٠)، وانظر فتح الباري (١٣/ ٦١-٦٧).

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١٥١)،

وانظر منه (٤/ ١٤٩، ١٥٢، ١٦٩، ١٧١، ١٨٢).



صلاح أمة؟ فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح، وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها<sup>(١)</sup>.

وفي موقف آخر لابن عمر ﷺ يظهر حرصه على موافقة الجماعة وعدم الخروج عنها، أو التسبب بالخروج عليها، إذ طلب معاوية بن أبي سفيان منه مبايعة يزيد ابنه بالخلافة بعده، وبيّن معاوية سبب ذلك قال: «إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع، فقال له ابن عمر: «إذا بايعة الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجذع الأطراف»<sup>(٢)</sup>.

ولما تمت البيعة ليزيد بن معاوية، وشكى الناس منه، وأراد أهل المدينة خلعه، ظهر من حرص الصحابة على جمع الكلمة ووحدة الصف، ما ظهر من تسكين الثائرة، والمناصحة للمخالفين، فلما قيل لأسير<sup>(٣)</sup> ﷺ ما قيل في يزيد قال ﷺ: «يقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، ولا أفقهها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً، وأنا أقول ذلك، ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد ﷺ أحب إليّ من أن تفرّق، رأيتم باباً لو دخل فيه أمة محمد ﷺ وسعهم أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟ قالوا: لا، قال: رأيتمكم لو أن أمة محمد ﷺ قال: كل رجل منهم لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله أكان هذا يسعهم؟ قالوا: نعم، قال: فذلك ما أقول لكم»<sup>(٤)</sup>.

ولقد رفض عبد الله بن عمر ورفض النعمان بن بشير وغيرهم من الصحابة رفضوا خلع يزيد بن معاوية، واشتد نكير ابن عمر على من خلعه. وغضب

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر البداية والنهاية (٨ / ٨٠).

(٣) أسير رجل من أصحاب رسول ﷺ وهو منسوب، انظر الإصابة (١ / ٥٠) دار الفكر، الطبقات الكبرى (٧ / ٦٧).

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٦٧) بتصرف يسير.

رضي الله عنه، وخاف الفتنة والفرقة من خلعه والخروج عليه، فجمع حشمه وولده فقال: "إني سمعت رسول ﷺ يقول: {ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة} وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله... وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه"<sup>(١)</sup>.

بل ولعلمه رضي الله عنه بجرمة الخروج على السلطان وخطورته وضرره على المسلمين يذهب ناصحاً لعبد الله بن مطيع ومن معه من أهل المدينة لما أرادوا خلع يزيد بن معاوية، فيذهب إليه ابن عمر فيقول عبد الله بن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال ابن عمر: "إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم لأحدثكم حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية}"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك كان أبو أمامة رضي الله عنه حريصاً على الجماعة فقال: عن حال الناس والأمراء في خلافة عبد الملك بن مروان قال: "أما والله إني لكاره لأعمالهم، ولكن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم، والسمع والطاعة خير من الفجور والمعصية"<sup>(٣)</sup>.

ومن حرصهم على الجماعة ووحدة الصف أنه لما طلب من ابن عمر مبايعة عبد الملك بن مروان بين ﷺ أن قوله لا يخرج عن قول جماعة المسلمين، وأنه متى ما بايعه الناس بايعه، وفعلاً لما تمت البيعة لعبد الملك لم يتأخر ابن عمر في مبايعته<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتنة، باب إذا قال عند قوم شيئاً (١٣ / ٦٨ فتح).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢ / ٢٤٠ نووي).

(٣) انظر كتاب السنة للمروزي (٧٧).

(٤) انظر ما تقدم في الفصل الثالث، المبحث الثامن.

كل ذلك يبين لنا سلامة الصحابة من الفرقة وحرصهم على الجماعة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ثالثاً: حرصهم على حسم مادة الاختلاف قبل وقوعه، واستدراكه قبل استفحاله.

لقد أدرك الصحابة ﷺ أهمية الجماعة وضرورتها لإقامة هذا الدين، وجعل كلمة الله هي العليا، وعلموا يقيناً - كما أخبرهم ربهم - خطر هذه الفرقة إذا دبت في المجتمع المسلم، لذلك حرصوا أشد الحرص على حسم مادة الفرقة والاختلاف بتعليم الناس أصول الاعتقاد، وبيان مسائله التي قد تكون شبهة على بعض الناس، كما كان علي بن أبي طالب يعلم الناس إثبات القدر، وكان عبادة بن الصامت يوصي ابنه بالإيمان بالقدر<sup>(١)</sup>.

كما حرص الصحابة ﷺ على اجتماع الأمة، وعدم حدوث شيء يشوش على العامة أو يوجب اختلافهم، لذلك لما رأى عمر بن الخطاب أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود يختلفان في الصلاة في الثوب الواحد، إذ قال أبي: الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل، وقال ابن مسعود: إنما كان والثياب قليلة، فخرج عمر مغضباً وقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ فمن يُنظر إليه ويُؤخذ عنه، وقد صدق أبي، ولم يأل ابن مسعود، ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا<sup>(٢)</sup>.

ومن حرصه أيضاً ﷺ ما جمع الناس عليه من عدد تكبيرات صلاة الجنائز، فقد كان الصحابة مختلفين منهم من يكبر خمساً، ومنهم من يكبر سبعاً، ومنهم من يكبر

(١) كتاب الشريعة للأجري (٢/ ٨٤٢).

(٢) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ٩١١، ٩١٤).

أربعاً<sup>(١)</sup>، فحسم الفاروق ﷺ مادة الاختلاف وجمع الصحابة على أربع تكبيرات ونهاهم عما سوى ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما وقع بين سلمان الفارسي ﷺ، وحذيفة بن اليمان، حيث كان حذيفة بالمداين فيذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة ويخبرونه بذلك، فجاء حذيفة لسلمان وقال له: وما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال سلمان: أن رسول الله كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه، ويرضى فيقول في الرضى لناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورث رجالاً حب رجال، ورجالاً بغض رجال، وحتى توقع اختلافاً وفرقة؟... والله لتنتهين أو لأكتبن إلى عمر<sup>(٣)</sup>.

فرضي الله عنهم وأرضاهم كانوا أعلم الناس وأحرصهم على الجماعة، وأبعدهم عن الفرقة، يوصي بعضهم بعضاً، وينبّه وينصح بعضهم بعضاً بذلك. إن مما أوصى به الصحابة ومن بعدهم لحسم مادة الاختلاف، والحد من انتشار الفرقة ما أوصوا به من هجر أصحاب البدع، والنهي عن مجالستهم ومحدثهم بل حتى السلام عليهم.

فهذا عمر بن الخطاب يضرب صبيغ بن عسل<sup>(٣)</sup> لما بدأ يسأل أسئلة تثير

(١) واختلاف الصحابة هذا من اختلاف النوع، انظر ما تقدم الفصل الثاني، المبحث الأول عن

أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته (٥٢).

(٢) انظر ما تقدم في الفصل الثالث، المبحث التاسع (١٩٣).

(٣) هو: صبيغ بن عسل ويقال ابن سهل الحنظلي قدم المدينة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وأعد له عراجين النخل فضربه به حتى دمی

رأسه، وأقر له عطاءه. انظر الإصابة (٣/ ٢٥٨).

الشبهة في نفوس الناس، ولا يكتفي عمر بضربه بل يأمر بهجره وعدم الجلوس معه تأديباً له ومنعاً من انتشار شره بين الناس حتى أعلن توبته<sup>(١)</sup>.

وكذلك يوصي ابن عباس بهجر القدرية فيقول: "لا تجالسهم ولا تكلمهم"<sup>(٢)</sup>.

ومن مواقف الصحابة ﷺ ومحاولتهم استدراك الخلاف واحتوائه قبل فشوه وانتشاره ما حصل في زمن عثمان ﷺ ذلك أن حذيفة بن اليمان قدم عليه، وكان يغازي بأهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في قراءة القرآن، فلما رجع قال لعثمان: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى". إذ بلغ اختلافهم أن كفر بعضهم بعضاً، فاستشار عثمان الصحابة ﷺ في أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف فكان ذلك<sup>(٣)</sup>.

فرضي الله عنهم وأرضاهم، وأعاننا الله على السير بهداهم.

تنبيه: لا يرد في الذهن أن سلامة الصحابة من الفرقة تعارض بما وقع بين الصحابة يوم الجمل وصفين، بل إن ما وقع يشهد لهم ﷺ بسلامتهم من الفرقة، وحرصهم ﷺ على إقامة الحق، واجتهادهم في ذلك.

(١) انظر الشريعة للأجري (١ / ٤٨١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٦٣٤)، ولقد نفع ذلك مع صبيح بن عسل إذ أنه دُعي بعد ذلك إلى اللحاق بالخوارج الحارورية فرفض وقال: "هيهات! قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح، يقصد تأديب عمر له. انظر: مصنف عبد الرزاق (١١ / ٤٢٦)، التنبيه والرد للملطي (١٨١).

(٢) انظر كتاب الشريعة (٢ / ٨٧٥)، وانظر في هجر أهل البدع الشريعة (٥ / ٢٠٢٤، ٢٥٢٤، ٢٥٤٤).

(٣) انظر فتح الباري (٩ / ١٨).

فأما ما حدث في وقعة الجمل ومسير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والزبير ابن العوام وطلحة إلى البصرة إنما كان غرضهم في ذلك أمرين:

١. الصلح ولمّ الشمل وجمع كلمة المسلمين.
  ٢. الطلب بدم أمير المؤمنين عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>.
- وكان قصد علي بن أبي طالب ﷺ الصلح أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ولبيان ذلك نذكر ما دار بين القعقاع بن عمرو<sup>(٣)</sup> ﷺ حينما أرسله علي ﷺ إلى طلحة والزبير وعائشة ﷺ وهم في البصرة، حيث أرسله علي إليهم يدعوهم إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين فقال: أي أماء ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني الإصلاح بين الناس. فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن. قالوا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن. فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأدبلوا عليكم كان الذي حذرتم، وفرقتم من هذا

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤١).

(٢) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨).

(٣) القعقاع بن عمرو التميمي، أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، توفي نحو ٤٠هـ. انظر الإصابة (٣/ ٢٣٩) دار الفكر، الأعلام

الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه- يعني أن الذي تريدونه من قتل عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها- وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير لقيام ستة آلاف في منعه عن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فقالت عائشة رضي الله عنها: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فأثروا العافية ترزقوها، فكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً... فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر". فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء<sup>(١)</sup>.

والتقت الطائفتان قرب البصرة وهما علي ما فارقا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين وباتوا بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، لأنهم علموا أن الفريقين اصطلحوا على دمائهم، وأن في اصطلاح الناس هلاكهم، فباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن نجاتهم في فرقة الطائفتين، فعزموا على أن يثيروا الحرب بين الطائفتين من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل<sup>(٢)</sup> ليس فيهم صحابي واحد، فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فتهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

(٢) المراد بهم قتلة عثمان.

ملاً من أصحاب علي، فبلغ الأمر علياً فقال: ما للناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا الأثمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً وقامت الحرب على ساق وقدم<sup>(١)</sup>.

يقول ابن حزم رحمه الله: أما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي، ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلماً، ولم يكن نهوض علي إلى البصرة لقتالهم لكن موافقاً لهم على ذلك ليقوى بهم، وتجتمع الكلمة على قتلة عثمان رضي الله عنه، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم، فرُدُّعُوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة قتلة عثمان - لعنهم الله - لا يفترون من شب الحرب، وإضرارها فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها، ومقصدها مدافعة عن نفسها<sup>(٢)</sup>.

فالقتال وقع بقصد أهل الفتنة لا بقصد السابقين الأولين<sup>(٣)</sup> فرضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) انظر البداية والنهاية (٧ / ٢٣٨، ٢٣٩). باختصار وتصرف، انظر الفتنة ووقعة الجمل رواية

سيف بن عمر الضبي، جمع وتصنيف أحمد عرموش (١٤٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد بن حزم (٤ / ٢٣٨).

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦ / ٣٣٩)، وانظر تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل

لأبي بكر الباقلاني (٥٥٣، ٥٥٧).



أما ما جرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في صفين، فبيّن ابن حزم رحمه الله هذا الأمر حينما قال: إن ما حدث كان اجتهاداً في الرأي من معاوية رضي الله عنه حيث أنه رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان من ولد عثمان، وله في ذلك مستند<sup>(١)</sup>، وإنما أخطأ من تقديمه ذلك على البيعة فقط، فله أجر الاجتهاد في ذلك، ولا إثم عليه، فما حرم من الإصابتة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لهم أجراً واحداً وللمصيب أجرين.

وأما علي رضي الله عنه فقاتل معاوية لامتناعه عن إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته.

وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه، وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله، وإن كان متأولاً وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله، ولا بموجب له فسقاً بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير، فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة إمامته، وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابتة، وقطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون أجراً واحداً.

ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به علي أخذ الحق من قتلة عثمان، فصحّ أن الاختلاف هو الذي أضعف يد علي عن إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذوه على قتلة عبد الله بن خباب إذ قدر على مطالبة قتلته<sup>(٢)</sup>.

(١) مستنده: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخير بالسكوت، وهو أخو المقتول وقال له: كبر... كبر، وروى: الكبر الكبير، فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابني مسعود، وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه، انظر الفصل (٤) / (٢٤١).

(٢) انظر الباب الثاني، الفصل الثاني في خبر الخوارج قتلة عبد الله بن خباب وقاتل علي رضي الله عنهم لهم (٢٨٩).

فعلي ﷺ طلب حقه وقاتل عليه، وقد كان له تركه ليجمع كلمة المسلمين، ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء بعده، ومن قاتل عليه ولو أنه فلس فحقه طلب، ولا لوم عليه، بل هو مصيب في ذلك، وبالله التوفيق<sup>(١)</sup>.

ثم ليعلم أن هذه الفتنة التي وقعت إنما هي بين بعض الصحابة ﷺ، وهم الذين اجتهدوا ورأوا أن الحق مع إحدى الطائفتين فلحق بها، أما أكثر الصحابة فاعتزلوا الفتنة.

يقول الإمام محمد بن سيرين<sup>(٢)</sup> رحمه الله: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الشعبي<sup>(٤)</sup> رحمه الله: "بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدرين ما لهم سابع أو سبعة ما لهم ثامن"<sup>(٥)</sup>.

فكان منهمجهم ﷺ اعتزال الفتنة ولزوم البيت وترك القتال<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٤٠ - ٢٤٤). باختصار وتصرف، وانظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني (٣٦٤ - ٣٧١)، الفتاوى (٤/ ٢٦٨)، البداية والنهاية (٨/ ٢٥٢ - ٢٧٧).

(٢) هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشرف الكتاب، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، توفي سنة ١١٠ هـ. انظر التهذيب (٩/ ٢١٤)، الأعلام (٦/ ١٥٤).

(٣) انظر البداية والنهاية (٧/ ٥٢).

(٤) هو: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمر الهمداني الشعبي، كان فقيهاً عالماً، توفي سنة ١٠٤ هـ. انظر: السير (٤/ ٢٩٤)، الشذرات (١/ ١٢٦).

(٥) انظر تاريخ الطبري (٣/ ٦)، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمحزون (٢/ ١٦٧).

(٦) انظر ما تقدم عن العزلة في الفصل الأول، المبحث الثاني<sup>(٧٨)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والذين قعدوا عن القتال جملة أعيان الصحابة كسعد وزيد وابن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة، وأبي بكر، وهم يروون النصوص من النبي ﷺ في القعود عن القتال في الفتنة.

وهذا مذهب أهل الحديث وعامة أئمة السنة حتى قال الإمام أحمد: لا يختلف أصحابنا أن قعود علي عن القتال كان أفضل له لو قعد، هذا ظاهر من حاله في تلومه في القتال وتبرمه به، ومراجعة الحسن ابنه له في ذلك، وقوله له: ألم أنك يا أبت؟ وقوله: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان براً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطأه ليسير»<sup>(١)</sup>.

وينبّه الإمام النووي على أمر مهم فيقول: قوله ﷺ: {إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار}<sup>(٢)</sup>، معنى: تواجه ضرب كل واحد وجه صاحبه أي ذاته وجملته، وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار فمحمول على من لا تأويل له ويكون قتالها عصبية ونحوها...

واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي ﷺ هو المحق المصيب في تلك الحروب. هذا مذهب أهل السنة،

(١) الفتاوى (٤/٢٦٩)، وانظر منه (٣٥/٣٣، ٣٦)، منهاج السنة النبوية (٦/٣٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفهما (١٣/٣١ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة (١٨/١٠ نووي) واللفظ له.

وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين، ولم يقاتلوا أو لم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدته منهم<sup>(١)</sup>.

ختاماً: إن الناظر في حال الصحابة ﷺ يظهر له ويتبين سلامتهم من الفرقة، فقد كانوا على الجماعة حريصين، ومن الفرقة بعيدين، وفي موقفهم من الفرقة متحدين، لتقديمهم نصوص الوحي، ولاتباعهم هدي رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، ولسلوكتهم السبيل الذي دعا إليه محمد ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(يوسف ١٠٨)

فهم ﷺ سائرون على الصراط المستقيم الذي وصاهم به ربهم تعالى، مجانين في ذلك سبل الضلالة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

﴿(الأعم ١٥٢)﴾

إن وحدة الموقف تنتج من وحدة المنهج، فهل تعي الأمة ذلك وتعود لتوحد مناهجها لتتحد مواقفها، وتعود لقول ربها لتلتئم وحدتها بتوحيدها لله رب العالمين قولاً وعملاً، وتصديقاً وتسليماً، ويعود كما كان البنيان المرصوص، والجسد الواحد، أسأل الله ذلك.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١١/١٨).

(٢) انظر منهج الصحابة وتسليمهم للنصوص في الفصل الثالث، المبحث الثاني والثالث (١٤٨)،



تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik



أنظر قناة التليغرام  
تحميل كتب و رسائل علمية

Info

[t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah](https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah)

utan Undangan

## الباب الثاني

موقف الصحابة- ﷺ - من الفِراق

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: معنى حديث الافتراق.

الفصل الثاني: الخوارج، وموقف الصحابة منها.

الفصل الثالث: الشيعة، وموقف الصحابة منها.

الفصل الرابع: القدرية ، وموقف الصحابة منها.

الفصل الخامس: المرجئة، وموقف الصحابة منها.

## الفصل الأول:

### معنى حديث الافتراق

#### المبحث الأول: أصول الفرق وتقسيم العلماء لها

وقوله: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة":

#### المطلب الأول: موقف العلماء من ثبوت الحديث

روى حديث الافتراق جمع من الصحابة رضي الله عنهم <sup>(١)</sup>، وجاء من عدة طرق لا يخلو أغلبها من مقال.

ولقد درج علماء الأمة على تلقي الحديث والاحتجاج به، والقول بصحته لمجموع طرقه، كما اعتمد على الحديث كتاب المقالات والفرق في تصنيفهم لكتبهم في الفرق <sup>(٢)</sup>.

يقول الشيخ الكتاني <sup>(٣)</sup>: "فهذا حديث كما ترى وارد من عدة طرق بألفاظ مختلفة، وله ألفاظ آخر، وقد أخرجه الحاكم من عدة طرق، وقال: هذه أسانيد تقوم بها الحجة، وقال الزين العراقي: أسانيد جيد، وفي فيض القدير أن السيوطي عدّه من المتواتر" <sup>(٤)</sup>.

(١) منهم أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعوف بن مالك، وأبو أمامة وغيرهم رضي الله عنهم، انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١ / ١١٦)، كتاب صفة الغرباء لسلمان بن فهد العودة (١٩).

(٢) انظر مثلاً: الفرق بين الفرق للبغدادي (٥)، الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٤٩)، البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي (١٤).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسيني مؤرخ، محدث، مكث من التصنيف، له نحو (٦٠) كتاباً منها: "النظم المتناثر في الحديث المتوتر"، الرسالة المستطرفة، توفي سنة ١٣٤٥ هـ. انظر: الأعلام (٦ / ٧٢).

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد الكتاني (٥٨).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ وسعد ومعاوية وعمرو بن عوف وغيرهم"<sup>(١)</sup>. ويقول في موضع آخر: "وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ ومن غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة"<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه أيضاً: "الحديث صحيح مشهور في السنة والمساند"<sup>(٣)</sup>، ويقول الشيخ صالح المقبلي: "حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة، يشد بعضها بعضاً بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها"<sup>(٤)</sup>.

ويقول الألباني رحمه الله بعد ذكره لروايات الحديث: "فقد تبين بوضوح أن الحديث ثابت لاشك فيه، ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به"<sup>(٥)</sup>.

وهاك بعضاً من هذه الروايات:

١- عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: {افتترقت اليهود على إحدى- أو ثنتين- وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى- أو ثنتين- وسبعين فرقة، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة}<sup>(٦)</sup>.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١١٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٢٢)، وانظر منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٩).

(٣) الفتاوى (٣/ ٢١٥).

(٤) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ (٥١٢).

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٠٨).

(٦) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤/ ١٩٧)، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب

ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥)، وقال عنه: "حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه،

كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢١).



٢- عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: {إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أمي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه<sup>(١)</sup>، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله<sup>(٢)</sup>.

٣- عن عوف بن مالك<sup>(٣)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: {افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة<sup>(٤)</sup>.

٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(٥)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: {ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي<sup>(٥)</sup>.

(١) الكلب بالتحريك: داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب فيصبيه شبه الجنون، فلا يعرض أحداً إلا كلب. والمقصود في الحديث أن صاحب الهوى إذا دخل الهوى قلبه وأشرب حبه فلا تنفع معه الموعظة: مثلما يداخل داء الكلب جسم صاحبه فلا يبقى منه جزء إلا دخله فلا يقبل العلاج ولا ينفع فيه الدواء. انظر النهاية لابن الأثير (٤/ ١٦٩)، الاعتصام (٥٢٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤/ ١٩٨).

(٣) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، صحابي، أخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، مات سنة ٧٣هـ. انظر الإصابة (٣/ ٤٣) دار الفكر.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢).

(٥) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٦). وقال عنه: هذا حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

٥- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: { افتقرت بنو اسرائيل على إحدى وسبعين فرقة وقال: اثنتين وسبعين فرقة وتزيد هذه الأمة فرقة واحدة، كلها في النار إلا السواد الأعظم } . فقال رجل: يا أبا أمامة! من رأيك أو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم? قال: إني إذا لجريء، بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة<sup>(١)</sup> .

أما من رد بعض روايات الحديث ولم يقبل بعض ألفاظه فقلة من العلماء منهم أبو محمد علي بن حزم الأندلسي رحمه الله حيث قال: "واحتج من كفر بالخلاف في الاعتقادات بأشياء نوردها إن شاء الله عز وجل". قال أبو محمد: ذكروا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة. وحديثاً آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة.

قال أبو محمد: هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد<sup>(٢)</sup> . فابن حزم رحمه الله يرد زيادة كلها في النار إلا واحدة وليس حديث الافتراق كله. إذ نراه في رسالته في الإمامة، يسوق حديث نعيم بن حماد<sup>(٣)</sup> في التفرق<sup>(٤)</sup> ، ويقول عنه: "هذا

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم، باب فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق (١ / ٣٤)، وكتاب السنة للمروزي (١٦، ١٧)، شرح أصول الاعتقاد للالكائي، سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة (١ / ١٠٢-١٠٣)، وللإستزادة انظر صفة الغرباء لسلمان العودة (١٩-٥٠)، فقد جمع روايات الحديث واستوعب تخريجها، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٤٠٢-٤١٤).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣ / ٢٩٢).

(٣) هو: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، الإمام العلامة الحافظ، وثقه بعضهم والأكثر ضعفه، توفي سنة ٢٢٨هـ. انظر السير (١٠ / ٥٩٥)، الشذرات (١ / ٦٦).

(٤) حديث نعيم هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمي قوم يقيسون الأمور برأيهم، يجرمون الحلال ويحلمون الحرام"، رواه البزار كما في كشف الأستار<sup>(١)</sup> للهشيمي، كتاب العلم، باب التحذير من علماء السوء، رقم ١٧٢، (١ / ٩٨).

أصح ما في الباب<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد هذا أن ابن تيمية رحمه الله ذكر تضعيف ابن حزم للحديث عند حديثه عن من يحتج على تكفير الفرق بقوله ﷺ: {كلها في النار إلا واحدة} فقال: فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره - لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنة، ورؤي من طرق<sup>(٢)</sup>.

ولقد نقل ابن الوزير اليماني<sup>(٣)</sup> عن ابن حزم رده لهذه الزيادة، وتابعه الشوكاني على هذا النقل، فقال ابن الوزير رحمه الله: "وإياك والاعتراض بـ"كلها هالكة إلا واحدة فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة، لا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة. وعن ابن حزم أنها موضوعة غير موقوفة ولا مرفوعة<sup>(٤)</sup>".

ويقول الإمام الشوكاني: "أما زيادة كونها في النار إلا واحدة فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم إنها موضوعة<sup>(٥)</sup>".

(١) كتاب رسائل ابن حزم (٣/ ٢١٣)، تحقيق: إحسان عباس نقلاً عن سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤١٠) للألباني.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٨).

(٣) هو: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، مجتهد باحث من أعيان اليمن. له عدة كتب منها: إيثار الحق على الخلق، نصر الأعيان، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: الأعلام (٥/ ٣٠٠).

(٤) العواصم والقواصم (١/ ١٨٦)، وانظر منه (٣/ ١٧٠ - ١٧٢)، وانظر حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة للصنعاني (٩٥).

(٥) فتح القدير (٢/ ٥٦).

وما ذكره ابن حزم من عدم تصحيحه لهذه الزيادة فمردود من وجوه:

١- أن النقد العلمي الحديثي قد دلّ على صحة هذه الزيادة، فلا عبرة بقول من ضعفها.

٢- أن الذين صححوها أكثر وأعلم بالحديث من ابن حزم، ولا سيما وهو معروف عند أهل العلم بتشده في النقد، فلا ينبغي أن يحتج به إذا تفرد عند عدم المخالفة، فكيف إذا خالف؟! (١).

٣- إن كلام ابن حزم المتقدم في عدم تصحيح هذه الرواية بهذه الزيادة مشعر بأن رده لها بسبب ما قد يفهم من معناها، أو يحتج بها على تكفير الثنتين والسبعين فرقة، أو القول بخلودها في النار، إذ أنه في معرض رده على القائلين بتكفير فرق الأمة رد هذا الحديث الذي يحتجون به، لذلك ابن تيمية لما ساق قول من يحتج على تكفير الفرق بهذه الزيادة وذكر تضعيف ابن حزم لهذه الرواية قال: "وليس قوله: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء ١٠) (٢).

فرده لهذه الزيادة راجع إلى معنى فهمه منها، وهو معنى يمكن توجيهه وجهة سليمة (٣) فلا حجة له بعد ذلك، والله أعلم.

أما رد ابن الوزير رحمه الله لزيادة كلها في النار إلا واحدة فغير مقبول لأمر:

١. اعتماده على كلام ابن حزم، وقد تم الرد عليه.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٤٠٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٤٩).

(٣) سيأتي القول على حكم هذه الفرق في المبحث الثاني إن شاء الله من هذا الفصل (٢٦٤).

٢. إن الحديث قد تلقاه كبار الأئمة والعلماء من مختلف الطبقات بالقبول وصرحوا بصحته<sup>(١)</sup>، فكيف يمكن الجزم بفساده<sup>(٢)</sup>.
٣. إن ابن الوزير نفسه قد صحح حديث معاوية بهذه الزيادة في كتاب آخر له وهو كتاب "الروض الباسم في الذبّ عن سنة أبي القاسم"<sup>(٣)</sup> وأورده هناك مصححاً له، راداً على من طعن في مرويات معاوية رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.
٤. أن الشيخ صالح المقبل وهو من علماء اليمن المطلعين على كتب ابن الوزير قد ذكر أن من العلماء من ضعف هذه الزيادة واستشكل معناها بكونها حاكمة على أكثر الأمة بالهلاك لذلك ردها، ومن العلماء من تأول الكلام<sup>(٥)</sup> "فكأنه يشير إلى تضعيف ابن الوزير لهذه الزيادة"<sup>(٦)</sup>.
- وخاتمة الكلام عن هذا الحديث ما بدأنا به أولاً من تلقي الأمة له بالقبول، وقبول الأئمة الأعلام لرواياته، وعدم الالتفات إلى من طعن فيه، أو في بعض ألفاظه، والله أعلم.

(١) انظر كلام الأئمة في أول هذا المطلب.

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ٤١٠).

(٣) انظر الروض الباسم (٢/ ١١٣ - ١١٥).

(٤) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤١٠).

(٥) انظر العلم الشامخ (٤١٤).

(٦) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤١١) باختصار وتصرف.

## المطلب الثاني

جهود العلماء في بيان معنى الحديث، وفيه أربع مسائل

المسألة الأولى- طريقة التصنيف: عُرف علم مقالات الفرق: أنه علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية<sup>(١)</sup>.

ولقد جرت عادة من يصنف في الفرق أن يتبع إحدى الطريقتين:

١. أن يجعل المسألة أو المقالة أصلاً ويذكر أقوال الفرق فيها قولاً قولاً، وفرقة فرقة، كما فعل أبو محمد علي بن حزم الأندلسي في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، حيث يجعل المسألة عنواناً فيقول: "الكلام في القدر"<sup>(٢)</sup> أو "الكلام في الإضلال"<sup>(٣)</sup>، ثم يذكر أقوال الفرق في هذه المسألة.

٢. أن تجعل الفرقة أو صاحب المقالة أصلاً أو عنواناً ثم تذكر أقوالهم وآراؤهم في أبواب الاعتقاد مسألة مسألة، فيجمعون أقوال الفرقة الواحدة في موضع واحد على اختلاف الموضوعات، وهذا ما فعله الشهرستاني<sup>(٤)</sup> في كتابه "الملل والنحل" فتراه مثلاً في الفصل الأول: يعرف بالمعتزلة ثم يذكر أقوالهم ومذاهبهم على اختلاف طوائفهم في موضوعات شتى وفي موضع واحد بشكل متوالي<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زادة (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر (٣/ ٣٣).

(٣) انظر (٣/ ٦٩).

(٤) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني من فلاسفة الإسلام، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم يلقب بالأفضل. من كتبه: "الملل والنحل"، تاريخ الحكماء، توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٣)، الأعلام (٦/ ٢١٥).

(٥) انظر الملل والنحل (١/ ٥٦ - ٩٠).

ولقد سار البغدادي في كتابه ألفرق بين الفرق على هذا المنهج، ومثله السكسكي<sup>(١)</sup> في كتابه البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان وغيرهم كثير، وهذه الطريقة هي الأغلب في التصنيف.

يقول الشهرستاني مبيناً هاتين الطريقتين مرجحاً الطريقة الثانية على الأولى:  
"ولأصحاب كتب المقالات طريقتان في الترتيب:

أحدهما: أنهم وضعوا المسائل أصولاً، ثم أوردوا في كل مسألة مذهب طائفة طائفة، وفرقة فرقة.

والثاني: أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة.

وترتيب هذا المختصر<sup>(٢)</sup> على الطريقة الأخيرة، لأنني وجدتتها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب<sup>(٣)</sup>.

ونلاحظ أن الإمام أبا الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين قد جمع بين الطريقتين، ففي الجزء الأول من الكتاب سار على الطريقة الثانية<sup>(٤)</sup>، وفي الجزء الثاني من الكتاب سار على الطريقة الأولى<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: أبو الفضل عباس بن منصور الترمي السكسكي، فقيه يمني من الشافعية، ولي القضاء في تعز، صنف في الأصول مختصر أسماه البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، توفي سنة ٦٨٣ هـ. الأعلام (٣/ ٢٦٨)، معجم المؤلفين (٣/ ٦٥).

(٢) يقصد كتابه الملل والنحل.

(٣) الملل والنحل (١/ ٢٢).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٦٧) حيث ذكر مقالات الخوارج ثم عد أقوالهم مسألة مسألة على اختلاف فرقهم.

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (٢/ ٤) حيث قال: اختلف المتكلمون في الجسم ما هو على اثني عشرة مقالة ثم عدّها.

ثم إن هؤلاء المصنفين في الفرق قد يشمل تصنيفهم ردوداً على أصحاب الباطل وأرباب المقالات، ويبيّنون ما يعتقدون أنه الصواب، وهذا غالب على من يصنف على الطريقة الأولى، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الإيمان"، ومثل ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل.

وهناك من صنف على الطريقة الثانية وضمن تصنيفه ردأ على أهل البدع، وبيان الحق في المسألة، مثل ما فعل أبو الحسن الملقب<sup>(١)</sup> في كتابه "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع"، ومثل كتاب "عقائد الثلاث والسبعين فرقة" لأبي محمد اليميني.

وهناك من صنف في المقالات والفرق والتزم الحياد، فلا يرد على قول ولا يرجح آخر، بل يكتفي بسرد الأقوال والمقالات، وهذا ما سار عليه الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"، والرازي<sup>(٢)</sup> في "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين"، وإن كان التزام الحياد لا يمنع من تعليق على قول أو إشارة إلى بطلان رأي أحياناً.

ومن العلماء من نحى في تصنيفه في المقالات منحى آخر، إذ نراه لا يقتصر على ذكر أقوال الفرق الإسلامية، بل يجعل جزءاً من كتابه عن الملل والديانات الأخرى، كابن حزم في الفصل، والشهرستاني في "الملل والنحل" إذ خصص الجزء الأول لفرق المسلمين، أما الجزء الثاني فأفرده للنحل الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية، وذكر الصابئة وأقوال الفلاسفة، وذكر ديانات أهل الهند.

(١) هو: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملقب العسقلاني، عالم بالقراءات من فقهاء الشافعية له مصنفات في الفقه وغيره منها: التنبيه والرد على أصل الأهواء والبدع، توفي سنة ٣٧٧هـ. انظر: طبقات القراء لمحمد الذهبي (١/ ٤٣٣)، الأعلام (٥/ ٣١١).

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي. الإمام المفسر أوجد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل. من تصانيفه: "مفاتيح الغيب"، معالم أصول الدين، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨)، الأعلام (٦/ ٣١٣).



وينبغي التنبيه إلى أمر مهم وهو أن غالب من صنّف في الفرق هم من أهل الكلام الذين لم يكونوا يعرفون قول أهل السنة والجماعة ولم يذكروه، فينبغي الحذر وعدم الاعتماد على هذه الكتب في معرفة قول أهل السنة والجماعة إلا من عرف أنه منهم وعارف بقولهم.

يقول ابن تيمية رحمه الله منتقداً كتب الفرق المصنفة من قبل أهل الكلام: "وهذا موجود في عامة الكتب المصنفة في المقالات والملل والنحل، مثل كتاب أبي عيسى السراق، والنونجي، وأبي الحسن الأشعري، والشهرستاني: تجدهم يذكرون من أقوال اليهود والنصارى والفلاسفة وغيرهم من الكفار، ومن أقوال الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والكلابية والكرامية والمجسمة والحشوية أنواعاً من المقالات.

والقول الذي جاء به الرسول، وكان عليه الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين لا يعرفونه ولا يذكرونه"<sup>(١)</sup>.

ثم يبين رحمه الله ماذا يستفاد من هذه الكتب فيقول: "وهؤلاء كلامهم نافع في معرفة تناقض المعتزلة وغيرهم، ومعرفة فساد أقوالهم، وأما معرفة ما جاء به الرسول وما كان عليه الصحابة والتابعون فمعرفةهم بذلك قاصرة"<sup>(٢)</sup>.

ويقيم ابن تيمية بعضاً من الكتب المصنفة في المقالات فيقول: "كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري أجمع كتاب رأيته في هذا الفن، وقد ذكر ما ذكر أنه مقالة أهل السنة والحديث وأنه يختارها، وهي أقرب ما ذكره من المقالات إلى السنة والحديث، لكن فيه أمور لم يقلها أحد من أهل السنة والحديث، ونفس مقالتهم لم يكن يعرفها

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩ / ٦٧)، وانظر (٢ / ٣٠٧)، وانظر النبوات له (٢ / ٦٣١)، منهاج السنة النبوية له (٥ / ٢٦٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٦)، وانظر منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٧٦، ٢٨٣).

ولا هو خبير بها. وهو أعلم بمقالات المختلفين من الشهرستاني وأوسع علماً. والشهرستاني أعلم باختلاف المختلفين ومقالاتهم من الغزالي<sup>(٢٧١)</sup>.

المسألة الثانية- تحديد الفرق بالعدد والتعيين: ذهب بعض العلماء إلى أن العدد الوارد في الحديث ثلاث وسبعين غير مراد لذاته، بل المراد منه التأكيد لا الحصر، والمعنى أن هذه الأمة ستفترق فرقا كثيرة وتزيد في التفريق عن اليهود وعن النصارى<sup>(٣)</sup>.

وكثير من العلماء رأى أن العدد مراد، ولكن اختلفوا في موقفهم من العدد الوارد: منهم من حاول حصر أقوال الفرق بهذا العدد، وعمل على تعيين الثلاث والسبعين فرقة بأسمائها، بل إنه بنى تأليف كتابه وتقسيمه للفرق على العدد الوارد في الحديث<sup>(٤)</sup>.

ومن العلماء من عدد الفرق وعينها ولكنها لم يكتب بالعدد الوارد في الحديث، بل زاد عليه، ومن هؤلاء الرازي في كتابه 'اعتقادات فرق المسلمين والمشركين' حيث زاد على (٧٣) فرقة واعتذر عن ذلك بقوله: 'فإن قيل: إن هذه الطوائف التي عددهم أكثر من ثلاث وسبعين، ورسول الله ﷺ لم يخبر بأكثر، فكيف ينبغي أن

(١) هو: محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجة الإسلام فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف منها: 'إحياء علوم الدين'، 'تهافت الفلاسفة'، توفي سنة ٥٠٥هـ.

انظر: الشذرات (٤/ ١٠)، الأعلام (٧/ ٢٢).

(٢) انظر النبوات (٢/ ٦٣١ - ٦٣٢) باختصار وتصرف. وانظر منهاج السنة (٥/ ٢٧٥، ٢٧٩).

(٣) انظر أصول الدين للبيزدوي (٢٦٢)، الفرق الإسلامية لمحمود مزروعة (٣١، ٣٥)، مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية لمحمد سيد أحمد المسير (٤٧).

(٤) انظر مثلاً: الفرق بين الفرق للبغدادي، التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفرايني، الملل والنحل للشهرستاني، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي. وانظر الجدول في آخر هذا البحث.

يعتقد في ذلك؟ والجواب عن هذا: أنه يجوز أن يكون مراده ﷺ من ذكر الفرق: الفرق الكبار وما عدنا من الفرق ليست من الفرق العظيمة. وأيضاً فإنه أخبر أنهم يكونون على ثلاث وسبعين فرقة لم يجز أن يكونوا أقل، وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك. كيف ولم نذكر في هذا المختصر كثيراً من الفرق المشهورة<sup>(١)</sup>.

وممن ذكر العدد وزاد عليه- وإن كان لم يعين الفرق بأسمائها الإمام أبو محمد البربهاري حيث قال: "واعلموا رحمكم الله أن أصول البدع أربعة أبواب: انشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى، ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى ألفين وثمان مائة قالة، وكلها ضلالة، وكلها في النار إلا واحدة"<sup>(٢)</sup>.

وأما الإمام أبو الحسن الأشعري فقد أعرض عن ذكر حديث الافتراق فلم يشر إليه لا اعتراضاً ولا تأييداً<sup>(٣)</sup>، وإن كان ذهب إلى أن أمهات الفرق عشرة أصناف<sup>(٤)</sup>، وذكر وعدّد من تشعب منها وعينها بأسمائها حتى زاد عن الثمانين فرقة، ولكنه لم يقيد نفسه ويحصر تعداده بالثلاث والسبعين فرقة كما ورد لأنه لم يشر إليه، ولم يبين تأليفه في المقالات على أساسه كسائر المؤلفين في الفرق.

وممن العلماء من قبل حديث الافتراق، وذكر أن العدد مراد، ولكنه اعترض على تعيين الفرق الثلاث والسبعين وتعيينها بأسمائها، وإن كان أغلبهم عين أصول هذه الفرق وأمهاتها<sup>(٥)</sup>.

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١٠١).

(٢) شرح السنة (٩٩) ولا أعلم من أين جاء بالعدد (٢٨٠٠)؟

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥).

(٤) لم يشر رحمه الله إلى حديث الافتراق أبداً في كتابه مقالات الإسلاميين، ولا في الإبانة عن أصول الديانة، ولا في كتابه رسالة إلى أهل الثغر.

(٥) انظر أقوال العلماء في تحديد أمهات الفرق في المسألة الثالثة (٢٥٦).

يقول الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله بعد أن ذكر حديث الافتراق: 'وأعلم أن هذا الحديث قد طاشت فيه أحلام الخلق، وفي معرفة هذه الفرق وهلكملوا بعد أم لا؟! (١)'.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: 'وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكرهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم (٢)'.

ويبين الحافظ أبو الفرج بن الجوزي أن معرفتنا قاصرة على معرفة الافتراق وأصوله، دون الإحاطة بالأسماء فيقول: 'إننا نعرف الافتراق وأصول الفرق، وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها (٣)'.

والاعتراض على من عين أسماء الفرق وحصرها في العدد من عدة وجوه منها:

١- إن في هذا التعيين تكلف لمطابقة العدد الوارد، مع عدم القطع بأنه المراد إذ ليس على ذلك دليل شرعي (٤)، وهذا التكلف واقع من جميع من حصر الفرق وعينها إذ نجد بعضهم يجعل الفرقة الواحدة فرقاً ليوافق العدد، وبعضهم يعرض عن بعض الفرق، أو يضمها إلى أخرى تخالفها متكلفاً ذلك ليطمئنه العدد الوارد (٥).

(١) كتاب الحوادث والبدع (٣٣).

(٢) الفتاوى (٣ / ٢١٥)، وانظر الموافقات للشاطبي (٤ / ٥٤٤)، الاعتصام له (١٨١).

(٣) تلبس إبليس (٢٨).

(٤) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٨١، ٤٨٤).

(٥) انظر صفة الغرباء لسلمان العودة (٥٦) بتصرف.

٢- إن الحديث النبوي في الافتراق لم يحدد الزمن لظهور تلك الفرق وأخبر أنها "ستفترق"، فتحديدها بعصر المؤلف وإغلاق باب حدوث الافتراق أمر معترض إذ ما تزال الفرق تحدث مع مرور الأزمنة إلى قيام الساعة<sup>(١)</sup>.

٣- يرى الشاطبي أن عدم التعيين أولى، لأسباب:  
 (أ) إن الشريعة لم تعين أسماءهم وإنما أشارت إلى أوصافهم ليحذر منهم.  
 (ب) إن عدم التعيين فيه ستر على الأمة، ونحن مأمورون بالستر على المؤمنين ما لم تبد لنا صفحة الخلاف.

ج- إن التعيين بالأسماء وعدم الستر يدعو إلى الفرقة ويورث العداوة، لذا كان السكوت أولى إلا في حالتين: أحدهما: أن تكون البدعة فاحشة جداً كبدعة الخوارج، وقد نبه الشارع إلى أوصافهم.

الأخرى: أن تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام، فهؤلاء لا بد من ذكرهم والتشريد بهم إذ ضررهم على المسلمين كضرر إبليس<sup>(٢)</sup>.

٤- إن المنهج في التعيين وعدده هو ما ذكر في حديث الافتراق نفسه، إذ ذكرت الفرق المخالفة على سبيل الإجمال ثنتان وسبعون فرقة، وعينت الفرقة الناجية وصرح باسمها ووصفها<sup>(٣)</sup>، وهذا هو ما فعله الصحابة وسألوا عنه ﷺ إذ لم يستفصلوا رسول الله ﷺ عن الفرق المخالفة إذ السبيل والضلالات تتلون في كل عصر ومصر، بل سألوه عن الفرقة الناجية ليسيروا على نهجها، وينضموا تحت لوائها.

تنبيه: إن ما تقدم لا يعني عدم الاهتمام بالفرق المبتدعة المخالفة وعدم معرفتها، بل أمرنا باستبانة سبيل المجرمين كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ

(١) انظر الاعتصام (٤٨٤، ٤٨٩)، كتاب الحوادث والبدع (٣٦)، صفة الغرباء للعودة (٥٧).

(٢) انظر الاعتصام (٤٨٤ - ٤٨٩) باختصار وتصرف.

(٣) انظر صفات الفرقة الناجية في المبحث الثالث من هذا الفصل.

الْأَيْتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ (الأئمة ٥٥) . ومعرفة الفرق الضالة والفرق المبتدعة الهالكة للحذر منها، وخشية الوقوع فيها، لذلك كان حذيفة ؓ يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، وكان رسول الله ﷺ يجيبه على أسئلته. ولكن ينبغي ألا يطغى ذلك على الأصل: فلا يطغى معرفة أقوال الفرق على معرفة الصراط المستقيم، وقول أهل السنة.

وأهم ما ينبغي معرفته عن طرائق أهل الضلالة أمور:

١- العلم بالأصول التي ينطلقون منها والمناهج التي يسلكونها.

٢- معرفة أسباب زيغها وانحرافها .

٣- الرد عليها وبيان فسادها<sup>(١)</sup>.

٤- تحذير الأمة من غوائلها وأضرارها.

المسألة الثالثة- أصول الفرق، وأقوال العلماء في ذلك: قد تقدّم أن كثيراً من العلماء

ذهبوا إلى أن العدد الوارد في الحديث مراد، وأن الراجح هو عدم التعيين وقصر أسماء فرق معينة على أنها المرادة بالحديث.

ولقد ذهب كثير من العلماء ممن يرى التعيين أولاً يراه إلى ذكر أصول الفرق

وأسماتها، واختلفوا في ذلك، وأقدم من تكلم في تعيين الفرق الهالكة وبيان

أصولها: عبد الله بن المبارك<sup>(٢)</sup> (ت ١٨١) ويوسف بن أسباط<sup>(٣)</sup> (ت ١٩٥)، وهما

إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين. قالوا: إن أصول البدع أربعة<sup>(٤)</sup>، وهم:

(١) انظر صفة الغرباء لسلمان العودة (٥٩) بتصرف واختصار.

(٢) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي الروزي الفقيه، الحافظ، الزاهد، وحديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول، أمير الاتقياء في وقته، توفي سنة ١٨١ هـ. انظر: السير (٨ / ٣٧٨)، الشذرات (١ / ٢٩٥).

(٣) هو: يوسف بن أسباط، الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم. انظر: السير (٩ / ١٦٩)، الحلية (٨ / ٢٣٧).

(٤) انظر الفتاوى (٣ / ٢١٨).

القدرية، والمرجئة، والشيعة (الروافض)، والخوارج (الحرورية)<sup>(١)</sup>.  
ونجد تصنيفاً آخر لأمهات الفرق عند أبي عاصم خشيش بن أصرم<sup>(٢)</sup>  
(ت ٢٥٣)، حيث عدّ أمهات الفرق وأن أول من افترق من هذه المذاهب ست هم:  
الزنادقة (٥)، الجهمية (٨)، القدرية (٧)، المرجئة (١٢)، الرافضة (١٥)، الحرورية  
(٢٥)<sup>(٣)</sup>.

وفي القرن الرابع الهجري جاء أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤) وجعل أمهات  
الفرق الإسلامية عشرة، وإن كان رحمه الله لم يشر إلى حديث الافتراق ولم يعتمد  
العدد المذكور في الحديث<sup>(٤)</sup>. وهذه العشرة هي: الشيعة، الخوارج، المعتزلة،  
المرجئة، الجهمية، الضرارية، الحسينية، البكرية، العامة، وأصحاب الحديث،  
والكلابية<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري (١ / ٣٧٨، ٣٧٩) ت/ رضا نعيان  
معطي، ونلاحظ أن هذين الإمامين قد قسموا كل فرقة إلى تقسيمات فرعية، فعند ابن أسباط كل  
فرقة تشعبت (١٨) فرقة حتى كملت (٧٢)، أما ابن المبارك فجعل الشيعة (٢٢)، والحرورية  
(٢١)، والقدرية (١٦) والمرجئة (١٣) حتى كملت (٧٢)، والمقصود أن بدايات التقسيم والتعيين  
للفرق وحصرها ب (٧٢) فرقة كان مبكراً في نهايات القرن الثاني الهجري، فتأمل.

(٢) هو: أبو عاصم خشيش بن أصرم بن الأسود النسائي الحافظ، كان ثقة، له كتاب الاستقامة في  
الرد على أهل الأهواء، توفي سنة ٢٥٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ١٤٢)، الشذرات  
(١ / ١٢٩).

(٣) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي (٩١) حيث ذكر ذلك عنه وتبعه  
على هذا التقسيم، ونلاحظ أنه أدخل الفرق الكافرة في التقسيم وهم الزنادقة من مزدكية ومنوية  
وغيرهم.

(٤) ذكر الأشعري أن أمهات الفرق عشر، ولكنه عدّ إحدى عشرة فرقة، هكذا في الكتاب المطبوع،  
لكن أبا اليسر البزدوي في كتابه أصول الدين (٢٤٩) ذكر قول أبي الحسن الأشعري، وأنه  
جعلهم عشرة أصناف وعدهم كما هنا لكنه قال: "والعامة من أصحاب الحديث". فتصير عشرًا.  
فلعله خطأ في النسخة من الطابع أو من الناسخ، أبدلت من "بالواو فزادت فرقة. وهذا ما نبّه إليه  
محقق كتاب مقالات الإسلاميين حيث ذكر إنها إذا عدت صارت إحدى عشرة لا عشرًا.

انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥).

ولكن نجد في كتاب آخر له يذكر أن أهل البدع هم: الروافض، والخوارج، والمرجئة، والقدرية<sup>(١)</sup>، وإن كان ما ذكره في كتاب مقالات الإسلاميين أصرح في التقسيم.

وهكذا تتابع العلماء واجتهدوا في عدّ أمهات الفرق وإضافة ما قد يستجد في عصرهم من فرق كبيرة لها أثر على المسلمين، بل العالم نفسه قد يجتهد ويذكر تصنيفاً لأمهات الفرق في كتاب، ويزيد فرقاً في كتاب آخر أو يبدها بأخرى<sup>(٢)</sup>.

وبتأمل الجدول المرفق المبين جهود العلماء في ذلك نلاحظ أمور:

١- أن القضية اجتهادية استقرائية.

٢- أن كل عالم ينظر إلى ما يستجد في عصره ويحدث من فرق ويعتبرها.

٣- أن أكثر العلماء قسموها إلى أربع فرق وهي: الخوارج (الحرورية)، المرجئة،

الشيعة (الروافض)، القدرية.

٤- أن جميع العلماء حافظوا على ذكر الفرق الأربع حتى لو زادوا

وأوصلوها إلى ست أو سبع أو تسع، تظل الأربع معدودة بينهن.

٥- أثر الشيخ على تلميذه، واتباع التلميذ لشيخه في التقسيم الأساسي، وإن

خالفه في بعض الفرعيات، فنجد أبا الحسين الملطي تابع شيخه خشيش بن أصرم في

التقسيم، ونجد البغدادي والاسفرايني<sup>(٣)</sup> تابعا أبا الحسن الأشعري، فرحة الله عليهم

أجمعين.

(١) انظر كتاب رسالة إلى أهل الثغر (٣٠٧).

(٢) كما فعل ابن الجوزي في كتاب تليس إبليس (٢٨)، وفي كتاب كيد الشيطان لنفسه قبل آدم عليه

السلام (٩٢) وانظر الجدول المرفق.

(٣) هو: أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني الطوسي الشافعي، أصولي فقيه متكلم مفسر، صاحب

التفسير الكبير، كان أحد الأعلام ومن أئمة الأشاعرة، توفي سنة ٤٧١هـ.

انظر: السير (١٨ / ٤٠١)، طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي (١ / ٢١٢).



٦- أن أكثر العلماء على إخراج الفرق الكافرة من التعداد. أما معنى أن هذه الفرق تعتبر "أمهات الفرق"، فيقول الإمام الطرطوشي في ذلك: "أعلم أن علماءنا عليه السلام قالوا: أصول البدع أربعة، وسائر الأصناف الاثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا وتشعبوا.

ولم يرد علماؤنا أن أصل كل بدعة من هؤلاء الأربع تفرعت وتشعبت على مقتضى أصل البدع، حتى كملت ثلاثة وسبعين فرقة، فإن ذلك لعله لم يدخل في الوجود إلى الآن، وإنما أرادوا أن كل بدعة وضلالة لا تكاد توجد إلا في هذه الأربع فرق، وإن لم تكن البدعة الثانية فرعاً للأولى وشعبة من شعبها، بل هي بدعة مستقلة بنفسها، ليست من الأولى بسبب.

وبيان ذلك بالمثل: أن القدر أصل من أصول البدع ثم اختلف أهله في مسائل من شعب القدر، وفي مسائل لا تعلق لها بالقدر، فجميعهم متفقون أن أفعال العباد خلق لهم من دون الله تعالى، ثم اختلفوا في فرع من فروع القدر. فقال أكثرهم: لا يكون فعل بين فاعلين. وقال بعضهم يجوز فعل بين فاعلين مخلوقين.

ثم اختلفوا فيما لا يعود إلى القدر في مسائل كثيرة كاختلافهم في الصلاح والأصلح. وهكذا ابتدعت كل فرقة من هذه الفرقة بدعاً تتعلق بأصل بدعتها التي هي معروفة بها، وبدعاً لا تتعلق بها<sup>(١)</sup>.

وبين الإمام أبو حاتم الرازي<sup>(٢)</sup> معنى ذلك فقال بعد أن عدد أصول الفرق: "فهذا جماع الفرق وأصولها، ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق على فرق، وكان جماعها الأصل، واختلفوا في الفروع، فكفر بعضهم بعضاً وجهل بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الحوادث والبدع (٣٣-٣٥) باختصار.

(٢) أبو حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي، أحد الحفاظ الأئمة بالعلم والفضل، وهو من أقران البخاري ومسلم، توفي سنة (٢٧٧) وقيل (٢٧٥)، انظر الرسالة المستطرفة لمحمد الكتاني (١٠٤)، تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١/ ٢٨٩).

(٣) انظر الإبانة لابن بطة العكبري (١/ ٣٨٠)، وانظر قريباً من قوله: التنبيه والرد للملطي (٩١).

## جدول بين تعداد أصول الفرق الضالة السنين وسبعين فرقة عند العلماء

	القرن الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	التاسع
أربع فرق	- عبد الله بن المبارك [١٨٨]: الشيعة (١٦)، الخوارج (١٦) القبية (١٦)، البرجة (١٦) - يونس بن أسباط (١٤٩): القبية (١٦)، البرجة (١٦) الشيعة (١٦)، الخوارج (١٦)	علاء بن رزق [٢٧]: الزينة (١٦)، الخوارج (١٦) الزينة (١٦)، القبية (١٦) الزينة (١٦)	- عبد الله بن بطة المكي (٣٨٧): ذكر تقسيم ابن أسباط وابن المبارك السائق ورسا عليه.	- أبو عبد علي بن حرم [٥٩١]: المشرك، البرجسية الخوارج، الشيعة.	- أبو بكر عبد البرطومي [٥٣]: الخوارج، الزرائق، القبية، البرجة. - أبو الفتح التلمساني [٥٤٨]: القبية، المشركية الخوارج، الشيعة.	- أبو الفتح عباس السككي [١٨٣]: الخوارج (١٨)، البرجسية (١٨) المشركية (١٨)، السرائق (١٨)	- عبد الله بن أبي - [٧١٨]: الخوارج (١٨) البرجة (١٨) المشركية (١٨) الشيعة (١٨)	- أحمد بن علي بن محمد السلطان [٨٥٢]: القبية، الخوارج، الخوارج، الزائقة، وصفا رؤوس الحج.
خمسة فرق								
سبعة فرق		- أبو عاصم عيسى بن أمرم [٥٥٢]: الزينة (٥)، القبية (٥) القبية (٥)، البرجة (٥) الزينة (٥)، الخوارج (٥)	- مكحول بن الفضل السفي [٣٨٨]: القبية (١٦)، القبية (١٦) الزينة (١٦)، الخوارج (١٦) القبية (١٦)، البرجة (١٦) القبية (١٦)، الخوارج (١٦) - أبو الحسن التلي [٣٧٤]: القبية (١٦)، الخوارج (١٦) القبية (١٦)، الخوارج (١٦)	- أبو عبد البر بن حرم [٤٥٢]: الزرائق، الخوارج، القبية والبرجة، الخوارج، البرجة، الشيعة.	- أبو الفرج عبد الرحمن الخزازي [٥٧٧]: الخوارج (١٦)، القبية (١٦) القبية (١٦)، البرجة (١٦) الزينة (١٦)، الخوارج (١٦) القبية (١٦)، الخوارج (١٦) كتب عبد الشيطان أبو الخزازي بالألف، وأدخل القبية ضمن القبية.			

\* ما بين المكونين عند اسم العلم [تاريخ وفاته]، وما بين القوسين عند اسم الفرقة (عدد فرقتها عنده)

العرون الثاني	الثاني	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	التاسع
سبح فوق						<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	
تسمم فوق	<p>عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>	<p>- عبد الله بن عبد الرحمن الأحمري [١٧٥٦]، وذكره النجاشي [٧٤٠] من بين أهل الشام.</p> <p>الفرقة (٢٠)، النجاشي (٢٢) الخوارج، (٢٠)، الفرقة (٥) الصحابة (٢) الفرقة الشيعية.</p>

\* نلاحظ أن البغدادي حينما عدد الفرق بهذا التقسيم في أول كتابه (ص ١٩) ذكر أنها اثنتان وسبعون فرقة، ولكن يجمعها بتسير (٨٧) فرقة، ويالرجوع إلى فرقة المرجنة في كتابنا الكتاب نجد عددها خمس فرق، فالتنظر كيف اضطرم الحصر والتسعين إلى الاضطراب والتكليف.

مراجع الجدول مرتبة حسب الذكر:

- ١- قول ابن المبارك وابن أسباط وأبي حاتم الرازي، انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري (١/ ٣٧٩، ٣٨٠)، تحقيق د. رضا معطي نعيان.
- ٢- قول أبي عاصم خشيش بن أصرم، انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملقبي (٩١).
- ٣- قول مكحول النسفي، انظر: أصول الدين لأبي اليسر محمد البزدوي (٢٤٩).
- ٤- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/ ٦٥).
- ٥- أبو الحسن الملقبي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (٩١).
- ٦- أبو محمد بن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢٦٥).
- ٧- أبو اليسر محمد البزدوي: أصول الدين (٢٤٩، ٢٦٢).
- ٨- عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق (١٩).
- ٩- أبو المظفر الاسفرايني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (٢٣- ٢٥).
- ١٠- أبو بكر محمد الطرطوشي: كتاب الحوادث والبدع (٣٣).
- ١١- أبو الفتح محمد الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ٢٢).
- ١٢- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس (٢٨)، وكتاب كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة (٩٢، ١١٣، ١٣٠، ١٤٦، ١٥١، ١٥٣).
- ١٣- أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني: الحججة في بيان المحجة شرح عقيدة أهل السنة (٢/ ٤٠٩).

- ١٤- أبو الفضل عباس السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (١٧، ٣٣، ٤٩، ٦٥).
- ١٥- عبد الله اليافعي: ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين (٢٢).
- ١٦- عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي: المواقف في علم الكلام (٤١٥، ٤١٨، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩).
- ١٧- إبراهيم بن محمد الشاطبي: الاعتصام (٤٧٢).
- ١٨- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٣٤٤).
- المسألة الرابعة- المراد بالأمّة في قوله ﷺ: "ستفترق أمتي": من المعلوم أن رسول الله ﷺ قد بعث إلى الخلق كافة إنسهم وجنّهم، وهذا مما خصّ به عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>، فالناس جميعاً بعد بعثته يعدون من أمته، أي: أمة الدعوة، إذ أن كل من بلغته دعوة النبي ﷺ وكلف الإيمان بها يعدّ من أمة الدعوة وإن لم يؤمن. أما من آمن به واستجاب لدعوته فهم أمة الإجابة<sup>(٢)</sup>. فالؤمنون به هم أمة الإجابة، والكفار هم أمة الدعوة<sup>(٣)</sup>.
- ولقد ذهب أغلب العلماء من سلف الأمّة وخلفها إلى أن المراد بالأمّة في الحديث "أمة الإجابة" إذ غالب النصوص حينما تذكر "أمة محمد" أو "أمتي" أو "هذه الأمّة" فيراد بها أمة الإجابة.

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٦٩).

(٢) انظر الكليات للكفوي (١٧٦) بتصرف.

(٣) انظر المرجع السابق (١٨١، ١٨٢) بتصرف، وانظر لسان العرب لابن منظور (١٢ / ٢٣، ٢٦).

وذهب ثلثة من العلماء إلا أن المراد بالأمة هنا أمة الدعوة لا أمة الإجابة، وأن الافتراق إلى فرق واقع في الأمة التي دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان به ولم تؤمن، وأن الفرقة الناجية: هي كل من آمن بما جاء به رسول الله ﷺ فهم كلهم أمة الإجابة على اختلاف فرقهم وطوائفهم هم الفرقة الناجية.

والأمر الذي ألبأ هؤلاء إلى هذا القول هو ما ورد في حديث الافتراق من وصف هذه الفرق الثنتين والسبعين بالهلاك، والحكم عليها بأنها في النار، فأشكل عليهم ذلك وألجأهم إلى القول بأن المراد بالأمة أمة الدعوة، وأن الناجية هي أمة الإجابة<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام الصنعاني<sup>(٢)</sup> رحمه الله: "ولما كان حديث الافتراق مشكلاً كما ترى، أجاب بعضهم: بأن المراد بالأمة فيه أمة الدعوة لا أمة الإجابة<sup>(١)</sup>.

ثم يرد الإمام الصنعاني هذا القول، ويبين ما فيه من ضعف فيقول: "وهذا جواب حسن لولا أنه يبعد من وجوه:

الأول: أن لفظ أمتي حيث جاء في كلامه ﷺ لا يراد به إلا أمة الإجابة غالباً، كحديث: {لا تزال طائفة من أمتي}، وحديث: {إذا وضع السيف في أمتي}<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك

(١) انظر كتاب حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة للصنعاني (٥٦) بتصرف، ومن ذهب إلى هذا القول ودافع عنه في العصر الحاضر: سقاف علي الكاف في كتابه "حقيقة الفرقة الناجية" (٤، ٣٦، ٤٢).

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن محمد الحسيني، الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم المعروف بالأمير، مجتهد من بيت الإمامة في البحث. يلقب المؤيد بالله، من كتبه: "سبل السلام"، شرح الجامع الصغير للسيوطي، توفي سنة ١١٨٢ هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٣٨)، معجم المؤلفين (٩/ ٥٦).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٧)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن (٢/ ١٣٠٣).

مما لا يحصى فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تُحمل إلا على ما تعرف منها وعهد بلفظها، ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً.

الثاني: قوله: {ستفترق} بالسين الدالة على أن ذلك أمر مستقبل.

الثالث: قوله: {لستأين على أمتي} فإنه إخبار بما سيكون ويحدث، ولو جعلناه إخباراً ينتهي بافتراق المشركين في المستقبل لما كان فيه فائدة إذ هم على ضلالة وهلاك اجتمعوا أو افترقوا.

الرابع: قرنهم بطائفتي اليهود والنصارى، فإن المفترقين منهما هم طائفتا الإجابة، لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة ٤٠٤)

الخامس: ما أخرجه الترمذي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: {سبحان الله!}، إلى أن قال: "والذي نفسي بيده لتركبن سنن من قبلكم" وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً<sup>(١)</sup>.

السادس: أن النبي ﷺ لما بعث إلى أن توفي والناس منقسمون إلى أمة دعوة، وأمة إجابة، إذ لم يؤمن به كل أهل الأرض، وأهل الكفر ملل شتى ونحل مختلفة، وعلى قول من قال إن الافتراق واقع في أمة الدعوة، فالافتراق واقع في حياته ﷺ، وهذا غير صحيح لأنه ﷺ أخبر أنه سيقع لا أنه واقع فقال: {ستفترق أمتي}، ثم إن الله عز وجل قد أعاد نبيه عليه الصلاة والسلام من أن يريه افتراق أمته في حياته.

(١) انظر كتاب حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين (٥٦-٦٦) باختصار يسير.

السابع: إن القول بأن المراد بالأمة أمة الدعوة وهم الكفار لا أمة الإجابة يستلزم منه تكفير الفرق المبتدعة من خوارج وشيعة وقدرية ومرجئة وغيرهم وإخراجهم من أمة الإجابة وهذا غير صحيح<sup>(١)</sup>، إذ الصحابة رضي الله عنهم كأبي أمامة مثلاً نزل حديث الافتراق على الخوارج لما خرجت في حياته، وعدّهم من ضمن الثنتين والسبعين فرقة<sup>(٢)</sup>، وكذلك العلماء من بعده، فإذا قيل إن المراد بالأمة أمة الدعوة، وهذه الفرق عدّت من ضمنهم فهذا يستلزم كفرها، وهذا لازم باطل يدل على بطلان الملزوم، فوجب أن يكون المراد بـ"أمّتي" في الحديث أمة الإجابة، وتكون هذه الفرق المبتدعة المعدودة ضمن الثنتين والسبعين فرقة من أهل القبلة.

فالصحيح إذاً أن المراد بالأمة في حديث الافتراق أمة الإجابة لا أمة الدعوة، خاصة أن من قال بأن المراد أمة الدعوة إنما قاله لاستشكاله معنى فهمه من الحديث، وهو معنى يمكن توجيهه بما لا يتعارض مع القول بأن المراد بالأمة أمة الإجابة، كما سترى في المبحث الآتي.

(١) سيأتي مزيد تفصيل عن حكم هذه الفرق في المبحث التالي إن شاء الله.

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٠٢).



## المبحث الثاني

## حكم تكفير هذه الفرق، وقوله "كلها في النار"

إن من المسائل المهمة التي أشغلت الأمة، وكثر الخوض فيها: مسألة التكفير. ولقد اختلف العلماء في حكم تكفير أهل البدع، فمنهم من قال بكفرهم، ومنهم من لم يكفر أحداً منهم، ومنهم من فصل في ذلك، يقول الإمام علي ابن أبي العز الحنفي: "وأعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا تكفر من أهل القبلة<sup>(١)</sup> أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع"<sup>(٢)</sup>.

فهذه الطائفة تقول بعدم تكفير أحد من أهل القبلة، ولا فرقة من الفرق الثنتين والسبعين فرقة حتى لو جاء ببدعة مغلظة وقول شنيع<sup>(٣)</sup>، يقول أبو الحسن الأشعري: "واختلف الناس بعد نبهم ﷺ في أشياء كثيرة، ضلل بعضهم بعضاً وبريء بعضهم من بعض، فصاروا فرقا متباينين وأحزاباً متشتتين إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) أهل القبلة: هم كل من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل

المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ، انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٢٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٣٢).

(٣) هؤلاء يشابهون قول المرجئة في عدم التكفير بأي ذنب ومعصية.

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤)، وانظر كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم لابن الجوزي (١٦٢).

ولقد تعقب الشريف الجرجاني<sup>(١)</sup> - رحمه الله - كلام أبي الحسن السابق وقيده فقال: "واعلم أن عدم تكفير أهل القبلة موافق لكلام الشيخ الأشعري والفقهاء كما مر، لكننا إذا فتننا عقائد فرق الإسلاميين وجدنا فيها ما يوجب الكفر قطعاً، كالعقائد [الراجعة]<sup>(٢)</sup> إلى وجود إله غير الله سبحانه وتعالى أو إلى حلوله في بعض أشخاص الناس، وإلى إنكار نبوة محمد عليه السلام وإلى ذمه واستخفافه<sup>(٣)</sup>... فعلى هذا ينبغي أن يقال: لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع القادر العليم أو شركه أو إنكار للنبوة، أو إنكار لما علم مجيئه ضرورة، أو إنكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات<sup>(٤)</sup>."

ومن العلماء من قال إنه لا يكفر أحد من أهل القبلة، وأن الثنتين والسبعين فرقة المذكورة في حديث الافتراق كلهم من أمة الإجابة لا يكفر أحد منها، ولكنه أخرج الفرق الغالية التي تقول بالكفر أخرجها من عداد فرق المسلمين، ولم يعتبرها من أهل القبلة أصلاً، ومن هؤلاء عبد الله بن المبارك رحمه الله فإنه لما سُئل: على كم افرقت هذه الأمة؟ قال: الأصل أربع فرق هم الشيعة والحرورية والقدرية والمرجئة... فقليل: لم أسمعك تذكر الجهمية؟ قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين<sup>(٥)</sup>.

(١) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف صوفي أشعري، من كبار العلماء بالعربية، له مصنفات عدة منها: "التعريفات"، "مقاليد العلوم"، توفي سنة ٨١٣هـ. انظر: الأعلام (٥ / ٧).

(٢) في الأصل (الرجعية).

(٣) شرح المواقف للجرجاني (٨ / ٣٧٥).

(٤) انظر كتاب كيد الشيطان لنفسه (١٦٣).

(٥) انظر الإبانة لابن بطة (١ / ٣٧٩)، وانظر الفتاوى (٣ / ٢١٨)، وينبغي التنبيه إلى أن الجهمية تطلق بمعنى عام ويراد بها الفرق الكلامية نفاة الصفات أو بعضها ممن كان فيه بعض التجهم، وتطلق بمعنى خاص ويقصد بها غلاة الجهمية أتباع الجهم بن صفوان القائلون بنفي الصفات =

ولقد ذكر الطرطوشي رحمه الله مثل ذلك حينما ذكر تعداد الثنتين والسبعين فرقة قال: "فقد وجد من ذلك عدد كثير أكثر من اثنتين وسبعين؟؟ ووجه تصحيح الحديث- على هذا- أن يخرج من الحساب غلاة أهل البدع ولا يعدون من الأمة ولا في أهل لقبلة... كالحلولية والمنصورية وأشباههم من الغلاة"<sup>(١)</sup>.

ونجد عبد القاهر البغدادي رحمه الله في كتابه الفرق بين الفرق يجعل باباً لفرق المسلمين فيقول: "الباب الثالث في بيان تفصيل مقالات فرق أهل الأهواء"<sup>(٢)</sup> ثم يعدد أقوال الروافض والخوارج والمرجئة وغيرهم.

ثم بعد ذكر الفرق الإسلامية يجعل باباً مستقلاً بعنوان "الباب الرابع في بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه"<sup>(٣)</sup>.

فليس كل من قال بعدم تكفير أهل البدع من المسلمين أراد التعميم، بل منهم من فصل ومنهم من قيد فليتبته لذلك.

القول الثاني<sup>(٤)</sup>: "قول طوائف من أهل الكلام والفقهاء والحديث حيث قالوا بالتكفير في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يكفر كل من

= والجبر والقول ببناء الجنة والنار وغيرها من البدع الغالية المكفرة. لذلك تختلف عبارات السلف في تكفير الجهمية وعدمهم من فرق المسلمين بحسب الاعتبارين السابقين، فمن كفر الجهمية كابن المبارك فمقصوده غلاة الجهمية أو الجهمية المحضة، ومن لم يكفرهم فمقصوده من سار على نهج الجهمية في بعض أقوالها. انظر: مقالات الإسلاميين (١ / ١٩٧ - ١٩٨، ٢٢٤، ٣١٢). الملل والنحل (١ / ٧٩ - ٨١)، الفرق بين الفرق (١٢٨)، التبصير في الدين (٦٣)، الفتاوى (٥ / ٣١ - ٣٥)، (٨ / ١٣٩)، (١٧ / ٢٤١).

(١) كتاب الحوادث والبدع (٣٦)، وانظر الفصل لابن حزم (٢ / ٢٧١).

(٢) انظر الفرق بين الفرق (٢٢).

(٣) المرجع السابق (١٧٥)، وانظر الضابط عنده في التفريق بين أهل ملة الإسلام ومن ليس منهم (١١، ١٧٦) من الكتاب نفسه.

(٤) القول الأول هم القائلون بعدم تكفير أحد من أهل القبلة، فهؤلاء طرف، والقول الثاني طرفه المقابل.

قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون بكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمورٌ عظيمة<sup>(١)</sup>.

ويرد ابن تيمية رحمه الله على هؤلاء الذين أطلقوا القول بتكفير أهل البدع، وعمموا كفر الثنتين والسبعين فرقة المبتدعة فيقول: إن التأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية. وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها.

وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين. فتكفير أهل البدع مطلقاً ليس هو قول الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وليس فيهم من كفر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد ينقل عن أحدهم أنه كفر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرةً أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل.

وإذا لم يكونوا<sup>(٢)</sup> في نفس الأمر كفاراً لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيستغفر لهم ويترحم عليهم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين فيهم ضلال وذنوب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين.

والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار. فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته<sup>(٣)</sup>. ويقول: "فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٣٥) وهم يسرون على نهج الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة.

(٢) أي: أهل البدع وأصحاب الفرق.

(٣) انظر منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٣ - ٢٤١) باختصار وتصرف.

(٤) المرجع السابق (٥/ ٢٤٨)، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي (٧/ ١٦٠)، الاعتصام (٤٦٤).

القول الثالث: وهو القول الوسط: من قال بالتفصيل حيث نظر إلى البدعة، فإن دَلَّ الدليل على كفر قائلها فإنه يكفر<sup>(١)</sup>، أما ما ليس بكفر فلا يكفر قائلها، واعتبر أمر آخر وهو حال من قال كلمة الكفر من لزوم توفر شروط الكفر منه وانتفاء موانعه، والتفريق بين التكفر العام وبين تكفير المعين<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن أبي العز الحنفي: "والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس"<sup>(٣)</sup>، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال: إن إيمانه حبط بمجرد ذلك إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبتته الرسول، أو إثبات ما نفيه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلَّت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر ونحو ذلك.

وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا تشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (١٤١).

(٢) انظر كتاب منهج ابن تيمية في مسألة التكفير لعبد المجيد المشعي، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد الله القرني (٢٥٢)، كتاب أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد الحلبي.

(٣) يقصد: من جنس تكفير أهل الكبائر.

الله له خشيته<sup>(١)</sup>. وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك، لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته، وأن نستبيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول في نفسه كفرأ، قيل: إنه كفر، والقاتل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين للإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤسائهم كانوا منافقين زنادقة...

ومقالات الجهمية تغلظ من ثلاثة أوجه، لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان، حتى يظن أن الحق معهم لما يوردونه من الشبهات. ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطناً وظاهراً، وإنما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة، فهؤلاء ليسوا كفاراً قطعاً، بل قد يكون منهم الفاسق والعاصي، وقد يكون منهم المخطئ المغفور له، وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه<sup>(٣)</sup>.

تبيينه: يجب أن يعلم أنه لا حجة لمن قال بتكفير الفرق الثنتين والسبعين فرقة بقوله ﷺ: {كسلها في النار إلا واحدة}، فإنما هي تقضي إنفاذ الوعيد ظاهراً، ويبقى

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله (١٣ / ٤٦٦) فتح، وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله (١٧ / ٧٠ نووي).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٣٥ - ٤٣٧) باختصار، وانظر الفصل لابن حزم (٣ / ٢٩١).

(٣) الفتاوى (٣ / ٢٢٠) وانظر الفتاوى (٦ / ٣٨، ٣٩) ففيه كلام نافع عن هذا الموضوع.

الخلود وعدمه مسكوتاً عنه، إذ الوعيد بالنار قد يتعلق بعصاة المؤمنين كما يتعلق بالكفار على الجملة، وإن تباينا في التخليد وعدمه<sup>(١)</sup>.

وليس قوله 'كلها في النار إلا واحدة' بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء ١٠)

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء ٣٠). وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٤٦٥).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٩) بتصرف، وانظر الفتاوى (٣/ ٢١٨).

## المبحث الثالث

## صفات الفرقة الناجية، وقوله: "إلا واحدة"

تقدم معنا في المبحث الأول أن رسول الله ﷺ لما أخبر الصحابة ﷺ عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة سارعوا ﷺ بالسؤال عن الفرقة الناجية، لا السؤال عن الفرق الهالكة، وذلك لأن تعيين الفرقة الناجية هو الأكدي في البيان بالنسبة إلى تعبد المكلف والأحق بالذكر، وهو المفيد على الإطلاق إذ لو عينت الفرق كلها إلا هذه الفرقة لم يكن بد من بيانها، وما أغنى تعيين الهالكة عن ذكرها دون العكس.

ثم إنه أوجز في الخطاب، لأنه إذا ذكرت نحلة الفرقة الناجية علم على البديهة أن ما سواها مما يخالفها ليس بناجٍ<sup>(١)</sup>.

أما عن صفات الفرقة الناجية، فجاءت الروايات بصفات عدة منها: "الجماعة، وفي رواية" ما أنا عليه وأصحابي"، وفي رواية: "السواد الأعظم"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الصفات الثلاثة تتداخل فيما بينها لتصف حالة المجتمع المسلم في قرنه عليه الصلاة والسلام، إذ كان الناس مقتدين به، سائرين على نهجه، وكان الرسول ﷺ والصحابة معه هم الجماعة المسلمة آنذاك والتي تتصف بكل صفات الكمال البشري، وهم حينها السواد الأعظم<sup>(٣)</sup>، إذ السواد الأعظم: جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٥٠٨) بتصرف.

(٢) انظر هذه الروايات في أول هذا الفصل (٢٤٥)، وانظر الفتاوى (٣/ ٢١٥).

(٣) انظر صفة الغرباء لسلمان العودة (٧٧).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٣٧٧).



يقول الشاطبي رحمه الله: "وحاصل الأمر أن أصحابه كانوا مقتدين به مهتدين بهديه وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم، وأثنى على متبوعهم محمد ﷺ، وإنما خلقه ﷺ القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (الشمس: ٤). فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة وإنما جاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك<sup>(١)</sup>، فكل من اقتدى بهم فهو في الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: {ما أنا عليه وأصحابي}، فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما، هذا هو الوصف الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله: "وهي الجماعة، لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف"<sup>(٢)</sup>.

ولعل تعليق النجاة بصفة: "ما أنا عليه وأصحابي" أخص وأوضح من صفتي "الجماعة" و"السواد الأعظم" إذ أنها تستلزمها، ولا يستلزمانها، إن التزام هدي رسول الله ﷺ، واتباع سنة الصحابة من بعده يحقق الجماعة المسلمة، ويكون المسلمون المهتدون بهديه السائرون على دربه ﷺ هم السواد الأعظم. فكانه ﷺ ذكر الوصف الأعلى الذي يجب على المسلم السعي إلى بلوغه، والعمل على تحقيقه "ما أنا عليه وأصحابي". فكلما سعى المسلمون إلى السير للاقتداء بالرسول ﷺ والصحابة من بعده تحقق لهم الجماعة والاتلاف ونجو من الفرقة والخلاف والهلاك، وكلما بعدوا عن الاقتداء بالرسول ﷺ والصحابة من بعده أو قل ذلك منهم؛ بعدوا عن الجماعة والاتلاف، ودبت فيهم الفرقة والشقاق بحسب بعدهم عما كان عليه محمد ﷺ والصحابة من بعده<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر شيئاً عن اتباع الصحابة وتسليمهم للنصوص، الفصل الثالث من الباب الأول، المبحث الثاني والثالث (١٤٨، ١٥٧).

(٢) الاعتصام (٥٠٩).

(٣) انظر: الاعتصام (٥١٤).

لذلك جاءت الوصية من الرحمة المهداة محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بأن تلتزم سنته وسنة أصحابه وتتبع عند الاختلاف، كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أنه قال: {فمن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ}.

يقول الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي<sup>(١)</sup> معلقاً على هذا الحديث: 'هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان على ما هو عليه وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة<sup>(٢)</sup>'.

وهؤلاء المتمسكون بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة المقدمون لها على كل قول هم بحق أهلها فهم أهل السنة والجماعة، والتي يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شيئاً من طريقتهم واعتقادهم مبيناً مدى اتباعهم فيقول: 'من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين

(١) هو: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن رجب وهو لقب جده عبد الرحمن. وهو من العلماء المبرزين في الحديث له تصانيف كثيرة منها: 'شرح جامع الترمذي'، توفي بدمشق عام ٧٩٥هـ. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق (٢/ ٤٢٨)، الأعلام (٤/ ٦٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٠).

والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}.

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سُمّوا: أهل الكتاب والسنة، وسُمّوا: أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة- وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين- والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة...

وطريقهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق... صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

ويقول رحمه الله عن اعتقاد الفرقة الناجية أنه: "هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ"<sup>(٢)</sup>.

ويبين رحمه الله أن أهل السنة والجماعة هم أحق الناس بأن يكونوا الفرقة الناجية، فيقول: "وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأتمتهم فقهاء

(١) الفتاوى (٣/ ١٠٣-١٠٥) باختصار، وانظر منهاج السنة النبوية له (٢/ ٤٨٢).

(٢) الفتاوى (٣/ ١١٦).

فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً وعملاً وحباً وموالة لمن والاه، ومعاداة لمن عاداه، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه؛ وما تنازع فيه الناس يردونه إلى الله ورسوله، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر الجهل والظلم<sup>(١)</sup>.

هذه صفات الفرقة الناجية: تحكيم كتاب الله والاهتداء بهدي رسول الله ﷺ وتقديمها على كل قول، ومجانبة كل صفات أهل الفرقة والشقاق المذكورة في النصوص من اتباع أهل الفرقة للهوى، وتبعهم للمتشابه من النصوص، وعدم حرصهم على الجماعة والائتلاف بل يسعون للفرقة والخلاف<sup>(٢)</sup>، بخلاف الفرقة الناجية التي تخالف هواها وتقدم قول ربها ومولاها، وتحرص على الجماعة وتنبت الفرقة، وترد المتشابه إلى المحكم من النصوص وتقول كل من عند ربنا<sup>(٣)</sup>.

لقد ذكر العلماء أقوالاً عدة في معنى "الجماعة" التي هي من صفات الفرقة الناجية، والتي أمر بلزومها في نصوص عدة، وحثر من الخروج عليها ونهى عن ذلك.

يقول الشاطبي رحمه الله: "أن رواية من روى في تفسير الفرقة الناجية {وهي الجماعة} محتاجة إلى التفسير، لأنه إن كان معناه بيناً من جهة تفسير الرواية الأخرى-

(١) الفتاوى (٣/ ٢١٦) باختصار، وانظر معالم الانطلاقة الكبرى لعبد الهادي المصري (٤٥، ٦٥، ١٦٧، ٧١).

(٢) انظر الاعتصام (٤٩٠)، الموافقات (٤/ ٥٤٦)، الفتاوى (٢٠/ ٨٩).

(٣) انظر صفة الغرباء للعودة (٧٤).

وهي قوله: {ما أنا عليه وأصحابي} - فمعنى لفظ "الجماعة" من حيث المراد به في إطلاق الشرع محتاج إلى التفسير<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر - رحمه الله - أن اختلاف العلماء في معنى الجماعة المأمور بلزومها جاء على خمسة أقوال<sup>(٢)</sup>:

١- إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، فيدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلمائوها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال.

٢- إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية.

فعلى هذا القول لا مدخل لمن ليس بعالم مجتهد، لأنه داخل في أهل التقليد، ولا يدخل أيضاً أحد من المبتدعين، لأن العالم أولاً لا يبتدع، وإنما يبتدع من ادعى لنفسه العلم وليس كذلك، ولأن البدعة قد أخرجته من نمط من يعتد بأقواله.

٣- إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً.

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام: {ما أنا عليه وأصحابي}، فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنّوه، وما اجتهدوا

(١) الاعتصام (٥١٥).

(٢) انظر الاعتصام (٥١٧).

فيه حجة على الإطلاق<sup>(١)</sup>، وأهل البدع إذاً غير داخلين في الجماعة قطعاً على هذا القول.

٤- إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل إتباعهم.

فكان هذا القول يرجع إلى الثاني، وهو يقتضي ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر.

٥- إن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمر، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم. وحاصل هذا القول: إن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة كالخوارج ومن جرى مجراهم<sup>(٢)</sup>.

وينبئ الإمام أبو شامة الشافعي<sup>(٣)</sup> على أمر مهم في معنى الجماعة وهو: أن الأمر بلزوم الجماعة المراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

(١) الرواية أشارت إلى المنهج الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فقال: 'ما أنا عليه وأصحابي'، ولم يرد عليه السلام نفسه وأشخاص أصحابه فلم يقل: 'أنا وأصحابي'، وإن كانوا هم الأولى بالدخول لأنهم السائرون على نهجه.

(٢) انظر الاعتصام (٥١٧-٥٢١) باختصار وتصرف.

(٣) هو: أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، له عدة مؤلفات منها: 'ذيل الروضتين'، 'مختصر تاريخ دمشق'، توفي سنة ٦٦٥ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٠)، فوات الوفيات (٢/ ٢٦٩).

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي رواية قال: "إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وأن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى"<sup>(١)</sup>.  
ويؤكد ابن حزم رحمه الله على هذا المعنى، وأن الجماعة هي الحق وأهله ولا اعتبار لكثرة العدد، فيقول معرفاً الشذوذ: "أنه مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ، وسواء كانوا أهل الأرض كلهم بأسرهم أو بعضهم، والجماعة والجملة هم أهل الحق ولو لم يكن في الأرض منهم إلا واحد فهو الجماعة وهو الجملة، وقد أسلم أبو بكر وخديجة رضي الله عنهما فقط فكانا هم الجماعة وكان سائر أهل الأرض - غيرهما وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم - أهل شذوذ وفرقة"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال الخمسة السابقة في معنى الجماعة: "الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء والمعتبر اجتهادهم، فمن شذ عنهم فمات فميته جاهلية، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع لأنهم غير عارفين بالشريعة، فلا بد من رجوعهم في دينهم إلى العلماء، فإنهم لو تماأوا على مخالفة العلماء فيما حدوا لهم لكانوا هم الغالب والسواد الأعظم في ظاهر الأمر، لقلّة العلماء وكثرة الجهال، فلا يقول أحد: إن اتباع جماعة العوام هو المطلوب، وإن العلماء هم المفارقون للجماعة والمذمومون في الحديث، بل الأمر بالعكس، وأن العلماء هم السواد الأعظم وإن قلّوا، والعوام هم المفارقون للجماعة إن خالفوا، فإن وافقوا فهو الواجب عليهم.

(١) انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة الشافعي (٢٩ - ٣١) باختصار وتصرف.

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام (٥ / ٨٧)، وانظر كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم

قال إسحاق<sup>(١)</sup>: لو سألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة<sup>(٢)</sup>.

ختاماً: إن الناظر في النصوص الواردة في الجماعة وأقوال العلماء في معناها يلحظ أن النصوص ذكرت الجماعة بمعنيين:

١- ذكرت الجماعة بمعنى المنهج الصحيح والحق المتبع كما في حديث الافتراق الذي فسر الجماعة في رواية أخرى: {ما أنا عليه وأصحابي}، سواء كانوا أشخاصاً متبعين للمنهج الحق كالصحابية أو أهل العلم، أو كان المنهج الحق نفسه هو المتبع، وهذا ما عليه الأقوال الأربعة المتقدمة.

٢- ومنهم من يفسر الجماعة باجتماع المسلمين على إمام مختار، فيحرم الخروج على جماعتهم حينئذ، ومنه قوله ﷺ: {من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة} وقوله ﷺ: {من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية}<sup>(٣)</sup>. وهذا ما عليه القول الخامس.

يقول ابن تيمية: إن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين<sup>(٤)</sup>.

ويلخص الشيخ عبد الرحمن المحمود الأقوال الخمسة ويجمع بينها حينما يذكر أن الجماعة ترجع إلى أمرين:

(١) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر بن مالك التميمي الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه، أحد الأئمة وسيد الحفاظ توفي سنة ٢٣٨هـ. انظر: السير (١١ / ٢٥٨)، تهذيب التهذيب (١ / ٢١٦).

(٢) الاعتصام (٥٢١)، وانظر الفصل لابن حزم (٢ / ٢٧١).

(٣) انظر ما تقدم في الفصل الأول، المبحث الثاني في تعريف الفرقة في الاصطلاح (٧٣).

(٤) الفتاوى (٣ / ١٠٤).



أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة أو أهل العلم الحديث، أو الاجتماع أو السواد الأعظم<sup>(١)</sup>.



تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik

أنظر قناة التليغرام  
تحميل كتب و رسائل علمية

Info  
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah  
Undangan

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣١).

## الفصل الثاني

### الخوارج وموقف الصحابة منهم

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الخوارج

المطلب الأول: تعريفهم، ومبادئهم، وألقابهم، وفرقهم:

تعريفهم ومبادئهم: الخوارج: جمع خارجة، أي طائفة<sup>(١)</sup>. ويعرف الشهرستاني رحمه الله الخوارج بأنهم: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"<sup>(٢)</sup>.

وتعريف الشهرستاني هذا تعريف عام يشمل أقسام الخروج، ولا يخص فرقة

الخوارج، إذ الخروج على إمام المسلمين ينقسم إلى أقسام:

أولاً: من خرج لمنازعة في الملك، ولكنه خرج غضباً للدين، ومن أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة، مثل الحسين بن علي<sup>(٣)</sup>، وأهل المدينة في وقعة الحرة، وزيد بن علي زين العابدين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فتح الباري (١٢/ ٢٨٣)، لسان العرب (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر الملل والنحل (١/ ١٣٢).

(٣) في فتح الباري (١٢/ ٢٠٦) الحسن بن علي، والصحيح أنه الحسين حيث خرج على يزيد بن معاوية وقتل بكربلاء.

(٤) اختلف العلماء في جواز هذا الخروج، فمنهم من أجاز الخروج على الإمام الجائر وعد ذلك من الجهاد، ومنهم من قال بعدم جوازه لما يترتب على هذا الخروج من المفسد التي تربو على المصالح، وهذا هو القول الصحيح الذي تدل عليه النصوص الشرعية، وهو قول غالب أهل السنة. انظر الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبد الله الدميحي (٥٠٢ - ٥١٨ - ٥٤٧).

ثانياً: من خرج على ولي الأمر بتأويل سائغ<sup>(١)</sup> يقره الكتاب والسنة، وهذا ما كان من أصحاب الجمل وصفين إذ خرجوا على علي عليه السلام لا معاندين مطالبين بالملك، بل لرأي رأوه واجتهاد صاروا إليه من طلب القصاص من قتلة عثمان عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: من خرج لطلب الملك فقط، وكان القتال على الدنيا وهؤلاء هم البغاة حقاً<sup>(٣)</sup>. وقد جاء الوعيد والذم لهذه الطائفة المفرقة للأمة السافكة لدماء المسلمين من أجل الدنيا والملك<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: من خرج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة للدعاء إلى معتقدهم<sup>(٥)</sup>، فخرج هؤلاء نابع من مخالفة لأصول في الشريعة الاعتقادية أو العملية<sup>(٦)</sup>.

والقسم الرابع هذا الخارج للدعاء إلى معتقده هو الذي وردت فيه نصوص نبوية في ذمه، والأمر بقتاله<sup>(٧)</sup> لأن خطره عظيم على الأمة المسلمة وهو أخطر أقسام الخروج السابقة، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على

(١) التأويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه إذا لم يكن فيه جواب. انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٦، ٢٧٥).

(٢) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٦، ٢٧٥).

(٣) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٨٦) بتصرف، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح الحنبلي (١ / ٦٨).

(٤) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الثالث، المبحث السابع (١٧٩)، الفصل الرابع المبحث الأول مزار الفرقة (٢١٢).

(٥) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٨٥).

(٦) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الأول المبحث الثاني (٧١)، وانظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٦، ٢٧٥).

(٧) انظر النصوص النبوية الواردة فيهم في المطلب الثالث من هذا المبحث (٢٩٨).

قتال هؤلاء<sup>(١)</sup>، فإنهم بغاة على جميع المسلمين سوى من وافقهم على مذهبهم، وهم يبدؤون المسلمين بالقتال، ولا يندفع شرهم إلا بالقتال، فكانوا أضرب على المسلمين من قطاع الطريق؛ فإن أولئك مقصودهم المال، فلو أعطوه لم يقاتلوا، وإنما يتعرضون لبعض الناس، وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن...

وهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم ولا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة<sup>(٢)</sup>.

إذاً الخوارج بتعريف عام: كل من خرج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة بالسيف للدعاء إلى معتقده وكان خروجه نابعاً من مخالفة لأصول في الشريعة فهذا التعريف أقرب لتعريف الخوارج كفرقة من الفرق، أما من خرج لغير ذلك مما تقدم فيطلق عليهم اسم الخروج العام، ويطلق عليهم "خوارج" كحكم شرعي، وصفة لفعالهم.

ونجد د/ ناصر العقل يعرف الخوارج كفرقة من الفرق أنهم: "الذين يكفرون بالمعاصي ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم"<sup>(٣)</sup>. وهذا التعريف عام وإن كان أخص مما ذكره الشهرستاني إلا أنه يشمل كل من سار على هذا المنهج، وإن تسمى باسم آخر غير الخوارج، أو انتمى إلى فرقة أخرى، إذ كل من خرج على إمام

(١) هؤلاء الخوارج.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٥/٢٤٣-٢٤٨) باختصار وتصرف يسير.

(٣) انظر كتاب الخوارج له (٢٨).

المسلمين وجماعتهم بالسيف، وكان الدافع لهذا الخروج عقيدة يعتقدونها من تكفير المخالفين أو بدعة يدعو إليها يسمى خارجياً، ويعتبرون خوارج ويلحقهم الذم الوارد في النصوص<sup>(١)</sup>، لذلك يطلق على فرقة الرافضة خوارج مارقة بهذا المعنى<sup>(٢)</sup>.

وإن كانت الخوارج والرافضة كلها تكفر بالمعاصي<sup>(٣)</sup>، وترى الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم على خلاف فيما بينهم في تفصيل ذلك إلا أن الفاصل بينهما هو القول في علي عليه السلام، فالخوارج الحرورية تكفّره، والرافضة تتولاه. لذا إذا أردنا أن نعرّف الخوارج الحرورية بتعريف خاص بهم كفرقة من الفرق، لا كحكم شرعي فيهم أو تعريف عام لهم نقول: هم كل من كفر علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، وهم الذين يكفرون بالمعاصي<sup>(٤)</sup>، ويرون الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم، ويتولون فرقة المحكمة الأولى<sup>(٥)</sup>.  
فهؤلاء هم الخوارج الحرورية وهم المرادون في هذا المبحث والله أعلم،  
والخوارج فرق متعددة، عدها بعضهم وأوصلها إلى العشرين<sup>(٦)</sup>.

(١) ويؤكد هذا أن أيوب السختياني رحمه الله يسمي أصحاب البدع خوارج، ويقول: الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف. انظر كتاب الشريعة (٥ / ٢٥٤٩)، ذم الكلام للهروي (٤ / ١٩٨).

(٢) أجمعت الرافضة على ترك الخروج بالسيف حتى يظهر إمامهم المنتظر، أي: إذا خرج إمامهم حلوا السيف، أما الزيدية من الشيعة بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم، انظر مقالات الإسلاميين (١ / ١٢٩، ١٥٠)، وانظر الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ٢٧١) (١٣ / ١١٣).

(٣) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦١).

(٤) يشمل كلمة يكفرون بالمعاصي كفر الشرك، وكفر النعمة، وكفر الملة، على اختلاف فرق الخوارج في ذلك وسيأتي مزيد تفصيل بعد قليل.

(٥) انظر ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين لعبد الله الياضي (٢٣).

(٦) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (٤٩)، الموافق في علم الكلام للابيحي (٤٢٤)، وهناك من ذكر ذلك انظر تلييس إبليس لابن الجوزي (٢٨).

واختلف العلماء فيما أجمع الخوارج على القول به، فذكروا أموراً:

١- إنكار التحكيم<sup>(١)</sup>.

٢- تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، وتعظيم أبي

بكر وعمر ومواليتهما<sup>(٢)</sup>.

٣- تكفير أصحاب الكبراء التي يعتقدون أنها كبراء، والقول بخلود أصحابها في

النار، واستثنى أبو الحسن الأشعري والاسفراييني والبغدادي النجدات من هذا

القول<sup>(٣)</sup>. وإن كان هذا الاستثناء معترض إذ النجدات يكفرون من أصرّ على

الصغائر<sup>(٤)</sup>.

٤- الخروج على الإمام الجائر وعلى جماعة المسلمين، واستحلال قتالهم<sup>(٥)</sup>.

٥- إن الإمامة جائزة في غير قریش<sup>(٦)</sup>.

والناظر في أقوال الخوارج على اختلاف فرقها يجدهم أجمعوا على الأمر

الأول والثاني بلا خلاف<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر من قال بذلك الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر من قال بإجماعهم على هذا الأمر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٦٧)

(٢/ ١٤١)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٥٠)، التبصير في الدين للاسفراييني (٤٥)، الفصل لابن

حزم (٢/ ٢٧٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٣)، البرهان للسكسكي (١٩)، اعتقادات

فرق المسلمين والمشركين للرازي (٤٩)، ذكر مذاهب الثنتين وسبعين لليافعي (٣٤).

(٣) انظر من قال بذلك مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٨)، الفرق بين الفرق (٥٠)، التبصير في الدين

(٤٥)، الفصل لابن حزم (٢/ ٢٧٠)، الملل والنحل (١/ ١٣٣)، البرهان (١٩)، اعتقادات فرق

المسلمين والمشركين (٤٩).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٥).

(٥) انظر من قال بذلك التبصير في الدين (٤٥)، الفصل لابن حزم (٢/ ٢٧٠)، الملل والنحل

(١/ ١٣٣).

(٦) انظر من قال بذلك الفصل لابن حزم (٢/ ٢٧٠).

(٧) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤).

أما الأمر الثالث وهو التكفير بالكبائر، فكل فرقة تقول بالتكفير بالذنوب - وكلهم في ذلك مخالفون للكتاب والسنة - وتقول بخلود أصحابها في النار<sup>(١)</sup>. ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في تحديد مفهوم التكفير بالذنوب وكان مدار اختلافهم على ثلاثة أمور:

- كل فرق الخوارج قالت بالكفر والتكفير لمرتكب الكبائر أو الذنوب، على خلاف فيما بينها هل هو كفر ملة<sup>(٢)</sup>، أو كفر نعمة<sup>(٣)</sup>، أو كفر شرك<sup>(٤)</sup>.

- كل فرق الخوارج قالت بالتكفير، ولكن اختلفوا فيمن يقع عليه هذا التكفير، فقال بعضهم يقع على كل من أتى بكبيرة من موافقيهم ومخالفهم، وقال بعضهم بل هو في المخالفين دون الموافقين<sup>(٥)</sup>.

ومنهم من أكفر من لم يلحق بمعسكرهم، وإن وافقهم في المذهب<sup>(٦)</sup>، ومنهم من خص بالكفر السلطان الجائر وحاشيته دون عامة المسلمين<sup>(٧)</sup>. ومنهم من قال إذا كفر الإمام كفرت رعيته<sup>(٨)</sup>.

- كل فرق الخوارج قالت بالتكفير بالذنوب على خلاف الكتاب والسنة، ولكنهم اختلفوا في تحديد الذنوب التي يُكفر بها، فقليل هي كل ذنب صغير أو كبير،

(١) انظر مقالات الإسلاميين (٢٠٤/١)، البرهان للسكسكي (٢٠).

(٢) انظر الفرق بين الفرق (٥٦)، الملل والنحل (١٤١/١).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١٨٩/١).

(٤) انظر الفرق بين الفرق (٥٨، ٦١)، أصول الدين للبغدادي (٢٩٢)، الملل والنحل (١٤٢/١).

(٥) انظر الملل والنحل (١٤١/١، ١٤٢)، البرهان (١٩).

(٦) انظر مقالات الإسلاميين (١٦٩/١، ١٧٤).

(٧) انظر الملل والنحل (١٥٧/١).

(٨) انظر الملل والنحل (١٤٦/١).

وقيل بل الكبائر<sup>(١)</sup>، ثم اختلفوا في تحديد الكبائر، فقال بعضهم الكبائر مما لا حد فيه كترك الصلاة أما ما فيه حد كالزنا والسرقة فليس بكفر<sup>(٢)</sup>. ومنهم من اعتبر الإصرار على المعاصي ولو صغيرة هو الكفر، أما ما عداها من الذنوب إن تاب منها فلا شيء عليه حتى لو كانت كبيرة كالزنا وغيره<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة الأمر: إن الخوارج كلهم قالوا بالتكفير بالذنوب كل حسب رأيه ومن وجهة نظره، وكلهم في ذلك مخالفون للكتاب والسنة.

أما الأمر الرابع وهو الخروج على الإمام الجائر، فكلهم يرونه ويرون السيف، وإن اختلفوا في جوازه أو وجوبه، وكذلك اختلفوا في ضوابطه، وهل يكون في كل حال أم في حال دون حال<sup>(٤)</sup>.

وأما الأمر الخامس وهو القول بأن الإمامة تصح في غير قريش فهذا كان من مبادئهم الأولى التي قالوها بعد خروجهم على علي عليه السلام، إذ جعلوا الأمر شورى بينهم ولم يوجبوا البيعة لقرشي خلافاً لأهل السنة، وكل ما اشترطوه في الإمام هو الديانة وإقامة شرع الله، وهذا مما أجمعوا عليه<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن حزم: ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون، وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/١٧٠).

(٢) انظر التبصير في الدين (٥٣)، الملل والنحل (١/١٥٩)، البرهان (٢٣).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١/١٧٥).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤)، الفرق بين الفرق (٦٩، ٧٠).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤)، المواقف في علم الكلام للأبيجي (٤٢٤).

(٦) انظر الفصل (٢/٢٧٠)، أصول الدين لأبي اليسر محمد البزدوي (٢٥٥).



هذا ما أجمعت عليه الخوارج، أما قولهم في بقية مسائل العقيدة فهي:

١- قولهم في التوحيد كقول المعتزلة<sup>(١)</sup>، يذهبون إلى التعطيل، والأباضية من الخوارج تخالف المعتزلة في الإرادة فقط<sup>(٢)</sup>، وكلهم يخالفون قول أهل السنة والجماعة.

٢- الخوارج يقولون بخلق القرآن<sup>(٣)</sup>.

٣- أما القدر فمنهم من يذهب إلى قول المعتزلة<sup>(٤)</sup> من أن العبد يخلق فعله أمثال المعلومية والحمزية<sup>(٥)</sup>.

ومن الخوارج من يميل إلى الإثبات<sup>(٦)</sup> كالخازمية والشعبية<sup>(٧)</sup>.

٤- أما الوعيد فقول المعتزلة وقول الخوارج قول واحد لأنهم يقولون: إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدين. غير أن الخوارج يقولون: إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين<sup>(٨)</sup>.

**القابهم:** بدأت تظهر ألقاب للخوارج بعد خروجهم على علي بعد التحكيم، والملاحظ أن هذه الألقاب والأسماء لم تأت مرة واحدة بل كانت وليدة المواقف، إما بسبب صفة اتصفوا بها، أو بسبب مكان نزله، أو شعار رفعوه.

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤).

(٥) انظر التبصير في الدين (٥٦).

(٦) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤).

(٧) انظر التبصير في الدين (٥٥).

(٨) انظر مقالات الإسلاميين (١/٢٠٤).

وكانت أول الألقاب التي لقبوا بها بعد رفضهم التحكيم اسمي "الحكمة" والحرورية، ثم لقبوا بالألقاب أخرى وظهر عليهم اسم الخوارج خاصة بعد موقعة النهروان وشيوع الأحاديث الواردة فيهم، وكذلك لقبوا بالشرارة، والمارقة، والشكاكية. وإليك سبب تلقيهم بهذه الأسماء:

١- المحكّمة: سموا بذلك لأنكارهم التحكيم وقولهم: "لا حكم إلا لله، فإذا قال الرجل: لا حكم إلا لله، قالوا: هذا محكّم، أي خائض في حكم الله<sup>(١)</sup>. فسبب التسمية رفعهم شعار "لا حكم إلا لله" ومعارضة علي بن أبي طالب به، يذكر الطبري أن علي بن أبي طالب قام بخطب ذات يوم وإنه في خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد فقال علي: "الله أكبر! كلمة حق يراد بها باطل!"<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى: "قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي: الله أكبر! كلمة حق يلتمس بها باطل"<sup>(٣)</sup>.

٢- الحرورية: سموا بذلك لأنهم أول ما ابتدأ خروجهم على إمام المسلمين علي بن أبي طالب بعد صفين نزلوا بحروراء، رفضوا الدخول مع علي بن أبي طالب إلى الكوفة<sup>(٤)</sup>. وحروراء قرية قرب الكوفة<sup>(٥)</sup>.

٣- الخوارج: سموا بذلك لخروجهم على علي عليه السلام، وإن كان اسم "خوارج" ورد ذكره على لسان أمير المؤمنين علي عليه السلام ولكنه لم يطلقه على الخوارج الحرورية، وإنما

(١) انظر الفتاوى (١٣ / ١١٣)، مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١١٤).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١١٤)، ومعنى يحكمون أي يقولون لا حكم إلا لله.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢٠٧)، تاريخ الطبري (٣ / ١١٧، ١٢٧)، البرهان (١٧).

(٥) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ٢٤٥).

أراد معناه العام ممن خرج عن طاعته من أهل مصر، حيث أرسل رسالة إلى الأشر يوليه مصر مكان محمد بن أبي بكر وقال له: "إن محمد بن أبي بكر بمصر فخرجت عليه خوارج..."<sup>(١)</sup>. ولكن بعد وقعة النهروان أصبح اسم "الخوارج" علم على الخوارج الحرورية غالباً.

٤- الشراة: سموا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة<sup>(٢)</sup>. ولقد جاء في رسالة نجدة بن عامر إلى نافع بن الأزرق لما خالفه بعد ما أحدث نافع ما أحدث، أرسل إليه لينصحه ويقول: فلما شريت نفسك في طاعة ربك مبتغياً رضوانه، وأصببت من الحق عينه، تجرد لك الشيطان فأغواك...<sup>(٣)</sup>، وهذه الأسماء الأربعة تقر بها الخوارج وترضاها<sup>(٤)</sup>.

٥- المارقة: سموا بذلك لما جاء في وصفهم في نصوص نبوية أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية<sup>(٥)</sup>.

٦- الشكاكية: وذلك أنهم لما رفضوا التحكيم، قالوا لعلي: شككت في أمرك وحكمت عدوك من نفسك، فسموا بذلك الشكاكية<sup>(٦)</sup>.

فرقهم: كان أول أمر الخوارج بخروجهم على علي بن أبي طالب عليه السلام، قتالهم له في النهروان، وما زال أمرهم واحداً وانتمائهم إلى المحكمة الحرورية واحداً حتى عام ٦٤هـ إذ تفرقت الخوارج إلى أربع فرق هي: الأزارقة، النجدات، الصفرية،

(١) انظر تاريخ الطبري (١٢٧/٣).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١)، تاريخ الطبري (١١٧/٣، ١٢٧)، البرهان (١٧).

(٣) انظر نص هذه الرسالة في ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين لليافعي (٣٥).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (٢٠٨/١).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١).

(٦) انظر البرهان (١٧).

الأباضية. ومن هذه الفرق الأربع تفرعت بقية فرق الخوارج<sup>(١)</sup>، والتي زادت عن العشرين فرقة على اختلاف في زمان التفرق، واختلاف فيما بينها في الآراء .

وأما عن سبب افتراق الخوارج إلى فرقها الأربع فقد كان بسبب ما أحدثه نافع بن الأزرق الحنفي من بدع وأقوال خالفه فيه رؤوس الخوارج، فخالفه نجدة بن عامر الحنفي مع أصحابه فكانت فرقة النجدات، وخالفه عبد الله بن الصفار مع أصحابه فكانت فرقة الصفيرية، وخالفه عبد الله بن أباض مع أصحابه فكانت فرقة الأباضية.

فالخوارج كانوا قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشاذ من الفروع<sup>(٢)</sup>.

يقول البغدادي رحمه الله بعد أن ذكر شأن الخوارج مع علي بن أبي طالب وخبره معهم في النهروان يقول: "ثم خرج على علي بعد ذلك من الخوارج جماعة كانوا على رأي المحكمة الأولى... ثم قتل علي عليه السلام فلما استوت الولاية لمعاوية خرج عليه وعلى من بعده إلى زمان الأزارقة قوم كانوا على رأي المحكمة الأولى"<sup>(٣)</sup>.

أما عن بدعة الأزارقة التي فرقت الخوارج فهي كالاتي: لما قدم جيش يزيد بن معاوية إلى مكة لحصار عبد الله بن الزبير ومن معه من أهل المدينة الذين رفضوا البيعة، سمع بذلك الخوارج وهم بالعراق فلحقوا بابن الزبير لحماية البيت الحرام، وكان ذلك في شهر المحرم من عام ٦٤هـ، وما زالوا معه يقاتلون جيش الشام حتى سأله عن رأيه في عثمان بن عفان ليتأكدوا إن كان موافقاً لهم، فلما خالفهم عبد الله بن الزبير وأعلن ولاءه لعثمان رضي الله عنه فارقه وغادروا مكة، وانقسموا

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/١٨٣)، وانظر المطلب الثاني عن نشأة الخوارج.

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/١٤٠).

(٣) انظر الفرق بين الفرق (٥٤، ٥٥)، أصول الدين للبغدادي (٣٣٢).

في وجهتهم فتوجه نافع بن الأزرق الحنفي وعبد الله بن الصفار السعدي، وعبد الله بن أباض، وحنظلة بن بهيس، وعدد من رجالات الخوارج وأتباعهم إلى البصرة، واتجه نجدة بن عامر الحنفي ومن معه إلى اليمامة<sup>(١)</sup>.

وفي شوال من هذا العام أحدث نافع بن الأزرق الخلاف بين الخوارج<sup>(٢)</sup>. ذلك أنه لما سار بمن معه إلى البصرة، وأحدث القتل في المسلمين اجتمع أهل البصرة على واليهم وتجردوا لقتال ابن الأزرق ومن معه وأخافوهم، فلحق نافع بالأهواز<sup>(٣)</sup> في شوال سنة أربع وستين وخرج من بقي من الخوارج بالبصرة إلى ابن الأزرق إلا من لم يرد الخروج يومه ذلك، منهم: عبد الله بن الصفار، وعبد الله بن أباض ورجال معهما على رأيهما، ونظر نافع فرأى أن ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له، وأن من تخلف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم إلى البراءة منهم، وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم، ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم، ولا يحل ميراثهم، ورأى قتل الأطفال والاستعراض، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، فأجابته إلى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم<sup>(٤)</sup>.

أثناء ذلك خرج نجدة بن عامر مع عسكره من اليمامة يريد اللحاق بالأزارقة بالأهواز، فاستقبلهم نفر من فارق عسكر نافع ورفض قوله، وأخبروه بأقوال نافع التي أحدثها، وأنهم برئوا منه وفارقوه عليها، وأمروا نجدة بالمقام في اليمامة وبايعوه وسموه أمير المؤمنين<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٣/ ٣١٦، ٣٣٥)، تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٤٤).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٨)، الكامل لابن الأثير (٣٣٦).

(٣) الأهواز المنطقة التي بين البصرة وفارس، وتسمى بالفارسية خوزستان. انظر معجم البلدان (١/ ٢٨٤).

(٤) انظر الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٣٦).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٤)، الملل والنحل (١/ ١٤١).

وكتب نافع بن الأزرق إلى ابن أباض وابن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى ما أحدث من إكفار القعدة عن القتال والبراءة منهم، وإن كانوا موافقين له على دينه، وإكفار من تخلف عن اللحاق به، إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup>.

فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا ويختلفوا. أما ابن أباض فأخذه وقرأه وقال: قاتله الله أي رأي رأي؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وكانت سيرته كسيرته في المشركين، ولكنه قد كذب فيما يقول: إن القوم برآء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم والأحكام، ولا يحل لنا إلا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا. فقال له ابن الصفار: بريء الله منك فقد قصرت، وبريء الله من ابن الأزرق فقد غلا، فقال الآخر<sup>(٢)</sup>: بريء الله منك ومنه، فتفرق القوم<sup>(٣)</sup> إلى أربع فرق كما تقدم: الأزارقة، والنجيدات، والأباضية، والصفرية.

وهذا شأن الخوارج دوماً عند أي اختلاف فيما بينهم يكون لكل منهم رأي فيفترون وهذا من جهلهم، ودليل على عدم اعتمادهم على كتاب الله عز وجل كما يدعون، لأنهم لو كانوا يعتمدون على القرآن الكريم بحق لما اختلفوا لأن الحق واحد لا يتعدد، يقول قتادة رحمه الله: "ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالاً فتفرق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ما أحدثه من بدع: مقالات الإسلاميين (١/١٦٩، ١٧٠)، الملل والنحل (١/١٤٠).

(٢) أي: عبد الله بن أباض.

(٣) انظر الكامل لابن الأثير (٣/٣٣٧).

(٤) انظر تفسير الطبري (٣/١١٩).

وفرق الخوارج هذه تختلف بدعها في الغلظة، فأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة الأباضية أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضي، وأبعدهم عن أهل السنة الأزارقة<sup>(١)</sup>.

ولقد انقرضت فرق الخوارج القديمة ولم يبق لها وجود في الحاضر ما عدا فرقة الأباضية والتي ما زالت موجودة إلى الآن<sup>(٢)</sup>، وانقراض فرق الخوارج القديمة لا يعني أن تيار الخروج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة، والقول بالتكفير قد انقرض، بل ما يزال فكر الخوارج موجوداً في أكثر من جماعة وإن اختلفت تسمياتها<sup>(٣)</sup>، أما أسماء الفرق القديمة وانتمائها لرجال معينين فهذا هو الذي انقرض خلا الأباضية، وهذه نبذة عنهم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الفصل لابن حزم (٢/٢٦٦).

(٢) انظر الخوارج لناصر العقل (٤٥)، تاريخ ابن خلدون (٣/١٦١).

(٣) مثل جماعة التكفير والهجرة والتي تسمى نفسها جماعة المسلمين في مصر، ومن الجماعات التي

تظهر عليها سمات الخوارج جماعة التوقف والتبين. انظر: دراسة عن الفرق (١٠٨)، الخوارج (

١٢١)، الغلو في الدين للويحيى (١٣٧).

(٤) خصت الأباضية بالحديث لوجودها الحاضر.

## الأباضية

**نشأتم:** كان الخوارج على أمر واحد وعلى رأي المحكمة الأولى حتى حدثت بدعة الأزارقة عام ٦٤هـ، وأحدث نافع بن الأزرق ما أحدثه من آراء فوق الخلاف والافتراق بين الخوارج، وصاروا إلى أربع فرق هي: الأزارقة، النجدات، الصفيرية، الأباضية.

والأباضية ينتسبون إلى عبد الله بن إياض<sup>(١)</sup> الذي فارق نافع بن الأزرق لما أحدث القول بالتبري من القعدة كما تقدم، فخالفه ابن إياض وأبان رأيه في هؤلاء القعدة وقال إنهم كفار بالنعم والأحكام.

أماكن وجودهم: أول نواة خرجت للإباضية كان في البصرة لما فارق ابن إياض نافع بن الأزرق، فالتفّ عليه أصحابه وتكونت فرقة الأباضية وكونت مبادئها الأولى التي تفارق بها بقية الخوارج في أهم مسألة وهي "حكم المخالف لهم" ثم تركزت الأباضية في منطقتين:

١- في عمان على الساحل الشرقي الجنوبي من جزيرة العرب، وكونوا لهم دولة هناك استقلوا بها عن الدولة العباسية في عهد أبي العباس السفاح (١٣٢-١٣٦) هـ آنذاك.

ولا يزال - إلى اليوم - تركز الإباضية في عمان، إذ تعد من معاقلها التي يحكمها حكام أو سلاطين أباضيون إلا فترات يسيرة من التاريخ خرجت السلطة

(١) هو عبد الله بن إياض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد رهط الأحف بن قيس، توفي عام (٨٦) هـ، والأباضية في عمان يفتحون همزة أباض وتصيح النسبة الأباضية، وفي شمال أفريقيا يكسرون الهمزة وتصيح النسبة الإباضية. انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين لأحمد جلي (٧٤) هامش له، الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٤)، نشأة الحركة الإباضية لعوض خليفات (٧٥).



من أيديهم، ولكن عمان بقيت أباضية من حيث المعتقد والسكان غالباً، ولا يزال لهم وجود في حضرموت واليمن<sup>(١)</sup>. وقد كان لأباضية عمان نفوذ في زنجبار، ولكن لما قامت الحركة الشيوعية بضم زنجبار إلى تنزانيا شردت المسلمين واضطهدتهم ولم يعد للأباضية وجود كبير هناك<sup>(٢)</sup>.

٢- تركزت الإباضية أيضاً في شمال أفريقيا في المغرب العربي حيث انتقلت دعوة الأباضية هناك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، وكان انتشارها بين قبائل البربر.

وتوجد تجمعات الإباضية الآن في جبل نفوسة وزوارة ودمّر ونفراوة بطرابلس في ليبيا، وتوجد في تونس خاصة في جزيرة جربة، وفي واحات الصحراء المغربية لا يزال لهم وجود حالياً<sup>(٣)</sup>.

وفي جنوب الجزائر يوجدون في وادي ميزاب غرب مدينة الجزائر العاصمة على بعد ٤٠٠ كلم؛ حيث يتميز هؤلاء بتمسكهم بتقاليد وتعاليم المذهب الإباضي حيث وضعوا "نظام العزابة" وهو عبارة عن مجلس يهتم بشؤون أفراد الجماعة، ويمارس نوعاً من الرقابة على سلوكهم، ويعتمد على التوجيه والمحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستند إلى مبدأ الولاية والبراءة للأفراد والجماعات، فمن ارتكب معصية وخالف التعاليم تُبرئ منه وعزل عن المجتمع حتى يتوب.

(١) انظر الخوارج للعقل (٨٧)، دراسة عن الفرق لأحمد جلي (٩٠)، نشأة الحركة الإباضية (١١٦-١٣٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر الخوارج للعقل (٨٨)، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة لفرحات الجعيري (١٨)، دراسة عن الفرق (٩٠)، تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة (٧٨). نشأة الحركة الإباضية لخليفات (١٣٣).

فبهذا النظام استطاع الأباضيون في الجزائر من ضبط السلوك، والمحافظة على مبادئهم لعدم وجود الدولة التي تعتقد معتقداتهم، وتحميها وإن كانوا يشكون اليوم من بداية انحلال قبضة هذا النظام<sup>(١)</sup>.

وتواجد الأباضيون أيضاً في الأندلس خاصة في جزيرتي ميورقة، ومينورقة وظلوا هناك حتى نهاية الدولة الإسلامية بشبه الجزيرة الأندلسية<sup>(٢)</sup>.

أبرز عقائدهم: وافقت الأباضية المعتزلة في كثير من عقائدهم، وهذا موجز لها:

١- ذهب الأباضية كالمعتزلة إلى أن صفات الله عزّ وجلّ هي عين ذاته، وأن الاسم والصفة بمعنى واحد، وهم بهذا يخالفون أهل السنة والجماعة<sup>(٣)</sup>.

٢- ذهب الأباضية إلى تأويل صفات الله الخبرية كالوجه والعين واليد، وصفاته الفعلية كالنزول والاستواء والمجيء، فأولوها تأويلاً فاسداً حرفها عن معناها<sup>(٤)</sup>.

٣- ذهب الأباضية إلى نفي رؤية الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة موافقين للمعتزلة ومخالفين لسلف الأمة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر دراسة عن الفرق (٩٠)، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة لفرحات الجعبري (٦١).

(٢) انظر دراسة عن الفرق (٩٠)، الخوارج للعقل (٨٨).

(٣) انظر مشارق أنوار العقول لنور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تعليق أحمد الخليلي (٢٢٧-٢٤٠)، الخوارج للعقل (٩)، دراسة عن الفرق (٩٢).

(٤) انظر الموجز لأبي عمار عبد الكافي الأباضي (١/١٢٣)، مشارق أنوار العقول (٢٣٧)، الأباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث لعلي يحيى معمر (١/٢٩٣)، دراسة عن الفرق (٩٣)، الخوارج (٩٠).

(٥) انظر مشارق أنوار العقول (٢٤٦)، الأباضية بين الفرق (١/٢٩١)، دراسة عن الفرق (٩٤)، الخوارج (٩٢).

٤- ذهب بعض الإباضية لاسيما في المشرق إلى القول بعدم خلق القرآن وقالوا بقدمه، ومنهم من قال إنه مخلوق، أما في المغرب فقالت الإباضية هناك بخلق القرآن كالمعتزلة<sup>(١)</sup>.

٥- تبنت الإباضية قول الأشاعرة في مسألة القدر، وقالت إن أفعال الإنسان مضافة إليه عن طريق الكسب، وإن استطاعة الإنسان تحدث مع الفعل لا قبله<sup>(٢)</sup>.

٦- ذهبت الإباضية إلى أن مرتكب الكبيرة كافر ويقصدون كفر النعمة، هذا في الدنيا، أما في الآخرة يرون أن مرتكبي الكبائر وعصاة الموحدين إذا ماتوا على ذلك فهم في النار خالددين فيها أبداً. فوافقوا المعتزلة في خلود أصحاب الكبائر في النار وهو قول سائر الخوارج، وخالفوا السلف في ذلك.

٧- وبناءً على المسألة السابقة وهو خلود مرتكب الكبيرة في النار أنكروا شفاعة الرسول ﷺ فيهم، وقالوا إن الشفاعة تكون لمن مات على صغيرة أو مات وقد ارتكب ذنباً نسي أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو للتخفيف من شدة الموقف على المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

٨- وفي مسألة الإمامة: لا يرون القرشية في الإمامة شرطاً كبقية الخوارج، وذهبوا إلى أن الإمامة واجبة، وأنه لا يجزى الخروج على الإمام العادل، أما الإمام الجائر فالخروج عليه ليس بواجب كما تقول الخوارج، بل هو جائز مستحسن إذا

(١) انظر الموجز (١٠٧/٢) الإباضية بين الفرق (١/ ٢٩٠)، دراسة عن الفرق (٩٤)، الخوارج (٩٢)، الإباضية بالجريد لصالح باجيه (٤٢).

(٢) انظر الموجز (٢/ ٢٠، ٦٤)، دراسة عن الفرق (٩٥).

(٣) انظر مشارق أنوار العقول (٣٧٣-٣٨٤)، الموجز (٢/ ٨٤-٩٤)، دراسة عن الفرق (٩٦)، الخوارج (٩٥-٩٧).

غلب على الظن نجاحه<sup>(١)</sup>. ويرون أن الإمام إذا ارتكب كبيرة حلّ دمه وجاز الخروج عليه<sup>(٢)</sup>.

٩- تطعن الأباضية في عدد من أجلاء الصحابة كعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية وأصحاب الجمل، ولا يترضون عنهم، ويقولون: نترضى عن الصحابة إلا من أحدث؛ وهم بذلك يشاركون المعتزلة والرافضة في مسلك الطعن في الصحابة.

ويقدحون في إمامة عثمان وعلي، ويؤيدون خروج أسلافهم "الخوارج المحكمة الأولى"، وأهل النهروان الذين خرجوا على الصحابة وقتلوهم<sup>(٣)</sup>. ويميل الأباضة المعاصرون إلى عدم الخوض في النزاع الذي وقع في صدر الإسلام، ويقولون بالتوقف في ذلك<sup>(٤)</sup>.

فقهم: استمد الأباضية فقهم من نفس المصادر التي استمدت منها المذاهب الفقهية، واستخدموا نفس طرق الفقهاء في استنباط الأحكام. فمصادر أدلة التشريع عندهم: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، والاستدلال. وإن كانوا قد استندوا في بعض آرائهم على أحاديث وردت عن طريق أئمتهم لم تثبت عند علماء الحديث<sup>(٥)</sup>.

وتذهب الأباضة إلى أن أحاديث الآحاد توجب العمل فقط، ولا يحتج بها في العقائد، فوافقوا بذلك المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر الموجز (٢/ ١٧٦، ١٨٥)، دراسة عن الفرق (٩٧)، الخوارج (١٠٠).

(٢) انظر الخوارج (١٠٠)، دراسة عن الفرق (٨٢).

(٣) انظر الموجز (٢/ ١٨٨ - ١٩٩)، الخوارج (٩٨ - ٩٩).

(٤) انظر دراسة عن الفرق (٩٨).

(٥) انظر المرجع السابق (١٠٠)، تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة (٧٨).

(٦) انظر دراسة عن الفرق (١٠٠)، الخوارج (١٠٣).

ومن المسائل التي خالفوا فيها فقهاء المسلمين:

- أنكروا جواز المسح على الخفين، وقالوا إن الصلاة لا تجوز إلا بغسل الرجلين.

- انفردوا بقولهم إن الركعتين الأولتين من الظهر والعصر يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب فقط دون سورة؛ مع أن قراءة سورة مع الفاتحة سنة ثابتة عن الرسول ﷺ عند جميع المذاهب.

- ذهبت الأباضية إلى أن القنوت في الصلاة لا يجوز، وأن رفع الأيدي في التكبير، وتحريك السبابة عند التشهد، والجهر بكلمة "آمين" بعد قراءة الفاتحة في الصلاة، وزيادة "الصلاة خير من النوم" في آذان الفجر؛ كله لا يجوز<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: بيان أصلهم، وكيف خروجهم

لقد جاءت النصوص تحذّر من ترأس الجهلة والأصاغر في العلم، وتوليهم منصب القيادة في الأمة إذ هم لجهلهم يحدثون الفرقة بين المسلمين<sup>(٢)</sup>.

والناظر في كتب التاريخ يجد أن الخوارج قبل خروجهم كانوا معروفين بالنسك وكثرة العبادة وقراءة القرآن حتى سموا "بالقراء"<sup>(٣)</sup> وكان من هؤلاء القراء طلاب

(١) انظر دراسة عن الفرق (٩٩-١٠٦).

(٢) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الثالث، أسباب الفرقة، المبحث الأول "الجهل" (١٣٥).

(٣) القراء: الناسك، والجمع قراؤون. انظر لسان العرب (١/١٢٩)، الكليات للكفوي (٧٢٣). ولقد جاء وصف جمع من الصحابة بأنهم القراء، وليس معناه في حق الصحابة النسك والعبادة بدون علم حاشاهم من ذلك، بل معناه في حقهم: العلماء بالقرآن والسنة والعباد، وكان هؤلاء القراء هم أصحاب مشورة عمر رضي الله عنه بخلاف ما أطلق على الخوارج. انظر: فتح الباري (٢٥٧/١٣).

العلم الصغار والمبتدئين فيه<sup>(١)</sup>. ولكنها قراءة للقرآن والتعبد مع قلة في العلم، وقصور في الفهم إذ كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع<sup>(٢)</sup>. كما سترى من أفعالهم.

ولقد ظهر شغب جماعة القراء هذه على الأمراء، والاعتراض على الولاية في عهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> حتى آل بهم الأمر إلى أن كانوا من الذين خرجوا على عثمان وقتلوه في المدينة.

ومما جاء في ذكر شغبهم وبثهم الفتنة بين المسلمين ما حدث من جماعة القراء هذه في ولاية سعيد بن العاص (والي عثمان على الكوفة) عام ٣٣هـ، إذ كان القراء وأهل الفضل هم خاصة جلساء سعيد بن العاص، وفي يوم وقراء الكوفة مجتمعون عنده قال أحد جلسائه: ما أجود طلحة ابن عبيد الله! فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النشاط<sup>(٤)</sup> لحقيق أن يكون جواداً، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً. فقال عبد الرحمن بن خنيس -وهو حدث-: والله لوددت أن هذا الملطاط لك - يعني ما كان على جانب الفرات الذي يلي الكوفة - قالوا<sup>(٥)</sup>: فض الله فاك! يتمنى له سوادنا، أنت والله أمرته بها<sup>(٦)</sup>، فثار إليه الأشر،

(١) انظر دراسات في الأهواء للعقل (٣٤٢).

(٢) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٨٣).

(٣) لقد عرف بعض أهل العراق باعتراضهم على الولاية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكنه لم يظهر ويقوى إلا في خلافة عثمان رضي الله عنه، انظر تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمزون (١٩٦/٢).

(٤) النشاط: ضيعة بالكوفة عظيمة الدخل، وكانت لطلحة بن عبيد الله. والضيعة هي الأرض المزروعة المغلة. انظر القاموس المحيط (٩٦٠).

(٥) أي: القراء.

(٦) يقصدون أن سعيد بن العاص أمره أن يقول ذلك.

وابن ذي الحبيكة، وجندب، وصعصعة، وابن الكواء، وكميل بن زياد، وعمير بن ضابيء<sup>(١)</sup>، فأخذوه، فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشي عليهما... فلما حدث ذلك منع سعيد بن العاص هذه الجماعة من الدخول عليه، والسمر عنده لما ترتب على ذلك من مفاسد، فساء هذا الأمر هؤلاء القراء الجهلة فأقبلوا على الإذاعة والفتنة، وتآلبب عامة الناس على واليهم سعيد بن العاص، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أيضاً<sup>(٢)</sup>. فساء أشراف أهل الكوفة شغبهم وطلبوا من أمير المؤمنين عثمان بن عفان أن يخرجهم، فأخرجهم عثمان رضي الله عنه وأرسلهم إلى الشام عند معاوية رضي الله عنه وكتب إليه: "إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فإن آنت منهم رشداً فأقبل منهم، وإن أعيوك فاردهم عليهم"<sup>(٣)</sup>.

فانظر إلى حلم أمير المؤمنين عثمان بن عفان وصبره عليهم، ومحاولته لإسكان هذه الشائرة بالحسنى، ولكنهم قوم خلقوا للفتنة كما قال رضي الله عنه، لذلك لما ساروا إلى معاوية أكرمهم وحاورهم ونصحهم ولم يجد منهم إلا الحمق في الفعال والرعونة في الأقوال، فسيرهم عنه وكتب إلى عثمان يقول عنهم: "إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان، أثقلهم الإسلام وأضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين ينكون أحداً إلا مع غيرهم..."<sup>(٤)</sup>.

(١) وهؤلاء ممن خرج على عثمان رضي الله عنه، انظر العواصم من القواصم لابن العربي تحقيق الخطيب (١٠٩).

(٢) انظر: الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي، جمع أحمد عمر مرش (٣٥).

(٣) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٣٧)، تاريخ ابن خلدون (٢/١٤٠)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦٥/٧).

(٤) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٣٩).

فسار هؤلاء الرهط إلى الجزيرة ونزلوا عند نائبها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فهددهم وتوعدهم فاعتذروا إليه وأعلنوا التوبة والإقلاع عما هم فيه، فقبل منهم وكف عنهم فأقاموا عنده<sup>(١)</sup>.

ولكن الفتنة لم تسكن بذلك، وصدق معاوية رضي الله عنه في وصفهم أنهم ليسوا بالذين يكون أحداً إلا مع غيرهم، وقد ظهر في أثناء ذلك "غيرهم" ظهر عبد الله بن سبأ<sup>(٢)</sup> الذي عمل على إذكاء الفتنة وبثها بين العامة، وتنقل بين الكوفة والبصرة والشام يجرّض على الخروج على عثمان رضي الله عنه مدعياً في ذلك وداعياً إلى أمرين:

١. الدعوة وادعاء إنكار المنكر على عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمر أخذوها عليه وهو فيها مصيب رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

٢. القول بأن علي بن أبي طالب أحق بالخلافة من عثمان، وأن محمداً رضي الله عنه هو النبي، وعلي بن أبي طالب هو الوصي.

لقد كانت الدعوة إلى إنكار المنكر على عثمان فاشية في العراق ولها رؤوسها كما تقدم، إلا أن ابن سبأ لم يكن له اتباع هناك<sup>(٤)</sup>، ولم يجد لدعوته الثانية من الزعم

(١) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٤٠).

(٢) عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل بين المسلمين يحاول إضلالهم، وتنسب إليه فرقة السبئية من غلاة الشيعة، انظر الفتنة ووقعة الجمل (٤٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٣٦)، ما سيأتي عن غلاة الشيعة.

(٣) مما أنكره هؤلاء الظلمة على عثمان بن عفان رضي الله عنه أمور عدة منها أنه ضرب عماراً وابن مسعود ظلماً، وأنه ابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وأنه حمى الحمى، ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف، وأنه أعطى مروان بن الحكم خمس أفريقية، وأنه ضرب بالعصا وكان عمر يضرب بالدرّة... إلى آخر ما ادعوه وتمسكوا به من أمور بعضها كذب واختلاق، والآخر له فيه عذر وهو فيها مجتهد. انظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب (٦٧-١٠٨)

(٤) لعل عدم وجود الاتباع له في العراق بسبب أن غالب الساعين في الفتنة هناك من الأعراب القراء - كما تقدم - وهم رؤوسهم.



أن علياً هو الوصي أي رواج، لذلك سار إلى مصر واستقر هناك ووجد آذاناً صاغية وأتباعاً استهواهم الأمر لجهلهم<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٣٤هـ والفتنة ما زالت مستمرة- بدأ التحرك الفعلي ومحاولة التصريح بالاعتراض على شخص الخليفة نفسه وليس على ولاته فقط، لذلك خرج يزيد بن قيس<sup>(٢)</sup> في الكوفة يريد خلع عثمان إلا أنه خاف القعقاع بن عمرو ولم يقدر على التصريح، وأظهر أن مراده خلع سعيد بن العاص عن ولاية الكوفة، وكتب إلى المشاغبين الذين أقاموا في الجزيرة فعادوا مسرعين إلى الكوفة، وأشاعوا أخباراً كاذبة بين الناس مفادها أن سعيد بن العاص سار إلى المدينة يكلم الخليفة عثمان في إنقاص أرزاقهم وأعطياتهم، فاستخفوا الناس بذلك، وسار سفهاؤهم مع يزيد بن قيس إلى المدينة مدعين الطلب بخلع واليهم سعيد بن العاص والرغبة بإقامة والٍ آخر مكانه.

وقيل إنهم كانوا قد أرسلوا إلى عثمان من يناظره في أمور أنكروها عليه، ويطلبون منه عزل عماله، ويطلبون أبا موسى الأشعري والياً عليهم. فلما سمع عثمان بن عفان ذلك قبل منهم ما يستطيعه من تولية أبي موسى عليهم، ورفض عزل جميع عماله لما في ذلك من المفاسد العظيمة، وقال الخليفة الحلیم الصابر عثمان: "أثبتنا أبا موسى عليهم، ووالله لا نجعل لأحد عذراً، ولا نترك لهم حجة، ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٤٨)، البداية والنهاية (٧ / ١٦٧)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر اختصار ابن منظور (١٦ / ١٨٢).

(٢) هو: يزيد بن قيس بن تمام الأرجي الهمداني، من رؤوس اليمن الكبار، كان من الثوار على عثمان رضي الله عنه، ثم كان مع علي بن أبي طالب في حروبه، ولاء علي أصبهان والري وهمدان، توفي عام ٣٧هـ. انظر الأعلام (٩ / ٢٤١).

(٣) انظر الفتنة ووقعة الجمل (٤٧).

ولما جاءهم أبو موسى الأشعري والياً عليهم نصحهم ووعظهم، وطلب منهم تأكيد البيعة والطاعة لعثمان بن عفان قبل أن يقبل الصلاة بهم والولاية عليهم؛ وهذا من فقهه عليه السلام لأنه خشي أن تكون هذه الثورة ليست على واليهم بل على أمير المؤمنين عثمان، فطلب ذلك وقد كان ما كان يخشاه عليه السلام، وتحققت فراسته ولم ينفع معهم تأكيد البيعة إذ من ينكث أولاً ينكث ثانياً.

وفي هذه السنة بدأت المراسلات بين رؤوس الفتنة لتحريكها، والتخطيط لخلع عثمان بن عفان، وتهيئة أذهان العامة لقبول الأمر، بما أشاعوه من أكاذيب حول ظلم ولاية عثمان في الأمصار، والزعم بأن عثمان بن عفان عليه السلام قد ارتكب أموراً منكراً خالف فيها سيرة الخليفين قبله أبي بكر وعمر، ورفعوا شعار وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحاكم إلى كتاب الله عز وجل<sup>(١)</sup>، وهذه الفتنة يرأس إدارتها ومراسلة أهلها عبد الله بن سبأ من مصر.

يقول ابن كثير عن سيف بن عمر الضبي<sup>(٢)</sup>: "إن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: نعم، فيقول له: فرسول الله عليه السلام أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو

(١) هذه الدعوة، وهذا الشعار إنكار المنكر شعار الخارجين على جماعة المسلمين وإمامهم المفرقين للأمة في كل زمان ومكان، يعللون دوماً خروجهم بعلّة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولكنهم بإنكارهم المنكر يقعون في منكر أشد منه من سفك الدماء وإفساد البلاد وإيذاء العباد، وهذا من قصورهم في العلم واستبدادهم بالرأي.

(٢) سيف بن عمر الضبي الأسدي الكوفي، كان أخبارياً عارفاً بالسير، هو كالواقدي. اتهم في حديثه وضعف، مات سنة ٢٠٠هـ، وقيل زمن الرشيد. انظر تهذيب التهذيب (٤/ ٢٦٥)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥).

أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام؟ ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالؤا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمة وعزله كبار الصحابة، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس<sup>(١)</sup>.

ثم لما كان عام ٣٥هـ في شهر رجب خرج ركب من ستمائة رجل من مصر قاصدين المدينة ومكة على هيئة المعتمرين وهم يريدون الإنكار على عثمان، فلما اقتربوا من المدينة، أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم مع أشرف الصحابة ليردوهم إلى بلادهم ويجيبوا على شبههم التي ادعوها في حق عثمان رضي الله عنه، فطلبوا من عثمان التوبة، فخطب رضي الله عنه خطبة تاب واستغفر الله من جميع ذنوبه، فانزاحت علل هذا الجمع، وزالت الشبهة عن عامتهم فساروا إلى مصر، ولكن ما زالت رؤوس الفتنة تقلب الأمور، وتحرض الناس على الخروج وتزعم أن عثمان عاد فيما قال، وتعمد إلى تزوير الكتب على لسان أكابر الصحابة: علي وعائشة وطلحة والزبير يزعمون أنهم يطلبون منهم القدوم لإنكار المنكر وخلع عثمان، وأن هذا أكبر الجهاد.

فانخدع الناس الجهال بذلك، وتكاتب المارقون وتواعدوا على القدوم إلى المدينة في شوال من نفس العام وكأنهم قاصدون الحج، فاجتمعوا في المدينة من مصر ستمائة راكب أو يزيدون ومعهم عبد الله بن سبأ محرك الفتنة ومدبرها<sup>(٢)</sup>، وخرج

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٦٧)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساکر (٧/ ٤٣١).

(٢) الملاحظ أن الخارجين من مصر لم يرأسهم عبد الله بن سبأ بل رأسهم رجل من العرب وهو الغافقي بن حرب العكي، وذلك أن ابن سبأ قد استماله بالمنصب والرئاسة، وهذا من الدهاء والمكيدة. انظر العواصم من القواصم (١٠٩).

أهل الكوفة في عدتهم، وأهل البصرة كذلك، ويحمل عامتهم الجهل والحماسة للدين، وأما رؤوسهم فيحملهم إما الحقد والغضب لأن عثمان قد أقام عليهم حداً أو أوقع بهم عقوبة استحقوها<sup>(١)</sup>، أو الطمع لمنصب ورياسة<sup>(٢)</sup>. ولما قدم الخارجون إلى المدينة نزل كل أهل بلد منزلاً قريباً من المدينة، وجاء أهل الكوفة الزبير بن العوام يريدونه أن يعينهم في خلع عثمان ويرغبون في توليته، فردهم ﷺ وطردهم شر طردة ووعظهم، وجاء أهل البصرة إلى طلحة يريدون منه ما أراد أهل الكوفة من الزبير ففعل بهم مثل ما فعل الزبير، وجاء أهل مصر إلى علي بن أبي طالب فردهم كذلك. وكانوا يظنون أن الصحابة الأجلاء سينصرونهم في باطلهم<sup>(٣)</sup>، ويعينونهم على المنكر الذي هم فيه من تفريق الأمة وسفك الدماء ولكن هيهات.

ولقد كان من أمرهم أنهم اجتمعوا بعثمان ﷺ وقالوا ما نقموا عليه، وحاورهم ﷺ وأجابهم واعتذر منهم، وهدأت الثائرة وتبين لعامة هؤلاء الخارجين أن عثمان محق، فهمّوا بالرجوع إلى بلادهم حتى إذا ساروا مراحل خرج عليهم صاحب الكتاب المزور المكذوب على عثمان يعترض ركبهم، وكان فيه أمر بقتلهم إذا رجعوا إلى بلادهم، فلما قرأوا الكتاب عاد كل أهل بلد من جهته، حتى أن علياً ﷺ أنكر الكتاب والطريقة التي بها عادوا، وكيف تواعدوا وعلموا بما جرى لبعضهم

(١) فكان من رؤسائهم حكيم بن جبلة وقد كان رجلاً لصاً يفسد في بلاد أهل الذمة فأمر عثمان بحجسه، وكان منهم حمران بن أبان الذي نفاه عثمان من المدينة إلى البصرة لأنه تزوج امرأة في عدتها. انظر: الفتنة ووقعة الجمل (٤٢).

(٢) الملاحظ أن الخارجين من مصر لم يرأسهم عبد الله بن سبأ بل رأسهم رجل من العرب وهو الغافقي بن حرب العكي، وذلك أن ابن سبأ قد استماله بالمنصب والرياسة، وهذا من الدهاء والمكيدة. انظر العواصم من القواصم (١٠٩).

(٣) لقد ساعدت الكتب المزورة على لسان هؤلاء الصحابة في هذا الظن.

مع اختلاف الطريق والوجهة، حتى قال: "إن هذا لأمر أبرم في المدينة؟! فقالوا: "ضعوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل!". هكذا يعلنونها بكل جرأة، يريدون عزل عثمان الخليفة ولو بالباطل وبتزوير الكتب فنعوذ بالله من الضلال.

فما زال بهم الأمر كذلك وهم في المدينة حتى أواخر ذي القعدة إذ زاد الأمر، وحصروا أمير المؤمنين عثمان في داره، ومنعوه من الصلاة بالمسلمين جماعة، بل جعلوا أميراً منهم يصلي بالمسلمين، وازداد حصرهم لعثمان ﷺ حتى أنهم منعوا عنه الماء فما يأتيه ماء إلا خلصة بالليل من سطح داره.

ولما علم هؤلاء الظلمة أن عثمان كتب إلى ولاته بإرسال الجيوش إلى المدينة لردعهم، استفزهم الشيطان واستجمع شرهم على قتل الخليفة عثمان مستغلين فرصة خلاء المدينة بسبب انصراف الناس للحج.

فقدم أشقاهم وعمد إلى قتل عثمان ﷺ بعد أن كان كل منهم يهاب ذلك، وكان ذلك في يوم الجمعة الثامن عشر وقيل الثاني عشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ. ولم يكتف هؤلاء البغاة الظلمة بذلك بل نهبوا ماله، ونهبوا بيت مال المسلمين، إذ صاح صائح منهم: كيف يحل لنا دمه ولا يحل لنا ماله؟!<sup>(١)</sup>.

فأي جهل هم فيه؟ وأي دين يطلبون؟! إنما هم طلاب دنيا قد استزلهم الشيطان وزين لهم سوء أعمالهم، وهم في ذلك كله يظنون أنهم محسنون وأنهم للدين ناصرون، ولكتاب الله يحتكمون! تالله إنهم لضالون وعن الصراط لمنحرفون. ثم إن هذه الجماعة الغوغائية<sup>(٢)</sup> لم يقف شرها عند قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، بل انضم غالبهم إلى جيش علي ﷺ وهم في شوكة ومنعة، وفي حماية

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٧٠-١٨٩)، الفتنة ووقعة الجمل (٤٤-٧٥)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٤٠-١٥٠)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٧٣-٩٠)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦/ ١٨٩-٢٥٠).

(٢) جاء تسميتهم بالغوغاء في أكثر من موضع من كتب التاريخ.

انظر تاريخ الطبري (٣/ ٧، ١٣، ١٤).

قبائلهم، وعلي عليه السلام بعد مبايعته بالخلافة لا يستطيع الوصول إلى قتلة عثمان ليقيم عليهم الحدّ لما تقدم. فعمدوا إلى إشعال الفتنة وإيقاد الحرب بين علي عليه السلام وبين طلحة والزبير وعائشة عليهن السلام ومن معهم في موقعة الجمل عام ٣٦هـ<sup>(١)</sup>.

لقد أنكر المسلمون قتل عثمان ظلماً وتوجعوا لذلك ورأوا أن لعثمان عليهم حقاً بطلب دمه والقصاص من قتلته، ونادى منادي طلحة والزبير وعائشة أنهم سائرون إلى البصرة لقتال المحلين والطلب بثأر عثمان<sup>(٢)</sup>، فلحق بهم عدد كبير من الناس، ولما علم علي بأمرهم خشي من تفرّق الأمة عليه، فخرج بجيشه الذي كان قد أعدّه لأهل الشام الممتنعين عن بيعته، فسار حتى نزل بذي قار قرب الكوفة، وطلحة والزبير وعائشة فيمن معهم نزلوا البصرة وقتلوا من وجدوا هناك من قتلة عثمان ولم يفتهم إلا واحداً<sup>(٣)</sup>.

ثم إن علي بن أبي طالب كاتبهم ودعاهم إلى الصلح، فأقروا بذلك وأنهم ما أرادوا إلا الإصلاح وإظهار أمر الله عزّ وجلّ، لكن عمل قتلة عثمان والخارجون عليه على إفساد هذا الصلح، وعمدوا إلى إنشاب الحرب بين الفريقين ليلاً، فكانت وقعة الجمل<sup>(٤)</sup>.

والملاحظ أن بعد وقعة الجمل بدأ السبئية الخوارج بالاعتراض على علي عليه السلام ومخالفته خفية وسراً، وذلك أنه لما لم يقسم أموال المنهزمين من أهل الجمل، خاض

(١) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الرابع المبحث الثاني سلامة الصحابة من الفرقة (٢٣٠).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣ / ٨)، الفتنة ووقعة الجمل للضبي (١١٦).

(٣) فاتهم حرقوص بن زهير السعدي منعه قبيلته بني سعد فهرب، وكان من رؤوس الخوارج يوم النهروان انظر الفتنة ووقعة الجمل (١٣١).

(٤) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١٢ - ٥٧)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح بن العماد

(١ / ٤٢)، الفتنة ووقعة الجمل (١٤٤)، فتح الباري (١٢ / ٢٨٤)، وانظر إلى ما تقدم في الفصل

الرابع المبحث الثاني (٢٣٨).

في ذلك السبئية وقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم، وطعنوا على علي عليه السلام ولكن من وراء وراء<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٣٧هـ أخذ علي بن أبي طالب يجهز جيشه ليردع به أهل الشام الخارجين عن طاعته الراضين لبيعتهم، فكان ما كان من حرب صفين<sup>(٢)</sup> بين علي بن أبي طالب ومن معه من أهل العراق، وبين معاوية بن أبي سفيان ومن معه من أهل الشام، والتي انتهت بأن عمد أهل الشام برفع المصاحف طالبين الصلح بعد أن تهالك الفريقان، واستمر القتل في المسلمين فرغبوا في الصلح والتحاكم إلى كتاب الله عز وجل<sup>(٣)</sup>، فلم يمانع علي بن أبي طالب وأقبل عليه<sup>(٤)</sup>، وأرسل أبا موسى الأشعري حكماً يمثله، وأرسل معاوية بن أبي سفيان عمراً بن العاص حكماً يمثله<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الفتنة ووقعة الجمل (١٨١).

(٢) صفين: صحراء ذات كدى وأكمامت قرب الرقة على شاطئ الفرات آخر أرض العراق وأول أرض الشام، انظر شذرات الذهب (١/٤٤)، العواصم من القواصم (١٥١)، معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/٤١٤).

(٣) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الرابع "المبحث الثاني" سلامة الصحابة من الفرقة (٢٤٠).

(٤) انظر تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمزون (٢/٢٠٩).

(٥) لا يصح شيء من الروايات التي ذكرت التحكيم واصفة أبا موسى الأشعري بالغباء والغفلة، وأنه خلعت معاوية وعلي، وواصفة عمرو بن العاص بالدهاء والخديعة والمكر بأبي موسى من أنه خلعت علياً وأثبت معاوية على الخلافة، أو التي تذكر أن علياً كان إذا قتت يلعن معاوية، ومعاوية يقتت ويلعن علياً- نعوذ بالله من الكذب والضلال- إذ هذه الروايات ضعيفة سنداً ومتناً، وحاصل أمر التحكيم أنه كان برضى من علي عليه السلام وحباً منه للإصلاح وحقن دماء المسلمين، وأنه هو الذي بعث أبا موسى الأشعري لما يرى فيه من الفقه والورع. والصحيح أن الحكمين حكماً في أمر القصاص من قتلة عثمان- إذ هو موضع الخلاف وسببه- وحكموا أن يترك شورى بين كبار الصحابة لينظروا فيه، ويبقى علي بن أبي طالب على إمامته للمسلمين، =

وبهذا التحكيم انتهت صفين في شهر صفر عام ٣٧هـ وعقدت هدنة إلى رمضان من نفس العام حيث يلتقي الحكمان ليحددوا بنود الصلح، ولما قبل علي بالتحكيم ثار الخوارج الذين في جيشه واتهموه أنه قد حكم في دين الله الرجال<sup>(١)</sup>. ولما عاد علي بن أبي طالب إلى الكوفة عادوا معه إلا أنهم لم يدخلوا الكوفة واعتزلوا في حروراء معلنين اعتراضهم على قبول التحكيم، زاعمين أنه لا حكم إلا لله. ومن هنا بدأت الخوارج كمجموعة تلتف حول نفسها معلنة بعض شعاراتها التي أصبحت فيما بعد من مبادئها ومعتقداتها، ويصف عمارة بن ربيعة<sup>(٢)</sup> أول اعتزال للخوارج عن جماعة المسلمين فيقول: "خرجوا مع علي إلى صفين وهم متوادون أحياء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله، ويتشائمون ويضطربون بالسياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله، أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتكم!! وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرقتم جماعتنا.

= ويبقى معاوية في الشام حتى يحكم كبار الصحابة في ذلك. يقول أبو بكر بن العربي: "وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين. انظر العواصم من القواصم (١٦٠) تحقيق محب الدين الخطيب، وانظر تحقيق مواقف الصحابة لمحمد أمزون (٢/ ٢٢٣).

- (١) كان أول من قال هذه الكلمة من الخوارج عروة بن أديّة في صفين، حينما خرج الأشعث بن قيس مع كتاب التحكيم الذي فيه الهدنة إلى رمضان وقرأه على الناس حتى مر بطائفة من بني تميم فقرأه عليهم فقال عروة: تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال؟ لا حكم إلا لله. وعنه أخذها الخوارج وصاروا يرددونها شعاراً لهم. انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٠٤).
- (٢) هو: عمارة بن ربيعة الجرمي، يروي عن علي وعنسة بن سعيد، وروى عنه سفيان الثوري، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر كتاب الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان (٥/ ٢٤١)، الجرح والتعديل للرازي (٦/ ٣٦٥).



فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديتهم: إن أمير القتال شبت بن ربعي التميمي. وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

والخوارج في فترة الهدنة هذه (من صفر إلى رمضان) لم يعلنوا الخروج، بل ما زال علي ﷺ يراجعهم ويحاورهم فيما نقموا منه واعترضوا عليه، ويراسلهم ليرجعوا إلى الجماعة، فكانوا تارة يرجعون معه إلى الكوفة، وتارة يعتزلون، وهم في ذلك كله يخالطون الناس غير معلنين البراءة أو التكفير لأحد معين، وإن كانوا ينكرون التحكيم، ويرددون مقولتهم "لا حكم إلا لله" في أكثر من موطن، ويعترضون بها على إمام المسلمين علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

وأما الانشقاق التام والخروج المعلن على جماعة المسلمين وإمامهم تحت قيادة مستقلة فقد كان بعد أن أرسل علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري ليؤافي موعد التحكيم في رمضان، فشق ذلك على الخوارج، وراجعوا علياً في هذا الأمر وطلبوا منه التوبة من أمر الحكومة وأنها كفر، فرفض علي ذلك وفاءً منه بالوعد المقطوع في صفين، فما كان منهم بعد أن يتسوا من علي إلا أن اجتمعوا في بيت عبد الله بن وهب الراسبي في ١٠ / ١٠ / ٣٧ هـ<sup>(٣)</sup>، وأعلنوا الخروج، يقول الطبري رحمه الله: "إن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا في

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١٠٨).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٤).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٥)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٧٩)، الكامل لابن الأثير (٣/ ١٧) حيث ذكروا أن الخروج كان لعشر خلون من شوال، وذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٠) أن الخروج كان لعشر بقين من شوال أي ٢٠ شوال.

منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار، أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق... فخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كُورَ الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن منكبين لهذه البدع المضلة. فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل... فلا تدعونكم زينتها إلى المقام بها، ولا تلفتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم... فقال آخر: يا قوم، إن الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها، وترجعون إليها. فعرضوها على رجال منهم فأبوها، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها فبايعوه لعشر خلون من شوال، فخرجوا وحداناً مستخفين حتى نزلوا جسر النهروان، وكتبوا إخوانهم ممن على رأيهم من أهل البصرة يعلمونهم بالخروج ويأمرونهم باللحاق بهم<sup>(١)</sup>.

والملاحظ على خروجهم هذا أنه:

- ١- كان تحت مقيادة مستقلة.
- ٢- وأنهم أعلنوا فيه الانشقاق والمخالفة.
- ٣- الدعوة إلى إنكار المنكر.
- ٤- أن إنكار المنكر لا يكون إلا بالقتال.

هذا خبر الخوارج في أول خروجهم، أما علي بن أبي طالب فكان حينذاك يستعد لقتال أهل الشام وردهم إلى طاعته بعد أن فشل أمر التحكيم ولم يأت بالنتائج المرجوة من جمع الكلمة، ورد أهل الشام إلى طاعته ودخولهم في جماعة

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/١١٥) باختصار.

المسلمين، ولما عزم بالمسير إلى أهل الشام علم بما فعلته الخوارج من قتل عبد الله بن خباب بن الأرت<sup>(١)</sup> وبقر بطن جاريته وكانت حاملاً وقتلها، وتعرضهم لبلاد المسلمين بالإفساد، فقرر ﷺ رد بغيمهم ومقاتلتهم فكانت وقعة النهروان<sup>(٢)</sup>، والتي انهزم فيها الخوارج شر هزيمة<sup>(٣)</sup> ووقع ما أخبر به رسول الله ﷺ عن هؤلاء الخوارج من نصوص نبوية بلغت حد التواتر<sup>(٤)</sup>، ولقد استمر الخروج على علي ﷺ حتى تم للخوارج اغتياله على يد عبد الرحمن بن ملجم الحروري<sup>(٥)</sup> عام ٤٠هـ<sup>(٦)</sup>، ولم يتوقف الخوارج بعد قتل علي بل استمر وسيستمر إلى قيام الساعة<sup>(٧)</sup>.

- (١) هو: عبد الله بن خباب بن الأرت، حليف بني زهرة، من التابعين يروي عن أبيه، قتله الخوارج في شعبان عام ٣٨هـ، انظر: كتاب الثقات (١١ / ٥)، تاريخ الطبري (٣ / ١١٩).
- (٢) نهروان: ثلاثة نهروانات: أعلى وأوسط وأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٣٢٤)، ولقد كانت وقعة النهروان عام ٣٨هـ على الأرجح، انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢١١).
- (٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٢٨٥ - ٣١٠)، تاريخ يعقوبي (٢ / ١٩١)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمد اليافعي (١ / ١٠٥)، مقالات الإسلاميين (١ / ٢١٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣١).
- (٤) انظر ما سيأتي حول ما ورد من نصوص في حق الخوارج، في المطلب الثالث.
- (٥) هو: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، خارجي نائر من الفرسان، شهد مع علي بن أبي طالب صفين ثم خرج عليه، كان عابداً قانتاً لله لكنه ختم بشر فقتل علي بن أبي طالب في ١٧ رمضان عام ٤٠هـ، إذ كمن لعلي في المسجد بعد صلاة الفجر وضربه بسيف مسموم، وقُتل لذلك. انظر ميزان الاعتدال (٢ / ٥٩٢)، الأعلام (٤ / ١١٤).
- (٦) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١٥٥).
- (٧) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢١١)، وانظر ما سيأتي في ثالثاً من هذا المبحث (٣٠٧).

## المطلب الثالث

ما ورد فيهم من نصوص، وفيها مجمل أوصافهم

لقد وردت نصوص نبوية كثيرة تبلغ حد التواتر<sup>(١)</sup> تخبر عن خروج الخوارج، وتذكر شيئاً من صفاتهم، وتحث على قتالهم، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه كثيراً منها<sup>(٢)</sup>، ورواها بعدة طرق من ذلك:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجرعانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطى الناس، فقال: يا محمد اعدل. {قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل}. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: {معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية}.

٢- وفي حادثة أخرى يأتي هذا الرجل معترضاً على رسول الله ﷺ في القسمة<sup>(٣)</sup>، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بعث علي ﷺ وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسما رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... إلى أن قال: فجاء رجل كثر اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين ناتئ الجبين، مخلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد. قال: فقال رسول الله ﷺ: {فمن يطع الله إن عصيته أيامني على

(١) انظر السنة لأبي بكر أحمد بن الخلال (١٤٥)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٩)، فتح الباري (٣٠٢/١٢).

(٢) صحيح مسلم- كتاب الزكاة- باب إعطاء المؤلفه ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط... وبيان الخوارج وأحكامهم (٧/ ١٥٧ نوي). وقد أخرج هذه الأحاديث أيضاً البخاري وغيره.

(٣) إذ الاعتراض الأول كان بعد منصرف الرسول ﷺ من حنين بالجرعانة عام ٨هـ كما في الحديث الأول هنا، والاعتراض الثاني في هذا الحديث وعلي بن أبي طالب باليمن عام ٩ هـ. فهما مرتان ووهم من عدم مرة واحدة. انظر فتح الباري (١٢/ ٢٩١).

أهل الأرض ولا تأمنوني. قال: ثم أدبر الرجل. فاستأذن رجل من القوم في قتله... فقال رسول الله ﷺ: إن من ضئضى<sup>(١)</sup> هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لنن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد<sup>(٢)</sup>.

٣- عن أبي سلمة<sup>(٣)</sup> وعطاء بن يسار<sup>(٤)</sup> أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت رسول الله ﷺ يذكرها؟ قال: لا أدري من الحرورية، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يخرج في هذه الأمة "ولم يقل منها" قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقه هل علق بها من الدم شيء<sup>(٥)</sup>.

٤- وفي حديث آخر يصرح باسم هذا المعترض، فعن أبي سعيد الخدري قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل. قال رسول الله ﷺ: {ويلك ومن يعدل إن لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أعدل}. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله ائذن لي فيه

(١) ضئضى هذا: أي من نسله وعقبه، أو من شكله وعلى صفته. انظر النهاية في غريب الحديث (٣/٦٤)، البداية والنهاية (٧/٢٩٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإلى عاد أخاهم هوداً (٦/٣٧٦ فتح).

(٣) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، المدني، قيل: اسمه عبد الله الأصغر، وقيل إسماعيل. تابعي ثقة مكثر، من فقهاء التابعين وعلمائهم، مات سنة ٩٤هـ. انظر الطبقات (٢/٣٨٢) (٨/٢٩٨ ط / دار بيروت، التقريب (٢/٤٣٠).

(٤) هو: عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، ثقة فاضل من التابعين، صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة ٩٤هـ وقيل غير ذلك. انظر التقريب (٢/٢٣)، التهذيب (٧/٢١٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج (١٢/٢٨٣ فتح).

اضرب عنقه. قال رسول الله ﷺ: {دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيبه فلا يوجد فيه شيء. "وهو القدح"، ثم ينظر إلى قُدْذِه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرت والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدْرُدُرُ، يخرجون علي حين فرقة من الناس}. قال أبو سعيد: فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي ابن أبي طالب ﷺ قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتني به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت<sup>(١)</sup>.

٥- وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق. قال: {هم شر الخلق أو من أشر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق}... قال أبو سعيد: "وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق".

٦- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: {تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق}.

٧- عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة}<sup>(٢)</sup>.

٨- عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة}.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦/ ٦١٧ فتح).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦/ ٦١٨ فتح).

- ٩- عن يسير بن عمرو<sup>(١)</sup> قال: سألت سهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال سمعته وأشار بيده نحو المشرق {قوم يقرءون القرآن بالسنتهم لا يعدو تراقيهم، يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية}<sup>(٢)</sup>.
- ١٠- عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: {يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم}<sup>(٣)</sup>.
- ١١- عن عبد الله بن أبي أوفى<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: {الخوارج كلاب النار}<sup>(٥)</sup>.
- ١٢- عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: {ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم. كلما خرج قرن قطع { قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {كلما خرج قرن قطع { أكثر من عشرين مرة. حتى يخرج في عراضهم الدجال}<sup>(٦)</sup>.
- ١٣- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {ألا إنه سيخرج من أمي أقوام أشداء أهداء، ذليقة ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم<sup>(٧)</sup>، ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم، فالأجور قاتلهم}<sup>(٨)</sup>.
- 
- (١) هو: يسير بن عمرو الشيباني، ويقال: أسير بن عمرو يروى عن ابن مسعود، كان مولده في هجرة النبي ﷺ مات سنة ٨٥هـ. انظر كتاب الثقات (٥/ ٥٥٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٣٠٨).
- (٢) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف (١٢/ ٢٩٠ فتح).
- (٣) ما تقدم من أحاديث كلها من صحيح مسلم.
- (٤) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، واسم أبي أوفى علقمة بن خالد، من الصحابة الذين شهدوا الحديبية وخيبر وما بعدها، تحول إلى الكوفة بعد وفاة الرسول ﷺ ومات بها عام ٨٧هـ. انظر الاستيعاب (٢/ ٢٦٤)، الإصابة (٣/ ٥٨) دار الفكر.
- (٥) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في ذكر الخوارج (١/ ٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٤).
- (٦) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في ذكر الخوارج (١/ ٦١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٥).
- (٧) أنيموهم: أي: اقتلوهم. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٥).
- (٨) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٤)، كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٦٣٧).

فمن هذه النصوص النبوية تتجلى صفات الخوارج الآتية:

١- الإعجاب بالرأي والاعتقاد بالانفس، والاعتقاد أنهم أعلم من غيرهم، وهذه آفتهم، وهذا يصدهم عن أخذ العلم من العلماء، فيكتفون بأخذ العلم عن بعض، فهذا ذو الخويصرة يعترض على رسول الله ﷺ - وهو يشهد أنه رسول الله! - ويقول له "أعدل"، أتق الله، ويظن أنه مصيب بحق في اعتراضه هذا، وهكذا الخوارج في كل زمان ومكان يقتنعون بأرائهم ويصوبونها، ويخطئون المخالفين لهم ولو كانوا أعلم منهم والحق معهم، فيغلقون على أنفسهم باب الرجوع للحق، وهكذا كانت سيرتهم مع علي بن أبي طالب ﷺ، يقول ابن الجوزي رحمه الله: "إنما المقصود النظر في حيل إبليس وتليسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم، واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ، ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ، وأنهم على الصواب...، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي ﷺ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ: "أعدل فما عدلت"، وما كان إبليس ليتهدى إلى هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان"<sup>(١)</sup>.

يقول ابن حزم عن الخوارج: "ثم أعماهم الشيطان وأضلهم الله تعالى على علم، فحلوا بيعة مثل علي، وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد، وسعد وابن عمر وغيرهم وأعرضوا عن سائر الصحابة الذين أنفقوا وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى... وبايعوا شيبث بن ربعي مؤذن سجاح أيام ادعت النبوة بعد موت النبي ﷺ، حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم، فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبي أعرابي... لا سابقة له ولا صحبة، ولا فقه، ولا شهد الله له بخير قط، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره، ولكن حق لمن كان أحد أئمته ذو الخويصرة الذي بلغه

(١) انظر تليس إبليس (١١٦)، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (٧١).



ضعف عقله وقلته دينه إلى تجويره رسول الله ﷺ في حكمه، والاستدراك عليه، ورأى نفسه أروع من رسول الله ﷺ، وهو يقر أنه رسول الله ﷺ إليه، وبه اهتدى<sup>(١)</sup>.

٢- الادعاء والزعم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبهذا يبررون خروجهم ويسوغون قتلهم للمسلمين، وهذا ما زعمه ذو الخويصرة زعم أنه يأمر بالمعروف ويريد إقرار العدل، وينهى عن المنكر ويريد رد الظلم حينما اعترض على رسول الله ﷺ وقال له: "أتق الله، أعدل"، إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما قاله الخوارج الحرورية حينما برروا خروجهم على جماعة المسلمين، وأن مرادهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لما اجتمعوا في بيت زيد بن حصن الطائي والذي حرضهم على قتال المسلمين: علي ﷺ ومن معه، وادعى أنهم نبذوا حكم الكتاب وجاروا واتبعوا الهوى، فبكى رجل منهم وحرضهم على الخروج على الناس، وقال في كلامه: "أضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطبع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له، وإن قتلتم فأى شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته"<sup>(٣)</sup>.

سبحان الله؟! يضربون وجوه من؟ وجباه من؟ أ يقتلون الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المبشر بالجنة؟ أم يقتلون حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس؟! أم يريدون قتل سادات الصحابة وسائر المسلمين؟!.

(١) انظر الفصل (٤/ ٢٣٧).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٨٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة (٧/ ١٥٨ نوي).

يقول ابن كثير رحمه الله عنهم: "وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ﴿ (الكهف ١٠٣-١٠٥) (١) .

٣- كثرة العبادة والاجتهاد فيها والمداومة على قراءة القرآن حتى أنهم عرفوا بالقراء، وكان يسمع لهم دوي كدوي النحل في الليل من طول تهجدهم وقراءتهم، وكما قال الرسول ﷺ {تحقرون صلاتكم مع صلاحهم}، وهذه العبادة الشديدة يصاحبها جهل شديد، فيكون بذلك فتنة عظيمة لهم ولغيرهم، فبالنسبة لهم يظنون أنهم محسنون لما يقومون به من العبادة وقراءة القرآن، فيصوبون كل أعمالهم، ويعتقدون صواب رأيهم، ويظنون أن عبادتهم تجعلهم في مصاف العلماء فلا يسمعون ممن هو أعلم منهم، فهذه فتنة.

أما فتنة الناس فتكون عبادتهم واجتهادهم فتنة لعوام الناس لما يرون من سيما الصلاح عليهم فيحسنون الظن بهم، ويثقون بتصرفاتهم وقد يتبعونهم، أو يتوقف المسلم فيهم ولا يجروا على تبديعهم أو تحطيتهم لما يرى من اجتهادهم في العبادة.

فهذا جندب بن عبد الله البجلي<sup>(٢)</sup> يقول: لما فارقت الخوارج علياً خرج في طلبهم، فانتهينا إلى عسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وإذا فيهم أصحاب البرانس أي: الذين كانوا معروفين بالزهد والعبادة، قال: فدخلي من

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٥).

(٢) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقمي، أبو عبد الله، وربما نسب إلى جده، له صحبة، مات بعد الستين. انظر التقريب (١/ ١٣٤).

ذلك شدة، فنزلت عن فرسي وقمت أصلي، فقلت: اللهم إن كان في قتال هؤلاء القوم لك طاعة فائذن لي فيه. فمر بي علي فقال لما حاذاني: تعوذ بالله من الشك يا جندب<sup>(١)</sup>.

وقد تكون عبادتهم تلك مع خروجهم عن السنة بقتل المسلمين قد يكون ذلك فتنة بالصرف عن دين الله والصدّ عنه، فلما يرى العامة ممن يغلب عليهم الجهل، لما يرون عبادتهم الشديدة، وما يقومون به في المقابل من قتل المسلمين وإفساد في البلاد فيعم هذا هذا في الحكم، ويوصف كل مستقيم على منهج الله تظهر عليه سيما العبادة أنه مفسد في الأرض، وأقل شيء أن يُشك فيه ويتخوف منه، فيكون هذا صد عن الدين خاصة مع كثرة الجهل، وكثرة المغريات والفتن في هذا الزمن، ومحاولة أعداء المسلمين تشويه صورة الإسلام وصورة المستقيمين على الحق.

يقول الإمام الآجري رحمه الله: "فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعة وسلّ سيفه، واستحل قتال المسلمين فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج"<sup>(٢)</sup>.

وذكر لابن عباس اجتهاد الخوارج وصلاتهم فقال: "ليس هم بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة"<sup>(٣)</sup>.

٤- قلة الفقه والفهم لكتاب الله تعالى كما وصفهم الرسول ﷺ: {يقرءون القرآن لا يجاوز حلقهم}، فهم يقرءون القرآن ولا تفقهه قلوبهم، ولا يتفجعون بما تلوا

(١) انظر فتح الباري (٢٩٦/١٢).

(٢) كتاب الشريعة (١/٣٤٥)، وانظر الباب الأول من هذا البحث، الفصل الثالث المبحث الأول "الجهل" (١٣٦).

(٣) انظر كتاب الشريعة للآجري (١/٣٤٤).

منه، ولاحظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطع الحروف، ولا يصعد لهم عمل إلى الله ولا تلاوة ولا يتقبل<sup>(١)</sup>.

وجاء في بيان هذه القراءة مع الجهل قوله ﷺ: {يحسبون أنه لهم وهو عليهم}<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: {يحسبون القيل ويسنون الفعل}<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن حزم عنهم: "ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً قرأوا القرآن من قبل أن يتفقهوا في السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء، لا من أصحاب ابن مسعود، ولا أصحاب عمر، ولا أصحاب علي، ولا أصحاب عائشة...<sup>(٤)</sup> فليس فيهم صحابي واحد، وليس فيهم أحد تفقه وتعلم على يد أحد من الصحابة ﷺ.

٥- الجهل بمقاصد الدين، وعدم الرسوخ في العلم، والاقصصار على ظواهر النصوص دون فهم للمعنى أو استيعاب لنصوص الكتاب والسنة، يقول الشاطبي رحمه الله متحدثاً عن الخوارج: "فقد عرف عليه الصلاة والسلام بهؤلاء، وبيّن من مذهبهم في معاندة الشريعة أمرين كليين:

أحدهما: إتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر في مقاصده، ومعاقده، والقطع بالحكم به بيادئ الرأي والنظر الأول، وهو الذي نبّه عليه قوله في الحديث {يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم}، ومعلوم أن هذا الرأي يصد عن إتباع الحق المحض، ويضاد المشي على الصراط المستقيم.

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٥٩/٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة (٧/١٧١) نووي.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في قتال الخوارج (٤/٢٤٣).

(٤) الفصل (٤/٢٣٧).

والثاني: قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان، على ضد ما دلّت عليه جملة الشريعة وتفصيلها، فإن القرآن والسنة إنما جاءت للحكم بأن أهل الإسلام في الدنيا والآخرة ناجون، وأن أهل الأوثان هالكون، ولتعصم هؤلاء وتريق دم هؤلاء على الإطلاق فيهما والعموم، فإذا كان النظر في الشريعة مؤدياً إلى مضادة هذا القصد صار صاحبه هادماً لقواعدها، وصاداً عن سبيلها<sup>(١)</sup>.

٦- الخلل في منهج الاستدلال، إذ يستدلون ببعض النصوص دون بعض، ويتمسكون بالمشابهة ويحتجون به، دون رده إلى الحكم وهذا شأن أهل البدع. والخوارج أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد، واستدلوا بالآيات الواردة في الكفار وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين، كما قال فيهم ابن عمر رضي الله عنهما: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين".

وذكر لابن عباس الخوارج وما يصيهم عند قراءة القرآن فقال: "يؤمنون بحكمه، ويضلون عند متشابهه" وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ال عمران ٠٠٧) <sup>(٢)</sup>.

٧- الغلو والشدة والتطرف في العبادة كما تقدم، والغلو والشدة والتطرف في القول كما قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل جفاء وغلظة: "أعدل، اتق الله، إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، والغلو والشدة في الحكم على المخالفين لهم بتكفيرهم، والغلو والشدة والتطرف في التعامل مع المخالفين المسلمين بقتالهم وإفساد بلادهم وتخريب ممتلكاتهم<sup>(٣)</sup>".

(١) انظر الموافقات (٤/٥٣٩)، وانظر فتح الباري (١٢/٣٠١)، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (٧١).

(٢) كتاب الشريعة للأجري (١/٣٤٣).

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (١١٩-١٢٠).

٨- كثرة الاختلاف وسرعة الافتراق فيما بينهم، وهذا يدل على ضلالهم وبعدهم من الحق، ويدل على جهلهم، يقول ابن حزم رحمه الله عنهم: "ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها"<sup>(١)</sup>، فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم"<sup>(٢)</sup>.

٩- الصغر في السن والطيش، وعدم رجاحة العقل كما وصفهم الحديث: {حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام}، فغالبهم من صغار السن المستلزم قلة العقل، فلا خبرة لهم بالحياة وتجاربها، ولا عقول راجحة حصنها العلم الراسخ، بل عواطف جياشة مع طيش يدفعهم إلى قتل المسلمين والإفساد في الأرض.

والناظر في قتلة عثمان يجد أنهم قد وصفوا في أكثر من موطن بـ"الغوغاء" و"نزاع القبائل" يقول الزبير بن العوام ذاكراً قتلة عثمان ﷺ يقول: "إن عثمان قد قتله الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل وظاهرهم من الأعراب والعيبد"<sup>(٣)</sup>.

وتقول عائشة رضي الله عنها: "إن عثمان قد قتله الغوغاء من أهل الأمصار وأهل الميعة وعيبد أهل المدينة"<sup>(٤)</sup>.

والغوغاء: أصله الجراد حين يخف للطيران، ثم استعير للسفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، وقد تأتي بمعنى الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) مثال ذلك: فرقة المعبدية من فرق الخوارج والتي افترت عن فرقة الثعالبة لما خالفوهم وقالوا بأخذ الزكاة من العبد وإعطائهم منها، واكفروا من لم يقل بذلك، فأكفرتهم سائر الثعالبة في ذلك. انظر الفرق بين الفرق (٦٩)، مقالات الإسلاميين (١/١٧٠).

(٢) الفصل (٤/٢٣٧).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣/١٣).

(٤) انظر تاريخ الطبري (٦/٣) وانظر (٧/٣، ١٤).

(٥) انظر النهاية لابن الأثير (٣/٣٥٥)، القاموس المحيط (١٠١٥).

فهؤلاء المارقون ممن قلت عقولهم وصغرت أسنانهم، وعامتهم من الأعراب والعبيد، والناس المجهولين غير المعروفين لا بالعلم ولا بالفقه كما وصفوا بأنهم "نزاع القبائل"، فكان منهم أن كانوا يداً واحدة في الشر، وكان حثالة من الناس قد انضموا إليهم، قد مرجت عهودهم وأماناتهم مفتونون<sup>(١)</sup>. وهذه صفات الخوارج والتي غالباً ما تنطبق عليهم في كل زمان ومكان.

١٠- القوة والحدة والبسالة، والشجاعة في القتال، وهذا معروف من الخوارج، وهذا ما ذكره الحديث أنهم {أشداء أهداء}، إن زهدهم في الدنيا واجتهادهم في العبادة، وظنهم أنهم بذلك ينصرون الدين جعلهم يقاتلون حتى الرمق الأخير ولا يستسلمون بسهولة، ولكن كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "وكم من مرید للخير لن يصيبه".

١١- أنهم شرار الخلق، وعلل ابن عمر ذلك أنهم يقتلون المسلمين ويتركون الكفار.

١٢- أنهم كلاب النار وأبغض الخلق إلى الله، وكفى بذلك ذماً.

١٣- التيه والضلال والبعد عن الحق كما قال: "يتيه قوم قبل المشرق"<sup>(٢)</sup>.

١٤- المروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

١٥- حلق الرؤوس، وكانت هذه صفة ثابتة للخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، ولا يعني أن كل خارجي هو مخلوق الرأس، وإنما كانت هذه صفة وعلامة للخوارج الذين سيخرجون على حين الفرقة، والتي علامتهم المخدج، وهم من قتلهم علي بن أبي طالب في النهروان، وبهم ابتداء الخروج.

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧١/٣).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم (١٧٥/٧).

(٣) لا تعني ذلك حرمة حلق الرأس، وإنما هي سمة لهم. انظر صحيح مسلم (١٦٧/٧).

١٦- تحديد جهة خروجهم وأنه من جهة المشرق، فغالب الخوارج كانوا في المشرق أكثر من المغرب.

١٧- ما ذكر من علامات الخوارج الذين يقاتلهم علي عليه السلام "المخدج"، ذو الثدية وهو رجل أسود يده قصيرة مقدار الثدي، وجاء في رواية أخرى ذو الثدية<sup>(١)</sup>، وفي رواية "مثدون اليد، أي: صغير اليد مجتمعها"<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أنها "تدردر" أي: تتحرك، وعليها شعرات سود وقيل بيض<sup>(٣)</sup>.

ولقد وجد هذا المخدج في عسكر الخوارج الذي قاتلهم علي في النهروان وسجد عليه السلام شكراً لله لما رآه<sup>(٤)</sup>.

من الفوائد التي تستقى من النصوص النبوية السابقة:

١- يعتبر ذو الخوبصرة التميمي الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول خارجي خرج في الإسلام<sup>(٥)</sup>، ولقد كان له جماعة وأصحاب كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: {إن هذا وأصحابه...} وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنهم لن يخرجوا إلا بعده.

٢- إن خروج الخوارج ليس محصوراً في القرن الأول، أو في الذين خرجوا على علي عليه السلام، بل لا يزال خروجهم مستمراً حتى يلحق آخرهم بالدجال. ولما جاء الناس مهنتين لعلي بن أبي طالب بعد انتصاره على الخوارج في النهروان وقالوا: "الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم". قال علي: "كلا والله إنهم لفي أصلاب

(١) انظر لسان العرب (١٤ / ١٠٩).

(٢) انظر النهاية لابن الأثير (١ / ٢٠٣).

(٣) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٩٤).

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٧ / ١٧٢).

(٥) انظر تليس إبليس (١١١).



الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا بين الشرايين فقل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه<sup>(١)</sup>.

٣- إن نصوص الوعيد السابقة للخوارج والذم لهم لا تخص فرقة الخوارج الحرورية، أو تنحصر على من تسمى بالخوارج، بل تعم كل من سار على نهج الخوارج، ممن يخرج على إمام المسلمين وجماعتهم لمعتقد يعتقد سواه تسمى باسمهم أو باسم آخر.

لذلك لما سئل أبو سعيد الخدري هل سمعت رسول الله يذكر الحرورية. قال: لا أدري من الحرورية، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يخرج في هذه الأمة... الحديث}.

فلم يكن ﷺ يجهل من هم الحرورية، إذ قاتلهم مع علي في النهروان، ولكنه قصد أن رسول الله ﷺ لم يذكر اسم الحرورية، بل ذكر أن قوماً سيخرجون وذكر صفتهم، فهو يعم كل من اتصف بصفاتهم وإن لم يتسم باسمهم<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين، بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية، وكل من اعتقد في بشر أنه إله، أو في غير الأنبياء أنه نبي، وقاتل على ذلك المسلمين فهو شر من الخوارج الحرورية<sup>(٣)</sup>".

(١) انظر البداية والنهاية (٧ / ٢٨٩).

(٢) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٧١)، وانظر ما تقدم عن تعريف الخوارج من هذا المبحث.

(٣) الفتاوى (٢٨ / ٢٦١). والخرمية والقرامطة والنصيرية من غلاة فرق الشيعة، انظر الفصل القادم،

المبحث الأول، المطلب الأول عن الشيعة الغلاة (٢٤٥).

٤- إن الخوارج لا يتمكنون من الخروج والإفساد والسيطرة إلا وقت ضعف الدولة الإسلامية وحين تفرقها، إذ قال ﷺ عنهم: {يخرجون في حين فرقة} أما إذا اجتمعت الأمة وأحكمت القيادة اندحروا وضعفوا وذلوا عن الخروج، وهذا كان حالهم أيام علي ومعاوية ويزيد إذ كلما رغبوا في الخروج دحروا وقوتلوا.

ولكن لما وقع الخلاف في أمر الخلافة بين عبد الله بن الزبير في الحجاز، ومروان بن الحكم<sup>(١)</sup> في الشام كثر خروجهم وتعددت فرقهم، وأحدثوا من الإفساد الشيء الكثير<sup>(٢)</sup>.

٥- إن الخوارج أمرهم مدحور، ودابهم مقطوع بإذن الله، كما قال رسول الله ﷺ: {كلما خرج قرن قطع} وهذا من رحمة الله بهذه الأمة، ويصف وهب بن منبه<sup>(٣)</sup> الخوارج ويبين ضلالها فيقول: "ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم رأيه قط إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج، ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم فسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج إلى بيت الله الحرام، وعاد أمر الإنسان جاهلية، وإذا لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلاً ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفاً على نفسه ودينه ودمه أهله

(١) هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الملك أبو عبد الملك القرشي الأموي، يكنى أبا القاسم وأبا لحكم. كان كاتب ابن عمه عثمان، ولي المدينة غير مرة لمعاوية رضي الله عنه، توفي سنة ٦٥هـ. انظر: السير (٣/ ٤٧٦)، الشذرات (١/ ٧٣).

(٢) انظر فتح الباري (١٢/ ٢٨٤).

(٣) هو: وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله مؤرخ عالم بأساطير الأولين، يعد في التابعين ولد ومات في صنعاء عام ١١٠هـ وقيل ١١٤هـ. انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر الجعدي (٥٧)، الأعلام (٩/ ١٥٠).

وماله، لا يدري أين يسلك؟ أو مع من يكون؟ غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته، نظر لهذه الأمة فجمعهم، وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج، فحقن الله به دماءهم، وجمع به فرقتهم، وقاتل به عن بيضة المسلمين عدوهم، وأقام به حدودهم، وأنصف به مظلومهم وجاهد بظالمهم رحمة من الله تعالى... قال تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) .

فأين هم من هذه الآية، فلو كانوا مؤمنين نصرنا، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَأْمَنَّا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٧١) إِيَّاهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ (المصافات ١٧١-١٧٣) . فلو كانوا جند الله غلبوا ولو مرة واحدة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر اختصار محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (٢٦/ ٣٩٠)

## المبحث الثاني

## موقف الصحابة ﷺ من الخوارج

لقد كانت الخوارج أول فرقة انشقت عن المجتمع المسلم، وكان سيفهم أول سيف سلّ في الإسلام، وكان الصحابة ﷺ آنذاك متوافرون فتصدوا لهم، وتنوعت مواقفهم معهم، وهم في كل ذلك يحاولون ردهم إلى الصراط المستقيم، وضمهم مرة أخرى إلى الجماعة المسلمة، ويسعون ﷺ جاهدين لرأب الصدع والدعوة إلى الله عزّ وجلّ، واضعين أمام أعينهم كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه محمد ﷺ في تعاملهم مع المخالفين، ومن هذه المواقف التي اتخذوها مع الخوارج:

- ١- الحوار والمناقشة وإزالة الشبه.
- ٢- الوعظ والنصيحة.
- ٣- الترغيب والترهيب.
- ٤- ذم الخوارج وذم صنيعهم، ونشر النصوص النبوية الواردة فيهم.
- ٥- تحذير الناس من مسلكهم ببيان سوء فعلتهم، وإنزال نصوص قرآنية فيهم حتى لا يغتر بهم.
- ٦- هجرهم.
- ٧- الإجابة عن أسئلتهم، وعدم صدهم، ومراسلتهم إن دعت الحاجة.
- ٨- عدم الاعتداء عليهم، بل السير فيهم السيرة العادلة.
- ٩- إعطاء الأمان لمن رجع منهم، ومحاولة استصلاحه، وإعلان الكف عمن كف منهم ورجع.
- ١٠- قتالهم.
- ١١- حكمهم.

أولاً: الحوار والمناقشة وإزالة الشبه: لقد حاور الصحابة ﷺ الخوارج، وحاولوا من خلال هذا الحوار مناقشة الأمور التي خالفت فيها الخوارج وكانت سبب خروجهم، وحاولوا إزالة الشبه التي عرضتها الخوارج وجعلتها مبرراً ومسوغاً لخروجهم. وكان هذا الحوار وتلك المناقشة أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع ومن أكثر من شخص، وكان الحوار ناجحاً إذ من خلاله زالت شبه جماعة من الخوارج، وعادوا إلى الحق، وانضموا إلى الجماعة.

يروى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن عبد الله بن شداد<sup>(١)</sup> جاء إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: "يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: ومالي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكمين؛ خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلاً قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس؛ دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس.

فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا؛ بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى: في كتابه في امرأة من رجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا

(١) عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي أبو الوليد، المدني، من كبار التابعين الثقات، وكان معدوداً في الفقهاء، مات بالكوفة مقتولاً سنة ٨١هـ وقيل بعدها. انظر التقريب (١/ ٤٢٢).

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٠﴾ (النساء ٢٠). فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتب معاوية كتبت: علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحدبية حين صالح قومه قريشاً...<sup>(١)</sup> وأكمل القصة ثم إنه بعث إليهم عبد الله بن عباس ليناظرهم.

وقيل إن علياً ﷺ ذهب إليهم وناظرهم فيما نقموا عليه حتى رجعوا ودخلوا معه الكوفة، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن علياً ﷺ أراد في جمع قراء الناس أن يلزم الخوارج الحجة، وأن يبين للناس أن إدعاء الخوارج على علي ﷺ أنه حكم الرجال لا أساس له من الصحة، فأراد إيضاح حقيقة ما حصل من قبول التحكيم، وأنه عين ما يريدون من تحكيم كتاب الله عز وجل، وأنه ﷺ ما خرج عن حكم الكتاب العزيز، ولكن عقول هؤلاء الخوارج قاصرة عن إدراك حقيقة الأمر، ونظرهم محدود، قد غطت الشبهات أعينهم فما عادوا يبصرون إلا من خلالها.

ولقد جاء ﷺ بالحجة المقنعة فجاء بالمصحف فوضعه بين يديه وجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس!

إن كل من له عقل يعلم أن المصحف لن يرد ولن يتحدث أو يحكم، وإنما الحكم بكتاب الله يكون بالرجوع إلى العلماء الحافظين له العالمين بمعانيه ومقاصده، وهذا ما فعله علي ﷺ من تحكيم صحابين جليلين، واشترط عليهما تحكيم الكتاب والسنة، فیرجع إلى مقتضى النصوص لا إلى الأهواء والمصالح الشخصية.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/٨٦)، وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/٢٧٩)، حيث قال

عنه ابن كثير: إسناده صحيح.

(٢) انظر البداية والنهاية (٧/٢٨١).

وهذه مقدمة ما احتج به ﷺ وما رد به على اعتراضات الخوارج، وبنود هذه المناظرة هي التي ناظرهم بها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما بعثه إلى الخوارج، فيحتمل أن ابن عباس سمع علياً ﷺ لما قال ما قال عند جمع قراء الناس، ثم سار إلى الخوارج في دارهم، وناظرهم فيما نعموا واعترضوا، وهذا نص المناظرة التي جرت بين عبد الله بن عباس وبين الخوارج.

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي، فكان لا يزال يجيء إنسان، فيقول: يا أمير المؤمنين! إن القوم خارجون عليك. فيقول دعوهم؛ فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم؛ أتته قبل صلاة الظهر، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين! أبرد بالصلاة؛ لعلي أكلم هؤلاء القوم. قال: فإني أخافهم عليك. قلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق، لا أؤذي أحداً. فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمصٌ مرحضة، مشمرين، مسهمة وجوههم.

فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس! وما هذه الحلة عليك؟! قلت: ما تعيبون مني، فقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون في ثياب اليمانية، ثم قرأت هذه الآية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ٣٢)

فقالوا: فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره - وعليهم نزل القرآن؛ فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد -؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون.

فقلت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً؛ فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف ٥٨) . فانتحى لي نفر منهم، فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنّه.

قلت: هاتوا؛ ما نعمتكم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟

قالوا: ثلاث. قلت: ماهنّ؟ قال: أما إحداهنّ؛ فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام ٥٧) . ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الثانية؛ فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم؛ إن كانوا كفاراً؛ لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين؛ ما حل سبيهم ولا قتالهم. قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها. قالوا: محي نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين؛ فهو أمير الكافرين. قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم: رأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم؛ أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: "حكم الرجال في أمر الله؛ فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه. رأييت قول الله تبارك وتعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ (المائدة ٩٥) . وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء يحكم فيه، فجاز من حكم الرجال. أنشدكم بالله! أحكم الرجال في إصلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟! قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل. وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء ٣٥) . فنشدتكم بالله! حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟! خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: "قاتل ولم يسب ولم يغنم"؛ أفتسبون أمكم عائشة تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل



منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمناء؛ فقد كفرتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب ٦). فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج. أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. وأما محي نفسه من أمير المؤمنين؛ فأنا آتيتكم بما ترضون: إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: {اكتب يا علي! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله}.

قالوا: لو نعلم أنك رسول الله، ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: {امح يا علي! السهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي! واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله} (١)، والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة! أخرجت من هذه؟، قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار (٢).

لقد حوت هذه المناظرة كثيراً من شروط المناظر، وضوابط المناظرة وطرق إحكام الرد وإفحام الخصم وذلك كالآتي:

شروط المناظر: ينبغي أن يختار المناظر اختياراً بأن يكون قوي الحجة، غزير العلم، ذكياً فطناً حاضر البديهة، حسن الجواب، حسن الخلق والهيئة، متواضعاً حليماً متأنياً، تقياً منصفاً (٣).

ولقد توافرت هذه الشروط في حبر الأمة عبد الله بن عباس، ووجد نفسه أهلاً لذلك فاستأذن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمناظرتهم، فخاف علي عليه، فقال

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠٣)، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٢)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٣١٨)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ٩٦٢)، تلبس إبليس لابن الجوزي (١١٢).

(٣) انظر: الرد على المخالف لبكر أبو زيد (ضمن مجموعة الردود) (٥٧).

ابن عباس: كلاً وعلل ذلك بما يتصف به من صفات من أنه رجل حسن الخلق لا يؤذي أحداً.

وقد اهتم بمنظره وهيئته إذ أول ما يطالع الخصم هيئة المناظر قبل حديثه، لذلك لبس ﷺ حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجل. ضوابط المناظرة، وطرق إحكام الرد وإفحام الخصم:

١- اختيار الوقت المناسب للحوار والمناظرة، وقد اختار ابن عباس وقتاً مناسباً ليتمكن من الحديث معهم دون مقاطعة من أحد أو انصراف من آخر، فاختر وقت فراغهم وعدم انشغالهم لا بالعمل ولا بالعبادة، فجاءهم وهم يأكلون، والطعام موضع حديث.

٢- اختيار المكان المناسب الذي يتيح للمعارض الحديث بحرية وأمان، فيظهر كل ما يعترض عليه وما يشكل عنده، إذ غرض المناظرة والحوار إيضاح موضع الإشكال وإزالة الشبهة، فسار ابن عباس ﷺ إلى الخوارج في دارهم<sup>(١)</sup>.

٣- تحديد موضوع المناظرة، فينبغي أن يكون موضوعاً محددًا تدور حوله المناظرة، فإذا أجيب عنه انتقل إلى غيره، حتى لا يتشتت الذهن مع موضوعات شتى، وينبغي أن يصرح ويحدد موضوع المناظرة بوضوح حتى لا يقع إشكال من أحد الطرفين، لذلك حدد ابن عباس رضي الله عنهما مدار الحوار فقال: هاتوا ما نقتكم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه<sup>(٢)</sup>.

٤- الإقرار بما عند الخصم من الخير والحق، فابن عباس ﷺ وصف اجتهادهم في العبادة ولم يكتمه، وهذا من الإنصاف والتجرد عن الهوى<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥)، حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل لموسى إبراهيم البراهيم (٢٤٧).

(٢) انظر الرد على المخالف (٦٠).

(٣) انظر حوار الحضارات (٢٤٢)، الرد على المخالف (٦٢).

٥- تذكير الخصم بالرغبة الصادقة في الحوار والاستماع إليه، وبيان أن الهدف هو الوصول إلى الحق، لذلك يبين ابن عباس سبب مجيئه فقال: 'لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون'<sup>(١)</sup>.

٦- تحديد الأصل الذي يرجع إليه ويحتج به، وينبغي أن يكون متفق على صحته عند الخصمين، وقد حدد ابن عباس ﷺ ذلك فقال: 'أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟'<sup>(٢)</sup>.

٧- توثيق المعلومات بالأدلة التي يحتج بها الطرفان<sup>(٣)</sup>، فابن عباس ﷺ لا يذكر شيئاً إلا ويستدل عليه من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ.

٨- استماع حجة الخصم كاملة، وعدم العجلة بالجواب حتى يعلم ما عند القوم كله، ويتصور مرادهم، ووجه اعتراضهم بشكل متكامل، ثم يجيبهم بجواب يقطع حجتهم، وهذا ما فعله ابن عباس ﷺ فاستمع إلى اعتراضاتهم الثلاثة، ثم أجاب عنها واحدة واحدة<sup>(٤)</sup>.

٩- العلم بحال الخصم، وتوقع ردة فعله، ومحاولة الاستفادة من ذلك في إقامة الحجة عليه، فابن عباس ﷺ كان يعلم زهد الخوارج وتقشفهم في العبادة وغلوهم في ذلك، فلما أراد السير إليهم لبس حلة من أحسن ما يكون من اليمن، فأنكروا عليه ذلك - وكان يتوقع إنكارهم - فرد عليهم أن هذا وارد في الكتاب والسنة، وفي رده عليهم قرر أمرين: الأول: جهلهم بهدي الرسول ﷺ، الثاني: أنهم لجهلهم

(١) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٥)

(٢) انظر مناظرات أئمة السلف مع حزب إبليس وأفراخ الخلف دراسة وتحليلاً لسليم الهلالي (٦٤، ٦٢).

(٣) انظر حوار الحضارات (٢٤٣)، مناظرات أئمة السلف (٦٤)، الرد على المخالف (٦٦).

(٤) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٣١)، مناظرات أئمة السلف (٦١).

يعيبون وينكرون أموراً هي واردة في الكتاب والسنة، مثل هذا الأمر، ومثل إنكارهم على علي أمر التحكيم. وإن كان لم يصرح بهذين الأمرين أو يعلنهما، ولكنهما ينفذان للنفوس والأذهان.

١٠- إظهار حقيقة الخصم إن كان جاهلاً بالكتاب والسنة<sup>(١)</sup> عن طريق إضعاف موقفه بالحجة والدليل، وهذا ما فعله ابن عباس أول ما قدم إليهم أنكروا عليه أمر حلت، فبين جهلهم وأنه أعلم منهم بما ورد في الكتاب والسنة، وقرر أنه شاهد ما لم يشاهدوا من حال رسول الله ﷺ.

وكذلك لما سئل ما جاء بك؟ زاد في الإجابة ليؤكد هذا الأمر فقال: "أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد".

فهو هنا يؤكد أمرين: الأول: فهم الصحابة ﷺ للقرآن الكريم وعلمهم بتأويله إذ عليهم نزل، بخلاف الخوارج الذين قرؤوا القرآن فظنوا أنهم ساووا الصحابة في الفهم، فبين ميزة الصحابة وتفردهم بنزول القرآن بين أظهرهم. الثاني: بيان جهل الخوارج، وإظهار حقيقتهم، وأنه ليس فيهم صحابي واحد، فهذه المقدمة قرر أمرين: عمق علم المعارض عليهم، والذي يقتضي قوة حججهم وقوة موقفهم، جهل المخالفين المعارضين مما يضعف موقفهم.

١١- للمناظر أن يشترط على الخصم إن هو أفحمه وأقام عليه الحجة أن يرجع عن قوله، ويقر بخطئه<sup>(٢)</sup>، لذلك قال ابن عباس: "أرأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله... أترجعون؟ قالوا: نعم". فاشترط عليهم وقبلوا، وهذا من إقامة الحجة عليهم.

(١) انظر مناظرات أئمة السلف (٦٣).

(٢) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٣)، مناظرات أئمة السلف (٧٧).

١٢- من طرق إحكام الرد وإفحام الخصم: الاستدلال على جواز أصل ما اعترضوا عليه، والاستدلال بما يحتجون به، إذ كانوا معترضين على تحكيم الرجال في أمر الله مطالبين بتحكيم الكتاب، فبين لهم أن الله عز وجل قد صير حكمه إلى الرجال في مسائل، فينبغي ألا يعارض حكم الله في تحكيم الرجال، ولو اعترضوا لصاروا هم المخالفين لحكم الله، فنقض شبهتهم وقلبها عليهم<sup>(١)</sup>.

١٣- من طرق إحكام الردود وإفحام الخصم: استخدام القياس وذلك لما قال لهم "أحكم الرجال في إصلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب" وقال: "أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟! وهذا من أحسن القياس وأوضحه"<sup>(٢)</sup>.

١٤- من طرق إحكام الردود وإفحام الخصم: نقض حجة الخصم بأن يمثل لقوله بمثال هو باطل عنده، ليعلم الخصم أن بطلان قوله كبطلان ما مثله به<sup>(٣)</sup>، وذلك حينما رد عليهم ابن عباس لما قالوا: "قاتل ولم يسب ولم يغنم"، فهذا أمر عام جاء له بمثال هم يبطلونه فقال: "أفتسبون أمكم عائشة تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟... ثم بين لهم اللوازم الباطلة التي تلزم من قولهم هذا، فدل على بطلان الملزوم.

١٥- إحكام النقض، للشبه المعروضة، وكشف زيفها وتصييرها هباءً منثوراً<sup>(٤)</sup>، فهذا ابن عباس رضي الله عنه قد أحكم نقض شبههم وقرهم بذلك.

١٦- حسن الصياغة بالترام اللسان العربي الفصيح، والإتيان بالكلام الطيب بعيداً عن الشتم والفظاظة في الرد، والاقتصاد في السياق، فيؤتى بالألفاظ على قدر

(١) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٦)، مناظرات أئمة السلف (٧٣).

(٢) انظر إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٢١٣، ٢١٥).

(٣) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٥)، مناظرات أئمة السلف (٧٣).

(٤) انظر الرد على المخالف (٦٥).

المعاني دون تطويل لا حاجة له، أو تكرار يخل ويعمل<sup>(١)</sup>. ولقد كان ابن عباس رضي الله عنه حسن الصياغة بكل معاييرها في هذه المناظرة فتأمل.

١٧- التنبيه إلى وجوب النظر إلى حقيقة الأمر وإلى واقع الحال، والبعد عن السطحية والغلو، فقال في جوابه عن الاعتراض الأخير في مسح علي اسم الإمرة في كتاب التحكيم، "ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه عن النبوة".

١٨- العلم بعقلية الخصم وطريقة تفكيره حتى تجري المناظرة وفق ما يناسب ذلك، فنلاحظ أن ابن عباس رضي الله عنهما استمع إلى كل حججهم، ثم تولى الإجابة عن المسائل وهم يستمعون، وهو في أثناء ذلك ينقلهم من مسألة إلى مسألة، ومن جزئية إلى جزئية، ويجيب بشكل مباشر وواضح، ويقررهم على كل واحدة، وهم يقرون بنعم، وبللى، وهذا من فقه ابن عباس رضي الله عنه وعلمه بطبيعتهم الحادة المتسربة، ونظرتهم القاصرة، وسطحية التفكير فهم ليسوا بأهل جدل وكلام، ثم إنهم يتأثرون بالعصية، وقد يعزلهم الصخب الجماعي عن التفكير والفهم، ومتابعة الحوار، لذلك قالوا كل اعتراضاتهم، ثم تولى الإجابة دون مقاطعات.

لذلك ينبغي عند مناقشة مثل هذا النوع أن يكون الحوار فردياً لا جماعياً قدر الإمكان حتى يعزلوا عن تأثير الجماعة، وتخف وطأة العصية<sup>(٢)</sup>، ويكون المجال أرحب للتفكير والموازنة فيما يطرح عليهم، وفيما عندهم من خلفيات.

وينبغي تكرار المناقشة والرد على الشبهات أكثر من مرة، ومن أكثر من شخص مع مراعاة وقت زمني بين كل مرة وأخرى، إذ في هذه الجماعات من هم مغرورون قد تأثروا بالشعارات البراقة التي يرفعها الخوارج من الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحكيم كتاب الله، فتدفع طائفة منهم العاطفة الدينية

(١) انظر الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٧ - ٢٨)، الرد على المخالف (٦٧ - ٧٠).

(٢) انظر كيف حاولوا منع الحوار حينما قالت جماعة لا تخاصموا قريشاً.

الجياشة، وحب الخير للانضمام إلى هذه الجماعات، ولكن ما إن يبدأ الحوار، وتناقش الأمور، ويفكر المرء بما يقال حوله، فالشبهة سرعان ما تزول بإذن الله.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "بعثنا عثمان بن عفان في خمسين ركباً وأميرنا محمد بن مسلمة الأنصاري<sup>(١)</sup> حتى أتينا ذاخُشَب، فإذا رجل معلق المصحف في عنقه، تذرّف عيناه دموعاً، بيده السيف وهو يقول: ألا إن هذا- يعني المصحف- يأمرنا أن نضرب بهذا يعني السيف- على ما في هذا- يعني المصحف فقال محمد بن مسلمة: اجلس، فقد ضربنا بهذا على ما في هذا قبلك، فجلس فلم يزل يكلمهم- أي ابن مسلمة رضي الله عنه- حتى رجعوا"<sup>(٢)</sup>.

ومن مناظرات الصحابة للخوارج وإلزامهم بالأصل الذي يقرون به، ما جرى بين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حيث يقول: "لقيتني ناس ممن كان يطعن على عثمان ممن يرى رأي الخوارج، فراجعوني في رأيهم وحاجوني القرآن. قال: فلم أقم معهم ولم أقعد، فرجعت إلى الزبير منكسراً فذكرت ذلك له، فقال الزبير رضي الله عنه: إن القرآن قد تأوله كل قوم على رأيهم وحملوه عليه، ولعمر الله إن القرآن لمعتدل مستقيم، وما التقصير إلا من قبلهم، ومن طعنوا عليه من الناس فإنهم لا يطعنون على أبي بكر وعمر، فنذهم بسنتهما وسيرتهما، قال عبد الله: فكأنما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنة أبي بكر وعمر، فلما أخذتهم بذلك قهرتهم وضعف قولهم"<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري، أبو عبد الرحمن صحابي من الأمراء، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك، اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، مات بالمدينة عام ٤٣هـ، وقيل عام ٤٦هـ. انظر الإصابة (٣/ ٣٨٣) دار الفكر، الطبقات (٣/ ٤٤٣).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢١) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة لمحمد أمجرون (٢/ ١٩٨).

(٣) تاريخ دمشق (٥٠٦) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة لمحمد أمجرون (٢/ ١٩٨).

ونجد أن المناقشة وإقامة الدليل والإجابة على التساؤلات تزيد كثيراً من الشبه التي تعترض الخوارج وتدعوهم إلى الخروج على الجماعة المسلمة وقتالهم: ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن يزيد الفقير<sup>(١)</sup> قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج<sup>(٢)</sup>، فخرجنا في عصاة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، وقال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالساً إلى سارية عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون، والله يقول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (ال عمران ١٩٢) . ﴿ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (المع ٢٢) . فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي بيعته الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ الحمد الذي يخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه. وقال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك. قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني: فيخرجون كأنهم عيدان السماسم<sup>(٣)</sup>، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد<sup>(٤)</sup>.

- (١) يزيد الفقير هو يزيد بن صهيب الكوفي ثم المكي أبو عثمان قيل له الفقير لأنه أصيب في فقار ظهره فكان يألم منه حتى ينحني له. انظر شرح صحيح مسلم (٣/ ٥٠).
- (٢) شغفني: أي لصق بشغاف قلبي وهو غلافه، وأما رأي الخوارج فهو تكفير أصحاب الكبائر وخلودهم في النار. انظر شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٥٠).
- (٣) السماسم جمع سمسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت في الشمس ليؤخذ جسها دقاًقاً سوداً كأنها محترقة، فشبها بها هؤلاء. انظر شرح صحيح مسلم (٣/ ٥١).
- (٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إخراج عصاة المؤمنين من النار (٣/ ٥٠ نووي).



ثانياً: الوعظ والنصيحة: إن تقديم النصيحة والوعظ لهذه الفئة الضالة مما فعله الصحابة ﷺ تبرئة للذمة ونصحاً للأمة. ولقد أقدم كثير من الصحابة على وعظ ونصح الخوارج في أكثر من موطن، ومن ذلك أن علياً ﷺ أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي، وحرقوق بن زهير السعدي وأنكروا عليه أمر الحكومة وطلبوا منه أن يتوب... وقال له زرعة: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له علي: بؤساً لك، ما أشقاك! كأنني بك قتيلاً تسفي عليك الريح، قال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له علي: لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها. فخرجا من عنده يحكمان<sup>(١)</sup>.

بل مازال نصح الصحابة للخوارج ووعظهم لهم مستمراً حتى لما شارفوا على القتال في النهروان واصطفوا، تقدم لهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبه من الأمر العظيم والخطب الجسيم فلم ينفع، وكذلك أبو أيوب الأنصاري أتبهم ووجههم ووعظهم، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم وخطبهم ووعظهم وخوفهم وأذهرهم وتوعدهم وحذرهم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فعل عبد الله بن أبي أوفى ﷺ إذ كان له غلام اسمه فيروز قد لحق بالخوارج من الشق الآخر، فلما كان وقت القتال: نادوه: يا فيروز يا فيروز، هذا عبد الله بن أبي أوفى، فقال: نعم الرجل لو هاجر، قال عبد الله: ما يقول عدو الله؟ فقيل له: يقول نعم الرجل لو هاجر، فقال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: طوبى لمن قتلهم وقتلوه<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/١١٤)، ومعنى يحكمان أي يقولان: لا حكم إلا لله.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/٢٨٨)، تاريخ ابن خلدون (٢/١٨٠).

(٣) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٢٤)، وقال عنه الألباني: إسناده حسن. كتاب السنة

لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/٦٣٧).

إن هذا الوعظ والنصح قد أثر في جماعة من الخوارج، وذلك أن علياً لما رفع راية الأمان مع أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه انضم إليها جماعة من الخوارج، وانصرف آخرون إلى الكوفة، وإن كان في ظاهر الأمر عدم تفاعلهم مع هذه المواعظ إلا أنها تظل تؤثر في جماعة.

ثالثاً: الترغيب والترهيب: قد يكون من بين صفوف الخوارج من لديه تطلعات للسلطة وحب للرياسة، فينفع مع هذا الصنف استمالاته وترغيبه.

ولقد حاول علي بن أبي طالب عليه السلام أن يستميل رؤوس الخوارج بالمنصب، وأن يستصلحهم بالمال وتتألف قلوبهم بذلك، لأنه إذا تابع الرأس تابع من معه، وإذا رجع وكفّ رجعوا وكفّوا، أو أحدث خللاً في صفوفهم.

يروى الطبري أن علي بن أبي طالب قبل أن يفد على الخوارج بحروراء ليحاوّرهم سأل عن أي رؤوس الخوارج هم له إطفاء وطاعة، فقبل له: يزيد بن قيس، فجاء عليه السلام إلى يزيد بن قيس ودخل فسطاطه، وأمره على أصبهان والري، ثم خرج حتى انتهى إلى الخوارج وهم يخاصمون ابن عباس، ثم كلمهم<sup>(١)</sup> حتى أثناهم عما هم فيه وقرّره فرجعوا معه، ودخلوا إلى الكوفة<sup>(٢)</sup>.

وسلك الصحابة أيضاً مسلك الترهيب والتخويف لعله يجدي معهم ويكون رادعاً لهم، وقد تقدم كيف أن علياً لما اصطفوا للقتال في النهروان جاءهم وهددهم وحثّهم وسفّه رأيهم<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم أن الروايات تعددت وذكرت أن علياً سار إليهم وحاوّرهم وأن ابن عباس كذلك، وهذه الرواية توفق بين الأمرين.

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/١١٠).

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون (٢/١٨٠).

وكذلك لما كان في الكوفة في بداية الأمر كانوا يقاطعونه في خطبه ويقولون: لا حكم إلا لله. وفي مرة قالوها، فقال علي عليه السلام: «الله أكبر! كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم من الخوارج فقال: ... يا علي أباقتل تخوفنا! أما والله إنني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أننا أولى بها صلياً»<sup>(١)</sup>. وكان المغيرة بن شعبة قد ولي أمر قتال الخوارج لمعاوية فكان عليه السلام يخطب في الناس، ويتهدد الخوارج<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أن فئة الخوارج هذه لا يجدي معها كثيراً التهديد بالقتل إذ هو شهادة في نظرهم وهو غايتهم، والمطلوب إظهار قوة المسلمين وقوة ولاية الأمر حتى يحد من خروجهم وتقمع شوكتهم، إذ هم لا يندحرون إلا بالقتال غالباً. رابعاً: ذم الخوارج وذم صنيعهم، ونشر النصوص النبوية الواردة في حقهم.

لقد كان الصحابة عليهم السلام يروون ما سمعوه عن المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام، وكان مما روه ما سمعوه عن الخوارج، ثم لما خرجت الخوارج عمدة الصحابة إلى نشر هذه النصوص النبوية وبيان أن هؤلاء الخوارج الحرورية هم المرادون بهذه النصوص<sup>(٣)</sup>.

كما كان الصحابة عليهم السلام يظهرهم ذم الخوارج، وينددون بصنيعهم من قتل للمسلمين ونهب للأموال، وإفساد في البلاد. وكان الناس يسألونهم هل سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عنهم فيحدثونهم بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/١١٤).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/١٤٣).

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه ومن يخاف على إيمانه (٧/١٧٣) نووي. انظر هذه النصوص فيما تقدم: المطلب الثالث من المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر سؤا لهم لأبي سعيد عن الحرورية، وسؤا لهم لسهل بن حنيف، وانظر سؤا لهم لابن أبي بكره عن أبيه في السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/٦٣٣، ٦٣٥، ٦٣٧).

قال سعيد بن جهمان<sup>(١)</sup>: دخلت على ابن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه فرد عليّ السلام. فقال: من هذا؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان، فقال: ما فعل والدك؟ فقلت: قتلته الأزارقة. قال: قتل الله الأزارقة كلها. ثم قال: حدثنا رسول الله ﷺ: {ألا إنهم كلاب أهل النار}. قال: قلت: الأزارقة كلها أو الخوارج؟ قال: الخوارج كلها<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ما فعله أبو أمامة ؓ لما رأى رؤوس الخوارج معلقة على جسر دمشق أظهر ذمهم وروى ما ورد فيهم، فقال: شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً. فقيل له: يا أبا أمامة: هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهما شرار الخلق.

خامساً: تحذير الناس من مسلكهم بيان سوء فعلتهم، وإنزال نصوص قرآنية فيهم حتى لا يغتر بهم: علمنا كيف أن الصحابة ؓ عمدوا إلى إظهار النصوص النبوية الدامة للخوارج، وصرحوا بأنهم المرادون بهذه النصوص؛ وهم في كل ذلك يحذرون الناس من مسلكهم، ويبيّنون لهم سوء فعلتهم من قتل المسلمين وترويع الأميين. يقول ابن عباس رضي الله عنهما محذراً من الخوارج: 'كلام الحرورية ضلالة'<sup>(٤)</sup>. ولقد أنزل الصحابة ؓ نصوصاً من القرآن الكريم على الخوارج، وتنوعت أقوالهم في ذلك ولا تعارض، إذ تعددت صفات الخوارج، فذكر كل صحابي صفة من الصفات، كل هذا تحذيراً من مسلكهم وذمّاً لفعالهم، فالخوارج هم:

(١) سعيد بن جهمان أبو حفص الأسلمي، صدوق له أفراد، مات سنة ١٣٦ هـ. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٣١)، التقريب (١/ ٢٩٢).

(٢) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٢٤)، كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٦٤٧).

(٣) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في ذكر الخوارج (١/ ٦٢).

(٤) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١١٦٨).

- ١- ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧) <sup>(١)</sup>.
- ٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ (الأنعام: ١٥٩)، (الروم: ٣٢) <sup>(٢)</sup>.
- ٣- هم الأخسرون أعمالاً كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ (الكهف: ١٠٤-١٠٣) <sup>(٣)</sup>.
- ٤- هم من زاغت قلوبهم ومالت عن اتباع الحق كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥) <sup>(٤)</sup>.
- ٥- هم المتبعون للشبهات كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٧) <sup>(٥)</sup>.
- ٦- هم من تسود وجوههم يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١١) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧) <sup>(٦)</sup>.
- 
- (١) ذكره سعد بن أبي وقاص. انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً (٤٢٥/٨) فتح.
- (٢) ذكره أبو هريرة وأبو أمامة رضي الله عنهما. انظر الاعتصام للشاطبي (٤٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٤٣٥/٢).
- (٣) ذكره علي بن أبي طالب ؑ. انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٦٣٦/٢)، فتح الباري (٤٢٥/٨).
- (٤) ذكره أبو أمامة، وسعد بن أبي وقاص. انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٦٤١/٢)، السنة للمروزي (٧٥)، الاعتصام (٤٦، ٤٨).
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) ذكره أبو أمامة، انظر السنة للمروزي (٧٥).

وهذه الآيات لا تخص الخوارج، بل تعم كل من اتصف بتلك الأوصاف، والصحابة ﷺ أنزلوها على الحرورية إما لأنهم سئلوا عنها على الخصوص وهل الآية تشملهم فأجابوا عن السؤال. أو لأن الخوارج هم أول من ابتدع في دين الله وخرج على جماعة المسلمين بالسيف، وكان المقصود التحذير منهم<sup>(١)</sup>.

ومن مواقف الصحابة مع الخوارج تحذير الناس منهم، وتنبههم على عدم الاغترار بما يظهر عليهم من الزهد والعبادة وقراءة القرآن، فذكر لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن، قال: "يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه" وقراء: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

(ال عمران ٠٠٧)

وفي مرة أخرى ذكر له الخوارج واجتهادهم وصلاتهم فقال: "ليس هم بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم على ضلالة"<sup>(٣)</sup>.

ولقد حرص علي بن أبي طالب ﷺ على تحذير الناس من مسلك الخوارج، حتى أنه لما انتهى من النهروان جعل يمشي بين القتلى ويقول: "بؤساً لكم! لقد ضركم من غركم! فقال أصحابه: يا أمير المؤمنين ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أمارة غرتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الاعتصام (٤٨).

(٢) انظر كتاب الشريعة للأجري (١/٣٤٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٧/٢٨٨).

فينبغي على ولاة الأمر علماء وأمرءاً من تحذير الناس من الفكر الضال المنحرف، وتوعيتهم بخطورته حتى لا يتسلل إلى النفوس. كما ينبغي على الآباء ملاحظة أبنائهم فكراً وسلوكاً ومحاورتهم، ومناقشتهم في الأفكار المنحرفة وتحذيرهم منها، وبناء معتقد صحيح وفكر واعي يحول دون تسلل هذه البدع إلى النفوس.

وإن رأى الآباء أو ولاة الأمر بادرة من أحد، ورغبة في اللحاق بأهل البدع والانسياق ورائهم، فعليهم منعه حتى يعود إلى رشده، فهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يرسل إلى حوثة بن وداع الأسدي<sup>(١)</sup> أباه ليرده<sup>(٢)</sup>. سادساً: هجرهم: لقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب هجر أهل البدع، وأن هجرهم زجر لهم<sup>(٣)</sup>.

ولم يبرز هجر الصحابة ﷺ للخوارج كموقف واضح متكرر منهم لأن الخوارج أنفسهم منعزلون عن الجماعة المسلمة، وإن كان ورد عن بعض الصحابة ﷺ ترك مخاطبتهم ومخالطتهم، من ذلك ما قاله جندب بن عبد الله لفرقة دخلت عليه من الخوارج. فقالوا: ندعوك إلى كتاب الله، فقال: أتم؟ قالوا: نحن، قال: أنتم؟ قالوا: نحن، فقال: يا أخايث خلق الله في اتباعنا تختارون الضلالة، أم في غير سنتنا تلتمسون الهدى؟! اخرجوا عني<sup>(٤)</sup>.

(١) هو: حوثة بن وداع بن مسعود الأسدي، من الشجعان الزعماء، كان من أنصار علي بن أبي طالب، وشهد معه كثيراً من الوقائع، فارقه بعد التحكيم واعتزل حتى قتل علي، ثم خرج على معاوية مع أصحابه، فأرسل إليه جيشاً فقتل عام ٤١ هـ. انظر الكامل لابن الأثير (٣/ ١٦٤)، الأعلام (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٤٢)، وانظر البداية والنهاية (٧/ ٢٨٦).

(٣) انظر: هجران أهل البدع، أو الزجر بالهجر لجلال الدين السيوطي (٤٢)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٩، ٢٢٤)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/ ١٠٦)، هجر المبتدع لبكر أبو زيد (٢١).

(٤) انظر إعلام الموقعين (٤/ ١٣٩).

وكذلك هجر عبد الله بن عمر سماع بدعهم، فقد قيل لابن عمر: إن نجدة<sup>(١)</sup> يقول: كذا وكذا، فأدخل إصبعيه في أذنيه مخافة أن يدخل قلبه منه شيء<sup>(٢)</sup>.

لذلك يرى الإمام أحمد بن حنبل وجوب مقاطعة الخوارج وهجرهم وترك التعامل معهم، فلا يباع ولا يشتري منهم، بل ولا يكلموا ولا يُصلى عليهم<sup>(٣)</sup>، زجراً لهم على بدعتهم.

سابعاً: الإجابة عن أسئلتهم، وعدم صدّهم، ومراسلتهم إن دعت الحاجة: تقدّم أن الهجر من العقوبات والزواج لأهل البدع، ولكن هذا الهجر لا يتنافى مع الإجابة عن أسئلتهم إن هم سألوا، أو بيان وتوضيح مشكلة إن هم استفهموا، فإن جاءوا طالبين للعلم، مستفهمين لا معاندين مخاصمين فإنهم يجابون ولا يصدون، والذي يتولى إجابتهم ومناقشتهم هو العالم العارف لا الجاهل العامي.

فلقد كتب نجدة الحروري إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يسأله عن خلال، فقال: ابن عباس: "إن الناس يقولون: إن ابن عباس يكتب الحرورية، ولولا أنني أخاف أن أكتم علماً لم أكتب إليه، فكتب إليه نجدة: أما بعد، فأخبرني: هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وهل كان يضربهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ وعن الخمس، لمن هو؟ فكتب إليه ابن عباس: إنك كتبت تسألني: هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن، يداوين المرضى ويُحذِن<sup>(٤)</sup> من الغنيمة، فأما السهم فلم يضربهن بسهم. وكتبت: هل كان رسول الله ﷺ يقتل الصبيان؟ وإن رسول الله ﷺ لم يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان إلا أن

(١) نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج.

(٢) انظر ذم الكلام للهروي (٤/٣٢).

(٣) انظر السنة للخلال (١٥٥، ١٥٧).

(٤) يحذِن: يعطين.



تكون تعلم ما علم الخضر من الصبي الذي قتل، فتميز الكافر من المؤمن، فتقتل الكافر وتدع المؤمن. وكتبت تسألني: عن الخمس، لمن هو؟ وإنا نقول: هو لنا، فأبى قومنا علينا ذلك، فصبرنا عليه<sup>(١)</sup>.

نجد هذه المكاتبة محدودة الأسئلة والأجوبة إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما أراد أن يستغل الفرصة لينهى نجدة عن بعض بدعه، وينبئه إلى الشبه التي تحول بينه وبين الحق.

فلما سأله نجدة عن قتل الصبيان، بين له أن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان، ولعلم ابن عباس بمنهج الخوارج في الاستدلال، وإتباعهم للمتشابه من النصوص، أخبره أن قتل الخضر للصبي<sup>(٢)</sup> الذي قد يستدلون به على جواز قتل الصبيان ويعارضون به فعل الرسول ﷺ - أنه كان عن علم من الله، وليس أمراً عاماً، فإن كنت تعلم علمه فافعل فعله، وإن كنت لا تعلم علمه وأنت لا تعلم فلا تقتل الصبيان<sup>(٣)</sup>.

ثم لما سأله عن الخمس، قال: هو لنا، ثم زاد في الإجابة وقال: "فأبى قومنا علينا ذلك فصبرنا عليه"، أي: مع علمنا أن الخمس لنا، وأن قومنا منعونا منه وخالفوا نصوص الكتاب والسنة، إلا أننا لم نكفرهم ولم نتبرأ منهم، فمازالوا قومنا، ولم يدفعا ذلك للخروج عليهم بالسيف بل صبرنا على ذلك، وهذا هو المنهج، الصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم بالسيف كما تفعل الخوارج.

(١) انظر السنة للمروزي (١٤٢).

(٢) كما ورد في سورة الكهف آية رقم (٧٤، ٨٠).

(٣) النجيدات أتباع نجدة الحروري لا يميزون قتل الصبيان بخلاف الأزارقة الذين جوزوا ذلك. انظر الفرق بين الفرق (٥٦).

ومن أسئلة الخوارج للصحابة، سؤالات نافع بن الأزرق الحروري لعبد الله بن عباس، فسأله أسئلة عدة وكان ابن عباس يجيب<sup>(١)</sup> ولم ير ذلك يعارض الهجر.

بل إن عبد الله بن عباس بادر إلى مكاتبة نجدة الحروري لما كانت المصلحة مقتضية لذلك، فإن نجدة منع الميرة عن الحرمين فكتب إليه ابن عباس ينهاه عن ذلك ويقول إن ثمامة بن أثال<sup>(٢)</sup> لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: {إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة}. فخلاها لهم<sup>(٣)</sup>. وإنك قطعت الميرة ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة<sup>(٤)</sup>.

ثامناً: عدم الاعتداء عليهم بل السير فيهم السيرة العادلة: لقد كان موقف الصحابة رضي الله عنهم من الخوارج موقفاً عادلاً منصفاً، فالصحابة قوم عدول يتقون الله عز وجل فيمن خالفهم.

ف نجد أن الخوارج رغم شغبهم المتكرر على علي رضي الله عنه، ومقاطعته في خطبته أكثر من مرة بقولهم "لا حكم إلا لله"، واتهامهم إياه بالكفر، وطلبهم منه التوبة من أمر الحكومة<sup>(٥)</sup>، إلا أنه رضي الله عنه سار معهم السيرة العادلة، ولم يبدأهم بالقتال، ولم يعتد عليهم بقول ولا بفعل<sup>(٦)</sup>، بل كلما شغبوا عليه، وأثاروا

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٣٠١-٣٢٧) حيث سرد هذه الأسئلة وإجابات ابن عباس عليها.

(٢) هو: ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي الحنفي، أبو أمامة: صحابي، سيد أهل اليمامة. قاتل المرتدين من أهل البحرين مع العلاء الحضري، توفي حوالي عام ١٢هـ. انظر: الاستيعاب (١/ ٢٠٣)، الإصابة (١/ ٢٠٣) ط/ دار الفكر.

(٣) انظر الاستيعاب (١/ ٢٠٤) هامش الإصابة، الإصابة (١/ ٢٠٣) ط/ دار الفكر.

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٤٧)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٥٣).

(٥) أمر الحكومة، ما حصل من التحكيم في صفين.

(٦) انظر منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٨).

العامّة وقالوا: لا حكم إلا لله وهو في خطبته، ينهاهم ويقول: "الله أكبر كلمة حق يلتبس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا، ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته<sup>(١)</sup>."

ثم إنه رضي الله عنه لم يقابلهم بجيش لقاتلهم حتى قتلوا عدداً من المسلمين، واعتدوا وأفسدوا في الأرض، حينها سار إليهم، ولم يبدأهم بالقتال بل أرسل إليهم يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم<sup>(٢)</sup>.

بل من عدل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب مع هؤلاء الضلال البغاة؛ عدله مع قاتله عبد الرحمن بن ملجم ذلك أن ابن ملجم ضربه مع رأسه غيلة، فجيء به مكتوفاً عند علي بن أبي طالب، فقال له علي: "أي عدو الله، ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال علي: أراك مقتولاً به. ثم قال: إن هلكت فاقتلوه كما قتلتني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبد المطلب لا تحرضون على دماء المسلمين، وتقولون قتل أمير المؤمنين، لا تقتلوا إلا قاتلي. يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه بسيفه ولا تمثلن بالرجل"<sup>(٣)</sup>.

تاسعاً: إعطاء الأمان لمن رجع منهم ومحاولة استصلاحه، وإعلان الكف عن كفّ منهم ورجع: لقد كان لإعطاء الأمان، وفتح باب الرجعة والتوبة للخوارج أثر كبير في رجوع جماعات كثيرة منهم خاصة إذا بانّت قوة الدولة وقدرتها على السيطرة على الأوضاع، والتضييق عليهم.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٤)، البداية والنهاية (٧/ ٢٨٤).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٢٥).

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٨٥).

فعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه رفع راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري يوم النهروان لمن يرجع من الخوارج، فأعطى الأمان لكل من اعتزل القتال واعتزل جيش الخوارج سواء انضم لراية أبي أيوب أو سار إلى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن. لذلك ناداهم أبو أيوب وقال: "من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم"<sup>(١)</sup>.

فاعتزل من الخوارج قرابة الثلث لما فتح باب التوبة والعودة وأعطوا الأمان، ويبيّن لهم أن سفك الدماء ليس هو المقصود بل إقامة الحق وتحكيم أمر الله عزّ وجلّ هو المطلوب.

إن من الوسائل الناجحة في التعامل مع الخوارج إعطاؤهم الأمان إن عادوا، وإعلان الكف عن كفتهم، وأنه لن يبدأهم بقتال إلا إذا بدؤوه<sup>(٢)</sup>.

عاشراً: قتلهم: قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧)

إنه إذا انغلقت القلوب عن سماع صوت الحق، وحجبت العقول عن الحوار والمناقشة لم يبق إلا تحكيم أمر الله عزّ وجلّ فيهم برد بغيهم إذ هم أعرضوا عما تقدّم، لذلك قال علي رضي الله عنه للخوارج: "ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا".

فلما بدأ الخوارج باستعراض المسلمين وقتلهم كان لا بد من حفظ أمن البلاد، وإقامة حدود الله؛ فسار علي رضي الله عنه والصحابة الفضلاء معه لقتال الخوارج.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٢١).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٤).

لقد وردت نصوص نبوية عديدة، تحض على قتال الخوارج، يقول الرسول ﷺ: {لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد}، ويقول: {قتلهم حق على كل مسلم} <sup>(١)</sup>، ويبين عليه الصلاة والسلام أجر من يقاتلهم فيقول: {فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة}.

كما أن الرسول ﷺ أشار إلى أن علياً رضي الله عنه سيلي هذا الأمر، يقول علي بن أبي طالب: إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة، فقال: {كيف أنت وقوم كذا وكذا} <sup>(٢)</sup>؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده فقال: {قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم... الحديث} <sup>(٣)</sup>.

ولما كانت النصوص صريحة بوجوب قتال الخوارج. اتفقت كلمة الصحابة رضوان الله عليهم على قتالهم، وقاتلهم علي بن أبي طالب وجمع من الصحابة. وكان عبد الله بن عمر يرى أن قتال الحرورية حقاً واجباً على المسلمين <sup>(٤)</sup>. لذلك أراد رضي الله عنه أن يقاتل نجدة الحروري حين أتى المدينة يغير على ذراريهم، ف قيل له: إن الناس لا يباعدونك على هذا، فتركه <sup>(٥)</sup>. وقال رضي الله عنه: "ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا" <sup>(٦)</sup>.

- (١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦٢١)، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.
- (٢) قال عبد الله بن إدريس أحد رواة الحديث عند قوله: "وقوم كذاكذا وصف صفتهم. انظر السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦٢٣).
- (٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٢٩) وقال الألباني: إسناده صحيح، وانظر الشريعة للأجري (١ / ٣٢٧، ٣٥٢).
- (٤) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦٣٩)، الفتاوى (٢٨ / ٢٨٠).
- (٥) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦٣٩)، الفتاوى (٢٨ / ٢٨٠).
- (٦) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٤ / ١٨٥).

ويقول معاوية بن قرة<sup>(١)</sup>: "خرج محكم في زمان أصحاب رسول الله ﷺ فخرج عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله منهم عائذ بن عمرو<sup>(٢)</sup>".

ويقول الأزرق بن قيس<sup>(٤)</sup>: "كنا بالأهواز نقاتل الخوارج وفينا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>".

وكذلك قاتلهم معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة<sup>(٦)</sup>. ولما عزم علي بن أبي طالب على قتال الخوارج وأراد السير إليهم بين للمسلمين مبررات قتلهم، وأعلمهم بحكم هذا القتال ووجوبه، وبشرهم بالأجر الجزيل لمن يقاتل الخوارج كما ورد عن رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: { يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء. يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس

(١) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني ثقة عالم مات سنة ١١٣هـ. انظر التقريب (٢/ ٢٦١)، التهذيب (١٠/ ٢١٦).

(٢) هو: عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد المزني أبو هيرة البصري، صحابي شهد الحديبية، مات في ولاية عبيد الله بن زياد سنة ٦١هـ. انظر الإصابة (٢/ ٢٦٢) ط/ دار الفكر، التقريب (١/ ٣٩٠).

(٣) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٦٤٠).

(٤) الأزرق بن قيس الحارثي البصري ثقة مات بعد سنة ١٢٠هـ. التقريب (١/ ٥١)، التهذيب (١/ ٢٠٠).

(٥) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٦٤٠).

(٦) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٤٢، ١٤٣).

عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض}، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام<sup>(١)</sup> وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم. والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

يقول زيد بن وهب الجهني<sup>(٢)</sup> وكان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه لقتال الخوارج: -"مررنا على قنطرة"<sup>(٣)</sup> فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء.

فرجعوا فوحشوا برماحهم<sup>(٤)</sup>، وسلّوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم<sup>(٥)</sup>. قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً. فقال علي رضي الله عنه: التمسوا منهم المخدج، فالتمسوه فلم يجده. فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتل بعضهم على بعض، قال: أخروه، فوجدوه مما يلي الأرض. فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله ... الحديث<sup>(٦)</sup>.

(١) كان علي رضي الله عنه وأصحابه قد أعدوا جيشاً للقاء معاوية وأهل الشام وردداهم إلى الطاعة، ولكن لما أفسد الخوارج في العراق وسفكوا الدم الحرام، خطب علي جيشه وسار بهم إليهم، وكانت موقعة النهروان. انظر تاريخ الطبري (٣/ ١٧ - ١٢١).

(٢) هو: زيد بن وهب أبو سليمان الكوفي من اجلة التابعين وثقاتهم، متفق على الاحتجاج به. هاجر إلى النبي ﷺ فقبض وزيد في الطريق، مات حوالي سنة ٩٠هـ. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٠٧)، التقريب (١/ ٢٧٧).

(٣) هي قنطرة الدبرجان وهناك خطبهم علي رضي الله عنه. انظر شرح صحيح مسلم (٧/ ١٧٢).

(٤) فوحشوا برماحهم: أي: رموا بها عن بعد. انظر شرح صحيح مسلم (٧/ ١٧٢).

(٥) شجرهم الناس: أي: مددوها إليهم وطاعنهم بها، انظر صحيح مسلم (٧/ ١٧٢).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه ومن يخاف على إيمانه.. (٧/ ١٧١) نوي

فالصحابة رضي الله عنهم بينوا للناس مبررات قتالهم للخوارج، وشجعوهم على ذلك، وبينوا الأجر العظيم في قتالهم. بل إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كان يجزل العطايا من الأموال لمن يقاتلهم<sup>(١)</sup>.

أما عن سنة الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم الخوارج فتوضح من خلال ما فعله علي رضي الله عنه والصحابة معه حينما قاتلوهم في النهروان، ويمكن تلخيص شيء منها في الآتي:

١- إن الخوارج لا يبدءون بقتال، ولا يُعتدى عليهم بالقتل ما داموا فقط يرون رأي الخوارج، ولا يقاتلون حتى يقتلوا المسلمين أو يقطعوا السبيل حينها يجب على ولي الأمر ردهم وقاتلهم<sup>(٢)</sup>.

٢- يجب إقامة الحجة عليهم، وتقديم النصح لهم، ووعظهم قبل بدئهم بالقتال<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: لا يجوز قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم<sup>(٤)</sup>.

٣- إعطاء الأمان لمن يستسلم ويرجع عن باطله وضلاله، ولم يتعرض لقتل المسلمين<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٤٦).

(٢) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٩٩)، شرح السنة للبرهاري (٧١)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد الفراء (٥٤).

(٣) وهكذا فعل علي رضي الله عنه، انظر تاريخ الطبري (٣ / ١٢٠، ١٢٥)، الأحكام السلطانية (٥٤).

(٤) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٩٩).

(٥) انظر تاسعاً من هذا المبحث (٣٢٤).



٤- لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم- إلا إن كان فاراً يتقوى- ولا يسبى منهم سبي، إذ لم يعاملهم علي معاملة الكفار المرتدين، ولم يعاملهم معاملة أهل البغي كأهل الجمل وصفين، بل جعلهم قسماً ثالثاً<sup>(١)</sup>.

٥- لذلك أخذ ما كان في ساحة المعركة من سلاح وكراع وقسمه بين أصحابه، وهذا لم يفعله مع أهل الجمل. كما أنه لم يأخذ كل أموال الخوارج كالكفار المرتدين، بل أخذ ما كان في ساحة المعركة<sup>(٢)</sup>.

٦- الاستمرار في قتال الخوارج ما قاتلوا وأفسدوا وخرجوا على المسلمين بالسيف، ولا يكف عنهم حتى يكفوا عن المسلمين.

فعلي رضي الله عنه بعد النهروان خرج عليه جماعات من الخوارج فقاتلهم، وكذلك فعل معاوية رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

٧- إن فرت جماعات من الخوارج لتتقوى وتخرج فإنهم يطاردون لتستأصل فلولهم، وتقهر قوتهم، وتكسر شوكتهم<sup>(٤)</sup>.

#### مسألة:

أ- ما حكم الواحد المقدور عليه إن كان على رأي الخوارج؟

يختلف حكمه باختلاف حاله، ولولي الأمر أن يتعامل معه حسب خطره، وحسب مصلحة المسلمين، فله حبسه أو قتله، أو تخلية سبيله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية، والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام

(١) انظر شرح السنة للربھاري (٧١)، الفتاوى (٢٨ / ٢٨١).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١٢١)، الفتاوى (٢٨ / ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٣).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢١١).

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٤٢، ١٤٣).

أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد... فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا.

ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة<sup>(١)</sup>.

ب- ما الحكم إذا تاب الخارجي وأراد الرجوع إلى الحق، فما الحكم فيما سفك من دم أو سلب من مال؟

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فرأوا أن يهدر كل دم أصيب على تأويل القرآن. قيل له: مثل الحرورية؟ قال: نعم، قال: فأما قاطع طريق فلا<sup>(٢)</sup>. واستثنى من ذلك أن يوجد المال قائماً بعينه فإنه يعاد إلى أصحابه<sup>(٣)</sup>.

الحادي عشر: حكمهم: اتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال الخوارج ولم يخالف فيه أحد أو يتوقف، كما اتفقت الأمة على ذمهم وتضليلهم وتبديعهم<sup>(٤)</sup>. ولكن اختلفوا في تكفيرهم...

ورد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه إطلاق الكفر على الخوارج، ذلك أنه لما نصبت رؤوس الأزارقة على درج دمشق قال رضي الله عنه: كلاب النار... ثم بكى ولما سئل عن بكائه مع ذمه لهم، قال: "رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الفتاوى (٢٧٣ / ٢٨)، انظر التنبيه والرد للملطي (١٨٣)، فتح الباري (١٢ / ٢٩٩)، تاريخ

الطبري (٣ / ١٢٣)، تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٤٣) وقصة علي مع البزار بن الأحنس.

(٢) انظر السنة للخلال (١٥٢).

(٣) المرجع السابق (١٥٥، ١٥٧).

(٤) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٨٠، ٢٨٢).

(٥) انظر كتاب الشريعة للأجري (١ / ٣٦٨).

وفي رواية: "رحمتهم، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم"<sup>(١)</sup>، وفي رواية: "أبكي لخروجهم من الإسلام، هؤلاء الذين تفرقوا واتخذوا دينهم شيعاً"<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: "إنهم كانوا على ديننا، فذكر ما هم صائرون إليه"<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: "قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً"<sup>(٤)</sup>.

فظاهر هذه الروايات أن أبا أمانة يرى كفرهم وخروجهم عن الإسلام ولكن هذا الظاهر محتمل، إذ يحتمل أن يكون مراد أبي أمانة من إطلاق الكفر عليهم أنه كفر دون كفر، وأن فيهم ما هو كفر وهو قتلهم المسلمين الذي هو من خصال الكفر وشعبه، كما قال الرسول ﷺ: {سباب المسلم فسوق وقتاله كفر}<sup>(٥)</sup>، وقال: {لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض}<sup>(٦)</sup> ولم يرد عليه والصلاة السلام الكفر المخرج من الملة<sup>(٧)</sup>.

وأما ما أطلقه عليهم من خروجهم عن الإسلام فيحتمل أنه وصفهم بما وُصفوا به في الأحاديث النبوية إذ ورد وصفهم أنهم {يخرجون من الدين} وأنهم {يمرقون من الإسلام}<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٦٤٤).
  - (٢) المرجع السابق.
  - (٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١ / ١٠٢).
  - (٤) سنن ابن ماجه، وقد تقدّم وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٣٥).
  - (٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً (١٣ / ٢٦ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب سباب المسلم فسوق (٢ / ٥٣ نوي).
  - (٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الانصات للعلماء (١ / ٢١٧ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً (٢ / ٥٥ نوي).
  - (٧) انظر الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان لابن تيمية تحقيق محمود الشيباني (٢٩٠، ٣٨١)، تعظيم قدر الصلاة للمروزي، (٣٧١-٣٨٣)، كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ضمن مجموعة كنوز السنة (٩٤).
  - (٨) انظر هذه النصوص في ما تقدم في البحث السابق، المطلب الثالث.

ويؤيد هذا الاحتمال ما ذكره ابن تيمية رحمه الله من اتفاق الصحابة على عدم تكفير الخوارج<sup>(١)</sup>.

أما أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حينما سئل عن الحرورية. أسمعت النبي ﷺ؟ قال: لا أدري ما الحرورية، سمعت رسول النبي ﷺ يقول: {يخرج في هذه الأمة- ولم يقل منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاحهم... الحديث}.

يقول ابن حجر: "قوله: "يخرج في هذه الأمة- ولم يقل منها" لم تختلف الطرق الصحيحة على أبي سعيد في ذلك"<sup>(٢)</sup>... وقال النووي عن قوله: "يخرج في هذه الأمة- ولم يقل منها- قال: "هذا من أدل الدلائل على سعة علم الصحابة رضي الله عنهم ودقيق نظرهم وتحريم الألفاظ... لأن لفظة "من" تقتضي كونهم من الأمة لا كفاراً، بخلاف في". ومع هذا فقد جاء بعد هذا من رواية علي رضي الله عنه: {يخرج من أمتي قوم}، وفي رواية أبي ذر: {إن بعدي من أمتي أو سيكون من أمتي}، وقد سبق الخلاف في تكفيرهم وأن الصحيح عدم تكفيرهم"<sup>(٣)</sup>.

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلا يرى تكفيرهم، بل إنه رضي الله عنه سئل حينما فرغ من قتالهم في النهروان عنهم: "أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم".

وللعلماء في تكفير الخوارج ثلاثة أقوال:

الأول: القول بتكفيرهم استدلالاً بما ورد من نصوص نبوية تشير إلى مروقتهم من الدين، وإلى ما ورد من الأمر بقتالهم. وكذلك لأنهم يكفرون أعلام الصحابة،

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥ / ٢٤١).

(٢) انظر فتح الباري (٢ / ٢٨٩).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم (٧ / ١٦٤).

وفي هذا تكذيب للنبي ﷺ في شهادته لهم بالجنة وممن قال بتكفيرهم أبو بكر بن العربي<sup>(١)</sup> وتقي الدين السبكي<sup>(٢)</sup>، ومال الطبري والقاضي عياض إلى ذلك أيضاً<sup>(٣)</sup>.

الثاني: التوقف في تكفيرهم، والإمساك عن ذلك، فلا يقال: كفروا، ولا يقال: ليسوا بكفار. وممن توقف في التكفير: أبو المعالي الجويني<sup>(٤)</sup>، وأبو بكر<sup>(٥)</sup> الباقلاني<sup>(٦)</sup>، وهي رواية عن الإمام أحمد بن حنبل حيث سُئل عن الحرورية والمارقة يكفرون؟ قال: "أعفني من هذا وقل كما جاء فيهم الحديث". لذلك لم يسمهم كفاراً، بل سماهم رحمه الله "مارقة مرقوا من الدين"<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) هو القاضي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي المالكي، الحافظ المشهور، برع في الأدب، وبلغ مرتبة الاجتهاد في علوم الدين. من كتبه "أحكام القرآن" و"عارضه الأحزدي في شرح الترمذي". توفي عام ٥٤٣هـ. انظر الوفيات (٤/ ٢٩٦)، الأعلام (٧/ ١٠٦).
- (٢) هو علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الأنصاري: أبو الحسن أصولي متكلم، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، كان علي المذهب الأشعري، من كتبه "المسائل الحلبية وأجوبتها في فقه الشافعية، و"السيف المسلول على من سب الرسول". توفي عام ٧٥٦هـ. انظر الدرر الكامنة (٣/ ١٣٤)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٥٢).
- (٣) انظر فتح الباري (١٢/ ٢٩٩).
- (٤) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي فلقب بإمام الحرمين. كان على المذهب الأشعري، وكان رحمه الله من أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، صنف في كل فن منها: "الإرشاد في أصول الدين، و"البرهان في أصول الفقه، توفي عام ٤٧٨هـ. انظر الوفيات (٣/ ١٦٧)، الأعلام (٤/ ٣٠٦).
- (٥) هو القاضي محمد بن الطيب بن جعفر البصري الباقلاني، أبو بكر، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في المذهب الأشعري، من كتبه: "إعجاز القرآن" و"تمهيد الدلائل". توفي عام ٤٠٣هـ. انظر الوفيات (٤/ ٢٦٩)، الأعلام (٧/ ٤٦).
- (٦) انظر فتح الباري (١٢/ ٣٠٠).
- (٧) انظر السنة للخلال (١٤٥، ١٤٦).

الثالث: القول بتفسيقهم وتبديعهم دون تكفيرهم، وهذا قول أكثر أهل الأصول من أهل السنة، وقول جمهور العلماء<sup>(١)</sup>.

يقول ابن تيمية رحمه الله مؤيداً القول بعدم تكفير الخوارج، مستدلاً على ذلك بما يلي: "وأصحاب الرسول ﷺ - علي بن أبي طالب وغيره - لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بجروراء وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا، ولا حقكم من الفيء. ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالاً، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على علي ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "وما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه - وغيره من الصحابة - يصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا أيضاً يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم، كما يخاطب المسلم المسلم"<sup>(٣)</sup>.

والناظر في أقوال العلماء في حكم الخوارج، وفي أقوال الخوارج على اختلاف فرقها، يجد أن من فرق الخوارج من قال بالكفر، وجاء ببدعة مكفرة<sup>(٤)</sup>. ومن فرق

(١) انظر فتح الباري (١٢ / ٣٠٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٤١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٥ / ٢٤٧).

(٤) مثل قول الميمونية من الخوارج بجواز نكاح بنات البنات وبنات البنين، فهذا كفر إذ خالفوا ما علم من الدين علماً قطعياً لا شبهة فيه. وكذلك قول اليزيدية بنسخ شريعة الإسلام في آخر الزمان. انظر الفرق بين الفرق (٦٥، ٧١).

الخوارج من لم يأت ببدع مكفرة، بإطلاق حكم عام بالتكفير أو عدمه فيه نظر<sup>(١)</sup>، مع وجوب التفريق بين التكفير العام وبين تكفير المعين.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن الخوارج: "وأما تكفيرهم وتخليدهم ففيه - أيضاً - للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن أحمد. والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم. والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول: كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضاً... لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار، موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه. فإننا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد، والتكفير والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له"<sup>(٢)</sup>.

هذه مواقف الصحابة رضي الله عنهم من الخوارج والتي يتجلى فيها عمق علم الصحابة وتحريمهم للحق، وتجردهم من الهوى، وسعيهم للدعوة إلى الله عزّ وجلّ، وعملهم الجاد لجمع كلمة الأمة ومحاربة البدعة وإقامة السنة، وحرصهم على نصح من خالفهم وإنصافه؛ شفقة ورحمة به.

فرضي الله عنهم وأرضاهم فقد كان منهجهم هو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم إذ قد ساروا فيه على تحكيم الكتاب والسنة.

(١) نظر الشريعة للأجري، تحقيق عبد الله الدميحي (١ / ٣٢٩) هامش (٥).

(٢) الفتاوى (٢٨ / ٢٧٣). وشروط تكفير المعين عند ابن تيمية شرطان: أن يقصد المعين بكلامه المعنى المكفّر، قيام الحجّة. وموانع التكفير للمعين عنده أربعة: الخطأ، الجهل، العجز، الإكراه. انظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير لعبد المجيد المشعي (١ / ١٩١ - ٢٧٠).

### الفصل الثالث

#### الشيعة وموقف الصحابة منهم

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الشيعة

المطلب الأول: تعريف الشيعة والروافض، وبيان فرقها، وأهم معتقداها:

أولاً- تعريف الشيعة والروافض:

١- تعريف الشيعة:

أ- الشيعة في اللغة تأتي بمعانٍ عدة منها:

- الشيعة: أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع، وأشياء جمع الجمع.
- والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر. فكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع.
- وتطلق الشيعة على الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.
- والشيع: الفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ (الأنعام ١٠٦) أي يجعلكم فرقاً مختلفين<sup>(١)</sup>.

وأصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد.

وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى علياً رضي الله عنه وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم، وأصلها من المشايعة: وهي المتابعة والمطاوعة<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب (٨ / ١٨٨)، القاموس المحيط (٩٤٩)، مختار الصحاح للرازي (١٤٨).

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٦٤)، لسان العرب (٨ / ١٨٩).



ب- الشيعة في الاصطلاح: عرفت الشيعة بتعريفات عدة بعضها أخص من بعض، وبعضها يعرفها مبيناً فرقها، فقال الأشعري: إن الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقدموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ. (١)

ومنهم من زاد التعريف تقييداً فقال الجرجاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقالوا إنه الإمام بعد الرسول ﷺ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده (٢).

ويعرّف الشهرستاني الشيعة ويزيد تفصيلاً فيقول: الشيعة الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده (٣).

أما ابن حجر العسقلاني فيعرّف التشيع مبيناً بين فرقه فيقول: والتشيع محبة علي وتقدمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيوعي.

فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض. وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو (٤).

فالشيعة عنده أربع طوائف:

١- الشيوعي: وهو من أحب علياً وقدمه على الصحابة عدا أبي بكر وعمر.

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥).

(٢) انظر التعريفات للجرجاني (١٣٥).

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ١٦٩).

(٤) انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري لشرح صحيح البخاري (٤٥٩).

٢- الرافضي: من أحب علياً وقدمه على الصحابة كلهم ومنهم أبي بكر وعمر، فهذا رافضي غالٍ في التشيع.

٣- غلاة الرافضة: من أحب علياً وقدمه على أبي بكر وعمر، وانضاف إلى ذلك السب والبغض لهما وللصحابة عدا علي وعدد قليل منهم.

٤- شدة الغلو في الرفض: أن يضيف إلى السابق القول برجعة علي إلى الدنيا.

ولعل تعريف ابن حجر للشيعنة أدق التعاريف، إذ أنه ذكر فرق الشيعة فشمّلها.

٢- تعريف الروافض أو الرافضة:

أ- الرفض في اللغة: الترك والتفرّق، والروافض كل جند تركوا قائدهم، والرافضة الفرقة منهم<sup>(١)</sup>.

ب- والروافض في الاصطلاح: كل شيعي يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويرفض إمامتهما، ويقدم علياً في الإمامة والفضل.

وسموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي وتولوا أخاه محمد الباقر<sup>(٢)</sup>، ذلك أن زيد بن علي خرج أيام هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي عام ١٢١هـ على والي العراق، وكان زيد ممن يتولى أبا بكر وعمر ويترضى عنهما شأن أئمة آل البيت<sup>(٣)</sup>، فخرج وقد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من شيعة أهل الكوفة، فلما تقابل الجيشان سأله شيعته عن رأيه في أبي بكر وعمر، فتولاهما وترضى عنهما، وقال: إنني لا أقول فيهما إلا خيراً، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً، وإنما

(١) انظر الكلبيات للكوفي (٤٧٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٢).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٧)، الملل والنحل (١/ ١٨١)، البرهان للسكسكي (٦٥).

(٣) انظر المبحث الثاني فيه بيان لموقف الصحابة، وموقف آل البيت (٣٥٩).

خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار<sup>(١)</sup>. ففارقوه وتركوه لما لم يتبرأ من الشيخين، فقال لهم: "رفضتموني"، ولم يثبت معه إلا عدد يسير منهم، وقتل في خروجه هذا<sup>(٢)</sup>.

وقيل: سموا رافضة لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر<sup>(٣)</sup>.

وكلا القولين السابقين يصح أن يكون سبباً للتسمية إذ أحدهما سبب للآخر، فالشيعة الإمامية لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رفضوا زيد بن علي لما تولاهما. واسم الروافض والرافضة على ما تقدم يطلق على الشيعة الإمامية<sup>(٤)</sup>. ولكن البغدادي والرازي والسكسكي يعممون اسم الروافض على كل فرق الشيعة حتى الزيدية<sup>(٥)</sup>.

ولعل السبب في ذلك أن الشيعة الإمامية هي الأكثر انتشاراً، لذلك إذا قيل الشيعة أو الرافضة فهم المقصودون، إذ غالب الشيعة منهم<sup>(٦)</sup>.

أو لأن من الزيدية من يتبرأ من أبي بكر وعمر، ومنهم من يقول إن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء بعلي بعد الرسول ﷺ<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣ / ٣٥٣، ٣٦٠، ٥٣٨).

(٢) انظر الفرق بين الفرق (٢٤)، مقالات الإسلاميين (١ / ١٣٧)، العبر في خبر من غير المذهبي (١ / ١١٨)، تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٧٢).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، البرهان (٦٥).

(٤) انظر الملل والنحل (١ / ١٨١)، مقالات الإسلاميين (١ / ٨٨)، الفتاوى (١٣ / ٢٢).

(٥) انظر الفرق بين الفرق (١٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٦٠)، البرهان للسكسكي (٦٥).

(٦) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٩٠).

(٧) مثل الجارودية من الزيدية، انظر مقالات الإسلاميين (١ / ١٤١، ١٤٥).

فشاركوا الشيعة الإمامية في الرفض، وإن كان هؤلاء الزيدية يتولون زيداً ويقولون بإمامته دون محمد الباقر، والله أعلم.

هذا تعريف الشيعة، وتعريف الرافضة، ويتضح منه القاسم المشترك بينهم، والمعلم العام الذي يجمع كل فرق الشيعة على اختلاف أقوالها، وتباين فرقها والذي يلخصه ابن حزم بقوله: "ومن وافق الشيعة في أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون. فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعياً"<sup>(١)</sup>.

فهما أمران يجمعان الشيعة:

١- تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة.

٢- أحقيته رضي الله عنه وولده من بعده بالإمامة ثم إن عموم هذين الأمرين أوقع التضاد الكبير بين أقوال فرق الشيعة، وجعل فرقها بهذا العدد الكبير الذي قارب السبعين فرقة أو تزيد<sup>(٢)</sup>.

أما عن عمدة كلام الشيعة وأصل مذهبهم فهو الكلام في الإمامة، والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ.

\* قولهم في الإمامة: قالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة، ويتنصب الإمام بنصبهم؛ بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الفصل (٢ / ٢٧٠).

(٢) انظر الرسم المرفق.

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ٦٩)، منهاج السنة النبوية (١ / ٧٤)، الشيعة نشأتها وتطورها لمحمد أرشيد العقيلي (٢٩٠).

بل يجب على الرسول تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وقالوا: إن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهاذة السنة، ولا نقله الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة، وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جليّ وخفي<sup>(١)</sup>.

ثم اختلفوا في دلالة هذه النصوص على علي رضي الله عنه وافترقوا على هذا الأساس فرقاً:

١- فالإمامية ترى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي رضي الله عنه وتشخيصه، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده، ويتبرءون من الشيخين أبي بكر وعمر حيث لم يقدموا علياً ويباعوه بمقتضى هذه النصوص، ويغمصون في إمامتهما.

٢- أما الزيدية فترى أن هذه الأدلة إنما اقتضت تعيين علي رضي الله عنه بالوصف لا بالشخص، والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه، ولا يتبرءون من الشيخين ولا يغمصون إمامتهما، مع قولهم بأن علياً أفضل منهما، ولكنهم يجوزون المفضول مع وجود الأفضل<sup>(٢)</sup>.

ثم إن الشيعة اختلفت نقولها في مساق الخلافة بعد علي على أقوال، وافترقوا لذلك فرقاً، وهذا ما سيتضح إن شاء الله عند الحديث عن فرق الشيعة.

(١) انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٤) بتصرف سير، وانظر أصول الدين للبردوي (٢٥٤)، المحصل للرازي (٢٤٧). والشيعة في قولهم في الإمامة يخالفون قول أهل السنة والجماعة الذين يرون أن نسيبة الإمام واجبة، وهي فرض على الكفاية، ويرون أن الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار أهل الحل والعقد. انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء (١٩)، الفصل لابن حزم (٤/ ١٤٩)، المحصل للرازي (٢٤٠)، منهاج السنة النبوية (١/ ٥٥٠)، تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٠).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٤ - ١٦٥) باختصار وتصرف.

ثانياً- فرق الشيعة، وأهم معتقداتها: انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة قاربت السبعين فرقة أو تزيد، وفرقهم الكبار أكثر من عشرين فرقة<sup>(١)</sup>؛ واختلافهم هذا ناتج عن اختلافهم في مساق الخلافة بعد علي رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

واختلف كُتّاب الفرق والمقالات في عد أصناف الشيعة وفرقها الكبار إلى أقوال:

١- ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن الشيعة ثلاثة أصناف (الغالية- والرافضة وهي تشمل الإمامية والكيسانية- والزيدية)<sup>(٣)</sup>.

وذهب أبو محمد اليمني والياضي<sup>(٤)</sup> إلى أنهم افرقوا ثلاث طوائف (زيدية- وغالية- وباطنية) وأدخلا الإمامية تحت الباطنية<sup>(٥)</sup>.

وأما محمد السفاريني فعد أصولهم ثلاثاً: (غلاة- وإمامية- وزيدية)<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) انظر إلى الرسول وأوليائه موقف أهل السنة والشيعة بحث لخصه ورتبه محمد بن قاسم من منهج السنة النبوية لابن تيمية (١٢٥)، الملل والنحل (١/ ١٩٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠).
- (٢) انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٥).
- (٣) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥- ٨٨، ١٣٦).
- (٤) هو: عبد الله بن أسعد الياضي اليمني ثم المكّي، مؤرخ باحث متصوف. له مصنفات عدة منها: 'مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان'، توفي عام ٧٦٨هـ في مكة. انظر الشذرات (٦/ ٢١٠)، الأعلام (٤/ ١٩٨).
- (٥) انظر عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١/ ٤٤٨)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين للياضي (٧٢).
- (٦) انظر لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٨٠). هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحدِيث والأصول والأدب، محقق، من مصنفاته: 'كشف اللثام شرح عمدة الأحكام'، توفي سنة ١١٨٨هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٤).

٢- ذهب البغدادي<sup>(١)</sup> والاسفرايني<sup>(٢)</sup>، والرازي<sup>(٣)</sup> إلى أنها افرقت أربعة أصناف: (الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة أو الغالية).

٣- ذهب الشهرستاني إلى أنها خمس فرق: (كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية)<sup>(٤)</sup>.

٤- ومن العلماء من عدد فرق الشيعة دون تقسيمها إلى أصناف أو أقسام مثل الملطي<sup>(٥)</sup> والسكسكي<sup>(٦)</sup>، فذهبوا إلى أنها ثمان عشرة فرقة، وبيننا أقوالهم دون ذكر لأصناف ترجع إليها.

فالعلماء إذاً مختلفون في تقسيم أصول الشيعة، ومختلفون كذلك في التصنيف، فالأشعري مثلاً يصنف الكيسانية ضمن الإمامية<sup>(٧)</sup>، بينما ابن حزم يعتبرها شعبة من الزيدية وفي سيدهم<sup>(٨)</sup>، ونجد الشهرستاني يفرد الإسماعيلية مع أنها تدخل إما في الإمامية وإما في الغلاة<sup>(٩)</sup>، فلكل عالم اعتبار في تقسيمه، وله وجهة نظر في تصنيفه، ولعل تقسيمها إلى أربع أصناف (كيسانية، زيدية، إمامية، غلاة) أدق وأشمل، إذ المسألة الأساسية لديهم الإمامة، واختلافهم الرئيس في سوق الإمامة بعد على رضي الله عنه، لذلك تقسيمها على هذا الأساس أدق، فبين الفرق

(١) انظر الفرق بين الفرق (١٦، ٢٢).

(٢) انظر التبصير في الدين (٢٣) وإن كان لم يصرح بل هكذا ساقها أربعاً.

(٣) انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٠)، المحصل له (٢٤١).

(٤) انظر الملل والنحل (١ / ١٧٠).

(٥) انظر التنبيه والرد (١٨، ١٦٥).

(٦) انظر البرهان (٦٦).

(٧) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٩١).

(٨) انظر الفصل (٥ / ٣٦).

(٩) انظر الملل والنحل (١ / ١٧٠).

الثلاث (الكيسانية، الزيدية، الإمامية) اختلاف في الإمام الذي تتحله وتدعيه، والذي ساقته إليه الإمامة بعد وفاة علي رضي الله عنه، وعن الفرق الثلاث تفرقت فرق الشيعة<sup>(١)</sup>، ونضيف الفرقة الرابعة وهم الغلاة لانفراد الغلاة بأقوال كفرهم بها المسلمون، ولم تفرّد لأنها فرقة مستقلة في إمامها، إذ فرق الغلاة اندست بين أصناف الشيعة الثلاث السابقة، وإنما أفردت - كما تقدم - لغلوها وليان ضلالها، وهاك بيان مختصر لهذه الفرق الأربع:

- الكيسانية: ساق الكيسانية الإمامة على اختلاف بينهم إلى محمد بن الحنفية<sup>(٢)</sup>، إذ هم يجمعون على إمامة محمد بن الحنفية ثم اختلفوا فيما بينهم: فمنهم من قال إن إمامة محمد بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب مباشرة، وبعضهم قال بإمامته بعد الحسن والحسين<sup>(٣)</sup>.

واختلفوا أيضاً: فمنهم من قال إن إمامة محمد بن الحنفية بالنص من علي بن أبي طالب، ومنهم من قال بالاستدلال<sup>(٤)</sup>.

واختلفت الكيسانية بعد موت محمد بن الحنفية في سوق الإمامة بعده وصار كل اختلاف مذهباً وكون فرقة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الرسم المرفق في آخر هذا المطلب.

(٢) هو: محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم، والحنفية أمه، ينسب إليها تمييزاً له عن الحسن والحسين، كان عالماً ورعاً شجاعاً، مات في الطائف عام ٨١هـ. انظر الطبقات (٥ / ٩١)، الوفيات (٤ / ١٦٩).

(٣) انظر الرسم المرفق في آخر هذا المطلب.

(٤) انظر الملل والنحل (١ / ١٧١)، مقالات الإسلاميين (١ / ٩١)، الفرق بين الفرق (٢٩)، التبصير في الدين (٣٠).

(٥) انظر الملل والنحل (١ / ١٧٤)، وانظر الرسم المرفق.



وجميع فرق الكيسانية تجمع على تجويز البداء<sup>(١)</sup> على الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

يقول الشهرستاني مبيناً ما يجمع الكيسانية: "ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ<sup>(٣)</sup> والحلول<sup>(٤)</sup> والرجعة بعد الموت. فمن اقتصر على

(١) البداء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن، ومن قال بالبداء جوّز على الله تعالى وتقدّس أن يأمر بالشيء أو يخبر به ثم يبدو له فيه غيره، قال الشهرستاني: "والبداء له معاني: البداء في العلم وهو أنه يظهر له خلاف ما علم، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد، والبداء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك، والبداء وضعه أئمة الرافضة لشيعتهم حتى لا يظهر على أئمتهم كذب أبدأ، وأول من قال به المختار بن أبي عبيد الثقفي زعيم الكيسانية لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال إما بالوحي إليه، وإما برسالة من الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بشيء فإن وافقه كان قوله وجعله دليلاً على صدقه، وإن لم يوافق قال: بدا لربكم. انظر التعريفات للجرجاني (٤٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧١)، الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٩٢).

(٢) انظر الفصل (٥/ ٤٠)، التبصير في الدين (٣٠).

(٣) التناسخ هو تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تحلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتيين بين الروح والجسد، ويقصد به هنا انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي. انظر: التعريفات للجرجاني (١٧٥)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/ ١٠٣٢)، الفرق بين الفرق (٢٠٣)، الملل والنحل (١/ ٢٠٦)، قاموس المذاهب والأديان لحسين علي حمد (٦٦).

(٤) انظر الكليات للكفوي (٣٩٠)، الفتاوى (٢/ ١٠٧، ٢٢٣، ٢٨١)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٢/ ١٠٥٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي (١٩٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٦)، التعريفات للجرجاني (٩٨).

واحد معتقد أنه لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره، ثم متحسر عليه متحير فيه، ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة. وكلهم حيارى متقطعون، ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له؛ فلا دين له. نعوذ بالله من الخيرة، والخور بعد الكور، رب اهدنا السبيل<sup>(١)</sup>.

وأما عن سبب تسميتهم كيسانية قيل: إن المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي، وهو أول من دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية، كان يقال له كيسان، وقيل: إن كيسان مولى لعلي بن أبي طالب ونسبوا إليه<sup>(٢)</sup>.

- الزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وسموا زيدية لتمسكهم بقول زيد وإمامته<sup>(٣)</sup>.

والزيدية ترى أن تعيين علي بن أبي طالب للإمامة كان بالوصف لا بالشخص، وهم يجوزون إمامة المفضل مع وجود الأفضل، لذلك لا يتبرءون من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويصححون إمامتهما مع القول بأن علياً أفضل منهما وأولى بالإمامة.

والزيدية تسوق الإمامة بعد علي رضي الله عنه في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخّي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة: سواء كان من

(١) انظر الملل والنحل (١/ ١٧٠)، ومعنى الخور بعد الكور: أي الرجوع بعد الاستقامة والنقصان بعد الزيادة. وانظر البرهان للسكسكي (٧٠).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٩١)، الفصل لابن حزم (٤/ ١٥٩) حيث عدّها من الطوائف القديمة التي قد بادت.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٦).

أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما... وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة<sup>(١)</sup>.

والزيدية ترى وجوب الخروج على أئمة الجور<sup>(٢)</sup>، وتشترب في الإمام الخروج بالسيف<sup>(٣)</sup>. والزيدية توافق المعتزلة في العقائد، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من أئمة أهل البيت، أما في الفروع فأئمتهم يختلفون، منهم من يغلب عليه مذهب الحنفية، ومنهم من يغلب عليه مذهب الشافعي موافقة لا تقليداً، ومنهم من هو كسائر المجتهدين<sup>(٤)</sup>.

والزيدية أصناف ثلاثة: جارودية، وسليمانية، وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد<sup>(٥)</sup>، ثم إن كل صنف افرق فرقا<sup>(٦)</sup>.

ولقد اختلفت هذه الفرق لانقراضها، أو لذوبانها في فرق الشيعة الأخرى<sup>(٧)</sup>.

- الزيدية في العصر الحاضر: يتمركز الزيدية في العصر الحاضر في اليمن، إذ استطاعوا من إقامة دولة لهم هناك في نهايات القرن الثالث (٢٨٤هـ) على يد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين من ولد القاسم الرسي حفيد إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واستمرت دولة الزيود حتى قضى عليها القرامطة الإسماعيليون عام ٣٢٥هـ.

- (١) انظر الملل والنحل (١/ ١٧٩)، تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٥)، الفصل لابن حزم (٤/ ١٥٧).
- (٢) انظر العلم الشامخ للمقبلي (٣٨٩).
- (٣) انظر الملل والنحل (١/ ١٧٩)، تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٥)، الفصل لابن حزم (٤/ ١٥٧).
- (٤) انظر الملل والنحل (١/ ١٨٩)، العلم الشامخ للمقبلي (٣٨٩)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٠)، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي لأحمد شوقي العمرجي (١٩١، ٢١٨).
- (٥) انظر الملل والنحل (١/ ١٨٣).
- (٦) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٠).
- (٧) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي (٢٦٢).

وفي عام ١٣٢٢هـ استطاع يحيى بن منصور بن حميد الدين من قيادة ثورة ضد الأتراك وتأسيس دولة زيدية استمرت حتى عام ١٩٦٢م حيث قامت الثورة اليمنية، وانتهت الدولة الزيدية كحكم ولكن لازالت اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم<sup>(١)</sup>.

والزيدية الآن كما هي في السابق في عقائدهم معتزلة، يقول الشيخ صالح المقبل وهو من علماء أهل اليمن: 'كالزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة'<sup>(٢)</sup>.

ويذكر عنهم أيضاً أنهم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، فيقول: "وليعلم أن الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، فلا يعدون من الرافضة ولا من غلاة الشيعة، إذ مستقر مذهبهم الآن الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فضلاً عن الشيخين، وقليل منهم يتوقف"<sup>(٣)</sup>.

وأما في الفقه فالزيدية يتبعون المذهب الزيدي، وهو مذهب فقهي كسائر المذاهب الفقهية الأخرى يتفق معها في الأصول، وكثير من الفروع<sup>(٤)</sup>.

- الإمامية: هم القائلون إجماعاً بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة له بالعين<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) انظر دراسات عن الفرق لأحمد جلي (٢٤٧)، المقتطف من تاريخ اليمن لعبد الله بن عبد الكريم اليميني (١٠٣، ١٣٩، ٢٨٧، ٣٣١)، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن لأحمد حسين شرف الدين (٨١-١٠٤)، تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى حداد (١٧٧، ٢٤٩، ٢٩٠).
- (٢) انظر العلم الشامخ (١١)، تاريخ الفكر الإسلامي (١٣٥).
- (٣) انظر العلم الشامخ (٣٩٩)، أصول الدين للبزدوي (٢٥٥).
- (٤) انظر دراسات عن الفرق لأحمد جلي (٢٦٤)، تاريخ الفكر الإسلامي (١٦٥-٢٠٤).
- (٥) انظر الملل والنحل (١/ ١٨٩)، لوامع الأنوار للسفاري (١/ ٨٥).

ولادعائهم النص على إمامة علي رضي الله عنه، واشترطهم معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان سمو إمامية<sup>(١)</sup>.

والإمامية مجمعون على أن أكثر الصحابة ضلّوا بتركهم الاقتداء بعلي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وأدى ذلك بهم إلى الوقعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً، وأقله ظلماً وعدواناً<sup>(٣)</sup>.

وأجمع الإمامية على أن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال الثقية أن يقول إنه ليس بإمام. وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس.

وزعموا أن علياً رضي الله عنه كان مصيباً في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين إلا الكاملة منهم فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به، وأكفروا علياً بترك الطلب<sup>(٤)</sup>.

ويطلق على الإمامية رافضة وروافض<sup>(٥)</sup>. ويسمون القطعية<sup>(٦)</sup>. وإذا كانت الإمامية أجمعوا على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أنهم لم يشبوا في

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، مروج الذهب للمسعودي (٣ / ٢٣٧)، تاريخ ابن خلدون (١ / ١٦٥).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، الفصل لابن حزم (٤ / ١٥٦).

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ١٩١)، وانظر فضل الصحابة في التمهد، المبحث الثاني (١٨).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، مروج الذهب (٣ / ٢٣٧).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٨٩)، وما تقدم عن سبب تسميتهم روافض.

(٦) تطلق القطعية على كل من قطع بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وساق الإمامة في أولاده. انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٩٠)، الملل والنحل (١ / ١٩٨)، التبصير في الدين (٣٩).

تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين رضي الله عنهم على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها<sup>(١)</sup>.

وهم متفقون على الإمامة وسوقها إلى محمد الباقر أبو جعفر<sup>(٢)</sup>، وأغلبهم يسوقها من بعده إلى ولده جعفر الصادق، والذي بعد وفاته اشتد الاختلاف وكثرت الفرق بينهم لاختلافهم في المنصوص عليه بعده من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد وقيل ستة، ولما مات هؤلاء الأولاد كان منهم من مات ولم يعقب، ومنهم من مات وأعقب، فاختلّفوا: فقال بعضهم بالتوقف والانتظار والرجعة لإمامه، ومنهم من قال بالسوق والتعدي لأبنائه أو غيرهم. وكلما مات إمام وقعت فرقة واختلاف، وظهرت مزيد فرق<sup>(٣)</sup>.

هذا بالنسبة لسوق الإمامة، أما من حيث الاعتقاد في مسائل الأصول فقد كانوا في أول أمرهم على مذهب أئمتهم في أصول الدين، ولكن لما اختلفوا في سوق الإمامة، واختلفت النقول عن الأئمة وكثر الكذب عليهم، واندست الغلاة بينهم تباينت أقوالهم، فمن القول بالتشبيه والذي تزعمه هشام بن الحكم إلى القول بالتعطيل والسير على منهج المعتزلة<sup>(٤)</sup>.

يقول الشهرستاني رحمه الله: "وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم، وتمادى الزمان: اختارت كل فرقة منهم

(١) انظر الملل والنحل (١ / ١٩٣)، وانظر الرسم المرفق يوضح لك كثرة اختلافات القوم ومدى تفرقهم.

(٢) ذكر الشهرستاني (١ / ١٩٣) اتفاق الإمامية على سوق الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق وهذا خلاف ما ورد من فرقهم، انظر الرسم المرفق.

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ١٩٣، ١٩٩)، التبصير في الدين (٣٩). انظر الرسم المرفق.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ١٠٩) وانظر المطلب التالي عن نشأة التشيع (٣٥٠).

طريقة، فصارت الإمامية بعضها معتزلة ...، وبعضها إخبارية: ... ، ومن ضلّ الطريق وتاه لم يبال الله به في أي وادٍ هلك<sup>(١)</sup>.

والشيعة الإمامية التي لها وجود الآن وحضور قوي في العالم الإسلامي هم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية؛ إذ جمهور الشيعة منهم<sup>(٢)</sup>. وهم يسمون بـ "الجعفرية" باعتبار أن مذهبهم في الفروع هو مذهب الإمام جعفر الصادق فأكثر فقهم مأخوذ عنه كما يزعمون<sup>(٣)</sup>.

وأما عن سبب تسميتهم اثنا عشرية فذلك لسوقهم الإمامة في اثني عشر إماماً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى محمد بن الحسن القائم المهدي المنتظر<sup>(٤)</sup>، وهو آخر أئمتهم، والذي يعتقدون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء وغاب غيبة صغرى بدأت عام ٢٥٦هـ، أو بعدها بقليل، وانتهت سنة ٣٢٩هـ ثم غيبة كبرى، بدأت في هذا التاريخ ولم يعرف متى تنتهي، ولم يخرج حتى الآن<sup>(٥)</sup>.

• وعقيدة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في الإمام والإمامة هي نفس عقيدة الإمامية إذ هم مجمعون على أن الإمامة كانت بالنص والتعيين لعلي رضي الله عنه كما تقدم.

(١) انظر الملل والنحل (١/ ١٩٣) باختصار.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٩٠)، دراسات عن الفرق لأحمد جلي (١٧٩).

(٣) انظر الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير (٢٦٩).

(٤) انظر الرسم المرفق في أسماء أئمتهم وألقابهم، وانظر الشيعة الشيعية الإثنا عشرية لمحمد إبراهيم الفيومي (٣٤٧، ٣٨٧).

(٥) انظر الفصل لابن حزم (٤/ ١٥٨) (٥/ ٣٨)، منهاج السنة النبوية (١/ ٤٤)، الصواعق المحرقة للهيتمي (٢/ ٤٨٢)، دراسات عن الفرق لأحمد جلي (١٨٠)، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير (٢٧١).

- وجعلت الشيعة الاثنا عشرية كغيرهم من الإمامية عقيدتهم في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين.
  - وللأئمة والإمام عند الشيعة مكانة رفيعة عالية تجاوز حد المشروع، حتى زعموا أن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جلّ ثناؤه<sup>(١)</sup>، وأن لهؤلاء الأئمة مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وأن للأئمة مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل<sup>(٢)</sup>.
  - وزعم الشيعة أيضاً إن انقطاع الوحي للأنبياء لا يعني انقطاع علم الله عن الأئمة لأنه الله سدد خطى الأئمة بروح من عنده، لذلك أوامرهم ونواهيهم شرعاً، وهم حجة الله على الخلق تجب طاعتهم، ويجب اتباعهم<sup>(٣)</sup>.
  - والأئمة لديهم معصومون من جميع الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة، من أول العمر إلى آخره، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا سهواً<sup>(٤)</sup>.
- وإن كان بعض الشيعة المعاصرين أدرك خطأ هذا التصور للعصمة، فحاول تفسير العصمة تفسيراً مقبولاً بقولهم إن الأئمة كغيرهم من البشر يحبون ويكرهون ويرضون ويغضبون لكن في حدود أوامر الله ونواهيها، فحبهم للدين مغلوب دائماً
- 
- (١) انظر أفكار الشيعة للمرجع الديني محمد الشيرازي (٥-٦)، دراسات عن الفرق الجلي (١٩٨)، الشيعة والتشيع (٢٨٤).
- (٢) كتاب الحكومة الإسلامية لآية الله الخميني (٥٢) نقلاً عن دراسات عن الفرق (١٩٨)، الشيعة والتشيع (٢٨٤)، الشيعة في الميزان لمحمد النجرامي (٥٩).
- (٣) انظر الكافي للكليني (١/ ١٨٥، ٢٧٣) نقلاً عن دراسات عن الفرق (٢٠٢)، الحكومة الإسلامية للخميني (٣٤) نقلاً عن دراسات عن الفرق (٢٠٢).
- (٤) انظر أفكار الشيعة لمحمد الشيرازي (٦)، دراسات عن الفرق (٢٠٣)، رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي (٧٩).



لرضاء الله المسيطر على نفوسهم وقلوبهم، ولكن يظل تسوية الأئمة بالأنبياء في معنى العصمة موجوداً حتى لدى المعاصرين<sup>(١)</sup>.

• الرجعة: من عقائد الإمامية القول برجعة الأئمة، والمراد به: عود الإمام إلى الظهور بعد الغيبة: أو الاختفاء، أو عودته إلى الحياة بعد الموت<sup>(٢)</sup>. والشيعَة الاثنا عشرية ينتظرون عودة الإمام الثاني عشر المنتظر، أو الإمام الغائب الذي يحق دولة الإسلام في زعمهم، ويرتبط به تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً<sup>(٣)</sup>.

• ولاية الفقيه: بناءً على عقيدة الرجعة السابقة كان الشيعة يعطلون الجمعة والجماعة ولا يميزون الجهاد إلا مع الإمام المنتظر، حتى قام جمع من الشيعة بالدعوة إلى ما يعرف عندهم بولاية الفقيه، ومعناه: أن للفقيه الشيعي الولاية العامة- التي هي للإمام أصلاً- في إقامة الأحكام وتنفيذها، وتدير أمور الدولة وتنظيمها إلى أن يخرج الإمام.

وقد قاد هذه النظرية إلى التطبيق والتنفيذ في العصر الحاضر الخميني، وأخرج المذهب الشيعي من طور الجمود السياسي المتمثل في انتظار عودة الإمام الغائب ليقيم حكومة الإسلام إلى القول بوجود سعي الفقهاء إلى إقامة دولة يحكمها الإسلام.

وإن كان رأي الخميني قد عارض من بعض الشيعة إلا أنه تكلل بالنجاح، وقامت على ضوئه الثورة الإيرانية وتأسست جمهورية إيران الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر دراسات عن الفرق (٢٠٦).

(٢) انظر دراسات عن الفرق (١٨٠)، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير (٣٥٩)، ضحى الإسلام لأحمد أمين (٣/ ٢٤٦).

(٣) المرجع السابق، وانظر الشيعة في الميزان لمحمد النجرامي (٧٧).

(٤) انظر: دراسات عن الفرق (٢١١)، نقض كتاب الحكومة الإسلامية للخميني دراسة تحليلية نقدية لمحمود الخالدي (٤).

• التقية: من المبادئ الأساسية عند الشيعة، وركن من أركان مذهبهم، ومعناها: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا<sup>(١)</sup>.

ولقد اتخذ الشيعة التقية وسيلة لتحميل الكلام ما لا يحتمله من معاني خفية وجعلهم للكلام ظاهراً يفهمه كل الناس، وباطناً يفهمه الخاصة<sup>(٢)</sup>.

• زعم بعض الشيعة أن القرآن قد حُرّف وأنه زيد فيه وأنقص منه، واتهموا الصحابة رضي الله عنهم بكتمان آيات تذكر فضل آل البيت، أو فضل علي رضي الله عنه، ولكن علماء الشيعة المعاصرين الآن ينفون هذا القول، ويردون القول بتحريف القرآن، وإن كانوا لا يزالون يوكلون أمر فهم القرآن ومعرفة أسراره وبواطنه إلى أئمتهم<sup>(٣)</sup>.

• مما يؤخذ على الشيعة الاثني عشرية طعنهم في الصحابة رضي الله عنهم وقدحهم فيهم، وتنقصهم من الشيخين أبي بكر وعمر، وردهم لخلافتهما وخلافة عثمان بعدهما، وهذا قولهم في غالب الصحابة رضي الله عنهم، بل يصل الأمر ببعضهم إلى تكفيرهم، واتهامهم بأقبح الأمور<sup>(٤)</sup>، حتى صار شتم الصحابة لهم علامة، سئل الإمام أحمد بن حنبل: مَنْ الرافضة؟ قال: الذي يشتم أبا بكر وعمر رحمهما الله<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: دراسات عن الفرق (٢١٧)، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله (٨٠ - ١٠٤).

(٢) انظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين (٣ / ٢٤٨)، رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي (١٠٤)، بطلان عقائد الشيعة لمحمد التونسي (٧٢).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (٥ / ٤٠)، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة لمحج الدين الخطيب (٨، ٥٧)، الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله (٥٥).

(٤) انظر الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير (٤٩)، أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب لأبي محمد الحسيني (١٦٠)، الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله (٤٥).

(٥) انظر السنة للخلال (٣ / ٤٩٢)، كتاب الإمامة لأبي نعيم (٢١٦).

• كما طعن الشيعة في الصحابة طعنوا أيضاً في السنة النبوية إذ الصحابة نقلتها، وردوا كتب السنة المعتمدة عند المسلمين كصحيح البخاري، ومسلم وكتب السنن، ولم يقبلوا إلا ما ورد عن أئمتهم، ثم هم يسوون بين أقوال الرسول ﷺ وبين أقوال الأئمة إذ الكل معصوم عندهم<sup>(١)</sup>.

- الغلاة: القسم الرابع من أقسام فرق الشيعة: الغلاة، وهم كل من تجاوز حد المشروع والمعقول في أئمتهم<sup>(٢)</sup>، وهم قسمان:

١- قسم أوجب النبوة لأئمتهم، وهم فرق كالغراية والبيانية.

٢- وقسم أوجب الإلهية لأئمتهم<sup>(٣)</sup>، واختلفوا في سبب ألوهية الأئمة فرقاً، فقال بعضهم: إن الأئمة بشر اتصفوا بصفات الألوهية، وقال آخرون: إن الإله حلّ في ذات الإمام البشرية، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه.

ومن فرق الغلاة من يقول: إن كمال الإمام لا يكون لغيره، فإذا مات الإمام انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ.

ومنهم من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم، وهؤلاء هم الواقفية، وانقسم الواقفة إلى قسمين في معنى هذا الوقوف على الإمام: فبعضهم يقول إن الإمام حي لم يمّت إلا أنه غائب عن أعين الناس؛ مثل من قال: إن علياً رضي الله عنه حي، وإنه في السحاب، والرعد صوته

(١) انظر الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير (٦٥)، الشيعة في الميزان لمحمد يوسف النجرامي (١١٣-١١٥).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٥)، الملل والنحل (١/ ٢٠٣).

(٣) انظر الفصل لابن حزم (٥/ ٤٢).

والبرق سوطه، وقالوا مثله في محمد بن الحنفية، وأنه حي في جبل رضوى من أرض الحجاز.

والقسم الثاني من الواقعة الغلاة يقولون إن الإمام الذي مات سيرجع إلى حياته الدنيا<sup>(١)</sup>. يقول الشهرستاني: "وإدع الغلاة محصورة في أربع: التشبيه<sup>(٢)</sup>، والبداء، والرجعة، والتناسخ، ولهم ألقاب وبكل بلد لقب، فيقال لهم بأصبهان: الخُرْمِيَّة، والكوزية، وبالري المزدكية، والسبازية، وبأذربيجان: الدقولية، وبموضع المحمرة، وبما وراء النهر: المبيضة... والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول"<sup>(٣)</sup>.

والملاحظ أن دعوة التشيع أول ما ظهرت ظهرت بأقوال هؤلاء الغلاة على لسان عبد الله ابن سبأ وأتباعه، ثم كانت حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي تستر بحب آل البيت والتشيع لهم لتحقيق مطامعه في الرئاسة والسلطة. وهذا شأن الغلاة يستترون بشعار حب آل البيت ويندسون في صفوف الشيعة ويموهون على العامة ويروجون معتقداتهم الباطلة.

وصار التشيع مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، وكل من أراد أن يدخل تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ولكل من يريد استقلال بلاده، والخروج على مملكته؛ كل هؤلاء يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تاريخ ابن خلدون (١ / ١٦٥ - ١٦٦) باختصار وتصرف، الملل والنحل (١ / ٢٠٣).

(٢) من الفرق الغالية القائلة بالتشبيه: فرقة النعمانية أو الشيطانية، وفرقة الهشامية. انظر الملل والنحل (١ / ٢١٨).

(٣) الملل والنحل (١ / ٢٠٤ - ٢٠٥) باختصار.

(٤) انظر فجر الإسلام لأحمد أمين (٢٧٦) باختصار وتصرف، وانظر الفصل لابن حزم (٥ / ٤٨)، منهاج السنة النبوية (١ / ٨٠)، قطر الولي على حديث الولي للشوكاني، تحقيق إبراهيم هلال (٢٩٩)، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول لعلي عبد الرحمن العمرو (٣٠٦ - ٣٦٢)، التشيع للبنداري (٤٣)، الشيعة والتشيع لظهير (١٨٧).

والفرق الغالية هذه يكفرهم ولا يعترف بهم علماء الشيعة وعلماء السنة على السواء، يقول ابن خلدون: "وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة، فإنهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها"<sup>(١)</sup>.

ومن الفرق الغالية التي لها وجود الآن فرقة الإسماعيلية الباطنية<sup>(٢)</sup>. والتي من ألقابها: القرامطة والمزدكية والملحدة، وقد تفرع عن الإسماعيلية فرق عدة الموجود والمشهور منها: الأغاخانية أو النزارية أتباع أغاخان والذين يتواجدون بشكل رئيس في كراتشي ويكثرون في مدينة سلمية في سوريا ومناطق أخرى، ومن فرقهم البهرة أو المستعلية والذين يوجدون بشكل رئيس في بومباي والهند واليمن، والسليمانية<sup>(٣)</sup>.

ومن الفرق التي تفرعت عن الإسماعيلية ولها وجود الآن "الدروز" والتي تقول بالتناسخ والحلول كشأن الفرق الغالية، ومن أهم عقائدها القول بألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي<sup>(٤)</sup>، وتقيم هذه الطائفة في مناطق عديدة من بلاد الشام، في منطقة الشوف بלבنا، وبجبل الدروز في جنوب سوريا، وفي هضبة الجولان المطلة على فلسطين، وآخرون يقيمون في شمال فلسطين<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٦٦)، وانظر الشيعة والتشيع لظهير (٢٦٦)، الجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبد الله (١٥، ٢٧).
- (٢) سموا باطنية لأنهم يقولون إن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ويتأولون ويحرفون الدين على هذا المبدأ، ويقولون إن للقرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، انظر الملل والنحل (١/ ٢٢٩)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب (١٩).
- (٣) انظر الشيعة والتشيع لظهير (٢٣٥)، الإسماعيلية المعاصرة لمحمد أحمد الجوير (١٣١)، طائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين (١١٠).
- (٤) انظر الشيعة والتشيع لظهير (٢٣٦)، عقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب (١٢١).
- (٥) انظر الحركات الباطنية لمحمد الخطيب (١٩٩)، دراسات عن الفرق (٣٣٥).

ومن الفرق الغالية والتي لها وجود الآن فرقة "النصيرية"، والتي تقول بألوهية علي بن أبي طالب، ويعتقدون بتناسخ الأرواح، وبالتأويل الباطني للنصوص والأخبار<sup>(١)</sup>.

وتسكن النصيرية في الجبال المسماة باسمهم من جبال اللاذقية في سوريا، ومنهم من يسكن في جنوب تركيا وأطراف لبنان الشمالي، وفارس وتركستان الروسية وكردستان، ولهم أسماء محلية يعرفون بها مثل "التختجية" و"الخطابين" و"العلي إلهية"، و"العلويين"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الفرق أكفرها علماء المسلمين، ولم يعدوها من الفرق الثنتين والسبعين فرقة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الحركات الباطنية (٣٢١)، الجذور التاريخية للنصيرية (٥٣، ١١٦)، دراسات في الفرق لصابر طعيمة (٤٢).

(٢) انظر: الحركات الباطنية (٢٢٣)، الشيعة والتشيع (٢٥٧).

(٣) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ٨٩ - ٩٨)، الصارم السلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٨٦)، الفرق بين الفرق للسبغادي (١٩٢، ٢٠٤، ٢١٣)، الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٢ / ١)، تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٦).

## "ملحق"

### رسم توضيحي لفرق الشيعة

هذا الرسم التوضيحي يبين أغلب فرق الشيعة، ولم أحصرها كلها لكثرة تفرقتها وتفرعها، ولوجود فروع للفرق ليس لها أسماء بل أقوال فقط، فاخترت أن أذكر أغلب فرق الشيعة وأكبرها. وهذا الرسم جاء مبيناً فرق الشيعة باعتبار الإمام الذي تنتحله الفرقة وتنسب إليه.

وكان هدفي من إيراد الرسم:

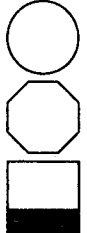
- ١- إيضاح فرق الشيعة بأسلوب ميسر، ليسهل ذلك على القارئ.
  - ٢- ليعلم المطلع على هذا الرسم مدى فرقة القوم وتشعبهم وكثرة اختلافهم؛ وكفى بهذا بياناً لبطلان مذهبهم، وصدق الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء ٨٢)
- وقد ظهر لي أثناء التتبع اختلاف كُتّاب الفرق في تسمية الفرقة أحياناً، وذكر بعضهم لفرق لم يذكرها الآخرون، ولعل هذا راجع لاختلاف زمن التصنيف إذ كل مؤلف يذكر ما في عصره، والفرقة الواحدة قد يتغير اسمها وقد تحدث بدعاً جديدة، وقد تنقرض وتتلاشى، فدينهم متغير، وأسماءهم متغيرة، ولا ضمان لبقاء أحدهم، لذلك أذكر أحياناً أكثر من اسم للفرقة. أما مفاتيح الرسم فهي الآتي:

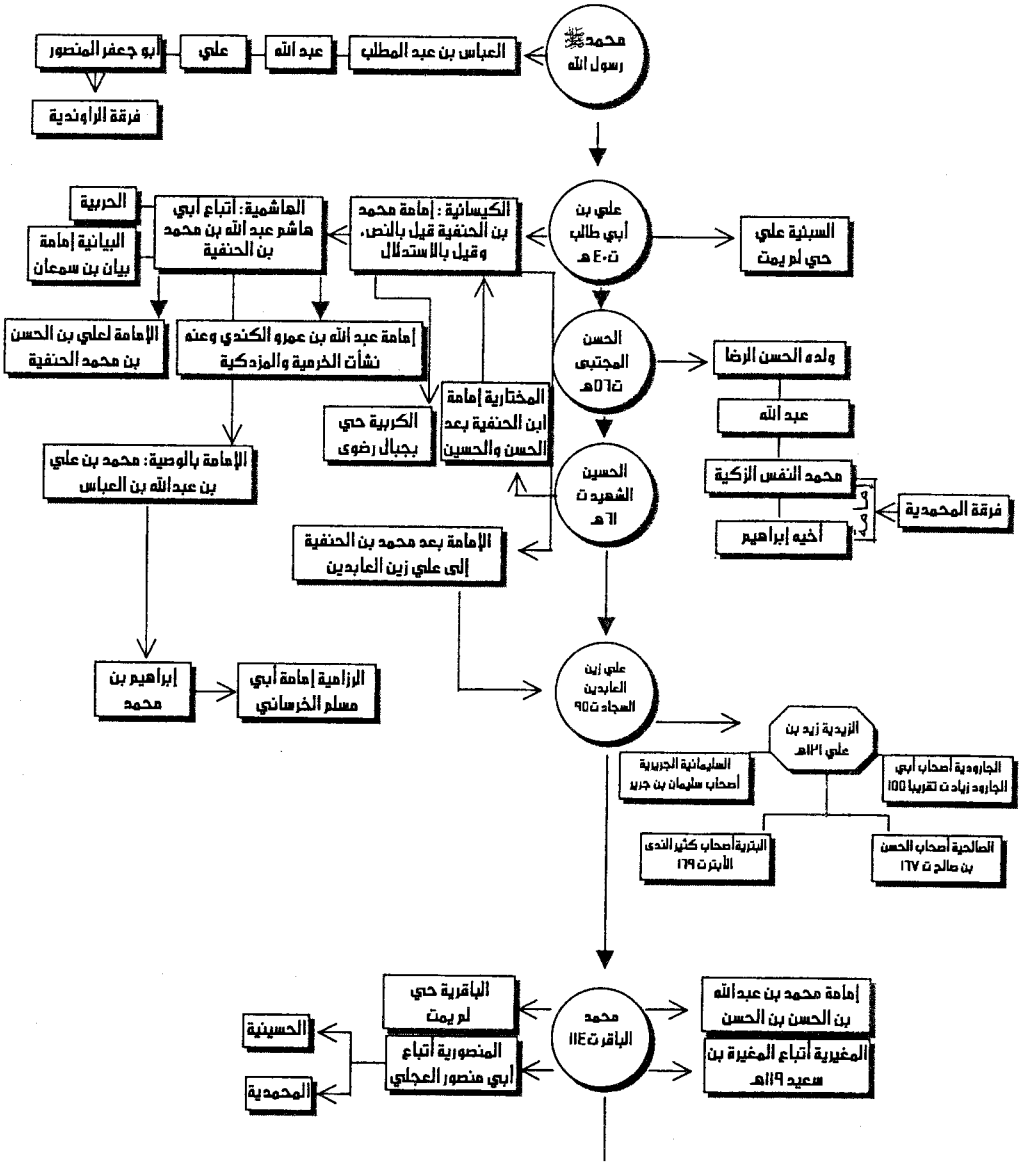
الأئمة الاثنا عشر عند فرقة الإمامية الاثني عشرية.

الفرقة التي لها وجود قوي الآن.

غلاة الشيعة، ووضعته للفرق الرئيسة فقط، والفرع يتبعهم.

( ت ٤٠ ) زمن الوفاة.









## المطلب الثاني

## نشأة التشيع

تقدّم عند الحديث عن الخوارج<sup>(١)</sup> الحديث عن الفتنة، وكيف كان دور عبد الله بن سبأ واضحاً في تأليب الناس، وتحريضهم على الخروج على عثمان رضي الله عنه والمطالبة بخلعه، وما تمخضت عنه هذه الفتنة من قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يكن يتردد آنذاك اسم الشيعة أو التسمي بشيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل كل ما هنالك أن عبد الله بن سبأ ارتحل من الحجاز إلى البصرة ثم الكوفة ومر بالشام يبغى تأليب الناس على عثمان رضي الله عنه، وبدأ من خلال ذلك يبيث أفكاره في علي بن أبي طالب بشكل سري وعند الخاصة فقط، أو يعرضها ملمحاً لا مصرحاً، إلا أن والي البصرة لما علم به أخرجه منها، وكذلك فعل أهل الكوفة والشام، إذ أخرجوه فارتحل حينها إلى مصر واستقر بها، ولم ينقطع عن مراسلة دعاة الفتنة وأهلها في الكوفة والبصرة، بل كان يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم<sup>(٢)</sup>.

ومن مصر وفيها عمل عبد الله بن سبأ على بثّ دعوته، وتحريض الناس على الخروج على عثمان بن عفان، ومن خلال هذه الدعوة بدأ يؤسس سراً أصول عقائد الشيعة وإن لم يعلنها، أو يصرّح باسم التشيع والشيعة، ولعل هذا الاسم لم يخطر له ببال، يقول الضبي رحمه الله: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء<sup>(٣)</sup>، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عن أحد من

(١) انظر الباب الثاني، الفصل الثاني، المبحث الأول (٢٨٩).

(٢) انظر: الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي جمع أحمد عرموش (٤٢).

(٣) لذلك يطلق على عبد الله بن سبأ: ابن السوداء من أجل أمه.

أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِأَهْدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (التصوير ٨٥)، فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى. قال فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهمضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالظعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبثّ دعائه، وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك<sup>(١)</sup>.

إذن دعوة عبد الله ابن سبأ السرية تختلف عن دعوته في الظاهر... ففي السر وعند الخاصة- أو ضعفاء العقول والعلم- كان يروج هذه الأفكار، والتي أصبحت من معتقدات الشيعة وهي:

١- القول برجعة محمد ﷺ إلى الدنيا، وصارت عند الشيعة القول برجعة الأئمة.

٢- القول بالوصية لعلي ﷺ وأن الوصية كانت بالخلافة.

(١) الفتنة ووقعة الجمل (٤٨)، وانظر تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٣٩)، الفرق بين الفرق (١٧٨)، الرد على الرافضة للمقدسي (٥١).

٣- الزعم بأن علياً عليه السلام خاتم الأوصياء.

٤- الزعم أن عثمان بن عفان قد اغتصب الخلافة الموصى بها إلى علي، وأنه أخذها بغير حقها، ثم الشيعة قالوا في أبي بكر وعمر بمثل ذلك.

٥- وجوب إنكار المنكر على عثمان لأخذه الخلافة من علي، والمطالبة بردها لعلي، وانسحب هذا الأمر عند الشيعة على كل الولاية من غير آل البيت.

ولقد كان أهل مصر خاصة هواهم وميلهم إلى علي بن أبي طالب إذ فشت فيهم هذه الأفكار، بخلاف أهل البصرة والكوفة<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن ترويح هذه الأفكار في هذه الفترة كان في السر، ولبعض الناس، ومن هنا كان بث معتقدات الشيعة سابق على ظهور اسم الشيعة أو فرقة الشيعة.

ورغم محاولات ابن سبأ في بثّ هذه المعتقدات عند أهل مصر إلا أن التأثيرين على عثمان المطالبين بخلعه المستجيبين لدعوة ابن سبأ لم يتسموا بالشيعة، بل سموا بالغوغاء، وبالقراء، وبنزاع القبائل والسبئية<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أن إطلاق اسم "السبئية" عليهم لا يعني اعتقاد جميعهم معتقدات السبئية السابقة التي نادى بها ابن سبأ، والتي أخرجت فيما بعد فرقة السبئية<sup>(٣)</sup>، إذ لم

(١) كان أهل البصرة والكوفة ينكرون شأن الولاية ويريدون الخروج لإنكار المنكر على عثمان فقط، وكان هوى أهل البصرة في تولية طلحة، وأهل الكوفة في الزبير. انظر ما تقدم عن نشأة الخوارج في الفصل السابق.

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣/ ٤، ٩، ٤٣).

(٣) فرقة السبئية من فرق الشيعة الغالية، انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، التنبيه والرد للملطي (١٨).

يكن ابن سبأ يجهر بدعوته تلك، وإنما أطلق عليهم سبئية باعتبار أن ابن سبأ فيهم، وأنه هو الذي حرضهم على الخروج على عثمان رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

ومن فتنه السبئية هذه خرجت فرقتان هما: الخوارج والشيعة، وظهر افتراقهم وتمايزهم بعد وقعة صفين.

فاسم الشيعة وإطلاق التشيع لم يبدأ بالظهور إلا بعد صفين <sup>(٢)</sup>، ولم يكن هذا الاسم يعني فرقة دينية ذات معتقدات خاصة تخالف بها الجماعة، بل أول ما أطلق كان يراد به معنى التشيع اللغوي وهو النصر والاتباع <sup>(٣)</sup>، إذ أول ما ورد ذكره في وثيقة التحكيم التي أبرمت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، والذي أنهى وقعة صفين بينهما، والذي جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضي

(١) وممن يذكر أنه من السبئية مثلاً: عمير بن ضابيء، البرجمي الحنظلي، وقد كان من الخارجين على عثمان والمشاركين في محاولة قتله، فنسب للسبئية لخروجه على عثمان وسبه له، دون اعتقاده معتقدات السبئية السرية آنذاك. انظر عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان العودة (٢٢٠).

(٢) قال بعض الشيعة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من وضع بذرة التشيع، وقال آخرون منهم: أن التشيع كان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، وهذه كلها من مزاعم الشيعة التي ليس عليها دليل. انظر: الفتاوى لابن تيمية (٢٠ / ١٣)، تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٧١)، الشيعة والتشيع لاحسان إلهي ظهير (١٩)، دراسة عن الفرق لأحمد جلي (١٥٢)، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي لمحمد البنداري (١٩).

(٣) انظر الشيعة والتشيع لاحسان إلهي ظهير (٣٧)، دراسة عن الفرق لجلي (١٥٩).

معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين... إلى قوله: "وإن توفي أحد الحكمين فإن أمير الشيعة<sup>(١)</sup> يختار مكانه..."<sup>(٢)</sup>.

ونجد ذكر وتردد اسم "الشيعة" أو "شيعة علي عليه السلام" يأتي بعد خروج الخوارج وإنكارهم أمر التحكيم - وكأنه جاء كردة فعل لذلك - ولكنه يحمل معناه اللغوي فيعني الأتباع والأنصار، يقول الطبري رحمه الله: "ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه، وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>.

وفي موقف آخر حينما تجهز علي رضي الله عنه لقتال أهل الشام ليردهم إلى الطاعة والجماعة؛ تكلم بعض الناس في أنه لو سار إلى الخوارج وقتلهم أولاً لكن أولى، فخطب رضي الله عنه في المسلمين وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أما بعد، فإنه قد بلغني قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله خولاً. فتنادى الناس من كل جانب: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت. فقام رجل<sup>(٤)</sup> وقال: يا أمير المؤمنين، نحن حزبك وأنصارك، نعادي من عاديت، ونشايع من أناب إلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك، من كانوا وأينما كانوا... وقام آخر<sup>(٥)</sup> فقال: يا أمير المؤمنين، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع على نصرتك والجد في جهاد عدوك فأبشر بالنصر..."<sup>(٦)</sup>.

(١) أمير الشيعة: أي: أمير الجماعة والاتباع، جماعة علي أو جماعة معاوية رضي الله عنهم.

(٢) انظر النص كاملاً في تاريخ الطبري (٣/ ١٠٣).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٦).

(٤) هو صيفي بن فسيل الشيباني.

(٥) هو محرز بن شهاب التيمي من بني سعد.

(٦) انظر تاريخ الطبري (٣/ ١١٨) باختصار.

فالشيعية أطلقت وقصد بها الأتباع والأنصار. ولقد حاول دعاة الفتنة وعلى رأسهم عبد الله ابن سبأ استغلال هذا التوجه لدى أنصار علي بن أبي طالب وأتباعه أو "شيعية علي" وتصيّد العوام والجهّال لبث المعتقدات التي كان يُسر بها في عهد عثمان بن عفان، فظهر في خلافة علي بن أبي طالب ثلاث طوائف يجمعها ادعاء محبة علي وزعم نصرته، وكل طائفة تخالف الأخرى وهي:

١- طائفة زعمت ألوهية علي.

٢- وطائفة خاضت في سب أبي بكر وعمر.

٣- وطائفة فضّلت علي على أبي بكر وعمر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وحدث في أيامه<sup>(١)</sup> الشيعة لكن كانوا مختلفين بقولهم،

لا يظهرونه لعلي وشيعته، بل كانوا ثلاث طوائف:

- طائفة تقول: إنه إله، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقتهم بالنار...

- والثانية: السابة: وكان قد بلغه عن ابن السوداء<sup>(٢)</sup> أنه كان يسب أبا بكر

وعمر فطلبه..

- والثالثة: المفضلة: الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر..<sup>(٣)</sup>

وكان علي بن أبي طالب ينهى هذه الطوائف الثلاث ويعزرها بما يراه

مناسبا<sup>(٤)</sup>، وما قبل ولا رضي إلا الشيعة الأولى، وهم الشيعة بمعنى النصره

والتبعية، والتي كان يشترط لها موافقة الكتاب والسنة<sup>(٥)</sup>.

(١) أيام علي بن أبي طالب.

(٢) أي: عبد الله بن سبأ.

(٣) الفتاوى (٢١ / ١٣) باختصار.

(٤) سيأتي بيان موقف علي بن أبي طالب منهم في المبحث الثاني إن شاء الله (٣٦٦).

(٥) انظر تاريخ الطبري (٣ / ١١٦).

ومن الأقوال التي روجت في حياة علي بن أبي طالب وأصبحت فيما بعد من معتقدات الشيعة: الزعم بأن لدى علي بن أبي طالب علماً ليس عند غيره، وأن النبي ﷺ خصّه بعلوم لم يطلعها علي غيره من الصحابة، ولقد حاول المفسدون المنافقون بثّ ذلك بين الناس إلا أن علياً أبطل هذا الزعم ورد على قائله<sup>(١)</sup>. وما أن توفي رضي الله عنه وأرضاه حتى قام عبد الله بن سبأ يؤكد المعتقدات السابقة التي كان يبثها، ويدعو إلى معتقدات جديدة، مستغلاً وفاة علي الذي كان ينهى ويعاقب من يخالف الكتاب والسنة. كما عمل ابن سبأ على إضفاء القدسية على شخص علي رضي الله عنه والزعم بتميزه عن غيره، وقد حصل ذلك وانسحب على الأئمة من بعده كما هو في عقائد الشيعة.

يقول البغدادي معرفاً السبئية: "أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله... فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي... وقد قيل له إن علياً قد قتل، فقال: إن جئتمونا بدماعه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء يملك الأرض بحذاقها"<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ على ابن سبأ أن أفكاره التي يدعو إليها ويبثها لم تكن منظمة، أو مخطط لها على مراحل، وكذلك لم يدعُ إليها مرة واحدة، ولكنه فيما يبدو أن الهدف واضح لديه ومحدد بالنسبة إليه، ويحاول تحقيقه بأكثر من وسيلة وعند أي طائفة، كلما سنحت له الفرصة.

(١) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل (٣٦٢).

(٢) الفرق بين الفرق (١٧٧) باختصار، وانظر البرهان للسكسكي (٨٥).



وهدفه: تخريب هذا الدين العظيم من الداخل بإفساد المعتقد الصحيح، ويهدف أيضاً إلى هدم كيان الأمة الإسلامية ببث الفرقة فيها وإحداث الفرق بينها، والعمل على نشر البدع المكفّرة الكفيلة بتفكيك المجتمع المسلم.

لذلك نراه في كل حين يخرج ببدعة جديدة، ويخترع معول هدم جديد، يدور حول مناقضة العقيدة الإسلامية النقية.

وفي متابعة الأحداث عن نشأة التشيع ما حدث بعد وفاة علي إذ التفت شيعة علي عليه السلام - والسبئية قد اندسوا فيهم - حول الحسن بن علي وبايعوه بالخلافة، ثم كان ما كان من تنازله رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ حقناً لدماء المسلمين وجمعاً لكلمة الأمة حتى سمي ذلك العام عام الجماعة<sup>(١)</sup>.

ثم إن السبئية لم يستطيعوا أن يظهروا شيئاً في خلافة معاوية عليه السلام، بل أقاموا يتناجون في السر باستحقاق آل البيت بالخلافة، وهم محجوجون بتنازل الحسن، وسكوت الحسين ورضاه بخلافة معاوية رضي الله عنهم أجمعين<sup>(٢)</sup>.

وما إن مات معاوية عام ٦٠ هـ وبويع لابنه يزيد إلا وبدأت أصابع الفتنة تعبت من جديد بالأمة مدعية التشيع لآل البيت، فأقدم شيعة الكوفة بمراسلة الحسين بن علي والطلب بقدمه لمبايعته بالخلافة، وما زالوا يرأسلونه وهو في الحجاز حتى قدم إليهم بأهله وقرابته، ولكن أهل الكوفة خذلوه وتحلوا عن نصرته لما توعدهم ووعدهم والي الكوفة عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقتل الحسين عليه السلام في كربلاء عام ٦١ هـ.

وبعد وفاة الحسين بدأ التشيع يأخذ منحاً وطابعاً آخر؛ إذ وجد السبئية وطلاب الدنيا في مقتل الحسين فرصة للتحريض على الخروج على إمام المسلمين لتحقيق

(١) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الرابع، المبحث الثاني عن سلامة الصحابة من الفرقة (٢٣٤).

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٧١).

مطامعهم، واستغلال محبة المسلمين لآل البيت لاستنزاف دماء الأمة والعمل على تفريقها.

ففي عام ٦٦ هـ قامت دعوة المختار بن أبي عبيد الثقفي مستترةً بحب آل البيت والتشيع لهم رافعة شعار الثأر للحسين عليه السلام، فلاقت رواجاً كبيراً، وتجمهر كثير من الناس حول المختار الثقفي الذي زعم أن محمد بن الحنفية هو المهدي وأنه داعية إليه، ثم استغل تمكنه والتفاف الناس حوله وبعده محمد بن الحنفية عنه إلى الدعوة إلى نفسه<sup>(١)</sup>، والزعم عند جلسائه وخواصه أنه نبي وأن الوحي ينزل عليه<sup>(٢)</sup>.

ومن فتنة المختار خرجت فرقة الكيسانية التي تدعو إلى محمد بن الحنفية على اختلاف بين فرقها وفي أقوالها<sup>(٣)</sup>.

وما يزال التشيع يزداد تعصباً لآل البيت، وتزاد الشيعة اختلافاً فيمن هو أحق بالإمامة من آل البيت إذ طال الزمن وتشعب نسل أهل البيت، فبايعت كل طائفة لصاحبها سراً وهي لا تجرؤ على الظهور أو التمكّن لقوة دولة بني أمية<sup>(٤)</sup>.

وحدث تحوّل وانقسام مهم في تاريخ فرق الشيعة بعد وفاة علي بن الحسين زين العابدين عام ٩٥ هـ إذ اختلفت الشيعة في الإمام بعده<sup>(٥)</sup>، فقسم قال بإمامة ابنه زيد بن علي، والذي خرج عام ١٢١ هـ في الكوفة ودعا إلى نفسه واجتمع حوله

(١) كانت نهاية المختار على يد جيش قاده مصعب بن الزبير تحت ولاية عبد الله بن الزبير عام ٦٧ هـ. انظر الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨٢ - ٣٨٥).

(٢) انظر الفرق بين الفرق (٣٢).

(٣) انظر الشيعة نشأتها، تطورها لمحمد أرشيد العقيلي (٧٨).

(٤) انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٧٢)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨٢ - ٣٨٥)، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير (١٩٩).

(٥) انظر الشيعة والتشيع لظهير (٢٠٤).

عامة الشيعة، ثم إنهم سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر فتولاهما وترضى عنهما، فرفضه جماعة كبيرة منهم وتحلوا عنه وهو على وشك مواجهة جيش بني أمية فسمي هذا القسم رافضة وروافض، وسُمي أتباعه ومن قال بقوله في الترضي عن الشيخين أبي بكر وعمر سموا "زيدية" نسبة إليه<sup>(١)</sup>.

وهذا القسم الذي رفض إمامة زيد لتوليه الشيخين انضم إلى من تولى أخاه محمد الباقر (ت ١١٤)، وبعده ابنه جعفر الصادق (ت ١٤٨) وفي هذه الفترة بدأ الشيعة يتجاهرون، وبدأت تصوغ مبادئها وتكون فقهها، وعقائد السبئية الأولى مبثوثة فيها، وتحاول تأكيد عقائدها بنسبتها لأئمة آل البيت، وصار التشيع قائماً على أقاويل الرجال وأفعالهم؛ دون تثبت بصدورها عنهم إذ يكفي نسبتها إليهم ولو كذباً إن كانت توافق أهوائهم، وحتى لو ثبت ما يعارضها عن أئمة آل البيت ادّعوا أن صدورها من باب التقية<sup>(٢)</sup>.

وبعد وفاة جعفر الصادق عام ١٤٨هـ زاد الاختلاف بين الشيعة وافترقوا إلى فرق أكثر من قبل لاختلافهم في الإمام بعده، فكل طائفة نصبت لها إماماً من أولاد جعفر وفضلته على بقية إخوته، وانتسبت إليه، وسأقت الإمامة في ذريته، وإذا مات اختلفوا، وفي كل حال وكل فرقة تبتدع أقوالاً وأصولاً تناسبها<sup>(٣)</sup>.

ومن العجيب أن من أئمة الشيعة من لم يكن من آل البيت، ولكنه ادّعى الإمامة بالوصية من الإمام إليه، ووجد له أتباعاً وكون له فرقة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تاريخ ابن خلدون (٣ / ١٧٢)، الكامل لابن الأثير (٤ / ٢٤٦)، الفرق بين الفرق (٢٤)،

الشيعة لمحمد أرشيد العقيلي (٧٨)، وقيل إنه خرج عام ١٢٢هـ

(٢) انظر الشيعة والتشيع لظهير (٢١٣-٢١٦).

(٣) انظر الشيعة والتشيع لظهير (٢٢٤ وما بعده)، وانظر الرسم المرفق في بيان فرق الشيعة.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٧٩).

وفي هذه الفترة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري تأثر التشيع بعلم الكلام، وصيغت وحددت أصول التشيع من القول بالإمامة والقول بالوصية، ومحاولة الرد على المخالفين مما لم يكن موجوداً من قبل، يقول د/ أحمد جلي: "وإذا استثنينا ما ورد من نسبة بعض هذه الآراء إلى ابن سبأ وجماعة السبئية، فإن كثيراً من المصادر تشير إلى أن هذه المبادئ<sup>(١)</sup> لم تعرف عند الشيعة قبل هشام بن الحكم (توفي سنة ١٩٠هـ) أحد متكلمي الشيعة، والذي يقال إنه ابتدع هذا القول وأخذه عنه معاصروه. يقول عنه ابن النديم: "إنه ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب والنظر، وألّف في هذا المقام كتاب الإمامة" وكتاب الرد على من قال بإمامة الفضول، وكتاب الوصية والرد على من أنكرها<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ارتباط معتقدات الشيعة وتبلور مذهبهم بهذه الفترة التي ظهر فيها هشام بن الحكم وأمثاله<sup>(٣)</sup>... أن معظم أسانيد الشيعة عن النص والوصية ترجع وتنتهي عند جعفر الصادق (توفي سنة ١٤٨هـ)، ووالده أبو جعفر محمد بن علي، فإليهما وإلى علي الرضا<sup>(٤)</sup> تنسب أغلب الروايات عن النص والوصية ورجعة الأئمة وعصمتهم... وكان الكلام من قبل في التفضيل ومن هو أولى بالإمامة وما يجري مجراه...

(١) القول بالإمامة والوصية كما سيتضح من كلامه الآتي.

(٢) انظر الفهرست لابن النديم (٢١٧-٢١٨).

(٣) مثل هشام بن سالم الجواليقي (ت ١٥٠)، ووزارة بن أعين، وشيطان الطاق محمد بن النعمان.

(٤) ينبغي أن يعلم أن أئمة آل البيت بريئون مما تدعيه الشيعة وتنسبه إليهم، فقد كانوا رحمهم الله ملتزمين بالكتاب والسنة، سائرين على هدي سلف الأمة قولاً وعملاً كما كان أبوهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. انظر: كتاب الشريعة (٥/ ٢٣١٥-٢٥١١)، الصواعق المحرقة (١/ ١٥٤)، آل الرسول وأولياؤه للقاسم (١٢، ١٠٤، ١٩٥)، قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (٢٩٨). وانظر المبحث القادم ففيه بيان واضح لموقف علي رضي الله عنه وبراءته مما تدعيه الشيعة (٣٦٢).

وهكذا يمكن القول بأن التشيع لم يكن مذهباً واحداً بل إنه اتخذ أطواراً مختلفة، ومر بمراحل عديدة، فقد كان لكل عصر نوع من التشيع، ولكل طائفة شيعية لون من التشيع..، وتعددت الطوائف من إمامية اثني عشرية وزيدية وإسماعيلية... واتخذ أشكالاً، وتبنى عقائد تنوعت بتنوع المصادر التي استقت منها هذه الجماعة أو تلك<sup>(١)</sup>.

والأمر الذي ينبغي التنبيه عليه في نشأة التشيع ما طرأ على الشيعة من تحول كبير من القول بالتشبيه الذي قاده فيهم هشام بن الحكم (ت ١٩٠)، وهشام الجواليقي (ت ١٥٠هـ) إلى القول بالتعطيل والسير بسيرة المعتزلة في معظم مسائل الاعتقاد<sup>(٢)</sup>، ولعل هذا التحول كان متأثراً بالآتي:

لما كان هشام بن الحكم أول من ألف في الإمامة، وهي أهم المسائل عند الشيعة، ونظر لهم وصاغ القول بالوصية تابعوه فيما يقوله من التشبيه وغيرها من المسائل المتعلقة بالتوحيد.

ثم لما تكونت دولة بني العباس وهي دولة ذات نزعة شيعية قامت عام ١٣٣ هـ<sup>(٣)</sup>، بدأ فيها ترجمة كتب الفلسفة، وكان من خلفائها من يقرب المعتزلة

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي (١٦١ - ١٦٣) باختصار، وانظر التشيع للبنداري (٢٠).

(٢) عدا مسألة الإمامة، وهي مسألة فقهية أصلاً، ولكن لشدة الاختلاف فيها أدخلت ضمن مسائل الكلام. انظر العلم الشامخ للمقبلي (١١).

(٣) تعتبر الدولة العباسية دولة ذات نزعة شيعية لدعوتها باستحقاقها للإمامة لأنهم من آل البيت، حيث قام أبو مسلم الخرساني يدعو لآل البيت ويقول بقول الكيسانية من أن الإمامة بعد علي بن أبي طالب لابنه محمد بن الحنفية، ثم بعده ابنه أبو هاشم عبد الله، ثم بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام بن محمد، ثم بعده إلى أخيه أبي العباس السفاح مؤسس الدولة العباسية، فهي ذات نزعة شيعية لهذا لا أنها تبني المعتقدات الشيعية الأخرى. انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٧٢).

ويدينهم<sup>(١)</sup>، وكان منهم المأمون (ت ٢١٨) الذي أعلن الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة وامتحن الناس بذلك<sup>(٢)</sup>. وكان المأمون يقرب إليه رجال المعتزلة وعلماءهم، وكان المعتزلة يتقربون إليه أيضاً، وكان من تقربهم إليه إظهار التشيع لآل البيت، وكان من تقرب الشيعة إليه إظهار الكلام والجدل الذي كان يحدث عليه ويعقد له المجالس.

وإذا نظرنا إلى أن هشام بن الحكم داعي التشبيه عند الشيعة مات عام (١٩٠هـ)، وأن المأمون تولى الخلافة عام (١٩٨هـ) بدا لنا أن الأمر مؤثر، خاصة أن وصية المأمون بالمعتزلة والأمر برفع رايتهم استمر في عهد المعتصم والوائق الذي مات عام (٢٣٢هـ)<sup>(٣)</sup>.

ثم هناك مؤثر آخر لعله أثر في تحوّل الشيعة من التشبيه إلى التعطيل والقول بقول المعتزلة هو: اندحار المعتزلة على يد الخليفة المتوكل العباسي الذي تولى بعد الواثق عام ٢٣٢هـ، حيث أعاد القول بقول أهل السنة والجماعة، ورفع راية السلف، ونكس راية أهل الاعتزال، فبارت سوقهم بعد رواج دام أكثر من ثلاثين سنة، فعمدوا إلى الأندساس في صفوف الشيعة، وروجوا إلى أقوالهم ومبادئهم من خلاهم.

ولعل قول الشيعة بقول المعتزلة وبعدهم عن قول المشبهة ناتج عن تأثرهم بالجو العلمي الذي عاشوه في القرن الثالث من تمجيد العقل، وتقريب أهل الكلام

- 
- (١) انظر مروج الذهب للمسعودي (٣ / ٣١٣)، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان (١ / ٨٤)، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي (٦٢ - ٧٠).
- (٢) انظر البداية والنهاية (١٠ / ٢٧٢)، فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي، تحقيق يحيى مختار غزاوي (٩٢).
- (٣) انظر تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف الحفظي (٣٩٥)، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد المعتق (٤٠).

من قبل أهل السلطان، وما جرى من ترجمة كتب اليونان فساروا في الركب وجرفهم التيار، خاصة أنه لم يكن لهم أصول يتمسكون بها، وأقوال يعتمدونها خلا القول بالإمامة والوصية، وهذا لا يتعارض كثيراً مع أصول المعتزلة<sup>(١)</sup>.

يقول الشهرستاني: "وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة، وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول، وأبعد من التشبيه والحلول"<sup>(٢)</sup>.

ونجد الملطي رحمه الله وهو يعدد فرق الشيعة يقول: "والفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد"<sup>(٣)</sup>.

وفرّق أبو الحسن الأشعري بين أقوال متأخري الشيعة وأقوال أوائلهم، فقال: "وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه"<sup>(٤)</sup>.

فهذه أسباب مختلفة وظروف أثرت مجتمعة، والحقيقة أن الشيعة والمعتزلة يقولون بقول واحد في أغلب مسائل الاعتقاد.

وإن كان هذا المطلب عن نشأة التشيع إلا أن الذي يظهر هو تفرق التشيع إلى فرق عدة، ومقالات مختلفة كما تقدّم في المطلب السابق.

(١) انظر منهاج السنة النبوية (١/ ٧٠-٧٣).

(٢) انظر الملل والنحل (١/ ٢٠٤).

(٣) انظر التنبيه والرد (٣٤)، إذ عدد أئمة معتزلة بغداد وقال هم زيدية يقولون بإمامة المفضل على الفاضل.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٩).

## المبحث الثاني

## موقف الصحابة رضي الله عنهم من الشيعة

لقد تعددت مواقف الصحابة رضي الله عنهم تجاه الشيعة، واختلفت باختلاف أقوال هؤلاء الشيعة، ومدى مخالفتهم للكتاب والسنة.

ثم إن الملاحظ أن بعض الصحابة بان موقفهم من الشيعة وبرز دون غيرهم، فكانوا أهم المواجهين والمتصددين لما حدث زمن الصحابة وذلك لأسباب:

١- أن التشيع في عصرهم تركز في العراق: في الكوفة والبصرة خاصة، فمن كان ساكناً هناك كان مواجهاً لهم، فظهر منه الإنكار، أما من كان ساكناً في المدينة النبوية مثلاً لم يبرز له موقف لأنه لم تكن هناك مواجهة، ولم يرَ من بدعهم شيئاً حتى ينكرها.

٢- أن بدع الشيعة تصدى لها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكانت أغلب المواقف له، وذلك لأنه الإمام وهذا يجعل عليه من المسؤولية ما لا يكون على غيره إذ بيده السلطة، ثم إن بدع الشيعة كلها تنسب إليه وتدور حوله، ولأنه ابتلى بهم وانتحلوه هو وآل البيت، فكان لزاماً عليه التصدي لها وبيان كذبها، وأخيراً لأنه كان مقيماً في الكوفة مركز التشيع ومنطلقه.

إن هذه المواقف من علي رضي الله عنه وآل البيت من بعده هي ردّ قوي على كل بدع الشيعة وادعاءاتها والتي تنشرها تحت ستار حب علي وأولاده. ويمكن تلخيص هذه المواقف في الآتي:

أولاً: رفض التشيع المطلق، وتقييده بالكتاب والسنة.

ثانياً: التصريح بقول مَنْ يكذب عليه حتى لا تنتشر الشائعات.

ثالثاً: الإعلام والإعلان بالحق لدحض الشبهات.



رابعاً: الرد على الشبهات، وتوضيح المشكلات التي يروج لها حال ظهورها.  
خامساً: المناقشة والاحتجاج.

سادساً: البيان والإيضاح قبل إيقاع العقوبة.

سابعاً: إيقاع العقوبة على من جاء بالبدعة ولو ادّعى التشيع.

ثامناً: التحذير منهم ومن كلامهم، وزجر من ينقل أقوالهم.

تاسعاً: التحذير من غدر الشيعة بأئمتها، وبيان أنه لا يوثق بهم ولا بتشييعهم.

عاشراً: إعلان البراءة ممن يتخذ التشيع له ستاراً لنشر البدع وهدم الدين.

الحادي عشر: الوصية بالاعتدال في الحب، وبيان معنى التشيع الحق المطلوب لآل البيت.

الثاني عشر: حكمهم.

هذه المواقف مجملة، وهاك أيها القارئ الكريم تفصيلها:

أولاً: رفض التشيع المطلق، وتقييده بالكتاب والسنة: إن من أتقى الناس وأعلمهم بالله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لذلك لما جاء شيعته يعلنون نصرته ويؤكدون بيعته بعد خروج الخوارج عليه أعلنوا تشيعهم المطلق له، وولاءهم التام لكنه رضي الله عنه لعلمه وتقواه رفض ذلك، ولم يقبله بإطلاقه بل شرط لهم اتباع السنة، إذ من خالف السنة فليس بناصر لعلي ولا من شيعته.

يقول الطبري رحمه الله: "ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله ﷺ".<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ الطبري (٣/ ١١٦).

ثم هو كذلك يرفض التنطع والغلو في الأمر، ويعلم أن الإتياع لا يكون إلا بالكتاب والسنة، لذلك لما جاءه بعد البيعة السابقة ربيعة ابن أبي شداد الخثعمي - وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم - قال له علي: "بايع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقال ربيعة: على سنة أبي بكر وعمر، قال علي: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول ﷺ لم يكونا على شيء من الحق، فبايعه"<sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى حبر الأمة عبد الله بن عباس وهو من أجلاء وأئمة آل البيت، ويعلن أن الإتياع ليس لشخص علي رضي الله عنه أو لشخص غيره، بل الإتياع والنصرة لقول الله وقول رسوله ﷺ وذلك أن معاوية بن أبي سفيان سأله: أنت على ملة علي؟ فقال رضي الله عنهم: "ولا على ملة عثمان، أنا على ملة محمد ﷺ"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: التصريح بقول مَنْ يُكذِبُ عليه حتى لا تنتشر الشائعات: لما كثرت الشائعات وبدأت تروج على الأعمار الجاهل، وتناقلها العامة كان لابد من التصريح بقول من يُكذِبُ عليه قطعاً لهذه الشائعات.

فلما بدأت تنتشر أقوال الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تصدى علي رضي الله عنه لذلك إذ هو المعنى المُفضَّل، وصرح رضي الله عنه بفضلهما وإمامتهما وقال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمى لكم الثالث لفعلت"<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر الإبانة (١ / ٣٥٤) تحقيق رضا معطي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ٩٤)، حلية الأولياء (١ / ٣٢٩).

(٣) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٥٥٦).

وقال لأصحابه: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر وعمر"<sup>(١)</sup>.  
وليس التصريح فقط بالأفضلية بل في مواطن عدة يصرح رضي الله عنه باتباعه  
لسنة أبي بكر وعمر، فلا يغير شيئاً مما سناه، وكان يتبع الرأي الذي رأاه، فرضي  
الله عنهم أجمعين<sup>(٢)</sup>.

ولما بدأت السبئية تروج الشائعة في أن عند علي رضي الله عنه علماً خاصاً  
ليس عند غيرهم سأله أبو جُحيفة<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه وقال له: "هل عندكم شيء من  
الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا  
فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟  
قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك كان آل البيت من بعد علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعلي زين  
العابدين، وزيد ومحمد الباقر ابنا علي، وجعفر الصادق كلهم يصرحون بالثناء على  
الشيخين، ويعلنون رضاهم عن إمامتيهما وإمامة عثمان<sup>(٥)</sup>، كل ذلك قطعاً  
للشائعات وتكذيباً للأقوال التي تنسب إليهم بهتاناً وزوراً. فرضي الله عنهم  
أجمعين، يقول ابن تيمية عن أهل البيت: "لا نسلم أن الإمامية أخذوا مذهبهم عن

(١) المرجع السابق (٥٥٧).

(٢) انظر أمثلة على ذلك: الشريعة للأجري (٤ / ١٧٧٥، ١٧٨٧)، (٥ / ٢٣١١)، السنة لابن أبي  
عاصم (٥٥٥).

(٣) هو: وهب بن عبد الله السوائي بضم المهملة والمد، مشهور بكنيته صحابي صحب علي وروى  
عنه مات سنة ٧٤هـ انظر التقريب (٢ / ٣٣٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير (٦ / ١٦٧ فتح)، انظر كتاب السنة لعبد الله  
ابن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٣٨).

(٥) انظر أقوالهم في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٥٧)، الشريعة للأجري  
(٥ / ٢٣١٦).

أهل البيت: لا الاثنا عشرية ولا غيرهم، بل هم مخالفون لعلي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت في جميع أصولهم التي فارقوا فيها أهل السنة والجماعة: توحيدهم، وعدلهم، وإمامتهم، فإن الثابت عن علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت من إثبات الصفات لله، وإثبات القدر، وإثبات خلافة الخلفاء الثلاثة، وإثبات فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وغير ذلك من المسائل؛ كله يناقض مذهب الرافضة. والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم، بحيث أن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علماً ضرورياً بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الإعلام والإعلان بالحق لدحض الشبهات: لم يكن علي رضي الله عنه يكتفي بالتصريح بالحق وتعليم الناس المعتقد الصحيح، بل كان رضي الله عنه يعلن ذلك، وكان منبر الإعلان آنذاك "خطبة في المسجد" فكان رضي الله عنه يقوم خطيباً ليعلن للناس ويعلمهم الحق، ويقضي على فرصة الذين يعملون في السر، ويدسون الدسائس ويشيرون الشبهات.

فخطب علي رضي الله عنه لما لبس على الناس فعله في الإمارة هل هو رأيه أم عن وصية وتوجيه من الرسول ﷺ، فخطب رضي الله عنه وقال: إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً، وإنما هو رأي رأينا<sup>(٢)</sup>.

ويروي عون بن أبي جحيفة السوائي فيقول: كان أبي من شرط علي رضي الله عنه، وكان تحت المنبر فحدثني أبي أنه صعد المنبر - يعني علياً - فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر،

(١) منهاج السنة النبوية (٤ / ١٦).

(٢) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٧٠).

وقال: يجعل الله الخير حيث أحب<sup>(١)</sup>. لذلك على المسؤولين توظيف وسائل الإعلام لإعلان الحق ودحض الشبهات والرد على المخالفين.

رابعاً: الرد على الشبهات، وتوضيح المشكلات التي يروج لها حال ظهورها: لما كانت بدع الشيعة السبئية بدأت تروج في عهد علي رضي الله عنه، وبدأت مزاعم السبئية تلوكها الألسن؛ تصدى علي رضي الله عنه فردّ الشبهات وأوضح المشكلات في حينها، وهذا هو الواجب ألا يؤخر بيان الحق فتتشرب النفوس بالشبهات، لذلك لما ظن أن عند علي رضي الله عنه علماً خاصاً ليس عند غيره، وسئل عن ذلك بادر بالرد، ونفى ذلك كما تقدّم سؤال أبي جحيفة له.

وفي حادثة أخرى يحدث أبو الطفيل عامر بن واثلة<sup>(٢)</sup> فيقول: سئل علي رضي الله عنه: "هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلا كتاباً في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: لعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض"<sup>(٣)</sup>.

وانظر - رعاك الله - فقه علي إذ لم يكتب رضي الله عنه بالإخبار بل عضد ذلك بشيء محسوس وأخرج الصحيفة ونشرها للناس وقرأها عليهم حتى لا يأتي مدعٍ ويزعم أن في الصحيفة علماً خاصاً.

(١) انظر المرجع السابق (٢/ ٥٨١).

(٢) هو: أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله اللبني الكناني الحجازي، كان من شيعة الإمام علي رضي الله عنه، وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ، توفي سنة ١٠٠هـ.

انظر: السير (٣/ ٤٦٧)، التهذيب (١/ ١١٨).

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٥٣٩).

ويأتيه رجل ويقول له: "ما كان النبي ﷺ يُسر إليك؟ فيغضب رضي الله عنه وأرضاه ويقول: ما كان النبي ﷺ يسر إليّ شيئاً يكتم الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع. فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: "لعن الله من لعن والده..." الحديث<sup>(١)</sup>.

ويقوم خطيباً رضي الله عنه ويقول: من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه إلا كتاب الله عزّ وجلّ وهذه الصحيفة فقد كذب<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا رد على مزاعم الشيعة ممن يدعي أن عند أئمتهم علماً خاصاً ليس عند غيرهم، أو فهماً مسدداً من الله، فهذا إمامهم علي بن أبي طالب الذي اتفقوا على إمامته يرد قولهم ويكذبه فكيف بمن هو دونه من الأئمة.

وتردد شبهة ثانية، ويروج كذب ابن سبأ من القول إن الرسول ﷺ قد أوصى لعلي رضي الله عنه بالإمامة، فيرد الصحابة ذلك، وتوضح هذه المشكلة؛ ذكروا عند عائشة رضي الله عنها أن علياً رضي الله عنه كان وصياً، فقالت: "متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري"<sup>(٣)</sup> أو قالت: حجري - فدعا بالطست، فلقد انخث في حجري فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه؟<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد علي رضي الله عنه ذلك فيقوم خطيباً بعد وقعة الجمل ويقول: "إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً، وإنما هو رأي رأينا"<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق (٢ / ٥٤٠).

(٢) المرجع السابق (٢ / ٥٤١).

(٣) تقصد رسول الله ﷺ عند وفاته.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا (٥ / ٣٥٦ فتح)، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ، انظر السنة لعبد الله بن أحمد حنبل (٢ / ٥٣٦).

(٥) وانظر في إبطال الزعم بالوصية: الصواعق المحرقة للهيتمي (١ / ١١٦)، فتح الباري (٥ / ٣٦١).

وعند وفاته رضي الله عنه يكذب مزاعم الشيعة بالوصية، إذ قيل له: ألا توصي؟ فيقول: "ما أوصى رسول الله ﷺ بشيء فأوصى، اللهم إنهم عبادك فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم"<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام أحمد بن محمد الهيثمي<sup>(٢)</sup>: "فهذه الطرق كلها عن علي متفقة على نفي النص بإمامته، ووافق على ذلك علماء أهل بيته"<sup>(٣)</sup>.

ومن الشبه التي ردها علي بن أبي طالب ونفاها: ادعاء عصمته، فقد أنكر رضي الله عنه على من الملح إلى عصمته، وبين الحق ناصحاً وقال: "يهلك في محب مفرط يُقرظني بما ليس فيّ، ومبغض مفرط يحمله سنأتي على أن ييهتني بما ليس فيّ". ثم قال: وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لأحد في معصية الله تعالى، فلم يثبت لنفسه العصمة رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

وقال لمن ادعى الوهية: "ويلكم إنما أنا عبد مثلكم أكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني"<sup>(٥)</sup>.

ومما أذيع في خلافة علي من الشبهات: الطعن في الشيخين أبي بكر وعمر، والزعم أن علياً أفضل منهما، فيرد علي رضي الله عنه هذه الشبهة ويبين الحق هو وأئمة آل البيت، وينشرون فضائل الصديق والفاروق، ويعلنون ولاءهم لهم،

(١) انظر السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٥٣٨).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي شهاب الدين أبو العباس السعدي الأنصاري، برع في كثير من العلوم كالتفسير والفقه والحديث والحساب والنحو، وله تصانيف متنوعة كثيرة، توفي في مكة عام ٩٧٣هـ. انظر الشذرات (٨/ ٣٧٠)، الأعلام (١/ ٢٢٣).

(٣) الصواعق المحرقة للهيثمي (١/ ١١٨)، وانظر السنة للخلال (٣٥٠).

(٤) انظر الصواعق المحرقة (١/ ١٢١).

(٥) انظر فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) وقال ابن حجر: إسناده حسن.

ويجيئون من يسألهم، وقد قام علي رضي الله عنه مراراً يخطب في الناس ويقول: "إن أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ أبو بكر وعمر"<sup>(١)</sup>.

ويحدث محمد بن الحنفية<sup>(٢)</sup> فيقول: "قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"<sup>(٣)</sup>.

ويبادر علي رضي الله عنه ويسأل أصحابه يوماً ويقول: "أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر"<sup>(٤)</sup>.

ويأتي نفر من أهل العراق إلى الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقولون له: "يا أبا محمد حديث بلغنا أنك تحدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رحمهما الله؟ فقال: نعم. حدثني أبي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: {يا علي؛ هذان سيدا كهول أهل الجنة بعد النبيين والمرسلين}"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر ما تقدم في "ثانياً". وانظر منهاج السنة النبوية (١ / ١٣) (٦ / ٣٣١)، عقائد الثلاث

والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (٢ / ٧٢٧).

(٢) محمد بن الحنفية هو ابن علي بن أبي طالب والحنفية أمه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ "لو كنت متخذاً خليلاً" (٧ / ٢٠ فتح).

(٤) انظر الصواعق المحرقة (١ / ٧٦).

(٥) كتاب الشريعة (٥ / ٢٣١٦)، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أبي

بكر وعمر (٥ / ٦١١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله

ﷺ، فضل أبي بكر الصديق (١ / ٣٦).



يقول الإمام الأجرى رحمه الله تعالى: "فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ السادة الكرام رضوان الله عليهم يروون عن علي رضي الله عنه مثل هذه الفضيلة في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. جزی الله الكريم أهل البيت عن جميع المسلمين خيراً<sup>(١)</sup>".

ويؤكد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولاءه وحبّه للصحابة جميعاً حتى من اختلف معهم بل وتقاتل، فهو يعلم أن هذا لا يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، إذ بعد قتاله في الجمل مع طلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين - والقتال مظنة البغض ولكنها نفوس زكاها الله - يقول: "إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر ٠٤٧) (٢)".

ويكرر علي رضي الله عنه القول على ابن طلحة لما جاءه ويقول: "إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٣)، فيقول له رجل: "دين الله أضيّق من حد السيف، تقتلهم ويقتلونك، وتكون أنت وهم إخواناً على سرر متقابلين؟! فقال له علي: التراب في فيك فمن عسى أن يكونوا<sup>(٣)</sup>".

فالضيّق في دين الشيعة التي لم تسع قلوبهم حب الصحابة كلهم رضي الله عنهم. أما قلوب المؤمنين فقد وسعت حبهم، وجرت ألسنتهم بالترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرهم ربهم في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

(١) المرجع السابق (٥ / ٢٣١٧).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ١١٣)، تفسير الطبري (١٤ / ٣٦)، انظر كتاب الشريعة (٥ / ٢٥٢٨).

(٣) انظر الشريعة للأجرى (٥ / ٢٥٢٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٢٢٤).

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ (النور: ١)

وصدق أنس بن مالك رضي الله عنه حينما قال: "قالوا إن حب عثمان وعلي لا يجتمعان في قلب مؤمن، وكذبوا، قد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا" (٢).

خامساً: المناقشة والاحتجاج: جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له: "إن ناساً يزعمون أن علياً يرجع يوم القيامة، فضحك وقال: سبحان الله! لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه ولا ساهمنا ميراثه" (٣).

فناقشه في صدق هذه الدعوى، وحجه بما فعلوه من تقسيم ميراثه، وتزوج نساءه، وهذا لا يكون إلا لميت.

سادساً: البيان والإيضاح قبل إيقاع العقوبة: على الإمام إن رأى من مسلم بدعة أن يعاقبه بما يراه مناسباً، ولكن لا بد من تقديم البيان للحق، وإيضاح وجه الخطأ حتى لا يكون للمبتدع حجة.

عن علقمة (٤) قال: سمعت علياً على المنبر فضرب بيده على منبر الكوفة يقول: "بلغني أن قوماً يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة، من قال شيئاً من هذا فهو مفتر، عليه ما على

(١) انظر ما تقدم من وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة، في التمهيد، المبحث الثالث (٣٩)،

وانظر الباب الأول، الفصل الرابع، المبحث الثاني: سلامة الصحابة من الفرقة (٢٣٠).

(٢) انظر الشريعة (٤ / ١٧٧٠).

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٣٩).

(٤) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، توفي بعد عام ٦٠ هـ.

انظر التقريب (٢ / ٣١)، التهذيب (٧ / ٢٧٦).

المفتري. إن خيرة الناس رسول الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، وقد أحدثنا أحداثاً يقضي الله فيها ما أحب<sup>(١)</sup>.

سابعاً: إيقاع العقوبة على من جاء بالبدعة ولو ادعى التشيع: إذا ابتدع المسلم وأعذر وتبّه فقد أقيمت عليه الحجة، واستحق العقوبة إن لم يرجع ويتب.

ولقد تصدّى علي رضي الله عنه للشيعه المتدعين، وأوقع العقوبة على كل مبتدع بحسب بدعته لأنه إمام المسلمين.

ولقد أظهر رضي الله عنه غضبه من المفضلين وتوعدهم بالجلد، وأبان شدته على السابين وهمّ بالقتل، وحدّ المؤهين له حد المرتدين، فقتلهم وحرقهم بالنار، ولم يعذر هؤلاء المبتدعين أو يسامحهم لأنهم يدعون التشيع له، ويرفعون شعار المحبة، بل أوقع بهم العقوبة.

ومن العقوبات التي أنزلها: عقوبة من ادعى ألوهيته، حيث قيل لعلي رضي الله عنه إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا. فأبوا. فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان الثالث قال: لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخيث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قبر ائتني بفعله معهم مرورهم، فخذّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فابعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحة بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو تراجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فخذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال:

(١) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٦) وحسن إسناده الألباني.

إني إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً<sup>(١)</sup>.

فعلي رضي الله عنه عاملهم معاملة المرتدين؛ وعظهم وبين لهم الحق، واستتابهم ثلاثاً، فلما أصروا قتلهم تحريقاً، وقيل: قتلهم ثم حرقهم، وللإمام تغليظ العقوبة إن رأى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وإن كان عبد الله بن عباس خالفه في طريقة القتل ولم ير تحريقهم بالنار، إذ لما بلغه فعل علي رضي الله عنه قال: "لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ {لا تعذبوا بعذاب الله} وقلتلهم لقول رسول الله ﷺ: {من بدل دينه فاقتلوه}<sup>(٣)</sup>.

وكان القول بإيقاع العقوبة على المبتدعة من الرافضة هو قول أئمة آل البيت، لذلك قال الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم لرجل من الرافضة: "والله لئن أمكن الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ولا نقبل منكم توبة"<sup>(٤)</sup>.

ومن العقوبات التي رآها: عقوبة من سب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتنقص منهما، وهؤلاء هم السابة، وكان علي رضي الله عنه بلغه عن عبد الله بن سبأ أنه كان يسب أبا بكر وعمر، فطلبه، قيل: إنه طلبه ليقته فهرب منه<sup>(٥)</sup>. وقيل: إنه همّ بقتله، فكلم فيه، فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه، فنفاه إلى المدائن<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٧٠) وقال عنه ابن حجر: "وهذا سند حسن". وانظر: التبيين والرد للملطي (١٨)، التبصير في الدين للاسفرائيني (١٢٣)، عقائد الثلاث وسبعين فرقة لليمن ي (١ / ٤٥٩)، الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٢١)، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٧ / ٤٣٣).

(٢) انظر فتح الباري (١٢ / ٢٧٢)، منهاج السنة النبوية (١ / ٣٠٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد (١٢ / ٢٦٧ فتح).

(٤) انظر كتاب الشريعة للأجري (٥ / ٢٣٨٢).

(٥) انظر الفتاوى (١٣ / ٢١)، وانظر حكم ساب الصحابة في التمهيد، المبحث الثالث.

(٦) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٨٤)، وعلل ابن تيمية فيه سب ترك قتل

ابن سبأ والاكتفاء بنفيه إلى المدائن فقال: "ويشبهه والله أعلم أن يكون إنما تركه خوف الفتنة =

فالساب للصحابة الكرام يعزر ويغلظ له في العقوبة، بحسب ما يراه الإمام<sup>(١)</sup>.  
ومن العقوبات التي توعدها: عقوبة من فضله على أبي بكر وعمر، وقد توعده هؤلاء المفضلة أن يجلداهم جلد المفتري<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا فعل عمر رضي الله عنه فيمن فضله على أبي بكر رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإذا كان الخليفان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما، يجلدان حدّ المفتري من يفضل علياً على أبي بكر وعمر، أو من يفضل عمر على أبي بكر - مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب - علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير"<sup>(٤)</sup>.

ثامناً: التحذير منهم ومن كلامهم، وزجر من ينقل أقوالهم: لقد حذر السلف الصالح من أقوال أهل البدع، وأمروا بهجرهم وترك مجالستهم<sup>(٥)</sup>.

يقول عبد الله بن عباس محدثاً من الشيعة: "كلام الحرورية ضلالة، وكلام الشيعة هلكة"<sup>(٦)</sup>.

= بقتله، كما كان النبي ﷺ يمسك عن قتل بعض المنافقين، فإن الناس تشتت قلوبهم عقب فتنة عثمان رضي الله عنه، وصار في عسكره من أهل الفتنة أقوام لهم عشائر لو أراد الانتصار منهم لغضبت لهم عشائرهم. وانظر تهذيب تاريخ ابن عساکر (٧ / ٤٣٣).

(١) انظر الصارم المسلول (٥٦٧ - ٥٨٧)، الصواعق المحرقة للهيتمي (١ / ١٢٨)، الشريعة للأجري (٥ / ٢٥٠٥).

(٢) انظر الصارم المسلول (٥٨٥)، السنة لابن أبي عاصم (٤٦٦).

(٣) انظر الصارم المسلول (٥٨٥).

(٤) الصارم المسلول (٥٨٦).

(٥) انظر ما تقدم في الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الثاني عن عزلة أهل البدع (٧٩).

(٦) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١١٦٨).

ويأتيه رجل ناقلاً كلامهم مثيراً لشبههم فيزجره ويطرده، يقول عبد الله بن عباس: "إني في المنزل قد أخذت مضجعي للقيولة، فجاءني الغلام فقال: بالباب رجل يستأذن. فقلت: ما جاء في هذه الساعة إلا وله حاجة؛ أدخله. فدخل، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: متى يبعث ذاك الرجل؟ قلت: أي رجل؟! قال: علي بن أبي طالب. قلت: لا يبعث حتى يبعث من في القبور. قال: لا أراك تقول كما يقول هؤلاء الحمقى. قال: قلت: أخرجوا هذا عني لا يدخل عليّ هو ولا ضربه من الناس"<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: التحذير من غدر الشيعة بأئمتها، وبيان أنه لا يوثق بهم ولا بتشيعهم: لقد عُرف عن الشيعة غدرهم وخذلانهم لأئمتهم، وجبنهم عند اللقاء، وسرعة تفرق كلمتهم، حتى ضرب بهم المثل فقيل: أغدر من كوفي، والتاريخ على ذلك شاهد، غدرهم بأئمة آل البيت، يقول البغدادي رحمه الله: "روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء: أحدها: أنهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في سابات المدائن"<sup>(٢)</sup>، فطعنه سنان الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثاني: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه، ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يداً واحدة عليه، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

(١) انظر الشريعة للأجري (٥ / ٢٥٢٤).

(٢) سابات المدائن موضع معروف قرب المدائن بالعراق. انظر معجم البلدان (٣ / ١٦٦).

والثالث: غدرهم بزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قُتل وكان من أمره ما كان<sup>(١)</sup>.

ولقد ذاق منهم علي رضي الله عنه من الكاسات المرة ما لا يعلمه إلا الله حتى دعا عليهم فقال: "اللهم إني سئمتهم وسئمتوني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وبدلهم بي شراً مني"<sup>(٢)</sup>.

وقيل للحسن بن علي ما حملك على ما فعلت (من تنازله بالخلافة لمعاوية)، قال: كرهت الدنيا، ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لانية لهم في خير ولا في شر. لقد لقي أبي منهم أموراً عظيماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي وهي أسرع البلاد خراباً<sup>(٣)</sup>.

لذلك أوصى الحسن بن علي أخاه الحسين بعدم الاغترار بهم، أو الاستجابة لطلبهم بالخروج إليهم أو طلب الخلافة، وحذّره من تصديق دعواهم له بالنصرة<sup>(٤)</sup>. ولما أراد الحسين بن علي الخروج إلى الكوفة مستجيباً لدعوة شيعة هناك جاءه أكابر الصحابة يشيرون عليه بعدم الذهاب، ويحذرونه من غدر هؤلاء الشيعة، ويذكرونه بمواقفهم المخزية من أبيه ومن أخيه؛ جاءه عبد الله بن عباس وقال له: يا ابن عم، قد بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا

(١) الفرق بين الفرق (٢٥)، وانظر ما تقدم عن نشأة التشيع في المبحث الأول (٣٥٠).

(٢) انظر آل رسول الله وأولياءه، لمحمد بن قاسم (٨٨)، نهج البلاغة (١ / ٦٥).

(٣) انظر الكامل لابن الأثير (٣ / ٢٠٤).

(٤) انظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر (١ / ٣٧٧) بهامش كتاب الإصابة

تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن، فإنها في عزلة ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبث دعواتك، واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم، فإن قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتي الله بأمره، فإن فيها حصوناً وشعاباً، فقال الحسين: يا ابن عم، إني لأعلم أنك لي ناصح وعليّ شفيق، ولكن مسلم بن عقيل كتب إليّ باجتماع أهل المصر على بيعتي ونصرتي، وقد أجمعت على المسير إليهم. قال: إنهم من خبرت وجربت، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غداً مع أميرهم<sup>(١)</sup>.

ويقدم النصح للحسين أيضاً أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، ويذكره بوصف علي بن أبي طالب لهم فيقول: "يا أبا عبد الله إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة، يدعونك إلى الخروج، فلا تخرج، فإني سمعت أباك بالكوفة يقول: "والله لقد مللتهم، وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما بلوت منهم وفاءً، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخب، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف"<sup>(٢)</sup>.

ومن غدرهم وقلة ولائهم أنهم لم يكتبوا مراسلة الحسين آنذاك، بل عمدوا إلى مراسلة أخيه محمد بن الحنفية يطلبون منه الخروج. ولكنه رفض وجاء إلى الحسين يخبره بما عرضوا عليه، ويبين سبب رفضه فقال: "إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويشيطوا دماءنا"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي (٣/ ٦٤)، وانظر تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٣٢٩).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث عام ٦١ - ٨٠ (٥).



يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما الشيعة فهم دائماً مغلوبون مقهورون منهزمون، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر. ولذلك لما كاتبوا الحسين رضي الله عنه أرسل إليهم ابن عمه ثم قدم بنفسه غدروا به، وباعوا الآخرة بالدنيا، وأسلموه إلى عدوه، وقتلوه مع عدوه. فأى زهد في الدنيا وأي جهاد عندهم... هذا ولم يكونوا صاروا بعد رافضة!"<sup>(١)</sup>.

عاشراً: إعلان البراءة ممن يتخذ التشيع له ستاراً لنشر البدع وهدم الدين: ما زال أئمة أهل البيت يرثون ممن ينتحل حبههم ويتشيع لهم وهو يخالف الكتاب والسنة المطهرة، ويعمد إلى الاستتار وراء هذا الحب لينشر البدع.

قيل للحسين بن علي: "إن ناساً من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا، ليس أولئك شيعتي، أولئك أعداؤه، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: "مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي رضي الله عنه"<sup>(٣)</sup>.

ويقول جعفر الصادق: "بريء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر"<sup>(٤)</sup>.

ويقول: "لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا"<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر: الوصية بالاعتدال في الحب، وبيان معنى التشيع الحق المطلوب لآل البيت: يقول علي رضي الله عنه: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي

(١) انظر آل الرسول وأولياؤه لحمد بن قاسم (٨٨)، وانظر الصواعق المحرقة للهيتي (٢/ ٤١٣، ٥٧٤).

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٩).

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢/ ٥٥٧).

(٤) انظر الشيعة والتشيع لظهري (٢١٦).

الأمي ﷺ إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" <sup>(١)</sup>؛ لما علم علي رضي الله عنه أن حبه من الإيمان وبغضه من النفاق. خشي رضي الله عنه على محبيه من الغلو في محبته فحذر من ذلك ونهى عنه وقال: "ليحبي قوم حتى يدخلوا النار في حبي، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي" <sup>(٢)</sup>. وقال: "يهلك فيّ رجلان: مفرط في حبي، ومفرط في بغضي" <sup>(٣)</sup>.

وسار أئمة آل البيت على منهاجه في طلب الحب المعتدل، ورفض الحب الغالي، فقال علي زين العابدين رضي الله عنه: "يا أهل العراق حبونا حب الإسلام، فوالله إن زال بنا حبكم حتى صار شيئاً" <sup>(٤)</sup>.

وقال مشيراً بيده نحو الكوفة: "إن هؤلاء يشيرون إلينا بما ليس عندنا" <sup>(٥)</sup>.

إذاً ليس المطلوب هو حب آل البيت فقط، إذ يدخل حبهم النار إذا غلا فيه صاحبه وجاوز الحد المشروع، بل نحبهم رضي الله عنهم الحب الذي أمرنا الله به، وبينه لنا رسول ﷺ، ونعترف بفضلهم ونتقرب به إلى الله.

ولا يقتضي حبهم وموالاتهم معادة غيرهم من الصحابة كما تزعم الشيعة أنه لا ولاء إلا ببراءة <sup>(٦)</sup>؛ بل الواجب أن يتسع حبنا للصحابة كلهم رضي الله عنهم

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب حب علي رضي الله عنه من الإيمان (٢ / ٦٤ نوي)،

كتاب الشريعة للأجري (٤ / ٢٠٥٥).

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢ / ٥٧١)، السنة لابن أبي عاصم (٤٦٢) وصحح

الألباني إسناده، الشريعة (٥ / ٢٥٣٢).

(٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٢) وحسن الألباني إسناده، كتاب السنة للخلال (٤٩٦).

(٤) انظر كتاب السنة للخلال (٥٠٠)، السنة لابن أبي عاصم (٤٦٨)، منهاج السنة النبوية

(٤ / ٤٩).

(٥) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٤٦٨).

(٦) انظر الملل والنحل (١ / ١٦٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٦٩٧).

فنواليهم ونحبهم<sup>(١)</sup>، ولا يضيق حبنا لهم كما ضاق حب الشيعة ولم يتسع - كما عزموا - إلا لآل البيت<sup>(٢)</sup>؛ وليتهم صدقوا في دعواهم المحبة التي برهانها الاتباع، فما نراهم إلا مخالفين لأئمة آل البيت.

يُروى أن علياً رضي الله عنه نظر إلى قوم ببابه فقال لقنبر مولاه: من هؤلاء؟ قال: شيعتك يا أمير المؤمنين. قال: ما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة. قال: وما سيماهم؟ قال: خص البطون، يبس الشفاه من الظمأ، عمش العيون من البكاء<sup>(٣)</sup>.

إن التشيع الحق الصادق لآل البيت هو تشيع أهل السنة والجماعة المتبعين لقول الله وقول رسوله ﷺ، المقتدين بالرسول ﷺ ومن سار على هديه من الصحابة الكرام وآل بيته الشرفاء، فأهل السنة بحق هم أنصار علي وأتباعه إذ من مذهبهم القول بأن علياً رضي الله عنه وأصحابه أولى الطائفتين بالحق في حروبه في الجمل وصفين<sup>(٤)</sup>، ومع ذلك يعذرون الخارجين على علي رضي الله عنه، ويقولون: اجتهدوا وأخطأوا، ويجمعون على عدالة الجميع وحبهم<sup>(٥)</sup>.

وأما عن حبهم لآل البيت فيقول الآجري رحمه الله: "واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله ﷺ بنو هاشم علي بن أبي طالب وولده وذريته،

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٨٩)، شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن عثيمين (٢/ ٢٤٧، ٢٨٢).

(٢) انظر أقوال السلف عن فضائل الصحابة كلهم وفضائل آل البيت: كتاب الشريعة للآجري (٤/ ١٦٣٤)، (٥/ ٢٤٦٨).

(٣) انظر الكامل لابن الأثير (٣/ ٢٠١).

(٤) انظر التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي لمحمد البنداري (٥).

(٥) انظر ما تقدم عن سلامة الصحابة من الفرقة: الفصل الرابع، المبحث الثاني (٢٣٨)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني (٦٧)، الفتاوى (٣٥/ ٣٣)، (٣/ ٢٥٠).

وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحزرة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول ﷺ، واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم، واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم، فمن أحسن من أولادهم وذرائعهم فقد تخلّق بأخلاق سلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلّق منهم بما لا يحسن من الأخلاق دعي له بالصلاح والصيانة والسلامة، وعاشره أهل العقل والأدب بأحسن المعاشرة، وقيل له: نحن نجلّك عن أن تتخلّق بأخلاق لا تشبه سلفك الكرام الأبرار، ونغار لمثلك أن يتخلّق بما نعلم أن سلفك الكرام الأبرار لا يرضون بذلك، فمن محبتنا لك أن نحب لك أن تتخلّق بما هو أشبه بك، وهي الأخلاق الشريفة الكريمة، والله الموفق لذلك<sup>(١)</sup>.

يقول الشافعي رحمه الله تعالى:

إن نحن فضلنا علياً فإننا  
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته  
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما  
روافض بالفضل عند ذوي الجهل  
رميت بنصب عند ذكري للفضل  
بجبهما حتى أوسّد في الرمل<sup>(٢)</sup>

الثاني عشر: حكمهم: تقدّم أن الشيعة فرق عدة، لذلك لا يصح إطلاق حكم التكفير وتعميمه عليهم، أو نفيه عنهم بإطلاق، بل الواجب التفصيل، وبيان الفرقة والقول الذي تقول به ثم الحكم عليه، لأنه قد تتغير بعض أقوال الفرقة، أو يتغير اسمها أو يختلف من بلد إلى بلد<sup>(٣)</sup>، وحكم تكفير الشيعة كالآتي:

(١) انظر كتاب الشريعة (٥/ ٢٢٧٦)، (٤/ ٢٠٦٦).

(٢) انظر الصواعق المحرقة (٢/ ٣٨٧)، مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٧٠).

(٣) كاختلاف أسماء الغلاة الباطنية أو الإسماعيلية حسب المنطقة. انظر ما تقدم عن غلاة الشيعة

- ١- الشيعة المفضلة: الذين ينتهي قولهم بأن علياً أفضل من أبي بكر وعمر، وأنه أحق بالإمامة، دون تعرض لتكفير أحد من الصحابة، فهؤلاء الشيعة المفضلة زيدية أو غيرهم إن كانت هذه بدعتهم فقط فهم لا يكفرون بإجماع السلف والأئمة<sup>(١)</sup>.
- ٢- الشيعة الغلاة القائلون بألوهية أئمتهم أو نبوتهم أو ادعوا الحلول أو التناسخ أو غيرها من البدع المكفرة، فقد أجمع العلماء على تكفيرهم<sup>(٢)</sup>. وتقدم أن علياً رضي الله عنه عاملهم معاملة المرتدين.
- ٣- الرافضة "الشيعة الإمامية": وعلامتهم البراءة من الشيخين أبي بكر وعمر، ومنهم من يعتدي عليهم بالسب والشتم وإن لم يقل بالتكفير، وتقدم حكم ساب الصحابة<sup>(٣)</sup>، وأنه يختلف باختلاف السب واختلاف النية، فساب الصحابة يكفر إن كان سبه عن اعتقاد واستحلال للسب، وكان سبه سباً يقدح في دينهم وعدالتهم. وأما إن كان سبه سب غيظ وحنق، وكان السب في أمور الدنيا كوصف بالجين والبخل فهذا لا يكفر ويجب تعزيره.
- فالرافضة اثنا عشرية أو غيرهم إن كان سبهم للصحابة سباً يقدح في دينهم أو يتعدى للقول بتكفيرهم فهم يكفرون بذلك<sup>(٤)</sup>. كذلك يكفر من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، فهؤلاء لا خلاف في كفرهم سواء كانوا اثنا عشرية أو غيرهم<sup>(٥)</sup>.
- ويجب مراعاة توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه عند تكفير المعين<sup>(٦)</sup>.

- (١) انظر الفتاوى (٣/ ٢١٩)، السنة للخلال (٧٧٦)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير للمشعبي (٢/ ٣٢١).
- (٢) انظر ما تقدم في المبحث السابق عن غلاة الشيعة وانظر الفتاوى (٢٨/ ٢٦٠).
- (٣) انظر ما تقدم في التمهيد: المبحث الثالث (٤٥).
- (٤) انظر أقوال الشيعة الاثنا عشرية في المبحث السابق (٣٤١).
- (٥) انظر الصارم المسلول (٥٨٦).
- (٦) انظر في حكم ساب الصحابة: الفتاوى (٣/ ٢١٩)، الصارم المسلول (٥٦٧)، الشريعة (٥/ ٢٥٠٥)، الصواعق المحرقة (١/ ١٢٨)، وانظر ما تقدم في الفصل الأول، المبحث الثاني من هذا الباب (٢٦٤).

## الفصل الرابع

### القدرية وموقف الصحابة منهم

المبحث الأول : نبذة تعريفية عن القدرية

المطلب الأول: تعريف القدرية، وأصنافها، وفرقها وأهم معتقداتها

تعريف القدرية: القدر في اللغة بفتح الدال أو إسكانها، جمعه أقدار، ويطلق

ويراد به في اللغة عدة معاني منها:

١- مبلغ الشيء وكنهه ونهايته<sup>(١)</sup>.

٢- القضاء الموفق.

٣- القضاء والحكم.

٤- القوة، إذ القدرة: الاقتدار على الشيء، والقوة عليه.

٥- القياس والتدبير.

٦- التقدير وهو التروية والتفكير في تسوية أمر.

٧- الطاقة، ويأتي بمعنى التضييق<sup>(٢)</sup>.

أما القدر شرعاً: فهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته

حكيمته<sup>(٣)</sup>. وهو: ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٦٢).

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (٥ / ٧٤ - ٧٦)، مختار الصحاح للرازي (٢١٩).

(٣) انظر رسائل في العقيدة لمحمد بن صالح العثيمين (٣٧)، لسان العرب (٥ / ٧٤)، النهاية في غريب

الحديث والأثر (٤ / ٢٠).

عزّ وجلّ [قدر] (١) مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها (٢).

أما القدرية: فهم كل من خاض في القدر، وخالف نصوص الكتاب والسنة، وهدى سلف الأمة في ذلك (٣). وهذا يشمل طائفتين:

١- الخائضين في القدر نفيًا له (القدرية الأوائل - المعتزلة).

٢- الخائضين في القدر غلوًا في إثباته (الجبرية).

قال علي بن أبي العز الحنفي: "وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلو في إثبات القدر" (٤). لذلك بوّب الإمام الخلال في كتابه كتاب السنة بابين عند ذكره أبواب القدر فقال: "الرد على القدرية وقولهم إن الله جبر العباد على المعاصي" وشرحه، ثم قال: "الرد على القدرية في قولهم المشيئة والاستطاعة إلينا" (٥).

وهؤلاء الجبرية وإن كان اصطلاح القدرية يشملهم إلا أن لفظ القدرية اشتهر إطلاقه على النفاة للقدر خاصة المعتزلة، حتى صار اسماً من أسمائهم.

أصناف القدرية: ذكر ابن تيمية رحمه الله أن القدرية ثلاثة أصناف:

١- قدرية مشركية: آمنوا بالقضاء والقدر، ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء وربّه ومليكه، لكن عارضوا هذا بالأمر والنهي، وزعموا أنه يوافقهم، وفيهم من يقول: إن مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب.

(١) في الأصل (قدير) والظاهر أنه خطأ مطبعي.

(٢) انظر لوامع الأنوار للسفاريني (١ / ٣٤٨).

(٣) انظر كتاب القدرية والمرجئة لناصر العقل (١٩).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٩٧).

(٥) انظر كتاب السنة للخلال (٥٤٩، ٥٥٧)، منهاج السنة النبوية (٣ / ٧٦).

وقالوا: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ (الأنعام ١٤٨)

إلى آخر الكلام في سورة الأنعام، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿ (النحل ٣٥). وفي سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿ (الزخرف ٢٠).

فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق، وهو الذي يُبتلى به كثيراً- إما اعتقاداً، وإما حالاً- طوائف من الصوفية والفقراء، حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للمحرمات وإسقاط الواجبات ورفع العقوبات... وقد يغفلوا أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله... ويتمسكون بموافقة الإرادة القدرية في السيئات الواقعة منهم ومن غيرهم<sup>(١)</sup>.

٢- قدرية مجوسية: آمنوا بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكذبوا بالقدر، وزعموا أن من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمعتزلة وغيرهم، فهؤلاء يجعلون لله شركاء في خلقه، كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضاً، ويقولون: إن جميع أفعال الحيوان واقع بغير

(١) انظر الفتاوى (٢/ ١٨٢)، (٨/ ١٥٥) باختصار وتصرف.



قدرته ولا صنعه، فيجحدون مشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، ويزعمون أن هذا هو العدل<sup>(١)</sup>.

٣- قدرية إبليسية: الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران: القضاء والقدر، والأمر والنهي، لكن عندهم هذا تناقض، وهم خصماء الله وأعداؤه، إذ خاصموا الرب في جمعه بين القضاء والقدر، والأمر والنهي، كما يذكرون ذلك على لسان إبليس، وهؤلاء كثير في أهل الأقوال والأفعال من سفهاء الشعراء ونحوهم من الزنادقة<sup>(٢)</sup>.

فرق القدرية وأهم معتقداتهما: لم يكون القول بالقدر فرقة مستقلة ولكن أصبحت مقالة القدرية من أصول كثير من الفرق، سواء الذين غلوا في الإثبات، أو الذين قالوا بالنفي، وهذه الفرق أخذت طرفين متناقضين وهما كآلآتي:

١- نفاة القدر الذين نفوا القدر وهم فرقتان:

٢- القدرية الأوائل أو غلاة القدرية أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وهؤلاء نفوا القدر بمراتبه الأربع: العلم والكتابة والخلق والمشيئة، وقالوا إن الله عز وجل لا يعلم أفعال العباد قبل وقوعها، ولا يقدر عليها بل العبد هو القادر وحده، وهو الخالق لفعله دون الله.

وهؤلاء ردّ عليهم الصحابة الموجودون آنذاك وقطعوا دابرهم، وقد انقرض هؤلاء الغلاة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الفتاوى (٢/ ١٨٢)، (٨/ ١٥٦) باختصار وتصرف.

(٢) انظر الفتاوى (٨/ ١٥٦)، (٢/ ١٨٤) باختصار وتصرف. وانظر الاستقامة (١/ ٤٣٣)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٨٢).

(٣) انظر الفتاوى (٨/ ٢٦٧)، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح محمد العثيمين (٢/ ٢٠٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٤)، فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني (١/ ٣٥٥)، وانظر المطلب التالي عن نشأة القول بالقدر (٣٨٣).

أ- القدرية المعتزلة: وهم خلف لسابقيهم، وورثة القول بنفي القدر، إلا أنهم لم يغفلوا غلو الأوائل في إنكار القدر، بل أثبتوا العلم والكتابة ونفوا المشيئة والخلق<sup>(١)</sup>.

يقول ابن حزم رحمه الله: قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد، وكلثوم وأصحابه: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عزّ وجلّ، ثم اختلفوا: فقالت طائفة: يخلقها فاعلوها دون الله تعالى. وقالت طائفة: هي أفعال موجودة لا خالق لها أصلاً. وقالت طائفة: هي أفعال الطبيعة، وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر نفي القدر أصل من أصول المعتزلة الخمسة والذي أسموه "العدل"، يريدون به أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه<sup>(٣)</sup>.

ورتبوا على تعريفهم للعدل ونفيهم الأفعال القبيحة عن الله قولهم إن العباد هم الخالقون لأفعالهم لأنه فيها ما هو قبيح.

ورتبوا على قولهم إن الله لا يخل بما هو واجب عليه قولهم بوجوب اللطف والصلاح والأصلح وبعثة الرسل على الله؛ وقالوا: "يجب على الله أن يفعل بالعباد

(١) انظر الفتاوى (٨ / ٢٦٧)، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، شرح محمد العثيمين (٢ / ٢٠٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١ / ١٥٤)، فتح الباري لابن حجر (١ / ١١٩)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني (١ / ٣٥٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥ / ٥٧)، وانظر خلق أفعال العباد للبخاري (٧٥)، أصول الدين لليزدوي (٢٥٦).

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (١٣٢) تحقيق عبد الكريم عثمان.

لطفاً يختارون عنده الإيمان على الكفر<sup>(١)</sup>. واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد<sup>(٢)</sup>.

وأما الأصل الثاني عندهم فهو "التوحيد": ويعرفونه بأنه العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به<sup>(٣)</sup>.

وحقيقته عندهم نفي الصفات عن الله عزّ وجلّ ويؤول بهم من التوحيد إلى التعطيل، إذ نفوا صفات الباري عزّ وجلّ، وقالوا إن كلامه محدث مخلوق فقالوا بخلق القرآن، ونفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وسموا هذا التعطيل كله توحيداً<sup>(٤)</sup>.

الأصل الثالث: الوعد والوعيد، فقالوا: إن الله وعد المؤمنين المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب<sup>(٥)</sup>. ولذلك قالوا إن من مات على غير توبة عن كبيرة ارتكبها فإنه يستحق النار خالداً فيها لأن الله توعد به بذلك ولا بد أن ينفذ وعده. وترتب على هذا الأصل إنكار أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر، ويثبتون الشفاعة للمؤمنين التائبين دون الفسقة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (٥١٩، ٥٦٤).

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٥٧)، وانظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة

منها لعواد بن عبد الله المعتق (١٥١ - ٢٠٨).

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة (١٢٨).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٩٣)، الملل والنحل (١ / ٥٧).

(٥) انظر شرح الأصول الخمسة (١٣٥).

(٦) انظر الملل والنحل (١ / ٥٧)، المعتزلة للمعتق (٢٠٩ - ٢٥٣).

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين، فقالوا: إنها العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين، فلا اسمه اسم الكافر ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً. وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل له حكم ثالث<sup>(١)</sup>. هذا في الدنيا أما في الآخرة فهو مخلد في النار لكن عذابه أخف من عذاب الكافر<sup>(٢)</sup>.

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: والمقصود منه عندهم أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر، وهو من فروض الكفايات<sup>(٣)</sup>. وقد ضمنوا هذا الأصل جواز الخروج على أئمة الجور بالقتال<sup>(٤)</sup>.

هذه أصول المعتزلة الخمسة، أما عن أسمائهم الأخرى، فإنهم يسمون بـ "القدرية" وهذا من أشهر أسمائهم، وهم يرفضون هذا اللقب، ويقولون إنه لا يلزمنا لأننا ننفي القدر عن الله عز وجل، وأن من أثبت القدر هو أولى به، كل ذلك احترازاً من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقاً عليه، وهذا اللقب لازم لهم، وقولهم السابق إنما هو تمويه منهم لأنهم وإن نفوا القدر عن الله أثبتوه لأنفسهم ولذلك سموه<sup>(٥)</sup>.

ومن أسمائهم "العدلية" لأن العدل أصل من أصولهم الخمسة كما تقدم<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (٦٩٧)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٧٩).

(٢) انظر المعتزلة للمعتق (٢٦٤).

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة (١٤٨).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٧٩٣ / ٢).

(٥) انظر لسان العرب (٧٦ / ٥)، الملل والنحل (١ / ٥٦)، التبصير في الدين (٦٣ - ٦٤)، البرهان

للسكسكي (٥٠).

(٦) انظر الملل والنحل (١ / ٥٦).

ويسمون "المخيرة" لأنهم تخيروا في الملك، وادعوا لأنفسهم الحول والقوة وبالتمكن والتخير<sup>(١)</sup>.

٢- الطرف الثاني من فرقة القدرية: الغلاة في إثبات القدر: وهؤلاء غلو في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد قدرة على الفعل، وزعيمهم هو الجهم بن صفوان، ويعرفون بـ "الجبرية"<sup>(٢)</sup>. وهم صنفان:

أ- الجبرية الخالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً<sup>(٣)</sup>، ويزعمون أن العباد مضطرون إلى الأفعال المنسوبة إليهم ليس لهم فيها اكتساب ولا لهم عليها استطاعة<sup>(٤)</sup>.

وأول من قال بهذا القول الجهم بن صفوان، وأصحابه الجهمية، وتفصيل قولهم السابق أنهم زعموا أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، وزالت الشمس، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به، وإنما فعل ذلك الله سبحانه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر عقائد الثلاث والسبعين لليميني (١ / ٣٥٣).

(٢) الجبرية: لفظ مأخوذ من "الجبر" وهو في اصطلاح المتكلمين: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب، أو هو إسناد فعل العبد إلى الله. انظر الملل والنحل (١ / ٩٧)، المواقف للابن الجبري (٤٢٨)، التعريفات للجرجاني (٧٧). ولفظ الجبر لفظ مبتدع محدث لم يرد في الكتاب والسنة، وفيه إجمال يحتاج إلى تفصيل لتناوله حقاً وباطلاً، والأولى الإمساك عنه، واستعمال الألفاظ الواردة في النصوص كجبل وخلق. انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ٢٥٤)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (٢٠٦ - ٢٢٨).

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ٩٧).

(٤) انظر أصول الدين للبغدادي (١٣٤).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٨)، الفرق بين الفرق (١٥٨)، الملل والنحل (١ / ٩٨).

وزعموا أن الله خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً<sup>(١)</sup>.

ومن مذهب جهم وأتباعه نفي صفات الله سبحانه وتعطيله عنها، وقالوا: إنه لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه، وزعموا أن علم الله محدث، ووافقوا المعتزلة في القول بخلق القرآن، ونفي الرؤية وإيجاب المعرفة بالعقل<sup>(٢)</sup>.

وقال الجهم إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل بالله فقط، وتفرد بالقول بأن الجنة والنار تفتيان وتبيدان<sup>(٣)</sup>.

وكان مع ضلالاته تلك ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحمل السلاح ويقاتل السلطان<sup>(٤)</sup>.

ب- الجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً<sup>(٥)</sup>، بل القدرة والمقدور واقعان بقدرة الله<sup>(٦)</sup>. والعباد هم المكتسبون لها، فأثبتوا كسباً للعباد، وهذا مثل فرقة الأشعرية<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٨)، شرح القصيدة النونية لابن القيم، شرح خليل هراس (١ / ٤٨ - ٥١).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٧٩٤)، مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٨)، الملل والنحل (١ / ٩٧ - ٩٩)، المواقف للإيجي (٤٢٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٨)، الفرق بين الفرق (١٥٩).

(٥) انظر الملل والنحل (١ / ٩٧).

(٦) انظر المحصل للرازي (١٩٤).

(٧) انظر المواقف للإيجي (٤٢٨)، التعريفات للجرجاني (٧٧).

واختلفت الأشاعرة في تفسير معنى الكسب، يقول عبد القاهر البغدادي أحد رجال الأشاعرة: «واختلف أصحابنا في تفسير معنى الكسب... ونحن نقول إن الله عزّ وجلّ هو الذي جعل أفعالنا أشياء وأعراضاً. وهذا معنى قولنا إن الله عزّ وجلّ خلق أعمال عباده... وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفرداً به. إذا اجتمعاً جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً».

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووُجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى<sup>(١)</sup>. فهم يثبتون قدرة غير مؤثرة في الفعل ولكنها مصاحبة للفعل أسموها كسباً.

وقال بعض متأخريهم: الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب<sup>(٢)</sup>.

ويعرض ابن القيم أقوال الجبرية في الكسب ثم يقول: «والذي استقر عليه قول الأشعري إن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع بها المقدور ولا صفة من صفاته، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه، وتابعه على ذلك عامة أصحابه<sup>(٣)</sup>».

(١) أصول الدين للبغدادي (١٣٣-١٣٤) مختصراً. وانظر شفاء العليل لابن القيم (٢١٠).

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم (٢١٠)، وانظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر الباقلاني (٤٥، ٤٦).

(٣) انظر شفاء العليل (٢١٠)، كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعري (٦٩). وأهل السنة والجماعة يرون أن الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه، وبقدرة العبد سبباً ومباشرة، والله خلق الفعل، والعبد فعله وباشره، والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيتته. انظر شفاء العليل (٢٤٩، ٢٢٣).

فالأشاعرة وافقوا الجهمية فهم كلهم جبرية، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فإن الأشعرية وبعض المثبتين للقدر وافقوا الجهم بن صفوان في أصل قوله في الجبر، وإن نازعوه في بعض ذلك نزاعاً لفظياً، وإنما أتوا بما لا يُعقل، لكن لا يوافقونه على قوله في نفي الصفات بل يثبتون الصفات، فلهذا بالغوا في مخالفة المعتزلة في مسائل القدر حتى نسبوا إلى الجبر، وأنكروا الطبائع والقوى التي في الحيوان أن يكون لها تأثير أو سبب في الحوادث، أو يقال: فعل بها"<sup>(١)</sup>.

هذا قول الأشاعرة في القدر، ومن أهم أقوالهم في مسائل الاعتقاد:

● في الصفات خالفوا أهل السنة والجماعة فلم يثبتوا إلا سبع صفات وأولوا بقية الصفات، فقاربوا المعتزلة وإن كانوا خيراً منهم. كما أنهم أولوا الصفات الخبرية كاليدن التي زعموا أنها بمعنى القدرة، وأن الوجه بمعنى الذات<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أولوا صفات الله الاختيارية: فزعموا أن نزول الله عزّ وجلّ بمعنى نزول أمره أو نزول الملائكة، وكذلك المجيء وبقيّة الصفات الفعلية الاختيارية<sup>(٣)</sup>.

وخالفوا أهل السنة في صفة الكلام وقالوا هو معنى قائم في النفس، وزعموا أن القرآن عبارة عن كلام الله.

وأما في الرؤية فقد أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم لكنهم قالوا يرى لا في جهة<sup>(٤)</sup>.

(١) منهاج السنة (١/ ٤٦٣).

(٢) انظر الملل والنحل (١/ ١٠٧)، أصول الدين للبغدادي (٢٤٤)، شعبة العقيدة بين أبي الحسن والمنتسبين له في العقيدة لأبي بكر خليل الموصلي (٩٧، ١٤٩، ٢٢١، ٢٦١).

(٣) انظر أصول الدين للبغدادي (١١١، ١١٣)، مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن فورك (٧١، ٦٦، ١٤٥، ١٥٥).

(٤) انظر الملل والنحل (١/ ١١٣)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني (٣٠٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٩٤، ٢١٩).



وقال جمهورهم إن الإيمان هو التصديق، ولم يدخلوا العمل في الإيمان وإنما عدوه من ثمراته<sup>(١)</sup>.

وأما في السمعيات كالمعاد والحشر وعذاب القبر فهم موافقون لأهل السنة، وكذلك وافقوهم في الإمامة والتفضيل، وفي أنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار. لذلك كانوا أقرب الطوائف إلى أهل السنة<sup>(٢)</sup>.

الخائضون في القدر في العصر الحديث: يقول الدكتور ناصر العقل: "ومع اختلاط القدرية مع كثير من أصول الفرق انتشر القول بالقدر في سائر العالم الإسلامي.

• فقدرية الجهمية ورثتها الصوفية وهي منتشرة في أغلب البلاد الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري وحتى اليوم إلا أنها لا أثر لها في المملكة العربية السعودية وأكثر بلاد شبه الجزيرة العربية - بحمد الله - منذ أن قامت الدعوة السلفية على يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

• وقدرية المعتزلة لا تزال موجودة ضمن اتجاهات المعتزلة الجدد من (التحريريين)، و (العقلانيين) و(العصرانيين) ونحوهم، كما أنها كانت موجودة ضمن فلول المعتزلة القديمة التي تفرقت بين فرق الراضية والزيدية وغيرهم.

• وقدرية (الكسب) لا تزال تحملها الأشاعرة في أغلب البلاد الإسلامية وغيرها.

هذا من حيث الشهرة والانتساب أما من حيث الاعتقاد فيظهر لي أن أغلب المسلمين وعامتهم على الفطرة أو يجهلون هذه الأمور أصلاً والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الملل والنحل (١/ ١١٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن الحمود (٣/ ١٣٤٩).

(٢) انظر تمهيد الأوائل للباقلاني (٤١٥، ٤٨٠)، الملل والنحل (١/ ١١٥ - ١١٨)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٨٣).

(٣) القدرية والمرجئة للعقل (٧٢).

## المطلب الثاني

## نشأة القول بالقدر

**مدخل:** إن من أركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره<sup>(١)</sup>، ولقد وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة تأمر بالتسليم والإيمان بقضاء الله وقدره.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم صحابته الإيمان بالقضاء والقدر، ويوصيهم بذلك حتى لو كانوا صغاراً، يقول عبد الله بن عباس: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: {يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يعلم صحابته وينبهم على أمور دقيقة في القدر، ويوجههم فيها، من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: {أو غير ذلك يا عائشة<sup>(٣)</sup>؟ إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في

(١) الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن الإيمان بمراتبها الأربعة: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق. انظر شفاء العليل في مسائل القضاء لابن قيم الجوزية (٥٥).

(٢) سنن الترمذي، كتاب أبواب صفة القيامة، باب (٥٩) (٤ / ٦٦٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٣٠٨).

(٣) قيل: من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، ورسول الله ﷺ وجه عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث ونهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل، وقيل إنه لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقاً. انظر فتح الباري (٣ / ٢٤٤)، الفتاوى (٤ / ١٧٣).

أصلاب آباتهم. وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آباتهم} (١).

بل إنه يجيب عن أسئلتهم إذا أشكل عليهم أمر في القدر؛ إذا سألوا سؤال المستفهمين المتعلمين (٢)، ومن ذلك ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كلٌّ يعمل لما خلق له، أو لما يسر له.

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض فنكس وقال: { ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ (البقرة ٥٠) (٣).

وأما إذا خاض الصحابة في القدر خوض المختلفين المتجادلين فإنه ينهاهم عنه أشد النهي ويغضب لاختلافهم فيه، ومن ذلك أنه ﷺ خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما فبقاً في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: { بهذا أمرتم أو لهذا خلقتهم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلك الأمم قبلكم}.

وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى أحمر وجهه، حتى كأنما فبقىء في وجنتيه الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه".

ولقد حاول المشركون إثارة الشبهات على المسلمين، فجددهم مرة يكذبون بالقدر وينفون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش إلى رسول

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (١٦ / ٢١٢ نوي).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية عن حكم السؤال عن القدر (١ / ٣٤١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدراً (١١ / ٤٩٤) فتح.

الله ﷻ يخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ  
وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (١) (النور ٤٨-٤٩).

ثم هم مرة أخرى يتعتنون- ومقصدهم إثارة الشبه لا طلب الحق- فيحتجون  
بالقدر على شركهم وكفرهم، ويتجادلون لإبطال الأمر والنهي، فيرد الله عليهم في  
قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ  
شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ  
عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ  
﴿٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (الاعلام ٤٨-٤٩). ويقول  
سبحانه عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ  
شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٠﴾﴾ (الشقل ٣٥) (٢)

وكما حاول المشركون حاول المنافقون أيضاً تحيّن الفرص وإثارة الشكوك حول  
الإيمان بالقضاء والقدر كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبُوءًا  
يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ  
الْجَنَهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي  
أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ  
لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا  
فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٠﴾﴾ (٢)

(١) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بآنة نساء (٤ / ٤٥٩) ووقال عنه الترمذي هذا  
حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٢٩)، سنن ابن ماجه،  
القدمة، باب في القدر (١ / ٣٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ١٧٨، ٥٤٩)، شفاء العليل لابن القيم (٢٧).

الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ  
 وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا  
 كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا  
 عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ  
 وَبَصِيْرٌ ﴿١٥٦﴾ (ال عمران ١٥٤-١٥٦) (١)

يقول الشهرستاني رحمه الله في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية  
 انشعابها، ومن مصدرها، ومن مظهرها يقول: "وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت  
 في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان ...

واعتبر حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أحد إذ قالوا: ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ  
 الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقولهم: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا ﴾ ،  
 وقولهم: ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾، فهل ذلك إلا تصريح بالقدر؟  
 وقول طائفة: ﴿ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ۗ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ  
 ﴿١٧﴾ (س ٤٧) . فهل هذا إلا تصريح بالجبر" (٢).

فالشبهات في القدر كانت تثار منذ العهد النبوي ولكن كان إيمان المؤمنين  
 الراسخ، وتسليمهم للنصوص ووقوفهم عندها رداً حاسماً على هذه الشبهات، فلم  
 تستطع أن تحدث فرقة أو تنشئ بدعة آنذاك، فكأنها حبة حجر اصطدم بجبل.

إن الرد للنصوص عند التنازع والتسليم لها هو الحل الوحيد لحسم النزاع كما  
 قال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
 فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥١﴾ (النساء ٥٩) .

(١) قال المنافقون ذلك بعد هزيمة المسلمين في غزوة أحد. انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٨-٢٩) باختصار، وانظر في الباب الأول، الفصل الثاني: "إن التفريق بين  
 المسلمين من أهداف وغايات المنافقين والكافرين" (١٢٣).

وهذا ما عمله الصحابة رضي الله عنهم يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ<sup>(١)</sup> لقيه أمراء الأجناد- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه- فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. فدعا عمر المهاجرين ثم دعا الأنصار يستشيرهم في هذا الأمر فاختلفوا فمنهم من قال نرجع، ومنهم من قال: نمضي ولا نرجع، حتى استشار مشيخة المهاجرين من قريش؛ فأشاروا عليه بالرجوع وعدم قدوم الشام ولم يختلفوا في ذلك. فأمر عمر بالرجوع إلى المدينة. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله... فجاء عبد الرحمن بن عوف- وكان متغيباً في بعض حاجته- فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه}. فحمد الله عمر ثم انصرف<sup>(٢)</sup>.

فما أن ظهر النص إلا سلم الجميع وحلت المسألة، ومعلوم أنه كلما ظهر نور النبوة كانت البدعة المخالفة أضعف، وكل ما قرب من النبي ﷺ ومن سنته كان أفضل، وكل ما بعد عنه كان شراً مما قرب منه<sup>(٣)</sup>. لذلك لم يظهر القول بالقدر إلا في آخر عصر الصحابة كما سترى في هذا المطلب.

نشأة القول بالقدر: تقدم أن المشركين والمنافقين حاولوا إثارة الشبهات والخوض في القدر، ولكن مقولاتهم ردت ولم تلق أي قبول من المجتمع المسلم.

(١) سَرَّغُ بفتح السين وسكون الراء، مدينة افتتحها أبو عبيدة، وهي أول الحجاز وآخر الشام، قرب تبوك، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. انظر معجم البلدان للحموي (٣/ ٢١١)، فتح الباري (١٠/ ١٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (١٠/ ١٧٩) فتح، مختصراً، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة (١٤/ ٢٠٨ نووي).

(٣) انظر الفتاوى (٢٨/ ٢٦٧).

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدث خوض في القدر، وكان ذلك في البصرة فعن أبي الأسود الديلي<sup>(١)</sup> قال: قدمت البصرة وبها عمران بن الحصين رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فجلست في مجلسي فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فأتيت عمران بن الحصين، فقلت: يا أبا نجيد، إني جلست مجلساً فذكروا القدر فأمرضوا قلبي فهل أنت محدثي عنه، قال: نعم، تعلم أن الله عزّ وجلّ لو عذب أهل السماوات وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً فأنفقته ما يقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وستقدم المدينة فتلقى بها أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup> فقدم المدينة وجلس إلى أبي بن كعب وإلى عبد الله بن مسعود فسألتهما فأجاباه وحدثاه بمثل حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

وفي عهد عمر بن الخطاب أيضاً تذكر الروايات أنه حدث خوض في القدر بين الناس واعتراض من أمير نصراني من الروم، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية<sup>(٤)</sup>. والجائليق<sup>(٥)</sup> مائل بين يديه، والترجمان يترجم. فقال عمر: "من

(١) أبو الأسود الدؤلي أو الديلي البصري، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمر، من كبار التابعين، ثقة فاضل مخضرم، مات سنة (٦٩هـ). انظر تهذيب التهذيب (١٢ / ١٠)، السير (٤ / ٨١).

(٢) توفي عمران بن الحصين (٥٢)، وأبي بن كعب (٢١)، عبد الله بن مسعود (٣٢)، رضي الله عنهم.

(٣) انظر كتاب القدر لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق محمد حسن إسماعيل (٥٨) باختصار.

(٤) الجابية: قرية من أعمال دمشق، وكانت خطبة عمر هذه أثناء قدومه للشام عام ١٧هـ.

انظر: معجم البلدان (٢ / ٩١)، البداية والنهاية (٧ / ٧٦).

(٥) الجائليق: رئيس للنصارى في بلاد الإسلام. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (١١٢٥).

يهدده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، فقال الجاثليق: "إن الله لا يضل أحداً، فقال عمر: "ما يقول؟" فقال الترجمان: لا شيء، ثم عاد في خطبته فلما بلغ: "من يهدده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، فقال الجاثليق: "إن الله لا يضل أحداً. فقال عمر: ما يقول؟ فأخبره. فقال: كذبت يا عدو الله، ولولا عهدك لضربت عنقك، بل الله خلقك والله أضلك، ثم الله يميتك، ثم يدخلك النار إن شاء الله. ثم قال: "إن الله تعالى لما خلق آدم نثر ذريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. وقد كان الناس تذاكروا القدر، فافترق الناس وما يذكره أحد"<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ آخر: "وقد كان الناس تذاكروا القدر، فافترق الناس وما ينكره أحد"<sup>(٢)</sup>.

(١) القائل لذلك راوي الحادثة وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل. انظر كتاب الشريعة للأجري (٢ / ٨٣٩).

(٢) انظر كتاب القدر للفريابي (٣٢). ويذكر اللالكائي رحمه الله أن خوض الناس في القدر كان بسبب ما حدث من اختلاف بين الصحابة لما قدم عمر بن الخطاب إلى سرغ وهو يريد الشام، فقيل إن فيها الطاعون فاستشار من معه في القدوم إلى الشام أو العودة للمدينة، وعزم على العود فعارضه أبو عبيدة وقال له: "أفراراً من قدر الله وأجابه عمر كما تقدم وكان الفيصل ما حدثهم به عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه..." الحديث. فخطب عمر ليعرف الناس سبب انصرافه إلى المدينة فعارضه جاثليق النصارى. فاللالكائي جعل قدوم عمر إلى الجابية وسرغ قدوماً واحداً، وهذا خلاف ما ورد إذ قدم عمر إلى الجابية مرتين مرة عام ١٦ هـ لتسليم مفاتيح بيت المقدس، ومرة عام ١٧ هـ لنجدة أبي عبيدة بن الجراح لما حُصر في حصص. وهذان القدومان غير قدومه إلى سرغ عام ١٧ هـ وهو الذي التقى فيه بأبي عبيدة وأمراء الأجناد، وكان فيه أن منعه طاعون الشام من القدوم إليها. انظر تاريخ خليفة بن خياط (١٣٤، ١٣٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٢٨٣)، البداية والنهاية (٧ / ٧٥ - ٧٨)، تاريخ ابن خلدون (٢ / ١٠٥ - ١٠٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٦٥٥).



فلعل حادثة أبي الأسود الديلي سابقة على خطبة عمر لأن أبي بن كعب توفي عام (٢١هـ)، وخطبة عمر عام (١٧هـ)، وكان في رد عمر الحاسم وتوعده بالعقوبة الزاجرة حسم هذا الاختلاف إذ تفرق الناس بعد ذلك وما يذكره أو ينكره أحد.

وظل الأمر كذلك من التسليم التام للنصوص والإيمان القاطع بقضاء الله وقدره حتى أواخر عصر الصحابة، إذ بدأ التكذيب بالقدر والخوض فيه، وكان أول من أنكر القدر معبد الجهني<sup>(١)</sup>، وقد أخذ معبد القول بالقدر عن رجل نصراني يقال له: سنسويه أو سوسن أو سنهوية بن يونس السواري من البصرة على اختلاف في اسم هذا الرجل<sup>(٢)</sup>. يقول ابن تيمية: إنه في أواخر عصر الصحابة

(١) معبد الجهني: اختلف في اسم أبيه فقيل: عبد الله بن عليم، وقيل عبد الله بن عكيم، وقيل عويم، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمرو معاوية وعمران بن الحصين وغيرهم. شهد يوم التحكيم، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه، ثم اجتمع بعمر بن العاص فوصاه في ذلك فقال له: إيهأ يا تيس جهينة، ما أنت من أهل السر والعلانية، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل. وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص، فكان أول من تكلم في القدر، وأخذ غيلان القدر عنه. وكان لمعبد عبادة وفيه زهادة، وثقة ابن معين وغيره في حديثه، وقال الحسن البصري: إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج ثم قتله عام (٨٠)، وقيل بل صلبه عبد الملك بن مروان. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٤)، الإصابة لابن حجر (٣/٤٣٩) ط/ دار الفكر، تهذيب التهذيب (١٠/٢٢٥)، ميزان الاعتدال للذهبي (٤/١٤١)، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/١١٦).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٦٤)، كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/١٠٩)، كتاب القدر للفريابي (١٠٥، ١١٦)، كتاب الشريعة للأجري (٢/٨٥١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكثاني (٤/٧٥٠)، البداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٤)، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/١١٧).

حدثت بدعة القدرية والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله ووائلته بن الأسقع<sup>(٢٠١)</sup>.

ويحدد ابن تيمية نبوغ التكلم في القدر بعد وفاة معاوية رضي الله عنه (ت ٦٠ هـ): فيقول: "وبدعة القدرية حدثت قبل ذلك<sup>(٣)</sup>، بعد موت معاوية، ولهذا تكلم فيهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وابن عباس مات قبل ابن الزبير، وابن عمر مات عقب موته، وعقب ذلك تولى الحجاج سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر... وأكثره كان بالشام والعراق والبصرة، وأقله بالحجاز"<sup>(٤)</sup>.

أما أول من تكلم في القدر فهو معبد الجهني كما تقدم، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه بعد أن ذكر تنازع الصحابة في القدر في عهد رسول الله ﷺ ونهيه لهم: "فلم يسمع الناس بعد ذلك أحداً تكلم في القدر حتى كان ليالي الحجاج بن يوسف فأول من تكلم فيه معبد الجهني، فأخذه الحجاج بن يوسف فقتله"<sup>(٥)</sup>.

أما عن أي شيء كان يتحدث معبد الجهني ويخوض في القدر، فيبينه ما رواه مسلم في صحيحه<sup>(٦)</sup> عن يحيى بن يعمر البصري<sup>(٧)</sup> قال: "كان أول من قال في القدر

(١) توفي ابن عمر (٧٣هـ)، وابن عباس (٦٨هـ)، وجابر بن عبد الله (٧٨هـ)، ووائلته بن الأسقع (٨٣هـ) وهو: وائل بن الأسقع بن عبد العزى الليثي الكناني: صحابي من أهل الصفة، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، شهد فتح دمشق وحضر المغازي في البلاد الشامية. أقام في بيت المقدس. انظر: تهذيب التهذيب (١١ / ١٠١)، حلية الأولياء (٢ / ٢١).

(٢) منهاج السنة النبوية (١ / ٣٠٨).

(٣) أي: قبل خروج المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

(٤) انظر الفتاوى (٨ / ١٣٨) باختصار سير، وابن الزبير توفي (٧٢هـ).

(٥) مختصر ابن عساكر (٢٥ / ١١٨)، وانظر العقيدة الإسلامية وجهود علماء السلف في تقريرها والدفاع عنها لعطا الله المعايطة (٥٠٨).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كفر من نفى القدر (١ / ١٥٠) نووي.

(٧) هو: يحيى بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو، ويكنى أبا عدي، تابعي جليل، فقيه علامة مقرئ، كان من أوعية العلم وحملة الحجة، توفي قبل سنة ٩٠هـ. انظر: السير (٤ / ٤٤١)، تهذيب التهذيب (١١ / ٣٠٥).

بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري<sup>(١)</sup> حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم<sup>(٢)</sup> وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر... الحديث<sup>(٣)</sup>.

فالقدرية الأوائل زعموا أنه لا قدر وأن الأمر أنف فهما بدعتان:

- ١- قولهم إنه لا قدر: أي لم يقدر ويخلق الله شيئاً من أفعال العباد، فهي ليست واقعة بقدرته.
- ٢- قولهم: إن الأمر أنف: أي: مستأنفة. لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه<sup>(٤)</sup>.

(١) هو: حيد بن عبد الرحمن الحميري البصري، قال ابن سيرين: هو أفضه أهل البصرة، وقال ابن حبان: كان فقيهاً عالماً. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٤٦)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٥).

(٢) يتقفرون العلم: أي: يطلبونه ويتبعونه ويطلبون غامضه وخفيه. انظر شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٥).

(٣) وذكر حديث جبريل المشهور والذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام (١/ ١١٤) فتح.

(٤) انظر شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٢، ١٥٦) وانظر وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم (٣٧١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف أي مستأنف<sup>(١)</sup>.

ولعل نفي القدر في بدايته كان أولاً بنفي خلق الله وعلمه وتقديره للشر من أفعال العباد، إذ كان وجه اعتراض هؤلاء القدرية الغلاة وهو ما أشكل عليهم: أنه كيف يريد الله ويحب المعصية والشر وقد نهى عنها، فسووا بين الإرادتين الكونية والشرعية<sup>(٢)</sup>.

ويدل عليه أن رجلاً قال لابن عباس: إن قوماً يقولون ليس الشر بقدر، فقال ابن عباس: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ (الأشعاش ١٤٨) حتى بلغ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣) (الأشعاش ١٤٩) وقيل لابن عباس: إن رجلاً قدم علينا فكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ أعمى، فقالوا: وما تصنع به؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبتة في يدي لأدقنها... والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير، كما أخرجوه من أن يقدر الشر<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد هذا: الظروف التي تكلم فيها في القدر<sup>(٥)</sup> ذلك أنه قيل: إن أول ما تكلم

(١) الفتاوى (٨ / ٢٦٧)، وانظر منه (٨ / ٢٥٥).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣٢٤).

(٣) انظر كتاب القدر للفريابي (١٠٣).

(٤) انظر كتاب القدر للفريابي (١١٨) باختصار، الإبانة (٢ / ١٠٤) تحقيق الأثري.

(٥) لعل حادثة حرق الكعبة تشير إلى سبب من أسباب نشوء القول بالقدر، والتي منها: الفتنة التي مرت بها الأمة الإسلامية بعد العهد النبوي وخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وما فيها من إيمان وأمان ورخاء، فجاءت هذه الفتنة ووقع القتل بين المسلمين، وانتهدك بيت الله =

في القدر لما احترقت الكعبة، ذلك أن طارت شرارة فأحرق البيت، فقال رجل: كان هذا من قدر الله، وقال آخر: لم يكن من قدر الله<sup>(١)</sup>.

وكانت نهاية معبد الجهني (عام ٨٠هـ)، وورث عنه هذا القول الفاسد غيلان الدمشقي<sup>(٢)</sup> إذ تابع مسيرة الضلال ودعم البدعة، وكان داعية للقول بالقدر.

= وحرقت الكعبة، وما كان في تلك الظروف من تسلط الخوارج ونشوء بدع التشيع، فهذه الفتن والأحداث تمهد لظهور البدع خاصة بدعة القدرية لارتباط الأحداث بأقدار الله، وما يقع من العباد هل يرضاه الله ويحبه؟ هل يريد أم لا؟ فهي أمور متداخلة للمسلم أن يتساءل عنها، وللشيطان أن يثيرها شبهات.

• دخول أعداد كبيرة من الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم إلى الدين الإسلامي؛ أثر اتساع الفتوح، وكان في هؤلاء الداخلين: المؤمن الصادق وكان منهم الحاقد، وكان منهم الجاهل، ومن لا يزال متأثراً بعقائده السابقة.

• سنة الله عز وجل في أن يتلي العباد ليعلم المؤمن الصادق من غيره، كما قال سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴿المعكوت ٣-٢﴾

الديانات المجاورة خاصة النصرانية والمجوسية إذ قيل إن سوسن أو سوسية كان نصرانياً فأسلم ثم تنصّر وعنه أخذ معبد القول بالقدر، وقد لا يكون لهذين الدينين أثر مباشر في إحداث القول بالقدر، ولكنها بدعة ظهرت ووافقت قول النصراني والمجوس في القدر. انظر: ما تقدم: في الباب الأول- الفصل الثالث: أسباب الفرقة، الفصل الرابع: مضار الفرقة، وانظر كتاب القدرية والمرجئة للعقل (٣٥).

(١) انظر كتاب القدر للفريابي (١٠٦)، الفتاوى (٧ / ٢٤٠). وكان احتراق الكعبة عام ٦٤هـ وقيل ٦٣هـ. انظر تاريخ الطبري (٣ / ٣٦١)، البداية والنهاية (٨ / ٢٦٤).

(٢) غيلان الدمشقي: هو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان: كاتب من البلغاء، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه بعد معبد الجهني، اتهم بأنه كان في صباه من أتباع الحارث بن سعيد الكذاب مدعي النبوة، ولقد أظهر غيلان التوبة عن قوله بالقدر زمن عمر بن عبد العزيز لما ناظره، ولكنه رجع إلى القول بالقدر بعد وفاة عمر وجاهر بمذهبه، فناظره الأوزاعي عند الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وأفتى الأوزاعي بقتله، فقتله هشام وصلبه في دمشق عام ١٠٥هـ وقيل ١٠٧هـ. انظر الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٠).

ولما واجه القدرية الغلاة أو القدرية الأوائل مواقف الصحابة، والتي كانت راداً حاسماً وقوياً اندحروا واضمحلوا، ولم يستطع هذا القول أن يكون فرقة مستقلة؛ إلا أنه أثر في الفرق الأخرى التي نشأت ثم في أوائل القرن الثاني نجد أن القول بالقدر والخوض فيه نحا منحيين، وتبنته فرقتان:

١- الخوض في القدر نفياً له، ولم يكن نفياً غالباً كالقدرية الأوائل الذين نفوا مراتب القدر الأربعة: "العلم- الكتابة- المشيئة- الخلق"، وكفرهم لذلك علماء المسلمين- بل جاء القدرية في القرن الثاني وأثبتوا العلم والكتابة ولكنهم نفوا المشيئة والخلق<sup>(١)</sup>؛ وزعموا أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، وهذا كان قول المعتزلة، وكان القول بالقدر بهذه الطريقة يناسب أصلاً من أصولهم الذي كانوا قد حاضوا فيه من قبل، وهو قولهم بالوعيد، وأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر، وحكموا عليه بأنه مخلّد في النار يوم القيامة وأسموا ذلك عدلاً.

٢- وكردة فعل لنفي القدر جاء الغلو في إثباته، والزعم أنه ليس للعباد إرادة ولا مشيئة ولا قدرة ألبتة، وأن الله هو الفاعل القادر على الحقيقة، وهذا قول الجهم بن صفوان وأصحابه والذين عرفوا لقولهم بالقدر بـ"الجبرية"<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية... ثم كثر الخوض في القدر... فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الإرادة" و"خلق أفعال العباد" فصاروا في ذلك حزبين: النفاة يقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد.

(١) انظر التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية لابن تيمية، شرح فالح آل مهدي (٣٧٣).

(٢) انظر الفتاوى (٨ / ٢٧٣).

وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة" مثل الجهم بن صفوان وأمثاله، فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا: العبد لا فعل له ألبته ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط<sup>(١)</sup>.

وقال: "وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية، بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف أي مستأنف...

ثم كثر خوض الناس في القدر، فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق، لكن ينكرون عموم مشيئة الله، وعموم خلقه وقدرته، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره، فما شاء فقد أمر به، وما لم يشأ لم يأمر به"<sup>(٣)</sup>.

ويقول: "وبدعة القدرية حدثت بعد موت معاوية ... فلما حدثت المعتزلة وتكلموا بالمنزلة بين المنزلتين، وقالوا: بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد، وأن النار لا يخرج منها من دخلها ضموا إلى ذلك القدر فإنه به يتم... ثم ظهر جهم من ناحية المشرق من ترمذ، ومنها ظهر رأي جهم"<sup>(٤)</sup>.

ويبين أن المعتزلة هم الذين نصرُوا قول القدرية وأظهروه فيقول: "ولم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك"<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتاوى (١٣ / ٢٣) باختصار.

(٢) الفتاوى (٨ / ٢٧٣).

(٣) الفتاوى (٨ / ٢٦٧) باختصار.

(٤) الفتاوى (٨ / ١٣٨) باختصار.

(٥) الفتاوى (٢٨ / ٢٦٨).

ويقول أبو المظفر الإسفراييني وهو يتحدث عن فرق المعتزلة: "ومنهم الواصلية أتباع واصل بن عطاء الغزال وهو رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق إلى بدعتهم، وذلك أن معبداً الجهني، وغيلان الدمشقي كانا يضمران بدعة القدرية ويخفيانها عن الناس..."

وكان واصل يختلف إليه الناس وكان في السر يضمم اعتقاد معبد وغيلان وكان يقول بالقدر. والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين... فخالف واصل القولين، وقال إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين المنزلتين، وحكمهم في الآخرة أنهم مخلدون في النار مع الكفار...

ولما أظهر واصل هذه البدعة واعتزل جانباً وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة، ولم يقدر على إظهار قولهما. فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذي ابتدعه في فساق أهل الملة؛ كانوا يضربون به المثل ويقولون: مع كفره قدري... والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول<sup>(١)</sup>.

ثم ما زال القول بالجبر في قول الجهمية الجبرية، وضده القول بالقدر في المعتزلة حتى جاء أبو الحسن الأشعري ببدعة أخرى، وقول جديد في القدر يظن أنه متوسط بين قول الجبرية والقدرية، ويظن أنه يوافق الحق، وهو القول بالكسب<sup>(٢)</sup>، ولكنه أخطأ الصواب، وزاد المسلمين فرقة وفرقة، وهم فرقة الأشعرية، وقولهم بالكسب، كما مرّ في المطلب السابق.

(١) التبصير في الدين (٦٧ - ٦٨) باختصار. وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٦١).

(٢) انظر شفاء العليل لابن قيم الجوزية (٤)، القدرية والمرجئة لناصر العقل (٣٥).



## المبحث الثاني

## موقف الصحابة رضي الله عنهم من القدرية

مدخل: لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حرصاً على هذا الدين العظيم؛ دعوة إليه وتعليماً لأحكامه، ودفاعاً عنه، وكانت لهم مواقف عدة في تقرير العقيدة الإسلامية وفي الدفاع عنها.

ولما كان الإيمان بالقضاء والقدر ركناً من أركان الدين لا يتم الإيمان إلا به؛ حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعليم الناس هذا الركن شأنه كشأن بقية الأركان؛ إذ لم تكن مسألة القضاء والقدر من المسائل المغلقة التي لا يجوز الحديث عنها ألبتة<sup>(١)</sup>، بل كانوا رضي الله عنهم يعلمون الناس، ولم يكونوا يردون سائل، أو ينتهرون مستفهم. وكانت لهم المواقف المتعددة في تعليم الناس الإيمان بالقضاء والقدر، وهم فيها مقتدون بالرسول ﷺ، ومنها:

١- تعدد طرقهم في تعليم الناس الإيمان بالقضاء والقدر.

٢- تحاورهم في مسائل القدر.

(١) الكلام في القدر على وجهين: أحدهما: فرض علينا علمه ومعرفته، والإيمان به والتصديق بجميعة وهو ما ورد في الكتاب والسنة. والآخر: فحرام علينا التفكير فيه، والمسألة عنه والمناظرة عليه والكلام لأهله والخصومة به وهو القول في القدر كيف ولم وما السبب مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم، الذي لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً، وحجب العقول عن تحيّل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس؛ كلما ازداد فيه نظراً ازداد فيه تحيراً... فهو التفكير في الرب عزّ وجلّ كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عزّ وجلّ بفعل عباده، ويشبه الله بخلقه، ولم يع عنه ما خاطبه به حيث يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقوله: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. انظر الإبانة لابن بطّة، تحقيق الأثيوبي (١/ ٢٤٦) باختصار وتصرف.

٣- يجيبون على أسئلة المستفهم المستعلم.

٤- يزيلون الشكوك ويقطعون بالحجة كل شبهة.

٥- يمتحنون طلابهم ليحصنوههم ضد الشبهات.

هذه مواقفهم بإجمال وإليك أخي القارئ تفصيلها:

أولاً: تعدد طرقهم في تعليم الناس بالإيمان بالقضاء والقدر: لقد تعددت وتنوعت طرق الصحابة في تعليم الناس الإيمان بالقضاء والقدر، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان إذا خطب وهو أمير على الكوفة، يقول: "الشقي من شقى في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه"<sup>(١)</sup>.

وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يقول وهو على المنبر: "أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله عزّ وجلّ، ولا ينفع ذا الجدم منه الجدم، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ثم قال: سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد"<sup>(٢)</sup>.

ووقعت له حادثة فأحب أن يعظ الناس بها، فعن عبد الملك بن مروان قال: كنت جالساً مع معاوية رضي الله عنه فأتى بطعامه، فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ثم وضعها، فتناولتها فأكلتها، فطلبها فلم يجدها، فخطب الناس عشية على المنبر فقال: "أيها الناس اتقوا الله تبارك وتعالى فإنه والله ما لامرئ منكم إلا ما كتب له. والله إن أحدكم ليرفع اللقمة المرة والمرتين، ثم تقضى لغيره"<sup>(٣)</sup>.

فالاستفادة من الخطبة التي يسمعها كثير من الناس في تعليمهم مسائل مهمة في القدر كانت من طرائق الصحابة رضي الله عنهم.

(١) انظر الإبانة لابن بطة (٢/ ١٥١)، تحقيق الأنثوي.

(٢) انظر كتاب القدر للفريابي (٦٦).

(٣) انظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٨).

وفي مواقف الخوف والحرب يُذكرون الناس بوجوب الإيمان بقضاء الله وقدره ويكونون هم القدوة في ذلك، فهاهم أصحاب علي رضي الله عنه قالوا فيما بينهم: إن هذا الرجل في حرب، وإلى جانب عدو، وإنا لا نأمن أن يغتال، فلو حرسه منا كل ليلة عشرة، وكان علي إذا صَلَّى العشاء لزق بالقبلة؛ فصلّى ما شاء الله أن يصلّي ثم انصرف إلى أهله، فصلّى ذات ليلة ثم انصرف فأتى عليهم، فقال: ما يجلسكم هذه الساعة؟ قالوا: جلسنا نتحدث، قال: لتخبروني. فأخبروه، فقال: من أهل السماء تحرسوني أو من أهل الأرض؟ قالوا: نحن أهون على الله أن نحرسك من أهل السماء، لا بل نحن نحرسك من أهل الأرض. قال: فلا تفعلوا، إنه إذا قُضي أمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن عليّ من الله جنة حصينة إلى يومي هذا، ثم تذهب، وإنه لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يستيقن غير ظان، أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه<sup>(١)</sup>.

ومن طرائق الصحابة رضي الله عنهم في التعليم ربط ذلك بأمر حسية، وضرب الأمثلة عليه تقريباً للمعنى وتثبيتاً له، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لا، والذي لا إله غيره لا يجد أحدكم طعم حلاوة الإيمان - وهو يشير بإصبعه إلى فيه ويبل طرفها - حتى يؤمن بالقدر، ويعلم أنه ميت، ومبعوث من بعد الموت"<sup>(٢)</sup>.

وذكر عند علي بن أبي طالب القدر يوماً فأدخل إصبعيه السبابة والوسطى في فيه، فرقم بهما باطن يديه، فقال: "أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب"<sup>(٣)</sup>. وكانوا رضي الله عنهم في لحظات الموت، وفي الأحداث المفجعة يعلمون الناس أن كل شيء بقدر، إذ لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ﴿مَا كَانَ عَلَى

(١) انظر الإبانة (٢/ ١٣٥)، تحقيق الأنثوي، السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٠٢).

(٢) انظر كتاب القدر للفريابي (٧١).

(٣) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٣٢)، كتاب الشريعة للأجري (٢/ ٨٤٤).

النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ (الأحزاب ٣٨) (١).

وكانوا رضي الله عنهم لا ينتظرون أسئلة من حولهم ليحييهم ويعلموهم؛ بل كانوا يبتدرون من حولهم بالتعليم، ويختارون الطريقة المناسبة والمكان المناسب، فعن أبي عبد الرحمن السلمي<sup>(٢)</sup> قال: أخذ علي رضي الله عنه بيدي فانطلقنا نمشي حتى جلسنا على شاطئ الفرات، فقال علي: قال النبي ﷺ: {ما من نفس إلا قد كتبت لها من الله تعالى شقاء وسعادة}. فقام رجل فقال: يا رسول الله ففيم إذا العمل؟ فقال: أعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٦٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦١﴾ فَسَنِيَرُهُدٍ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٦٢﴾ وَأَمَّا مَنْ نَحِلَ وَأَسْتَعْنَىٰ ﴿٦٣﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦٤﴾ فَسَنِيَرُهُدٍ لِلْعُسْرَىٰ ﴿٦٥﴾﴾ (البقره ١٠٠-١٠٥) (٣).

وقد روي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس إثبات القدر، وأن الله تعالى خلق الخلق شقيماً وسعيداً<sup>(٤)</sup>.

وكانوا رضي الله عنهم يعلمون خطورة التكذيب بالقدر لذلك كانوا يعظون أبناءهم ويوصونهم بالإيمان بالقدر في لحظات الموت، فعن الوليد بن عباد<sup>(٥)</sup> أن أباه عبادة بن الصامت لما احتضر سأله ابنه عبد الرحمن وقال: يا أبة أوصني، قال:

(١) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٠٩).

(٢) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجوده ومهر فيه. توفي سنة ٧٤هـ. انظر: السير (٤/ ٢٦٧)، الحلية (٤/ ١٩١).

(٣) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٨٣)، وصحح الألباني إسناده، فتح الباري (١١/ ٤٩٦).

(٤) انظر كتاب الشريعة (٢/ ٨٤٢).

(٥) هو: الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري أبو عبادة المدني، ولد في حياة النبي ﷺ، كان ثقة قليل الحديث، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٧).

أجلسوني يا بني، فأجلسوه. قال: يا بني. اتق الله، ولن تتق (كذا)<sup>(١)</sup> الله تعالى حتى تؤمن بالله تعالى. ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن يخطئك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: القدر على هذا، من مات على غير هذا أدخله الله تعالى النار<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: تحاورهم في مسائل القدر: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "وددت أني أجد من أخاصم إليه ربي عز وجل، فقال أبو موسى: أنا، فقال عمرو بن العاص: أيقدر عليّ شيئاً يعذبني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لم؟ قال: لأنه لا يظلمك، فقال عمرو: صدقت"<sup>(٣)</sup>.

ومن تحاورهم ونقاشهم ما وقع في سرغ، وما جرى بين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما، إذ لما أراد عمر الرجوع بالناس إلى المدينة وعدم القدوم للشام من أجل ما وقع بها من طاعون، رد عليه أبو عبيدة وقال: "أفراراً من قدر الله؟". فقال عمر: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم؛ نفر من قدر الله إلى قدر الله". ثم ضرب له عمر مثلاً يوضح له أن الأخذ بالأسباب لا يعارض الإيمان بالقدر فقال: "أرأيت إن كانت لك إبل هبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصيية، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصيية رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟".

(١) (كذا) لعلها تنبيه من الناسخ أو المحقق من أن تتق وجدت في النسخة محذوفة الياء، وحذفها يكون للجزم لا للنصب، وهي منصوبة هنا بلن.

(٢) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٥١) وصححه الألباني، كتاب القدر للفريابي (٣٨، ١٢١)، كتاب الشريعة (٢/٧٦٦).

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢/٤٢٢)، الإبانة (٢/٧٢) تحقيق الأثيوبي.

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف - وكان متغيباً في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه}، فحمد الله عمر ثم انصرف<sup>(١)</sup>. وهذا التحاور والنقاش لا يكون إلا من العلماء العارفين بنصوص الكتاب والسنة لا من العامة والجهال.

ثالثاً: يجيبون على أسئلة المستفهم والمستعلم: كانوا رضي الله عنهم يجيبون كل سائل، وتتسع صدورهم لكل مستفهم، وكان هذا هدي رسول الله ﷺ معهم، فاقتدوا به وساروا على هديه.

سُئل سلمان الفارسي رضي الله عنه: ما الإيمان بالقدر؟ فأجاب: "أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"<sup>(٢)</sup>.

ويُسأل أبو هريرة عن القدر فيجيب بقوله: "أكتف منه بأخر سورة الفتح"<sup>(٣)</sup>. أجوبة موجزة واضحة وافية، فرضي الله عنهم وأرضاهم فقد كانوا أعلم الناس وأفقههم.

ويقول عبد الله بن فيروز الديلمي<sup>(٤)</sup>: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن "جف القلم"، فقال: "إن الله عز وجل حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيء منه اهتدى"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر أول الحديث فيما تقدّم من المبحث الأول "مدخل" من هذا الفصل.

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٦٧٧).

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٣)، السنة للخلال (٥٥١).

(٤) هو: عبد الله بن فيروز الديلمي أبو بشر، كان يسكن بيت المقدس، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٨).

(٥) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٠٧) وصححه الألباني، كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٤)، السنة للخلال (٥٣٩).

ويُسأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (الأعراف ١٧٢) . فيجيب رضي الله عنه بما سمعه من رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> . إذ كانوا يوقفون الناس عند النصوص .

وكان الرجل إذا سمع شيئاً عن القدر من صحابي وأشكل عليه فإنه يسأل صحابي آخر ولا يعاب عليه، فعن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: "كان عبد الله بن مسعود يحدث في المسجد: أن الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره . قال فأتيت حذيفة بن أسيد الغفاري فقلت: ألا تعجب من عبد الله بن مسعود يحدث في المسجد: إن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره! قال: فما بال هذا الطفيل الصغير . قال<sup>(٢)</sup>: لا تعجب من سمعت رسول الله ﷺ مراراً ذات عدد يقول: {إن النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين ليلة ...} الحديث<sup>(٣)(٤)</sup> .

رابعاً: يزيلون الشكوك ويقطعون الشبهة عن نفس السائل بما يحدثون عن رسول الله ﷺ .

فعن أبي الأسود الديلي قال: قدمت البصرة وبها عمران بن حصين رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، فجلست في مجلسي فذكروا القدر، فأمرضوا قلبي،

(١) وهو قوله: {إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة... الحديث. انظر سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر (٤ / ٢٢٦)، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأعراف (٥ / ٢٦٦)، شرح السنة للبغوي (١ / ١٣٨).

(٢) القائل حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٣) وذكر تكون الجنين في الرحم وكتابة الملك رزقه وسعادته أو شقاوته.

(٤) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٧٩) وصحح إسناده الألباني، كتاب القدر للفريابي (٥٢، ٥٤)، الحجّة للأصبهاني (٢ / ١٩).

فأتيت عمران بن الحصين فقلت: يا أبا نجيذ، إنني جلست مجلساً فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه، قال: نعم، تعلم أن الله عزّ وجلّ لو عدّب أهل السماوات وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً، فأنفقت ما يقبل منك حتى تؤمن بالقدر كله خيره وشره، وستقدم المدينة فتلقى بها أباي بن كعب وعبد الله بن مسعود، قال: فقدمت المدينة، فجلست في مجلس فيه عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب... الحديث<sup>(١)</sup>، فسألتهما فأجابا بجواب عمران بن الحصين.

ويأتيهم أيضاً عبد الله بن فيروز الديلمي وفي نفسه شيء من القدر فيسألهم، فيجيبون جواباً يزيل الشبهة، ويقطع الشك، فعن ابن الديلمي قال: أتيت أباي بن كعب رضي الله عنه فقلت: يا أبا المنذر، وقع في قلبي شيء في القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي، فقال: لو أن الله تعالى عدّب أهل سماواته وأرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت جبل أحد أو مثل أحد ذهباً لم يقبل منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك دخلت النار. وأتيت حذيفة فحدثني بمثل ذلك، ثم أتيت ابن مسعود فحدثني بمثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن رسول الله ﷺ بمثل ذلك<sup>(٢)</sup>.

خامساً: يمتحنون طلابهم ليحصنهم ضد الشبهات: عن أبي الأسود الديلمي قال: قال لي عمران بن حصين رضي الله عنه: "أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشياء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم

(١) انظر كتاب القدر للفريابي (٥٨)، الشريعة (٢/ ٨٤٧).

(٢) انظر كتاب القدر للفريابي (٦٩)، الشريعة (٢/ ٨٤٨)، الإبانة (٢/ ١٤٤) تحقيق الأثيوبي، شرح

أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ١٤٥)، (٤/ ٦١٢).



به نبيهم ﷺ ويثبت به الحجة عليهم؟، فقلت: شيء قضى عليهم ومضى عليهم، قال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزع من ذلك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله ومملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، فقال: يرحمك الله، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشياء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قدر عليهم، أم فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ﷺ، ويثبت به الحجة عليهم، فقال: "لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم"، وتصديق ذلك من كتاب الله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ (الشمس ٧-٨).<sup>(١)</sup>

ولعل عمران بن الحصين رضي الله عنه سأل أبا الأسود هذا السؤال لما كان قد وقع فيه من الشبهة<sup>(٢)</sup>، فأراد- كما ذكر- أن يحرز عقله: أي يحفظه ويصونه من الشبهات<sup>(٣)</sup>، وإلا فمثل هذه المسائل لا تثار عند كل أحد، وهذه الأسئلة لا تُسأل لأي أحد، والله أعلم.

هذه مواقفهم رضي الله عنهم من السائل المستفهم المستفيد، أما موقفهم من المعاند المتعنت المبتدع؛ الخائض في قضاء الله؛ المنكر لقدره: فكانت مختلفة، وهذا ما سيتضح في الآتي إن شاء الله:

موقفهم من القدرية: لقد كانت مواقف الصحابة رضي الله عنهم قوية، وردودهم حاسمة للخائضين في القدر، لما في هذه البدعة من خطورة على ركن من أركان الإيمان: الإيمان بالقضاء والقدر.

ولقد تنوعت مواقفهم، وتعددت ردودهم، ومن هذه المواقف:

- (١) انظر كتاب القدر للفريابي (٥٧).
- (٢) كما تقدّم من قوله في النقطة السابقة "رابعاً".
- (٣) أحرزت الشيء: حفظته وصنته. انظر النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٥٢).

- ١- استفاضة القول الحق في القدر بين الناس واشتهاره عن الصحابة رضي الله عنهم.
- ٢- الاحتجاج بالنصوص والأمر بالتسليم لها.
- ٣- ضرب الأمثلة، وتقريب الأمور حتى لا يلتبس الأمر على أحد.
- ٤- بيان خطورة الخوض في القدر والتحذير منه.
- ٥- إعلان البراءة من القدرية لخطورة قولهم.
- ٦- الأمر بهجر القدرية وترك مجالستهم والأمر بعدم عيادتهم إذا مرضوا، أو الصلاة خلفهم.

- ٧- لعنهم والدعاء عليهم تنفيراً من سلوك سيئهم.
- ٨- الأمر بإهانتهم وعدم رد السلام عليهم تحقيراً من شأنهم.
- ٩- ضربهم وإيذاؤهم، والتهديد بقتلهم عقوبة لهم وزجراً عن سوء فعالهم.
- ١٠- التشهير بهم وبيان ما ورد فيهم من ذم من أنهم شيعة الدجال، ومجوس هذه الأمة.

- ١١- شناعة قول القدرية وعدم قبول أعمالهم.
- ١٢- إنزال آيات من القرآن الكريم عليهم تحذيراً من شرهم.
- ١٣- حكمهم.

هذه بعض مواقفهم بإجمال أما عن تفصيلها فالتالي:

أولاً: استفاضة القول الحق في القدر بين الناس، واشتهاره عن الصحابة رضي الله عنهم.

يقول طاووس بن كيسان اليميني<sup>(١)</sup> رحمه الله: "أدركت ثلاثمائة من أصحاب

(١) هو: طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليميني، الحافظ، الفقيه، القدوة، عالم اليمن، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر: السير (٥/ ٣٨)، الوفيات (٢/ ٥٠٩).

رسول ﷺ يقولون كل شيء بقدر<sup>(١)</sup>.

وقيل لأبي الأسود الدبيلي: إن رجلاً يزعم أن العمل أنف، من شاء عمل خيراً ومن شاء عمل شراً. قال: كذب، ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت القدر<sup>(٢)</sup>.

إن اشتها هذا الأمر عن الصحابة رضي الله عنهم واستفاضة الحق بين الناس كان له أثر قوي في رد بدعة القدرية، إذ لم يجد معبد الجهني وغيلان الدمشقي من بعده أتباعاً كثر على قولهم في القدر، بل وجدوا الصد والرد من عامة المسلمين. إن انتشار العلم الصحيح بين الناس يجعلهم في حصانة من هذه الشبهات بإذن الله<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الاحتجاج بالنصوص والأمر بالتسليم لها: كان من منهج الصحابة رضي الله عنهم في الرد على القدرية المبتدعة وقطع بدعتهم: إيراد النص من كتاب الله أو مما سمعوه من رسول الله ﷺ ولسان حالهم يقول للمبتدع: إن كنت مسلماً فعليك أن تسلم للنصوص، وإن كنت غير ذلك فلم تحاج عن أمر ليس هو من دينك؟. يقول أبو المظفر السمعاني<sup>(٤)</sup> رحمه الله عن القدر: "سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٥٣٥، ٦٥٥ - ٦٧٨)، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (١٦/ ٢٠٤ نووي)، كتاب القدر للفريابي (٩٦)، خلق أفعال العباد للبخاري (٤٧).

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٥٨٥).

(٣) انظر ما تقدم في مدخل هذا البحث من تعليم الصحابة القدر للناس (٣٩٤).

(٤) هو: أبو المظفر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي، كان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة، صنف كتاب "البرهان" وله "الآمالي" في الحديث، انتصر لأهل الحديث والسنة والجماعة وكان شوكة في أعين المخالفين وحجة أهل السنة، توفي سنة ٤٨٩ هـ. انظر: السير (١٩/ ١١٤)، الشذرات (٢/ ٣٩٢).

فيه ضلّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب<sup>(١)</sup>.  
 لذلك لما قيل لعبد الله بن عباس إن ناساً يقولون: إن الشر ليس بقدر، قال:  
 فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
 أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا  
 الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ  
 ﴿١٤٩﴾ (الأعام ١٤٨-١٤٩) (٢).

وكان ابن عباس جالساً في حلقة فذكروا أهل القدر، قال: منهم هاهنا أحد،  
 فأخذ برأسه وأقرأ عليه: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي  
 الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ (الإسراء ٤) ، ثم أقرأ عليه آية كذا وآية كذا  
 أي في القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقد تقدّم<sup>(٤)</sup> ما حصل بين يحيى بن يعمر وابن عمر رضي الله عنه لما أخبره عن  
 قول القدرية، فبعد أن تبرأ منهم ابن عمر حدثهم بما سمعه من أبيه عمر عن رسول  
 الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

فالاستدلال بالنصوص يعتبر رداً حاسماً على هؤلاء القدرية، وعلى كل أهل  
 البدع.

(١) انظر فتح الباري (١١ / ٤٧٧)، الإبانة (١ / ٢٨٢) تحقيق الأيوبى.

(٢) انظر كتاب القدر للفريابي (١٠٣)، الإبانة (٢ / ١٥٨)، (١ / ٢٧٨)، شرح أصول اعتقاد أهل  
 السنة (٤ / ٥٥٠).

(٣) انظر كتاب القدر للفريابي (٨٩)، الشريعة (٢ / ٨٧٣).

(٤) انظر نشأة القول بالقدر في المبحث السابق.

(٥) ذكر حديث جبريل المشهور، وانظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢ / ٤١٣، ٤١٤).

ثالثاً: ضرب الأمثلة، وتقريب الأمور حتى لا يلتبس الأمر على أحد: لما كان الخوض في القدر وإنكاره قد بدأ خشى الصحابة رضي الله عنهم من التباس الأمر على المسلمين، فأخذوا ببيان الحق وضرب الأمثلة عليه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك"<sup>(١)</sup>. وقال: "العجز والكيس بقدر"<sup>(٢)</sup>.

وذكر عند علي بن أبي طالب القدر يوماً فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه، فرقم بهما باطن يديه فقال: "أشهد أن هاتين الرقمتين كانت في أم الكتاب". ولما كان الخوض في القدر أول أمره في نفي خلق الله عزّ وجلّ وعلمه للشر من أفعال العباد ومعاصيهم كانوا يصرحون ويوضحون بالأمثلة أن كلاً من عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ألزنا والسرقه بقدر"<sup>(٣)</sup>.

فأوضحوا أيضاً يقطع مجال الشك، ويدفع كل شبهة، ويوضح كل مشكلة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

رابعاً: بيان خطورة الخوض في القدر والتحذير منه: لقد جاءت نصوص عدة عن الصحابة رضي الله عنهم تحذّر من الخوض في القدر، وتبين خطورته، من ذلك أنه بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً تكلموا في القدر، فقام خطيباً وقال: "يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلمتا فيه إلا ضربت أعناقهما"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر كتاب القدر للفريابي (٧٣)، الشريعة (٢ / ٨٦٨).

(٢) انظر كتاب القدر (٩٧)، خلق أفعال العباد للبخاري (٤٧)، ولقد روي مرفوعاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز". أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (١٦ / ٢٠٤ نووي).

(٣) انظر كتاب السنة للخلال (٥٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤ / ٦٩٧).

(٤) انظر الإبانة (٢ / ٣١٠) تحقيق الأنيوبي.

فبين رضي الله عنه أن الخوض في القدر سبب لهلاك الأمم، ويؤكد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا الأمر ويذكر أن التكذيب بالقدر هو مفتاح الكفر فيقول: "ما كان كفر بعد نبوة إلا كان مفتاحه التكذيب بالقدر"<sup>(١)</sup>.

ويحذر ابن عباس رضي الله عنهما من الخوض في القدر مبيناً أنه أول شرك في الأمة فيقول لما ذكرت عنده القدرية: "هذا أول شرك هذه الأمة"<sup>(٢)</sup>.

ويقول: "لا يزال أمر هذه الأمة قواماً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر"<sup>(٣)</sup>.

ويقول محذراً من الغلو في القدر: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان"<sup>(٤)</sup>.  
ويبين شناعة قول القدرية وخطره فيقول: "كلام القدرية كفر"<sup>(٥)</sup>. ويقول عنهم: "إنهم يكذبون بكتاب الله"<sup>(٦)</sup>.

ويحذر عمر بن الخطاب عن خروجهم ليحذر الناس ذلك فيقول: "سيأتي قوم يكذبون بالقدر، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار"<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) انظر الإبانة (٢/ ١٤٩) تحقيق الأثيوبي، وانظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٤)، التنبيه والرد للملطي (١٦٩).
- (٢) انظر الإبانة (٢/ ١٠٤) تحقيق الأثيوبي.
- (٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٠١)، كتاب القدر للفريابي (٨٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٣١).
- (٤) انظر كتاب القدر للفريابي (٧٧)، السنة للخلال (٥٤٩)، الشريعة (٢/ ٨٦٩).
- (٥) انظر الإبانة (١/ ٢٨٦) (٢/ ١٦٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤٤).
- (٦) انظر الشريعة (٢/ ٧٧٠).
- (٧) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٣٧)، وقال الألباني عنه: "حديث حسن وإسناده ضعيف، علي بن زيد سعى الحفظ لكنه قد توبع". وكان عمر رضي الله عنه يعدد أقوال المعتزلة الذين نشروا قول القدرية.

خامساً: إعلان البراءة من القدرية لخطورة قولهم: لقد أعلن البراءة من القدرية كل من سمع بقولهم من الصحابة رضي الله عنهم ليحذره الناس ولا يستمعوا لبدعتهم، ولئلا يغتر جاهل ويسير خلفهم.

قال عبد الله بن عمر: "أنا بريء ممن لم يؤمن بالقدر"<sup>(١)</sup>.

وقال لما بلغه قول القدرية قال ليحيى بن يعمر: "فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم، وأنهم براء مني"<sup>(٢)</sup>.

سادساً: الأمر بهجر القدرية وترك مجالستهم، والأمر بعدم عيادتهم إذا مرضوا، أو الصلاة خلفهم: لقد جاءت النصوص تأمر بهجر أهل البدع زجراً لهم عن بدعتهم من جهة؛ ومن جهة أخرى حتى لا يؤثروا على أحد من المسلمين وينشروا بدعتهم<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما سار عليه الصحابة رضي الله عنهم إذ أمروا بهجر القدرية لسوء معتقدتهم، ولخطورة بدعتهم، فأمروا بترك مجالستهم، ونهوا عن زيارتهم أو عيادتهم إذا مرضوا؛ فالخوض في القدر شديد وصاحبه على خطر، فيجب تأديبه بهجره، وكفّ شره عن المسلمين بتركه.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٠، ٤٢١)، كتاب القدر للفريابي (٨٢).

(٢) تقدّم الحديث بكامله في البحث السابق: نشأة القول بالقدر، وانظر الشريعة (٢/ ٨٥٢).

(٣) انظر ما تقدّم في الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الثاني: عن هجر وعزلة أهل البدع (٧٩).

(٤) انظر كتاب القدر للفريابي (٧٨)، وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ. انظر السنة لابن أبي عاصم (١٤٩)

وحسنه الألباني، السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٣٩١).

وكانوا ينهون عن الصلاة خلف القدرية، إذ في الإلتزام بهم كرامة لهم وجعلهم موضع الاقتداء لذلك نهوا عن الصلاة خلفهم، سئل وائلة بن الأسقع رضي الله عنه عن الصلاة خلف القدري؟ فقال: "لا تصل خلفه"<sup>(١)</sup>.

يقول مالك بن أنس رحمه الله: "لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة ٢٢) ، قال القرطبي تعليقا على كلام الإمام مالك السابق: وهذا حكم أهل البدع كلهم من وجوب هجرهم والاعتزال عن مجالسهم"<sup>(٢)</sup>.

سابعا: لعنهم والدعاء عليهم تنفيرا من سلوك سيئهم: جاء لعن القدرية على لسان بعض الصحابة تنفيرا من بدعتهم فعن موسى بن وردان<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر"، قال موسى: فلعنهم أبو هريرة رضي الله عنه عند قوله هذا<sup>(٤)</sup>.

وسار التابعون على ذلك فلقد كان القاسم بن محمد<sup>(٥)</sup> وسالم بن عبد الله<sup>(٦)</sup>

(١) انظر الإبانة (٢/ ٢٦٠، ٣١٨) تحقيق الأثيوبي.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٩)، وانظر في هجر أهل البدع: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي (١/ ٣٤٣، ٣٧٣، ٤٠٧).

(٣) موسى بن وردان العامري مولاهم أبو عمر المصري، صدوق ربما أخطأ مات (١١٧). انظر التقريب (٢/ ٢٨٩).

(٤) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٠).

(٥) هو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي التميمي البكري المدني، الإمام القدوة الحافظ الحجّة، عالم وقته بالمدينة، توفي سنة ١٠٥ هـ. انظر: السير (٥/ ٥٣)، الشذرات (١/ ١٢٤).

(٦) هو: سالم بن عبد الله العدوي المدني الفقيه الزاهد، مفتي المدينة، كان كثير الحديث، ثقة، توفي سنة ١٠٦ هـ. انظر: السير (٤/ ٤٥٧)، الشذرات (١/ ١٣٣).



يلعنن القدرية<sup>(١)</sup>.

ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو عليهم أيضاً لما في قولهم من الشر على الأمة الإسلامية، قال ابن عمر: "من زعم أن مع الله خالفاً أو رازقاً أو قاضياً أو يملك لنفسه ضراً أو نفعاً، فأخرس الله لسانه، وجعل صلاته وصيامه هباءً، وقطع به الأسباب، وأكبه على وجهه في النار"<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: الأمر بإهانتهم، وعدم رد السلام عليهم تحقيراً من شأنهم: إنه لحري ببدعة القدرية أن تسقط حقوق الأخوة لمن قال بها، لذلك كان الأمر بإهانتهم وعدم رد السلام عليهم تحقيراً من شأنهم فلا يغتر بهم جاهل، وزجراً لهم عن بدعتهم عليهم يعودون إلى الحق ويتوبون عن بدعتهم.

فعن نافع<sup>(٣)</sup> قال: بينما نحن عند عبد الله بن عمر جاءه إنسان فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام، لرجل من أهل الشام. فقال ابن عمر: إنه قد بلغني أنه قد أحدث حدثاً فإن كان كذلك فلا تقرأن عليه مني السلام. سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيكون في أمي مسخ وخسف وهو في الزندقية والقدرية"<sup>(٤)</sup>.

وكان طاووس يقول لأصحابه: "أخروا معبداً الجهني، فإنه كان قدرياً"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٣٩١)، الشريعة (٢/ ٩٠٣)، الإبانة (٢/ ١٢٢) تحقيق الأثيوبي.

(٢) انظر الإبانة (٢/ ١٦٧) تحقيق الأثيوبي، وانظر في لعن أهل البدع والدعاء عليهم: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي (١/ ٢٣٧، ٢٦٥).

(٣) هو: أبو عبد الله نافع القرشي مولى ابن عمر وراويته كان من جلة التابعين، مفتي ثبت، عالم المدينة، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: السير (٥/ ٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٢).

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٣٤).

(٥) انظر كتاب الشريعة (٢/ ٧٧٥).

ولقد كان الأمر بإهانة القدرية وعدم رد السلام عليهم مشتهراً عند التابعين خاصة لما فشت مقالة القدرية على أيدي المعتزلة في القرن الثاني<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: ضربهم وإيذاؤهم، والتهديد بقتلهم عقوبة لهم وزجراً عن سوء فعالهم: لقد وردت نصوص عدة عن ابن عباس رضي الله عنه وهو يتوعد القدرية بالضرب والإيذاء، ويتهدهم بالقتل لو قدر على أحد منهم، قال ابن عباس عن قوم يقولون في القدر: "إنهم يكذبون بكتاب الله عزّ وجلّ، لآخذن بشعر أحدهم فلائصونه"<sup>(٢)</sup>. وقال وقد ذكر القديرون عنده: "لو رأيت واحداً منهم لآخذت بشعره"<sup>(٣)</sup>. وقال: "لو رأيت أحدهم لعضضت أنفه"<sup>(٤)</sup>.

وقال له طاووس: "يا أبا عباس الذين يقولون في القدر، قال: أروني بعضهم"<sup>(٥)</sup>، قلت: تصنع ماذا؟ قال: إذا أضع يدي في رأسه وأدق عنقه"<sup>(٦)</sup>.

وجاءه نفر وقالوا: "يا ابن عباس حدثنا عن القدر. فأدرج كم قميصه حتى بدا منكبه، ثم قال: لعلكم تتكلمون فيه؟ قالوا: لا، قال: والذي نفسي بيده، لو علمت أنكم تتكلمون فيه لضربتكم بسيفي هذا ما استمسك في يدي"<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤ / ٦٣٨)، وانظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي (٢ / ٥١١ - ٥٦٥).
- (٢) انظر كتاب القدر للفريابي (٣٩، ٩٠)، الشريعة (٢ / ٨٧٤).
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) وكان ابن عباس قد كف بصره.
- (٦) انظر كتاب القدر للفريابي (٨٩، ١٠٦)، الشريعة (٢ / ٨٧٣)، الإبانة (٢ / ١٦٠) تحقيق الأثيوبي.
- (٧) انظر الإبانة (٢ / ١٦١) تحقيق الأثيوبي.

وكذلك كان فعل عمر قبله حيث تهدد من يخوض في القدر بالقتل، وذلك أنه بلغه خوض الناس في القدر فقام خطيباً وقال: "يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلموا فيه إلا ضربت أعناقهما. وتوعد الجاثليق النصراني بالقتل لما زعم أن الله لا يضل أحداً. وهكذا حكم التابعون في هؤلاء والقدرية بالقتل ردعاً لهم، وإطفاءً لبدعتهم<sup>(١)</sup>.

عاشراً: التشهير بهم وبيان ما ورد فيهم من ذم بأنهم شيعة الدجال، ومجوس هذه الأمة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لتتبعن أثر من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، ولا تحطئون طريقهم، ولا تحطئنكم، ولتنقضن عرى الإسلام عروة فعروة، ويكون أول نقضها الخشوع حتى لا ترى خاشعاً، وحتى يقول أقوام ذهب النفاق من أمة محمد، فما بال الصلوات الخمس؟ لقد ضلّ من كان قبلنا حتى ما يصلون بصلاة بينهم، أولئك المكذبون بالقدر، وهم أسباب<sup>(٢)</sup> الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال<sup>(٣)</sup>.

وقد روي مرفوعاً وصفهم بأنهم شيعة الدجال، وفيه وصف آخر لهم بأنهم مجوس هذه الأمة، فعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: { لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولوا: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وهم شيعة الدجال وحق على الله عز وجل أن يلحقهم بالدجال }<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر كتاب القدر للفريابي (٩١)، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي

(٢/ ٦١٣).

(٢) الأسباب جمع سبب وهو ما يتوصل به إلى غيره. انظر القاموس المحيط (١٢٣)، النهاية في غريب

الحديث (٢/ ٢٩٧).

(٣) انظر كتاب الشريعة (١/ ٣٢٢).

(٤) انظر الإبانة (٢/ ٩٨) وقال محققه الأثيبي: إسناده ضعيف ولكنه حسن لغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا على جنازتهم إذا ماتوا} (١). فالصحابه رووا هذه الأحاديث تشهيراً بالقدرية وذمّاً لهم وتحذيراً من صنيعهم.

الحادي عشر: شناعة قول القدرية وعدم قبول أعمالهم: لقد شنع الصحابة قول القدرية، وبنوا جناية هذا القول على أهله، فالقدرى لا يقبل منه عمل، نعوذ بالله من الخذلان.

فكثير من الصحابة ينصح ويبين أنه لو أنفق رجل مثل أحد ذهباً ينفقه في سبيل الله ما تُقبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره (٢).

الثاني عشر: إنزال آيات من القرآن الكريم عليهم تحذيراً من شرهم: والآيات جاءت تشملهم وتشمل غيرهم (٣)، ولكن الصحابة أنزلوها عليهم تحذيراً من شرهم وبيان سوء بدعتهم لما حدثت آنذاك، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «ما أنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٥) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤﴾ (النسر ٤٧-٤٩)، إلا في أهل القدر» (٤).

- (١) انظر السنة لابن أبي عاصم (١٥١) وصححه الألباني مع ضعف إسناده لشواهد من حديث جابر وحذيفة وابن عمر.
- (٢) تقدّم قول عمران بن حصين وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وحذيفة في المدخل لهذا المبحث، وروي مرفوعاً بإسناد صحيح. انظر السنة لابن أبي عاصم (١٠٩)، الشريعة (٢/ ٧٩٣، ٨٤٧).
- (٣) انظر ما تقدّم في الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الأول: أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته: اختلاف تنوع.
- (٤) انظر ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني (١٤٦)، وقال عنه: «رواه البزار، وقال في زوائد البزار إسناده حسن»، وفي صحيح مسلم وغيره أن الآية نزلت في المشركين الذين خاصموا النبي ﷺ في القدر وهذا أصح. ولعل ما في مسلم هو سبب نزولها، ورواية عمرو بن شعيب تبين أن الآية تشملهم والله أعلم.

وقال ابن عباس في آيات سورة القمر السابقة: "والله ما أنزلت هذه الآية إلا فيهم" يعني القدرية<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة ١٨) . قال: "وهم والله القديرون، هم والله القديرون"<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

الثالث عشر: حكمهم: الخائضون في القدر لا يكفرون بإطلاق، إذ هم طوائف وفرق، ويختلف الحكم في تكفيرهم بحسب بدعتهم وهم كالاتي:

١- القدرية الأوائل "غلاة القدرية"، وهؤلاء ظهروا في آخر عصر الصحابة رضي الله عنهم وأنكروا القدر بمراتبه الأربع: العلم والكتابة والخلق والمشيئة، وقد مر معنا نصوص عدة عن الصحابة رضي الله عنهم تظهر براءتهم منهم، وعدم قبول أعمالهم، وخروجهم عن الإيمان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان". وقال: "كلام القدرية كفر"، وسمّاه رضي الله عنه شركاً، وتكديباً بكتاب الله عزّ وجلّ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الإبانة (٢/ ١٢٢)، فتح الباري (١١/ ٤٧٨).

(٢) انظر الإبانة (٢/ ١١٧) تحقيق الأثيوبي، تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٨).

(٣) تنبيه: ينبغي أن يتنبّه المسلم أن ما تقدّم من مواقف الصحابة من القدرية من اللعن والهجر والضرب والتهديد بالقتل وغيرها من العقوبات الشرعية ينبغي أن تقدر بقدرها ويراعى فيها مصلحة المبتدع من إنزجاره، ومصلحة الأمة بكفّ شره وعدم تأذيها، يقول ابن تيمية: "وإذا عرف أن هذا هو من باب العقوبات الشرعية، علم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخفائها، وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة والهجران أخرى". انظر منهاج السنة (١/ ٦٤)، وانظر موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء للرحيلي (٢/ ٦٣١).

(٤) انظر ما تقدّم في رابعاً من هذا المبحث (٤٠١).

وهؤلاء القدرية المنكرون للعلم يكفرون بذلك، وقد كفرهم علماء المسلمين، يقول الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عن قال بالقدر يكون كافراً. فقال أبي: إذا جحد العلم، إذا قال: الله عز وجل لم يكن عالماً حتى خلق عالماً فعلم، فجحد علم الله عز وجل؟ كافر<sup>(١)</sup>.

٢- القدرية المعتزلة الذين يقرون بالعلم وينكرون خلق الله لأعمال العباد، فهؤلاء الظاهر من مذاهب الأئمة عدم تكفيرهم<sup>(٢)</sup>، قيل للإمام أحمد: الرجل يكون له قرابة قدرية؟ قال: القدر لا يخرج من الإسلام. قيل: أولئك لم يكونوا يدعون إلى القدر، فأما من كان عالماً وجحد العلم؟ قال: إذا جحد كفر<sup>(٣)</sup>.

وسئل الإمام أحمد عن القدرية فلم يكفره إذا أقر بالعلم<sup>(٤)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم"<sup>(٥)</sup>، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال<sup>(٦)</sup>.

٣- القدرية الجبرية، يرى ابن تيمية أن هؤلاء لا يكفرون، إلا إذا وصل بهم قولهم إلى الإباحة والانسلاخ من أحكام الشريعة، فهم يكفرون بذلك، وكذلك إذا قالوا بالحلول أو الاتحاد<sup>(٧)</sup> وأن ما في الوجود هو عين الله، أو أن الله حال بذاته حلاً عاماً أو خاصاً فهؤلاء يكفرون.

(١) انظر السنة للخلال (٥٢٩) وهناك مزيد نصوص عن الإمام أحمد في تكفير من أنكر العلم.

(٢) انظر أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٧٠١)، منهج ابن تيمية في مسألة التكفير للمشعبي (٢ / ٣٣٤).

(٣) انظر السنة للخلال (٥٣١)، والسائل له أبو بكر المروزي.

(٤) انظر السنة للخلال (٥٣٢).

(٥) كفروهم علماء المسلمين.

(٦) الفتاوى (٣ / ٢١٩)، وانظر (٨ / ٢٦٧).

(٧) تقدم (٣٣٩) أن الحلول هو تجسد الخالق في المخلوق بحلول فيه كحلول الماء في الإناء ويسمى حلول جواربي أو ظرفي، أما الاتحاد فهو نوع خاص من الحلول، وهو الاختلاط =

يقول ابن تيمية رحمه الله عن الجبرية القدرية: فإن ضموا إلى ذلك<sup>(١)</sup> إقامة العذر للعصاة بالقدر، وقالوا: إنهم معذورون لذلك لا يستحقون اللوم والعذاب، أو جعلوا عقوبتهم ظلماً، فهؤلاء كفار، كما أن من أنكر علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر.

وإن جعلوا ثبوت القدر موجباً لسقوط الأمر والنهي، والوعد والوعيد كفعل المباكية فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى؛ من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام ١٤٨)<sup>(٢)</sup>.

٤- القدرية الإبليسية الذين يؤمنون بالقدر ويؤمنون بالأمر والنهي، ولكن يزعمون أن هذا تعارض، أو أن هذا ظلم فهؤلاء خصماء الله تعالى، ويكفرون بهذا القول<sup>(٣)</sup>.

= والامتزاج بين الإله وبين المخلوق كاختلاط اللبن بالماء ويسمى حلول سرياني، والامتزاج قسمان: الامتزاج الخاص وهو أن الإله حلّ واتحد وامتزج ببعض خلقه كقول اليعقوبية من النصارى فاللاهوت اتحد في الناسوت، أي في عيسى عليه السلام عندهم، وهو قول طوائف من الغلاة انتسب إلى الإسلام.

الامتزاج العام وهو قول الملاحدة الامتخاديين الذين يزعمون أن الله عزّ وجلّ وتقدس هو عين وجود الكائنات، فليس في الوجود غيره، ويقولون: ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى. انظر الفتاوى (٢ / ١٠٧، ٢٢٣)، الكليات للكفوي (٣٩٠)، التعريفات للجرجاني (٩٨).

(١) ذلك: أي قولهم في القدر.

(٢) الفتاوى (٨ / ٢٦٤)، وانظر (٨ / ١٥٦).

(٣) انظر الفتاوى (٨ / ١٥٧)، منهج ابن تيمية في التكفير للمشعي (٢ / ٤٦١).

\*فائدة\* ما ورد في القدرية من نصوص نبوية: وردت نصوص نبوية تذكر التكذيب بالقدر، وتشير إلى القدرية، اختلف النقاد المحدثون فيها؛ ما بين مضعف لها، وما بين مصحح، ومن هذه النصوص التي صححها أو حسنها المحدثون ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: {القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم} (١).

٢- عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {يكون في أمي مسخ وخسف، وهو في الزندقة والقدرية} (٢).

وفي لفظ: {سيكون في أمي مسخ وخسف وقذف وهو في الزندقية والقدرية} (٣).

وفي لفظ آخر: {في هذه الأمة- أو في أمي- خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر} (٤).

٣- عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {لا يدخل الجنة عاق، ولا مكذب بقدر، ولا مدمن خمر} (٥).

٤- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {ثلاثة لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً، عاق ومنان، ومكذب بالقدر} (٦).

٥- عن جابر بن سمرة (٧) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر (٤ / ٢٢٢) وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣ / ٨٨٧)، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر (١ / ٣٥)، كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٤٤)، كتاب الشريعة (٢ / ٨٠١).

(٢) شرح السنة للبغوي (١ / ١٥١) وقال محققه د. زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط إسناده حسن، وانظر الإبانة (٢ / ١٠٣).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢ / ١٠٨، ١٣٧).

(٤) سنن الترمذي، كتاب أبواب القدر، باب (١٦) (٤ / ٤٥٦)، وقال عنه حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٢٨).

(٥) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٤١)، وحسنه الألباني.

(٦) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٤٢) وحسن الألباني إسناده.

(٧) هو: جابر بن سمرة بن جنادة السوائي، أبو عبد الله صحابي، كان حليف بني زهرة، =



{ أخوف ما أخاف على أمي ثلاث: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، والتكذيب بالقدر }<sup>(١)</sup>.  
 ٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { آخر كلام في القدر لشرار هذه الأمة }<sup>(٢)</sup>.

وفي الختام نذكر قول الإمام أبي بكر الأجري رحمه الله لما فيه من الفائدة يقول:  
 "فإن سائل سأل عن مذهبنا في القدر، فالجواب في ذلك - قبل أن نخبره بمذهبنا - أنا نصصح السائل ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقيح والبحث عن القدر، لأن القدر سر من أسرار الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد فيضل عن طريق الحق..."

ولولا أن الصحابة كما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق وكذبوا بالقدر، فردوا عليهم قولهم وسبواهم وكفروهم، وكذلك التابعون... ردوا على القدرية لم يسع من بعدهم الكلام في القدر، بل الإيمان بالقدر خيره وشره واجب قضاء وقدر، وما قدر يكن وما لم يقدر لم يكن، وإذا عمل العبد بطاعة الله تعالى علم أنها بتوفيق منه له فيشكره على ذلك، وإذا عمل بمعصية ندم على ذلك وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه واستغفر الله تعالى.

هذا مذهب المسلمين، وليس لأحد على الله حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام ١٤٩) <sup>(٣)</sup>.

= وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص، نزل الكوفة، وتوفي في أمرة بشر بن مروان في العراق وقيل توفي عام ٦٦هـ. انظر الاستيعاب (١/ ٢٢٤)، الإصابة (١/ ٢١٢) دار الفكر.  
 (١) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٤٢) وقال الألباني: "حديث صحيح وإسناده وإو جداً وإنما صححته لأن له شواهد خرجتها في الصحيحة". انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٨٨).  
 (٢) كتاب السنة لابن أبي عاصم (١٥٥) وحسن الألباني إسناده. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١١٦).  
 (٣) انظر الشريعة (٢/ ٦٩٧) باختصار.

## الفصل الخامس

### المرجئة وموقف الصحابة منهم

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المرجئة

المطلب الأول: تعريف المرجئة، وبيان فرقها وأهم معتقداتهم

أولاً- تعريف المرجئة في اللغة والاصطلاح:

أ- المرجئة في اللغة مأخوذة من الإرجاء وهو على معنيين<sup>(١)</sup>:

أحدهما بمعنى التأخير والتأجيل والإمهال<sup>(٢)</sup>.

والثاني بمعنى إعطاء الرجاء<sup>(٣)</sup>.

ويقال أرجأ الأمر أخره، ويكون بالهمز وبدونه، فيقال: أرجأت الأمر وأرجيته،

ويقال: مرجئة ومُرْجِيَةٌ بتخفيف الياء. ولا يجوز تشديد الياء إلا في المنسوب إلى هذه

الطائفة، فيقال: هم المُرْجِيَّة، أي المنسوبون إلى فرقة المُرْجِيَّة<sup>(٤)</sup>.

ب- المرجئة في الاصطلاح: تطلق المرجئة في الاصطلاح على كل من أخر العمل

عن الإيمان، أو كل من أخرج العمل من الإيمان.

والمرجئة من حيث هي مأخوذة من الإرجاء وهو التأخير فهي تطلق على

نوعين من الإرجاء وهما ما ذكرهما الطبري رحمه الله حيث قال: إن قال لنا قائل

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٦١)، الخوارج والمرجئة لمحمد إبراهيم الفيومي (١٣٨).

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (١ / ٨٤)، القاموس المحيط (٥١)، مختار الصحاح (٩٨).

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ١٦١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ١٨٩).

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور (١ / ٨٤)، القاموس المحيط (٥١)، مختار الصحاح (٩٨).

ومن المرجئة وما صفتهم؟ قيل: إن المرجئة هم قوم موصوفون بإرجاء أمر مختلف فيما ذلك الأمر، فأما إرجاؤه فتأخيره... فأما الأمر الذي بتأخيره سميت "المرجئة" مرجئة، فإن ابن عيينة<sup>(١)</sup> كان يقول فيه... "الإرجاء على وجهين: قوم أرجوا أمر علي وعثمان فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، فلا تجالسوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم، ولا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم...."

والصواب من القول في المعنى الذي من أجله سُميت "المرجئة" مرجئة أن يقال: إن الإرجاء معناه ما بيئنا قبل، من تأخير الشيء، فمؤخر أمر علي وعثمان ﷺ إلى ربهما، وتارك ولايتهما والبراءة منها، مرجئاً أمرهما، فهو مرجيء.

ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان مرجئهما عنه فهو مرجيء. غير أن الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب المختلفين في الديانات في دهرنا هذا، هذا الاسم فيمن كان من قوله الإيمان قول بلا عمل، وفيمن كان من مذهبه أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوبه<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن حجر رحمه الله: "الإرجاء بمعنى التأخير، وهو عندهم على قسمين: منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين الذين تقاتلوا بعد عثمان.

ومنهم من أراد تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر، وترك الفرائض بالنار، لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك"<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي، أبو محمد، أحد الثقات الأعلام، كان إماماً عالماً زاهداً، مجمعاً على صحة حديثه وروايته، حج سبعين حجة، توفي عام ١٩٨ هـ. انظر الوفيات (٢/ ٣٩١)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر تهذيب الآثار (٢/ ٦٥٨ - ٦٦١) مسند عبد الله بن عباس.

(٣) هدي الساري مقدمة شرح صحيح البخاري (٤٥٩).

فهذان هما نوعا الإرجاء من حيث ظهورهما، أما الإرجاء الاصطلاحي والمرجئة من حيث هي فرقة من الفرق فتطلق على كل من أخرج العمل عن الإيمان كما تقدّم على اختلاف بين فرقها في تفصيل ذلك.

وأما عن سبب تسمية المرجئة بذلك فقليل إنهم سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي: أخره عنهم<sup>(١)</sup>.

وقيل سموا مرجئة من قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة ١٠٦)، أي مؤخرون لأمر الله حتى ينزل فيهم ما يريد<sup>(٢)</sup>.

وقيل سموا مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجؤوا العمل أي أخروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم<sup>(٣)</sup>.

وقريب منه قول من قال إنهم سموا مرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد<sup>(٤)</sup>، أو يؤخرون العمل من الإيمان<sup>(٥)</sup>.

وقيل سموا مرجئة من إعطاء الرجاء، لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة<sup>(٦)</sup>.

ثانياً- بيان فرقهم وأهم معتقداًهما: لقد قالت فرق عدة بمقالة المرجئة على اختلاف فيما بينها في تفصيل ذلك، ولم يكون الإرجاء فرقة مستقلة ذات أصول ومدارس<sup>(١)</sup>.

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ١٨٩).

(٢) انظر القاموس المحيط (٥١)، مختار الصحاح (٩٨).

(٣) انظر لسان العرب (١/ ٨٤).

(٤) انظر الملل والنحل (١/ ١٦٢)، البرهان للسكسكي (٣٣).

(٥) انظر الفرق بين الفرق (١٥١)، التبصير في الدين للاسفرائيني (١٩٧).

(٦) انظر الملل والنحل (١/ ١٦٢)، كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم لابن الجوزي (١٤٦).

ولقد اختلفت تصنيفات العلماء لفرق المرجئة، فالبغدادى والإسفرائينى يصنفا  
المرجئة إلى ثلاثة أصناف:

- ١- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان والقدر على مذاهب القدرية المعتزلة.
  - ٢- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالجزر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان، فهم من جملة الجهمية.
  - ٣- صنف خارجون عن الجبرية والقدرية وهم فيما بينهم خمس فرق: اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والمريسية<sup>(٢)</sup>.
- أما الشهرستاني فيوافقهم على ذكر الأصناف الثلاث ويزيد صنفاً رابعاً  
ويسميهم بـ: مرجئة القدرية، مرجئة الجبرية، المرجئة الخالصة وهم ست فرق عنده:  
اليونسية، والعبيدية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والصالحية. وأما الصنف  
الرابع عنده فهم مرجئة الخوارج<sup>(٣)</sup>.
- ومن العلماء من عدد فرق المرجئة دون تصنيف، كالأشعري إذ عددهم  
اثنًا عشرة فرقة<sup>(٤)</sup>، وابن الجوزي عددهم خمس فرق<sup>(٥)</sup>، والسكسكي واليافعي  
عدوهما ثمان عشرة فرقة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر القدرية والمرجئة لناصر العقل (٨٩).

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى (١٥١)، التبصير في الدين للإسفرائينى (٩٧).

(٣) انظر الملل والنحل (١/ ١٦٢) وإن كان مقصد مرجئة الخوارج هو الإرجاء بمعنى التأخير لا الإرجاء الاصطلاحي المتعلق بالإيمان، إذ كان قول الشيبية- وهم مرجئة الخوارج- الوقف في أمر صالح بن مسرح وإرجاؤه. انظر الملل والنحل (١/ ١٤٨).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣).

(٥) انظر كيد الشيطان لنفسه (١٤٦).

(٦) انظر البرهان للسكسكي (٣٣)، ذكر مذاهب الفرق لليافعي (١٣٢).

ومن تقدم من العلماء صنّفوا المرجئة على أساس مقالتهم البدعية، ونجد ابن تيمية يصنف المرجئة على أساس قولهم في الإيمان<sup>(١)</sup>، ويصنفهم رحمة الله - إلى ثلاثة أصناف فيقول: "والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة... ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهنم ومن اتبعه كالصالحين، وهذا هو الذي نصره هو وأكثر أصحابه"<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

والثالث: تصديق القلب، وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم<sup>(٣)</sup>.

فالأصناف الثلاثة التي ذكرها ابن تيمية هي فرق المرجئة الكبار، ويمكن تقسيمهم إلى قسمين:

١- مرجئة الفقهاء .

٢- مرجئة المتكلمين<sup>(٤)</sup>.

١- مرجئة الفقهاء: قالوا الإيمان اعتقاد وقول، واعتبروا العمل ثمرة من ثمرات الإيمان لا جزء منه. وقالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء فيه فلا يقال: أنا مؤمن إن شاء الله<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر الفصل الأول من هذا الباب، المبحث الأول إذ فيه طريقة العلماء في التصنيف (٢٥٠).

(٢) أي: نصره أبو الحسن الأشعري، وهو قول الأشاعرة كما سيأتي.

(٣) الفتاوى (٧/ ١٢٥) (١٣/ ٣٣)، وعن صنّفهم حسب قولهم في الإيمان السفاريني في لوامع الأنوار (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة لعبد العزيز الحميدي (١٩٧).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٩، ٢٢١)، الفتاوى (١٣/ ٢٤ - ٢٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٥٩).

وإرجاء الفقهاء هذا ينسب إلى الإمام أبي حنيفة بن النعمان وإلى شيخه حماد أبي سليمان<sup>(١)</sup>.

ومرجئة الفقهاء وإن خالفوا السلف<sup>(٢)</sup> في بدعتهم هذه إلا أنهم يتفقون مع أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة، وأنه تحت المشيئة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وأن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، وعلى أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم بلسانه. وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وعلى أن تاركها مستحق للذم والعقاب، فكان خلافهم في الأعمال هل هي من الإيمان، وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي<sup>(٣)</sup>. وكانت بدعتهم من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: - "وهذه الشبهة<sup>(٤)</sup> التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه، ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي<sup>(٥)</sup>، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول

(١) انظر الفتاوى (٧ / ٣١٢)، السنة للخلال (٥٩٩)، وحماد هو: حماد بن أبي سليمان مسلم أبو إسماعيل الأشعري الكوفي، أحد أئمة الفقهاء، سمع أنس بن مالك وتفقه بإبراهيم النخعي، روى عنه سفيان وشعبة وأبو حنيفة، تُكلم فيه للإرجاء، توفي عام ١٢٠ هـ. انظر الميزان (١ / ٥٩٥)، التقريب (١ / ١٩٧).

(٢) السلف يعتقدون أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وأنه يستثنى فيه خشية تركية النفس لا شكاً في الإيمان. انظر في ذلك: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ضمن مجموعة كنوز السنة (٥٣، ٦٦، ٧٢، ٧٩)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤ / ٨٣٠).

(٣) انظر الفتاوى (١٣ / ٢٤)، (٧ / ١٨٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٦٢).

(٤) الشبهة هي ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، فلا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه.

(٥) وهذا يقتضي أن هناك نزاعاً حقيقياً في مسائل. انظر أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة لمحمد الخميس (٤٥٥).

بخلاف قول الله ورسوله، لاسيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء، حتى قال إبراهيم النخعي<sup>(١)</sup>: لفتنتهم - يعني المرجئة - أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة. وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرّ على أهله من الإرجاء<sup>(٢)</sup>.

ولقد انتشر إرجاء الفقهاء بانتشار المذهب الفقهي الحنفي، إذ غالب الأحناف مرجئة<sup>(٣)</sup>.

٢ - مرجئة المتكلمين: مرجئة المتكلمين ثلاث طوائف: الجهمية، والكرامية، والأشاعرة<sup>(٤)</sup>.

أ - الجهمية: وهم غلاة المرجئة أتباع الجهم بن صفوان القائل إن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب، والمحبة لله ولرسوله وسائر أعمال القلوب والجوارح فليس بإيمان، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به<sup>(٥)</sup>.  
فالإيمان عنده عقد بالقلب فقط، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، ومات على ذلك فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان<sup>(٦)</sup>.

(١) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن ربيعة النخعي، اليماني الكوفي، أبو عمران أحد الأعلام، إمام، حافظ، فقيه العراق، توفي سنة ٩٦هـ. انظر: السير (٤ / ٥٢٠)، التهذيب (١ / ٤٥).

(٢) الفتاوى (٧ / ٢٤٦)، وانظر ذم السلف للمرجئة: الإبانة لابن بطة (٢ / ٨٥) تحقيق رضا معطي.

(٣) انظر القدرية والمرجئة للعقل (٨٦).

(٤) انظر براءة الأئمة للحميدي (٢٠٠).

(٥) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢١٣)، الفرق بين الفرق (١٥٨).

(٦) انظر الفصل لابن حزم (٥ / ٧٣٥)، البرهان للسكسكي (٣٤).



والإيمان عندهم لا يتبعص ولا يتفاضل أهله فيه، والإيمان والكفر لا يكون إلا في القلب دون غيره من الجوارح<sup>(١)</sup>.

ب- الكرامية: أصحاب محمد بن كرام السجستاني<sup>(٢)</sup>، قالوا إن الإيمان قول باللسان فقط، دون اعتقاد القلب وعمل الجوارح<sup>(٣)</sup>.

وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان<sup>(٤)</sup>.

وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف، وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة، مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة<sup>(٥)</sup>.

ج- الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري<sup>(٦)</sup>، قالوا إن الإيمان المعرفة والتصديق الذي في القلب، وهذا هو المشهور عنهم<sup>(٧)</sup>، وهو قول أكابره ورؤسائهم<sup>(٨)</sup>. ووافقهم الماتريدية على قولهم إن الإيمان هو التصديق، وهو قول جمهورهم، ومنهم

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢١٤).

(٢) هو: محمد بن كرام السجستاني، أبو عبد الله، كان من زهاد سجستان، فاغتر الناس به، دعا إلى بدعته وصار له أصحاباً ونسبت له فرقة الكرامية، وكان قد نصره محمد بن سبكتكين السلطان، توفي في بيت المقدس عام ٢٥٥ هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٤ / ٢١)، الملل والنحل (١ / ٤٤).

(٣) انظر الملل والنحل (١ / ٣٠)، التبصير في الدين (١١٥)، البرهان (٣٦).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١ / ٢٢٣).

(٥) انظر الملل والنحل (١ / ١٣٠)، الفتاوى (٧ / ٣١٢، ٣٣٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٦٠).

(٦) رجع أبو الحسن الأشعري إلى قول أهل السنة والجماعة جملة في آخر حياته، وقال بقولهم في الإيمان وجميع مسائله، إلا أن الأشاعرة ينتسبون إليه رغم رجوعه. انظر الإبانة للأشعري (٢٤)، مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٧).

(٧) انظر الفتاوى (٧ / ٧٩، ٣١٢)، لوامع الأنوار للسفاريني (١ / ٤٢٠).

(٨) انظر تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني (٣٨٨)، أصول الدين للبغدادي (٢٤٨)، معالم أصول الدين لفخر الدين محمد الرازي (١٣٣).

من زاد الإقرار باللسان ولكن لم يجعله ركناً من الإيمان بل جعله دليلاً عليه وركناً زائداً ليس بأصلي<sup>(١)</sup>.

والمرجئة على اختلاف أصنافها يجمعهم القول بإخراج العمل من الإيمان، والقول بعدم نقصانه، بناءً على الشبهة التي عرضت لهم من ظنهم أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد، وأنه لا يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق أو إيمان وكفر ألبتة<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: نشأة القول بالإرجاء:

أول ما بدأ الخوض في الإرجاء، وإطلاق اسم المرجئة كان في إرجاء أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتأخير أمرهما إلى الله عزّ وجلّ، وأطلق عليه المرجئين أمرهما "مرجئة" كما تقدم قول سفيان بن عيينة.

وقد صدر هذا القول عن الحسن بن محمد بن الحنفية (ت ٩٩هـ)، وعُدَّ أول من تكلم في هذا النوع من الإرجاء<sup>(٣)</sup>.

قال ابن سعد<sup>(٤)</sup> عن الحسن بن محمد<sup>(٥)</sup>: "وهو أول من تكلم في الإرجاء، ودخل

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٥٩)، أصول الدين للبزدوي (١٤٨)، الماتريدية دراسة وتقويماً للحري (٤٥٣)، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية للحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة (٩) تحقيق عبد الرحمن عميرة.

(٢) انظر الفتاوى (٧ / ٢٤٥، ٢٦٥، ٣١٤)، (١٣ / ٣٠).

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٩ / ١٨٥)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٩٠٣) تحقيق رضا معطي.

(٤) هو: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، أبو عبد الله، أحد الحفاظ الكبار الثقات، مؤرخ، صاحب الواقدي وكتب له فعراف به، ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها عام ٢٣٠هـ. انظر الوفيات (٤ / ٣٥١)، التهذيب (٩ / ١٨٢).

(٥) هو: الحسن بن محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، تابعي فاضل، من ظرفاء بني هاشم وأهل العقل منهم، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز حوالي سنة ١٠٠هـ. انظر الطبقات (٥ / ٣٢٨)، السير (٤ / ١٣٠).

عليه زاذان<sup>(١)</sup> وميسرة<sup>(٢)</sup> فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء، فقال لزاذان: يا أباعمر، لوددت أنني كنت مت ولم أكتبه<sup>(٣)</sup>.

وهذا الإرجاء الذي نسب إلى الحسن بن محمد والذي يعتبر القائلون به المرجئة الأول غير الإرجاء البدعي، يقول ابن حجر: المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أنني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور: أخرجه ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان له في آخره قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن قال: كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس: أما بعد فإننا نوصيكم بتقوى الله - فذكر كلاماً كثيراً في الموعظة، والوصية لكتاب الله، واتباع ما فيه وذكر اعتقاده - ثم قال في آخره: ونوالي أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ونجاهد فيهما، لأنهما لم تَقْتَتَلْ عليهما الأمة، ولم تشك في أمرهما، ونرجيء من بعدهما ممن دخل في الفتنة، فنكل أمرهم إلى الله...، فمعنى الذي تكلم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيباً، وكان يرى أنه يرجيء الأمر فيهما، وأما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه، فلا يلحقه بذلك عيب، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

(١) الذي يظهر أن الحسن بن محمد قد كتب كتاب الإرجاء هذا قبل عام ٨٢هـ، لأن زاذان الكندي الكوفي توفي عام ٨٢هـ. وزاذان هو: زاذان الكندي مولا هم الكوفي، أبو عمر، ويقال شهد خطبة الجابية لعمر، تابعي ثقة روى عن عدد من الصحابة، مات عام ٨٢هـ. انظر الميزان (٢ / ٦٣)، البداية والنهاية (٩ / ٤٧).

(٢) هو: ميسرة بن يعقوب أبو جميلة الطهوي، صاحب راية علي، روى عنه عطاء، مقبول. انظر: كتاب الثقات لابن حبان (٥ / ٤٢٧)، التقريب (٢ / ٢٩١).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٣٢٨)، السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٢٤)، الإبانة لابن بطه (٢ / ٩٠٤).

(٤) تهذيب التهذيب (٢ / ٣٢١).

وهذا النوع من الإرجاء قد مضى وانتهى كما قال سفيان بن عيينة. أما الإرجاء البدعي المذموم فإنما أحدث بعد هزيمة ابن الأشعث<sup>(١)</sup> كما قال قتادة رحمه الله<sup>(٢)</sup>، في أواخر عصر الصحابة<sup>(٣)</sup>.

وفتنة عبد الرحمن بن الأشعث حدثت عام ٨١ هـ وانتهت ٨٣ هـ<sup>(٤)</sup>.

وكان هذا الإرجاء البدعي هو إرجاء الفقهاء من القول بان العمل ليس من الإيمان، وإن الإيمان اعتقاد القلب وإقرار اللسان، وأول من أحدثه وخاض فيه ذر بن عبد الله الهمداني<sup>(٥)</sup>، ثم رفع لواء هذا الإرجاء بعده حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة، وتابعهما أبو حنيفة على هذا القول، وعن أصحاب أبي حنيفة عُرف إرجاء الفقهاء وانتشر.

(١) هو عبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس الكندي، أمير قائد، من الرماة الشجعان.

انظر: السير (٤ / ١٨٣)، البداية والنهاية (٩ / ٣٥، ١٠١).

(٢) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣١٩)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٨٨٩) تحقيق رضا معطي.

(٣) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٨).

(٤) وقعت هذه الفتنة بسبب خروج عبد الرحمن بن الأشعث والي سجستان على الحجاج بن يوسف الثقفي، وقام ابن الأشعث بخلع الحجاج لجوره وظلمه، وتبع ذلك خلع الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد شارك في هذه الفتنة كثير من الفقهاء والعباد أمثال مسلم بن يسار، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي وطلق بن حبيب العنزلي، وذر بن عبد الله الهمداني وغيرهم، وحسنت الفتنة بوقعة دير الجماجم وانتهت بهزيمة ابن الأشعث، وأعقبها امتحان الحجاج لهؤلاء الخارجين بالقتل والتعذيب أو الإقرار على أنفسهم بالكفر. انظر: تاريخ خليفة خياط (٢٨٠)، تاريخ الطبري (٣ / ٦٢٢ - ٣١٩)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٨٨٩) تحقيق رضا معطي.

(٥) انظر السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٢٩)، السنة للخلال (٥٣)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٨٩٢) تحقيق رضا معطي، ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٣٢). وذر هو: ذر بن عبد الله الهمداني تابعي ثقة عابد، وهو أول من تكلم في الإرجاء. مات قبل المائة. انظر الميزان (٢ / ٣٢)، التقريب (١ / ٢٣٨).

والناظر في الأجواء التي خرجت فيها هذه البدعة يجد أنها أسباب عدة منها:  
 ١- فتنة ابن الأشعث وما أعقبها من امتحان الحجاج للناس بالقتل والتعذيب، ومشاركة عدد من الفقهاء والعباد في هذه الفتنة رجاء النصر وقمع الظلم، إلا أن الظلم زاد والحجاج تسلط أكثر<sup>(١)</sup>.

٢- غلو الخوارج وتسلطهم على المسلمين وتكفيرهم للمخالفين.

٣- خوض المعتزلة في اسم الإيمان والكفر، ومن المؤمن والكافر، والحكم عليهما على يد واصل بن عطاء.

فالقول بالإرجاء جاء كردة فعل لمثل هذه الظروف، أو كتطور للبدعة، إذ البدعة إذا فشت وكثر الخائضون، ولم تقمع بالسنة، اتسعت وأنتجت بدعاً جديدة.

يقول ابن تيمية ذاكراً لظهور البدع، فبعد أن ذكر ظهور بدعة الخوارج والشيعة، وظهور بدعة القدرية في آخر عصر الصحابة قال: "وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا إنهم كفار مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك، وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصري، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه: لاهم مسلمون ولا كفار، بل منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون في النار... واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري، مثل قتادة وأيوب السخيتاني وأمثالهما...".

وتنازع الناس في "الأسماء والأحكام" أي في أسماء الدين، مثل مسلم ومؤمن، وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة...

(١) انظر براءة الأئمة للحميدي (١٩٨)، العقيدة الإسلامية وجهود علماء السلف في تقريرها لعطا

وحدثت المرجئة، وكان أكثرهم من أهل الكوفة- ولم يكن أصحاب عبد الله<sup>(١)</sup> من المرجئة، ولا إبراهيم النخعي وأمثاله- فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة، فقالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وكانت هذه البدعة أخف البدع<sup>(٢)</sup>.

ومضى القرن الأول على هذه البدعة الخفيفة، ولكن الشيطان أبي إلا أن يوسعها، فجاء الجهم بن صفوان (ت ١٢٨) في القرن الثاني، وأحدث بدعته وغلا في الإرجاء حتى جعله المعرفة بالله فقط.

وآخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان هو قول محمد بن كرام (ت ٢٥٥) في القرن الثالث، إذ ابتدع القول بأن الإيمان هو القول فقط<sup>(٣)</sup>.

وكل من جاء بعدهم فهو يحاول أن يقرب بين الأقوال، أو يميل إلى قول دون آخر، والمصيبون للحق هم المتبعون للكتاب والسنة السائرون على الأثر أهل السنة والجماعة، وما خالف قولهم فهو بدعة محدثة مردود.

(١) أي: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الفتاوى (١٣ / ٢٣).

(٣) انظر الفتاوى (١٣ / ٣٣).

## المبحث الثاني

## موقف الصحابة رضي الله عنهم من المرجئة

لقد كانت أصول العقيدة قضايا مسلمة عند الصحابة رضي الله عنهم، ولم يحدث بينهم فيها نزاع ألبتة، ولقد كانوا رضي الله عنهم يعلمون الناس أمور دينهم بما حفظوه من كتاب الله وما روه من سنة رسول الله ﷺ عن فهم تام وعلم راسخ.

وكانوا فيما يعلمونه للناس مسائل الإيمان، ويبينون أنه اعتقاد وقول وعمل، وأنه يزيد وينقص، ويدللون على ذلك بنصوص الكتاب والسنة، ويشرحون هذه النصوص للناس جمعاً بينها، وبياناً لمشكلتها، ورداً للمتشابه منها إلى المحكم.

وكان ما تركوه من رواية للنصوص ودراية بها حجة قاطعة لأهل السنة على ما أحدث من بدع، ورد مفحم للمرجئة على اختلاف طوائفها<sup>(١)</sup>.

ورغم أن قول المرجئة نبغ في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، وأدركه بقايا الصحابة كابن عمر وجابر بن عبد الله ووائلته بن الأسقع وغيرهم إلا أنه لم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المرجئة بعد ذلك<sup>(٢)</sup> في القرن الثاني، لهذا

(١) انظر ما رواه أهل السنة من نصوص الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة في الرد على المرجئة: كتاب الإيمان لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة، ضمن مجموعة كنوز السنة (٢) تحقيق الألباني، السنة لابن أبي عاصم (٤٤٩)، السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٣٠)، السنة للخلال (٥٦٢)، الشريعة للأجري (٢ / ٥٥٢، ٦١١، ٦٧٦)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٦٢٣، ٧٢١، ٧٨١، ٨٢٩، ٨٨٤) تحقيق رضا معطي.

(٢) انظر الفتاوى (٢٨ / ٢٦٨).

كانت مواقف التابعين من المرجئة ظاهرة وذمهم لها كثير<sup>(١)</sup>، بخلاف الصحابة إذ لم أجد أثراً عن الصحابة في الرد الصريح على المرجئة إلا ما ورد عنهم رضي الله عنهم من تصحيح لبعض الأخطاء التي وقعت، والإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحتم وكانت فيما بعد من بدع المرجئة، منها: أن رجلاً قال عند عبد الله بن مسعود: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود: "أفأنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو، فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى"<sup>(٢)</sup>.

وفي لفظ آخر أنه قال: إني مؤمن، قال ابن مسعود: "قل إني في الجنة!؟ ولكننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"<sup>(٣)</sup>.

وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال: بينا نحن نسير إذ لقينا ركباً، فقلنا: من أنتم؟ فقالوا: نحن المؤمنون، فقال: أولا قالوا إنا من أهل الجنة؟!<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي إسحاق سليمان الكوفي الشيباني<sup>(٥)</sup> قال: لقيت عبد الله بن مغفل

(١) من مواقف التابعين رحمهم الله مع المرجئة: ذمهم وتحقيرهم، وتحذير الناس من بدعتهم، والأمر بهجرهم وترك مجالستهم، وترك الصلاة عليهم، وكان من مواقفهم المناقشة للمرجئة والرد على بدعتهم، وإفحامهم بنصوص الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم، انظر هذه المواقف في: كتاب الإيمان لأبي عبيد (٨١)، السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٠٧)، الشريعة للأجري (٢ / ٦٧٦)، تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٣٨٣)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٨٨٤ - ٩٠٦) تحقيق رضا معطي.

(٢) انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد (٦٧)، الإيمان لابن أبي شيبة (٩٩)، السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٢٢).

(٣) انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد (٦٧)، الإيمان لابن أبي شيبة (٩٩)، السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣٢٢).

(٤) المرجع السابق، وانظر تهذيب الآثار للطبري (٢ / ٦٦٨) مسند ابن عباس.

(٥) هو: سليمان بن فيروز الكوفي الحافظ مولى بني شيان حدث عن عبد الله ابن أبي أوفى وزر بن حبيش وعكرمة وطائفة، متفقون على ثقته، مات سنة ١٣٨ هـ وقيل غير ذلك. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (١ / ١٥٣).



رضي الله عنه فقلت: إن أناساً من أهل الصلاح يعيبون عليّ أن أقول: أنا مؤمن؟! قال: فقال عبد الله بن مغفل: "لقد خبت وخسرت إن لم تكن مؤمناً"<sup>(١)</sup>.

وسئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن لا إله إلا الله هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: "عَشٌّ ولا تغتر"<sup>(٢)</sup>.

وعن معبد الجهني<sup>(٣)</sup> قال: قال: قلنا لعبد الله بن عمر: رجل لم يدع من الخير شيئاً إلا عمل به، إلا أنه كان شاكاً في الله عزّ وجلّ؟ قال: هلك ألبتة. قلنا: فرجل

(١) انظر كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (١٠ / ٢٣)، والسلف يقولون بجواز الاستثناء في الإيمان وهو قول أنا مؤمن إن شاء الله، فيستنون- كما يرى ابن مسعود- لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم، فمن استثنى لذلك فقد أحسن ومن قال إني مؤمن بلا استثناء، وجزم بما يعلمه في نفسه من التصديق فهو مصيب، كما هو قول ابن مغفل رضي الله عنه. انظر الفتاوى (٧ / ٢٧١، ٤١٥)، تهذيب الآثار (٢ / ٦٦٦).

(٢) انظر حلية الأولياء (١ / ٣١١)، مختصر تاريخ دمشق (٢٥ / ١١٥). وقوله: "عش ولا تغتر" مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة في الأمور، وأصله أن رجلاً أراد أن يفوز بإبله عند الليل وهو في عشب، فترك أن يعشها منه، واتكل على عشب ظن أنه يجده في طريقه، فقبل له: عشها من هذا الحاضر ولا تغتر بالغائب فلعله يفوتك. ويروى أن رجلاً أتى ابن عمر وابن عباس فقال: كما لا تنفع مع الشرك حسنة، فكذلك لا يضر مع الإيمان ذنب، فكلهم قال: "عَشٌّ ولا تغتر" أي: لا تغتر بهذه الشبهة واعمل، فإن الإيمان قول وعمل. فخذ في ذلك بأوثق الأمور، ولا تفرط في أعمال الخير. انظر: كتاب جهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢ / ٤٦)، مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد النيسابوري الميداني (٢ / ١٦).

(٣) سؤال معبد الجهني وأصحابه هذه الأسئلة لعبد الله بن عمر يؤكد ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل (١ / ١٦٢) من أن أول من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي، للعلاقة بين معبد الجهني وغيلان، واشترакهما في القول بالقدر- كما تقدّم في الفصل الرابع عن نشأة القول بالقدر... ومن سؤال معبد الجهني يظهر- والله أعلم- أن الإرجاء الذي سأل عنه معبد، والذي قال به غيلان الدمشقي هو إرجاء المتكلمين لا إرجاء الفقهاء، إذ الجهمية غلاة المرجئة هم الذين قالوا إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، لا مرجئة الفقهاء. فلعل أسئلة معبد وأقوال غيلان في الإرجاء هي البذرة التي أنبتت قول الجهم بن صفوان.

لم يدع من الشر شيئاً إلا عمل به، إلا أنه كان يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟ قال: عَشٌّ ولا تغتر<sup>(١)</sup>.

إن موقف الصحابة رضي الله عنهم هذا من المرجئة يستفاد منه أمور في منهج الرد على البدع منها:

١- أن لا يتوسّع في الرد على البدعة، بل ترد بحسبها، فالصحابه ردوا على البدع بحسبها، وحسب خطورتها ومدى انتشارها وظهورها، فإن كانت مجرد أسئلة أجابوا عليها، وإن كانت شبهات ردوا عليها، وإن كانت أقوالاً منتشرة قمعوها بما يناسبها<sup>(٢)</sup>.

٢- أن لا تفترض المسائل الباطلة وتثار الشبهات للرد عليها، فالصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستعجلون الأمور، أو يفترضون المسائل الباطلة ويثيرونها في أذهان العامة ليردوا عليها توقفاً لحدوثها، بل كانوا يبينون الحق ويفصلونه بأدلتهم، وينهون عن استحداث المسائل، ولا يردون أو يجيبون إذا سُئلوا إلا على ما وقع<sup>(٣)</sup>.

(مسألة) حكمهم: لم يتنازع السلف ولم يختلفوا في عدم تكفير المرجئة: سواء مرجئة الفقهاء القائلين إن الإيمان اعتقاد وقول<sup>(٤)</sup>، أو من يقول ببعض التجهم من مرجئة المتكلمين كالأشاعرة والكلابية والكرامية<sup>(٥)</sup>، المقرين بالفرائض والواجبات.

(١) انظر حلية الأولياء (١ / ٣١١)، وروى أن معبداً سأل ابن عباس أيضاً. انظر مختصر تاريخ دمشق (٢٥ / ١١٥).

(٢) انظر مثلاً موقفهم من الخوارج ومن الشيعة في الفصل الثاني والثالث من هذا الباب.

(٣) انظر أقوالهم في النهي عن استحداث المسائل: كتاب العلم لأبي خثيمة زهير النسائي ضمن مجموعة كنوز السنة (١٢٦، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٣).

(٤) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١ / ٣١١ - ٣١٤)، الفتاوى (٣ / ٢١٩)، (٧ / ٣١١).

(٥) انظر الفتاوى (١٧ / ٢٤١)، وانظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير للمشعي (٢ / ٣٢٧).

ولم ينصوا إلا على تكفير الجهمية المحضة القائلين بأن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإن لم يتكلم به أو يعمل، فانسلخوا من الشرع وعطلوه، فهؤلاء هم الذين كفرهم السلف<sup>(١)</sup>، أما سائر فرق المرجئة فلم يكفروهم بل بدعواهم ودموا مسلكهم وغلظوا القول فيهم.

---

(١) انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد (٧٩)، السنة للخلال (٥٧٠)، الإبانة لابن بطة (٢ / ٩٨٣)، الفصل لابن حزم (٢ / ٢٧)، الفتاوى (١٣ / ٢٩)، (٣ / ٢٣، ٢١٩)، (٧ / ٣١١).

## الخاتمة

حوت الخاتمة على أهم النتائج من البحث وهي:

- ١- تضافر نصوص الكتاب والسنة في النهي عن الفرقة والتحذير منها، وجهود الصحابة رضي الله عنهم في بيان هذه النصوص والعمل بها.
- ٢- ثبوت حديث الافتراق المشهور، والذي بذل فيه العلماء جهوداً كثيرة، وقد اختلفت طرائقهم في تصنيف الفرق. فاعتمد علماء على حديث الافتراق في تحديد الفرق وحصرها بالعدد الوارد في الحديث (٧٣) فرقة، فأوقعهم ذلك في التكلف والاضطراب، والأولى أن تصرف الجهود في بيان الحق وتفصيله ونشره، والتحذير من أهل البدع وأصحاب الفرق، ومعرفة الأصول التي ينطلقون منها، والمناهج التي يسلكونها ومعرفة أسباب زيغها وانحرافها لنحذرها، والرد عليها وبيان فسادها، وتحذير الأمة من غوائلها وأضرارها.
- ٣- إن عمق علم الصحابة رضي الله عنهم ومدى فقههم وبعد نظرهم كان ظاهراً من مواقفهم تجاه الفرقة والفرق، فهم رضي الله عنهم الأعلم، وهم خير القرون بلا ريب.
- ٤- لقد بان لنا من مواقف الصحابة رضي الله عنهم مدى تسليمهم للنصوص ووقوفهم عندها بعلم تام وفهم صحيح لها، فلم يقدموا على النصوص رأياً ولا ذوقاً ولا قياساً ولا هوى، بل كانوا لها متبعين، وبها عاملين، فكان منهجهم الأحكم والأسلم رضي الله عنهم.
- ٥- سلامة الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة، وحرصهم على الجماعة والألفة، وتحقيقهم لهذا الأصل العظيم متابعة وقولاً وعملاً.

- ٦- لقد تعددت أسباب الفرقة، وكان مدارها على الجهل وإتباع الهوى والظلم، لذلك لا اجتماع للأمة إلا بوحدها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والتزام صراطه المستقيم علماً وعملاً، حقاً وعدلاً.
- ٧- على المسلم الحذر من الفرقة فإن ضررها شديد، وخطرها جسيم ينال الفرد المفارق، وينهش بجسد الأمة المسلمة ويضعفها.
- ٨- ينبغي أن لا يطلق حكم عام بتكفير فرقة من الفرق، ولا حكم عام بعدم تكفيرها، بل ينظر إلى البدعة التي جاءت بها الفرقة ويحكم عليها بالكفر أو عدمه بحسبها، مع مراعاة التفريق بين التكفير العام والتكفير للمعين.
- ٩- إن الفرقة الناجية هم السائرون على هدي السلف الصالح: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، المجتمعون على طاعة السلطان، السالكون النهج المستقيم.
- ١٠- إن تنوع وتعدد مواقف الصحابة رضي الله عنهم مع الفرق المبتدعة التي ظهرت في عصرهم يدل على علم الصحابة وفقههم، وأنهم يعالجون الموقف الطارئ والأمر المبتدع بالطريقة التي تناسبه، مع اعتبار الظروف المحيطة به.
- ١١- إن حرص الصحابة رضي الله عنهم على هذا الدين ودفاعهم عنه كان ظاهراً من مواقفهم تجاه الفرقة والفرق، وكذلك بان شفقتهم ورحمتهم على المسلم المفارق المبتدع، وحرصهم على رده إلى الجماعة المسلمة وإلى السنة.
- ١٢- لقد تعددت مواقف الصحابة، وتنوعت طرائقهم في معالجة الفرقة والفرق إلا أنهم جميعاً كانوا متحدين ومجمعين على النهي عن الفرقة والتحذير من الفرق، واتحاد منهجهم هذا يدل على وحدة المصدر.
- ١٣- إن أشد ما يفتك بالأمة ويوقعها في الفرقة هو الإحداث في دين الله، والسير خلف البدع، ومداهنة المبتدعين.

١٤- إنه لا بد من قوة العلم وقوة السلطان والسيف لقمع أهل البدع ودحرهم، إذ لا يغني أحدهما عن الآخر.

١٥- إن الحل الوحيد الناجح للأمة حتى تجتمع وتعتز وتتحد هو إخلاص توحيدها لله عزّ وجلّ والتسليم التام لنصوص الكتاب والسنة، وتطبيق الشريعة على مناحي الحياة كلها، فالداء كل الداء في الأخذ ببعض أمور الشريعة وترك بعضها.

ختاماً أوجه دعوة إلى أرباب البدع وأهل الافتراق بالعودة إلى الصراط المستقيم، والنظر في نصوص الكتاب والسنة نظرة تكاملية شمولية وفق فهم السلف الصالح لها، متجردين من الهوى، ومن العصبية والتقليد الأعمى، وألا يكونوا معول هدم للأمة، وعوناً لأعداء الدين بتفرقهم هذا.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه، وأسأله سبحانه أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلّ اللهم على النبي المصطفى المختار وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.



تحميل كتب و رسائل علمية  
channel publik



أنظر قناة التليغرام  
تحميل كتب و رسائل علمية

Info

[t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah](https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah)

undangan

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الأباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث لعلي يحيى معمر- وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان- الثانية- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٢- الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى لصالح باجيه- الجامعة التونسية- دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع- تونس- الأولى- ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ٣- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي الأشعري- تحقيق بشير محمد عون- مكتبة دار البيان- دمشق- الثالثة- ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ٤- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري- تحقيق ودراسة: رضا بن نعان معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل- دار الراية- الرياض- الأولى- ١٤١٥هـ.
- ٥- أجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي- أعده وفهرسه: عبد الجبار زكار- دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٦- إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد لمحمد بن علي بن عتيق- اعتنى به: إسماعيل بن سعد بن عتيق- دار القرآن الكريم- بيروت- ١٤٠٠هـ.
- ٧- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي- تحقيق: فواز أحمد زمرلي- دار الكتاب العربي- بيروت- الأولى- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٨- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني- بيروت- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ٩- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول لعلي عبد الرحمن العمرو- الطبعة السادسة- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.



- ١٠- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير- الاستشراق- الاستعمار" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- دار القلم- دمشق- السابعة- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ١١- الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي- تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٢- الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦)- تحقيق: أحمد محمد شاكر- نشر ضياء السنة- باكستان- الأولى- ١٤٠٤هـ.
- ١٣- إحياء علوم الدين لمحمد أبي حامد الغزالي، وبهامشه تخريج الإمام العراقي- دار الجيل- بيروت- الأولى- ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٤- أخلاق العلماء لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري- تحقيق: أمينة عمر الخراط- الأولى- دار القلم- دمشق.
- ١٥- آداب البحث والمناظرة لمحمد أمين الشنقيطي- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
- ١٦- أدب الخلاف لصالح بن عبد الله بن حميد- مكتبة الضياء- جدة- الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ١٧- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي- لعلي محمد حريشة ومحمد شريف الزبيق- دار الاعتصام- مصر- الثانية- ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ١٨- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري- تعليق: مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دمشق- الثالثة- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٩- الاستقامة لأبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم- دار الهدى النبوي- مصر- توزيع: دار الفضيلة- الرياض- الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- ٢٠- الإسلام والحضارة الغربية لمحمد بن حسين- مؤسسة الرسالة- بيروت- السابعة- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٢١- الإسماعيلية المعاصرة لمحمد بن أحمد الجوير- الأولى- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- ٢٢- الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٣- أصول التنصير في الخليج العربي، تأليف: هـ. كونوي زيجلر - ترجمة: مازن مطبقاني - وهي دراسة ميدانية وثائقية لنشاط البعثة البروتستانتية في الخليج العربي (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) - دار الريشة - جدة - الثانية - ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٢٤- أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد بن عبد العزيز الحلبي - كتاب الأمة - قطر - الأولى - ١٤١٧هـ.
- ٢٥- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة لمحمد بن عبد الرحمن الخميس - دار الصميعي - الرياض - الأولى - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٢٦- أصول الدين لأبي اليسر محمد البزدوي - تحقيق: هانز بيتر لنس - ضبط وتعليق: أحمد حجازي السقا - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٧- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت - الثالثة - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ٢٨- أصول السنة لعبد الله بن الزبير الحميدي - ضمن عقائد أئمة السلف - جمع: فواز أحمد زمرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٩- أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ضمن مجموعة عقائد أئمة السلف - اعتنى بها: فواز أحمد زمرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٣٠- الأصول والفروع لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي - تحقيق: محمد عاطف وآخرون - دار النهضة العربية - مصر - الأولى - ١٩٧٨م.
- ٣١- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي لمحمود عصام الميداني - راجعه: عبد الرحمن حميدة - دار دمشق - دمشق - الرابعة - ٢٠٠٢م.
- ٣٢- أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الأولى - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ٣٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- راجعه طه عبد الرؤوف سعد- دار الجيل- بيروت- لبنان.
- ٣٤- الأعلام لخير الدين الزركلي- دار العلم للملايين- بيروت- التاسعة- ١٩٩٠م.
- ٣٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتب العلمية بيروت- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٦- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتهيات لزين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- الأولى- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٣٧- أفكار الشيعة للمرجع الديني محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي- الكويت- ١٣٩٣هـ.
- ٣٨- ألفية الحديث لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي- تحقيق: أحمد محمد شاكر- عالم الكتب- بيروت- الثانية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٩- ألفية السيوطي في علم الحديث- لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١)- تصحيح وشرح: أحمد محمد شاكر- نشر دار المعرفة- بيروت.
- ٤٠- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عمر الدميحي- دار طيبة- الرياض- الأولى- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٤١- كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني- تحقيق علي بن محمد الفقيهي- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- الثالثة- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٤٢- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر بن الطيب الباقلاني- تحقيق: محمد زاهد الكوثري- المكتبة الأزهرية للتراث- مصر- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٤٣- أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب لأبي محمد الحسيني- الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- ٤٤- أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب لأبي محمد الحسيني-  
الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٤٥- كتاب الإيمان لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة العبسي- تحقيق: محمد ناصر  
الألباني- ضمن كنوز السنة- دار الأرقم- الكويت- الثانية- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤٦- كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام- تحقيق: محمد ناصر الألباني- ضمن  
كنوز السنة- دار الأرقم- الكويت- الثانية- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤٧- الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة (٣٩٥هـ)- تحقيق علي بن محمد  
الفيهي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الثانية- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤٨- الائتلاف والاختلاف: أسسه وضوابطه- لصالح بن غانم السدلان-  
دار بلنسية- الرياض- ١٤١٧هـ.
- ٤٩- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام لسعد الدين السيد صالح- دار  
الأرقم- مصر- الثانية- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٥٠- الاختلاف رحمة أم نقمة للأمين الحاج محمد أحمد- مكتبة دار المطبوعات الحديثة-  
جدة- الأولى- ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٥١- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن  
قتيبة الدينوري- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٥٢- الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر  
القرطبي بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر- دار الفكر- بيروت-  
١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ٥٣- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي- تعليق: محمود طعمة حلي-  
دار المعرفة- بيروت- الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٥٤- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي- ضبط:  
محمد المعتصم بالله البغدادي- دار الكتاب العربي- بيروت- الأولى- ١٤٠٧هـ/  
١٩٨٦م.

- ٥٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل - مكتبة الرشد - الرياض - الثامنة - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٥٦- كتاب اقتضاء العلم العمل لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي - تحقيق: محمد ناصر الألباني - ضمن كنوز السنة - دار الأرقم - الكويت - الثانية - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٥٧- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة الشافعي - تحقيق: إبراهيم رمضان - دار الفكر اللبناني - بيروت - الأولى - ١٩٩٢م.
- ٥٨- البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير - دار الفكر - بيروت - توزيع: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٥٩- برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي - تحقيق: محمد أبو الأجفان - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الأولى - ١٩٨٢م.
- ٦٠- براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة لعبد العزيز بن أحمد الحميدي - دار ابن عفان - القاهرة - الأولى - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٦١- البرهان في معرفة عقائد أهل الديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي - تحقيق: بسام علي العموش - مكتبة المنار - الأردن - الثانية - ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٦٢- بطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسي رئيس منظمة أهل السنة بباكستان - ١٤٠٨هـ.
- ٦٣- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي - دار الأندلس الخضراء - جدة - الأولى - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٦٤- تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: محمد الأصفر - المكتب الإسلامي - بيروت - الثانية - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ٦٥- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر لعبد الرحمن محمد بن خلدون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

- ٦٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق: عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي- بيروت- الأولى- ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٦٧- تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الثالثة- ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٦٨- تاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الثالثة- ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٦٩- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن الزيدية، الشافعية، الإسماعيلية لأحمد حسين شرف الدين- الثانية- ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٧٠- تاريخ اليعقوبي لأحمد يعقوب المعروف باليعقوبي- دار صادر- بيروت- ١٣٧٩ هـ.
- ٧١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.
- ٧٢- تاريخ خليفة خياط- أكرم ضياء العمري- دار القلم- دمشق- الثانية- ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.
- ٧٣- تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد- منشورات المدينة- شركة دار التنوير للطباعة والنشر- لبنان- الرابعة- ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٧٤- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين لأبي المظفر الاسفراييني- تحقيق: كمال يوسف الحوت- عالم الكتب- بيروت- الأولى- ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٧٥- التحف في مذاهب السلف لمحمد بن علي الشوكاني- تحقيق: شريف محمد هزاع- دار الفتح- الشارقة- الثانية- ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٧٦- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهدي- تصحيح وتعليق: عبد الرحمن بن صالح المحمود- مكتبة الحرمين- الرياض- الثانية- ١٤٠٥ هـ.

- ٧٧- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين لمحمد  
أحزون- دار طيبة- الرياض- الثالثة- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٧٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت  
٩١١)- تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- دار الكتب الحديثة- مصر- الثانية-  
١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.
- ٧٩- تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي- دار إحياء التراث  
العربي- بيروت.
- ٨٠- التسعينية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية- دراسة وتحقيق: محمد إبراهيم العجلان-  
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- الأولى- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٨١- تسهيل المنطق لعبد الكريم الأثري- دار مصر للطباعة- مصر- الثانية.
- ٨٢- التشبه المنهني عنه في الفقه الإسلامي لجميل بن حبيب اللويحق- دار الأندلس  
الخضراء- جدة- الأولى- ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ٨٣- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي لمحمد البنداري- تقديم سعيد حوى-  
دار عمار- عمان- الثالثة- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٨٤- كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني- مكتبة لبنان- بيروت-  
١٩٩٠م.
- ٨٥- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي- ضبط: أحمد أبو المجد- دار العقيدة-  
القاهرة- الأولى- ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- ٨٦- تفسر الطبري "جامع البيان في تفسير القرآن" لأبي جعفر بن جرير الطبري- دار  
المعرفة- بيروت- لبنان- ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٨٧- تفسير ابن كثير المسمى "تفسير القرآن الكريم" لعلماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن  
كثير القرشي الدمشقي- دار الحديث- القاهرة- الثانية- ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- ٨٨- تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- تحقيق: محمد زهري النجار- طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء- الرياض- ١٤١٠هـ.
- ٨٩- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٩٠- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني- تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- دار المعرفة- بيروت- الثانية- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ٩١- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين عبد الرحيم العراقي وبذيله المصباح على مقدمة ابن الصلاح لمحمد راغب الطباخ- دار الحديث- بيروت- الثانية- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- ٩٢- تلبس إبليس لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي- تحقيق: السيد الجميلي- دار الكتاب العربي- بيروت- الرابعة- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ٩٣- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لعبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧)- نشر إدارة إحياء السنة- باكستان.
- ٩٤- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي- تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- الثالثة- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٩٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي- تقديم وتعليق: محمد زاهد الكوثري- إعداد: فتحي جابر العقيلي.
- ٩٦- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار لمحمد بن جرير الطبري- تحقيق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني- مصر.
- ٩٧- تهذيب التهذيب لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- الهند- حيدر آباد الدكن- الأولى- ١٣٢٥هـ.



- ٩٨- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر- هذبته ورتبه عبد القادر بدران- دار المسيرة- بيروت- الثانية- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٩٩- تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية- هذبته عبد المنعم صالح العلي العربي.
- ١٠٠- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله محمد بن عبد الوهاب- مكتبة الرياض الحديثة- الرياض.
- ١٠١- كتاب الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي- طبع بمساعدة وزارة المعارف والشؤون الثقافية حكومة الهندية العالية- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن- الهند- الأولى- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ١٠٢- جامع العلوم والحكم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب- تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس- مؤسسة الرسالة- بيروت- الثامنة- ١٤١٩هـ.
- ١٠٣- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر- تحقيق: أبي الأشبال الزهيري- دار ابن الجوزي- الدمام- الخامسة- ١٤٢٢هـ.
- ١٠٤- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبد الله- دار الاعتصام- القاهرة- الأولى- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ١٠٥- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي- مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- الدكن والهند- الأولى- ١٣٦٠هـ.
- ١٠٦- جمهرة الأمثال لأبي الهلال العسكري- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش- دار الجيل ودار الفكر- بيروت- الثانية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٠٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية- تحقيق: علي بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان- دار العاصمة- الرياض- الثانية- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- ١٠٨- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي- الثانية- ١٤٠٥.
- ١٠٩- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني- تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي- دار الراجعية- الرياض- الثانية- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ١١٠- حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة لمحمد بن إسماعيل الأثير الصنعاني- تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان- دار العاصمة- الرياض- الأولى- ١١٨٢هـ/ ١٠٩٩م.
- ١١١- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها لمحمد أحمد الخطيب- دار عالم الكتب- الرياض- الثانية- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١١٢- حرية الفكر أم حرية الكفر لعبد العزيز الزهراني- دار القاسم- الرياض- الأولى- ١٤٢٠هـ.
- ١١٣- حقيقة الفرقة الناجية لسقاف علي الكاف- مكتبة المطيعي- شارع العباسية.
- ١١٤- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ "بعثت بالسيف بين يدي الساعة" لابن رجب الحنبلي
- ١١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- دار الكتاب العربي- بيروت- الثالثة- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ١١٦- كتاب الحوادث والبدع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي- ضبط: علي ابن عبد الحميد الحلبي الأثري- دار ابن الجوزي- الدمام- الثانية- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ١١٧- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية لمحج الدين الخطيب، ويليهِ مؤتمر النجف- العاشرة- ١٤١٠هـ.
- ١١٨- خلق أفعال العباد لمحمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: عبد الرحمن عميرة- دار الجيل- بيروت- الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ١١٩- الخوارج والمرجئة لمحمد إبراهيم الفيومي- دار الفكر العربي- مصر- الأولى- ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- ١٢٠- الخوارج: أول الفرق في تاريخ الإسلام لناصر بن عبد الكريم العقل- دار الوطن- الرياض- الأولى- ١٤١٦.
- ١٢١- درء تعارض العقل والنقل لأبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم- مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض- الأولى- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ١٢٢- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها لناصر بن عبد الكريم العقل- دار إشبيليا- الرياض- الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٢٣- دراسات في الاختلافات الفقهية: حقيقتها، نشأتها، أسبابها، المواقف المختلفة منها لمحمد أبي الفتح البيانوني- دار السلام للطباعة والنشر- القاهرة- الثالثة- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- ١٢٤- دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور بن نايف زين العابدين- دار الأرقم- برمنجهام- الثالثة- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٢٥- دراسات في الفرق لصابر طعيمة- مكتبة المعارف- الرياض- ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ١٢٦- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية لعرفان عبد الحميد- مؤسسة الرسالة- بيروت- الأولى- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ١٢٧- دراسات في الفرق والمذاهب الإسلامية لعلي عبد العال ربيع إسماعيل وأحمد حسين إبراهيم- دار عالم الكتب- الرياض- الأولى- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٨- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لأحمد محمد جلي- طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض- الثانية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني- تحقيق محمد سيد جاد الحق- دار الكتب الحديثة- القاهرة- الثانية- ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

١٣٠- الدين بجوت ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، لمحمد عبد الله دراز- دار القلم- الكويت- الثانية- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٣١- ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين لعبد الله بن أسعد اليافعي- تحقيق: موسى بن سليمان الدويش- دار البخاري- المدينة المنورة- الأولى- ١٤١٠هـ.

١٣٢- ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة لعبد الله بن محمد الغنيمان- مكتبة لينة- دمنهور- مصر الأولى- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٣٣- ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل عبد الله الهروي- ضبط وتخرّيج: أبو جابر عبد الله بن محمد الأنصاري- مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية- الأولى- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣٤- الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل- تحقيق عبد الرحمن عميرة- دار اللواء- الرياض- الثانية- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٣٥- الرد على المخالف ضمن مجموعة الردود لبكر عبد الله أبو زيد- دار العاصمة- الرياض- الأولى- ١٤١٤.

١٣٦- رسائل في العقيدة لمحمد بن صالح العثيمين- مؤسسة قرطبة- مصر.

١٣٧- رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري- تحقيق ودراسة: عبد الله شاعر الجندي- مؤسسة علوم القرآن- دمشق- الأولى- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٣٨- رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني - ضمن مجموعة عقائد أئمة السلف - جمع: فواز زمرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١٣٩- الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر قيم الجوزية - تحقيق: أشرف عبد المقصود - مكتبة التوعية الإسلامية - لإحياء التراث الإسلامي - مصر - الأولى - ١٤٠٨هـ.

١٤٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المطهرة لمحمد بن جعفر الكتاني - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ١٤٠٠هـ.

١٤١- رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن - الدار السلفية - الهند - الأولى - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٤٢- الرسالة لمحمد إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاعر - المكتبة العلمية - بيروت.

١٤٣- رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - الثانية - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٤٤- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ لمحمد بن إبراهيم الوزير - اعتنى به علي بن محمد العمران - الأولى - ١٤١٩هـ - دار الفوائد - مكة المكرمة.

١٤٥- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية للحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة - تحقيق: عبدالرحمن عميرة - عالم الكتب - بيروت - الأولى - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

١٤٦- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠).

١٤٧- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ليحيى بن أبي بكر العامري اليميني - أشرف ٣ ضبطه: عمر الديراوي أبو حجلة - مكتبة المعارف - بيروت - الثانية - ١٩٧٩م.

- ١٤٨- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي -  
المكتب الإسلامي - بيروت - الرابعة - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٤٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين  
الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٥٠- السنة التي توفي عنها رسول الله ﷺ لأحمد بن حنبل - ضمن عقائد أئمة  
السلف - جمع: فواز زمرلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى - ١٤١٥هـ /  
١٩٩٥م.
- ١٥١- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال - دراسة وتحقيق: عطية الزهراني -  
دار الراجية - الرياض - الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ١٥٢- كتاب السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ومعه ظلال  
الجنة في تخريج السنة محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت -  
الثالثة - ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٥٣- كتاب السنة لأبي عبد الرحمن عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -  
تحقيق: محمد سعيد القحطاني - رمادي للنشر - الدمام - الرابعة - ١٤١٦هـ /  
١٩٩٦م.
- ١٥٤- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - مراجعة وضبط:  
محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر - بيروت.
- ١٥٥- سنن أبي عبد الله محمد ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء  
التراث العربي - بيروت.
- ١٥٦- سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي -  
تحقيق: أحمد محمد شاكر - طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الثانية -  
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ١٥٧- سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - اعتنى به: محمد  
أحمد دهمان - دار إحياء السنة النبوية - القاهرة - ١٩٦٠م.

- ١٥٨- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي- اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة- دار البشائر الإسلامية- بيروت- الثالثة- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٥٩- سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- الثانية- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ١٦٠- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري- تقديم: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة- الكليات الأزهرية- القاهرة.
- ١٦١- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري- تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي- مكتبة البابي الحلبي- مصر- الثانية- ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- ١٦٢- الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي- لأنور الجندي- دار الاعتصام- مصر.
- ١٦٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي- دار الكتب العلمية- بيروت.
- ١٦٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي- تحقيق: أحمد سعد حمدان- طار طيبة- الرياض.
- ١٦٥- شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبد الجبار ابن أحمد- تعليق: عبد الكريم عثمان- مكتبة وهبة- مصر- الثانية- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٦٦- شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري- تحقيق: خالد الرادادي- دار السلف- الرياض- الثالثة- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٦٧- شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي- تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط- المكتب الإسلامي- بيروت- الثانية- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦٨- شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن علي بن أبي العز الدمشقي الحنفي - تحقيق: عبد الله التركي وشعيب الأناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الثالثة - ١٤١٢هـ /

١٩٩١م.

١٦٩- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - شرحه: محمد الصالح العثيمين - اعتنى به: سعد الصميل - دار ابن الجوزي - الدمام - الثالثة - ١٤١٦هـ.

١٧٠- شرح مواقف لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي - تأليف: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ومعه حاشيتا السيالكوتي والحلي - ضبطه وصححه: محمود عمر

الدمياطي - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٧١- شرحا ألفية العراقي وهما: التبصرة والتذكرة لزين الدين عبد الرحيم العراقي

(ت ٨٠٦) ويليهما فتح الباقي على ألفية العراقي لذكرياء بن محمد الأنصاري

الشافعي (ت ٩٢٥) تصحيح وتعليق: محمد بن الحسين العراقي الحسيني - دار

الكتب العلمية - بيروت.

١٧٢- كتاب الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري - تحقيق: عبد الله بن عمرو

الدميجي - دار الوطن - الرياض - الثانية - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٧٣- شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة لأبي بكر

خليل إبراهيم الموصلي - دار الكتاب العربي - بيروت - الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠

م.

١٧٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لشمس الدين بن

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الأولى -

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٧٥- الشيعة الشيعية والإثنا عشرية لمحمد إبراهيم الفيومي - دار الفكر العربي -

القاهرة - الأولى - ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٧٦- الشيعة في الميزان لمحمد يوسف النجمي - دار المدني - مصر - الأولى - ١٤٠٧

هـ / ١٩٨٧م.



- ١٧٧- الشيعة نشأتها وتطورها حتى أواسط القرن الثالث الهجري لمحمد أرشيد العقيلي- المكتبات الأردنية- عمان- الأولى- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ١٧٨- الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير- إدارة ترجمان السنة- لاهور- باكستان- الثانية- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ١٧٩- الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله تقديم: محمد أحمد النجفي- المكتبة الإسلامية- الأردن- الثانية- ١٤٠٥هـ.
- ١٨٠- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ليوسف القرضاوي- دار الصحوة- مصر- الرابعة- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٨١- صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند لمحمد ناصر الدين الألباني- إشراف: زهير الشاويش- نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض- الثالثة- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٨٢- صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند لمحمد ناصر الدين الألباني- إشراف: زهير الشاويش- نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض- الأولى- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ١٨٣- صحيح مسلم بشرح النووي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الأولى- ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.
- ١٨٤- صفة الغرباء الفرقة الناجية- الطائفة المنصورة- صفات أخرى. لسلمان بن فهد العودة- دار ابن الجوزي- الدمام- الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ١٨٥- صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة للإمام أحمد بن حنبل- ضمن مجموعة عقائد أئمة السلف- اعتنى بها: فواز أحمد زمرلي- دار الكتاب العربي- بيروت- الأولى- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ١٨٦- صفة النفاق وذم المنافقين لأبي بكر الفريابي- تحقيق محمد عبد القادر عطا- الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- ١٨٧- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي- تحقيق: عبد الرحمن التركي وكامل الخراط- مؤسسة الرسالة- بيروت- الأولى- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٨٨- ضحى الإسلام لأحمد أمين- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- العاشرة.
- ١٨٩- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن محمد القرني- مؤسسة الرسالة- بيروت- الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
- ١٩٠- طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها لمحمد كامل حسين- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الأولى- ١٩٥٩م.
- ١٩١- طبقات القراء لشمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي- تحقيق: أحمد خان- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض- الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٩٢- الطبقات الكبرى لابن سعد- دار بيروت- بيروت- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ١٩٣- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري- دار صادر- بيروت.
- ١٩٤- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداودي- تحقيق: علي محمد عمر عابدين- مكتبة وهبة- الأولى- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ١٩٥- الطريق إلى الخلافة اختصار غياث الأمم في إلتياث الظلم لأبي المعالي الجويني- اختصره وعلق عليه: أبو عمار محمد الحسيني- دار طيبة- مكة المكرمة- الثانية- ١٤١٢هـ.
- ١٩٦- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان بن حمد العودة- دار طيبة- الرياض- الرابعة- ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ١٩٧- العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي- تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- ١٩٨- عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني - تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الله الغامدي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الأولى - ١٤١٤هـ.
- ١٩٩- العقيدة الإسلامية وجهود علماء السلف في تقريرها والدفاع عنها حتى نهاية العصر الأموي لعطا الله بنحيت المعاينة - دار الأفاق الفكرية - القاهرة - الأولى - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٠٠- عقيدة الدروز عرض ونقض لمحمد أحمد الخطيب - مكتبة الأقصى - عمان - الأولى - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢٠١- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافخ لصالح بن المهدي المقبل اليميني - مكتبة دار البيان - دمشق.
- ٢٠٢- كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب النسائي - تحقيق: محمد ناصر الألباني - ضمن كنوز السنة - دار الأرقم - الكويت - الثانية - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٠٣- علوم الحديث لأبي عمرو عثمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣) - تحقيق: نور الدين عتر - المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٢٠٤- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم محمد بن إبراهيم الوزير اليماني - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الثالثة - ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٠٥- غرائب القرآن ورجائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري بهامش تفسير الطبري - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٢٠٦- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - بيروت - الخامسة - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٠٧- الفتاوى "مجموعة الفتاوى" لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - عناية وتخرّيج: عامر الجزار وأنور الباز - مكتبة العبيكان - الرياض - الأولى - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- ٢٠٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني- قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً عبد العزيز بن عبد الله بن باز- دار المعرفة- بيروت- لبنان.
- ٢٠٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية إلى علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني- دار الفكر- بيروت- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢١٠- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لزين الدين عبد الرحيم العراقي- تحقيق: محمود ربيع- عالم الكتب- بيروت- الثانية- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢١١- الفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي- دار الكتب العلمية- بيروت- الثانية- ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢١٢- الفتنة ووقعة الجمل، رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي، جمع وتصنيف: أحمد عرموش- دار النفائس- بيروت- الأولى- ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م.
- ٢١٣- فجر الإسلام لأحمد أمين- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- العاشرة- ١٩٦٩م.
- ٢١٤- الفرق الإسلامية لمحمود محمد مزروعة- دار الرضا للنشر والتوزيع- مصر- الثانية- ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢١٥- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي- دار الكتب العلمية- بيروت.
- ٢١٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لأحمد بن تيمية- ضمن مجموعة التوحيد- تحقيق بشير عيون- مراجعة عبد القادر الأرناؤوط- دار البيان- دمشق- ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢١٧- الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري- حققه محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة- مصر- القاهرة.
- ٢١٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري- تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة- دار عكاظ للنشر والتوزيع- جدة- الأولى- ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- ٢١٩- فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، جمع وتعلق: خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي- دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة- الأولى- ١٤٢٠هـ.
- ٢٢٠- كتاب فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل- تحقيق: وصي الله بن محمد عباس- جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكة- الأولى- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٢١- فضل على السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي- تحقيق: يحي مختار غزاوي- دار البشائر الإسلامية- الأولى- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٢٢- كتاب الفقيه والمتفقه لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- تعليق: إسماعيل الأنصاري- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٢٢٣- الفهرست لابن النديم- اعتنى به إبراهيم رمضان- دار المعرفة- بيروت- لبنان- الأولى- ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٢٤- فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتي- تحقيق: حسان بن عباس- دار الثقافة- بيروت.
- ٢٢٥- القاموس المحيط لمجد الدين محمد الفيروز آبادي- تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- مؤسسة الرسالة- بيروت- الثانية- ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٢٦- قاموس المذاهب والأديان لحسين علي حمد- دار الجيل- بيروت- الأولى- ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٢٢٧- كتاب القدر لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي- تحقيق محمد حسن إسماعيل- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٢٨- القدريّة والمرجئة لناصر بن عبد الكريم العقل- دار الوطن- الرياض- الأولى- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٢٢٩- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه لعبد الرحمن بن صالح المحمود- دار الوطن- الرياض- الثانية- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- ٢٣٠- قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها للإمام محمد الشوكاني - تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال.
- ٢٣١- الكامل في التاريخ لأبي الحسن على ابن الأثير الجوزي - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٣٢- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٣٣- كتاب الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي - (ت ٤٦٣) - مراجعة: عبد الحكيم محمد عبد الحليم، عبد الرحمن حسن عمود - دار الكتب الحديثة - القاهرة - الثانية.
- ٢٣٤- الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: محمود حسن أبو ناجي الشيباني - الأولى - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٣٥- الكليات لأبي البقاء أيوب الكفوي - تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٢٣٦- كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ومعه بيان مذاهب الفرق الضالة لعبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق: أبي الأشبال الزهيري - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الأولى - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٣٧- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور - دار صادر بيروت - الثالثة - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٣٨- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري - تصحيح: حمودة غرابة - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.
- ٢٣٩- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية لمحمد السفاريني الحنبلي - المكتب الإسلامي - بيروت - الثالثة - ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- ٢٤٠- المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي- دار الاعتصام- مصر- الثانية- ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.
- ٢٤١- كتاب ما جاء في البدع لمحمد بن وضاح القرطبي تحقيق: بدر بن عبد الله البدر- دار الصميعي- الرياض- الأولى- ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.
- ٢٤٢- الماتريدية دراسة وتقويماً لأحمد بن عوض الحربي- دار العاصمة- الرياض- الأولى- ١٤١٣ هـ.
- ٢٤٣- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد النيسابوري الميداني- تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد- دار القلم- بيروت.
- ٢٤٤- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لفخر الدين محمد بن عمر الرازي- وبذيله تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي- راجعه: طه عبدالرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة.
- ٢٤٥- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي- إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان- مكتبة لبنان- بيروت- ١٩٨٨ م.
- ٢٤٦- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله لابن قيم الجوزية- اختصره: محمد بن الموصللي- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- ٢٤٧- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور- تحقيق: أحمد راتب هموش- محمد ناجي العمر- دار الفكر- دمشق- الأولى- ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- ٢٤٨- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السفن لأبي الخطاب- تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي- دار المعرفة- بيروت- ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- ٢٤٩- مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب- المكتبة السلفية- القاهرة- الأولى- ١٤٠٦ هـ.

- ٢٥٠- مختصر شعب الإيمان لأبي بكر أحمد البيهقي، تأليف أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن القزويني- تحقيق: عبد القادر الأناؤوط- مكتبة دار البيان- دمشق- الأولى- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٥١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد عبد الله بن أسعد الياضي اليمني- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- الثانية- ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٢٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر- بيروت.
- ٢٥٣- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله- تحقيق ودراسة: علي سليمان المهنا- مكتبة الدار- المدينة المنورة- الأولى- ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٥٤- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة- جمع وتحقيق: عبد الإله بن سلمان الأحمدي- دار طيبة- الرياض- الأولى- ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٢٥٥- المستدرک علی الصحیحین لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للذهبي- مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.
- ٢٥٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- المكتب الإسلامي- بيروت.
- ٢٥٧- مشارق أنوار العقول لنور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي- تعليق أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان- تحقيق عبد المنعم العاني- دار الحكمة- دمشق- الأولى- ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٥٨- مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي- دار الوعي- حلب- الأولى- ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٢٥٩- مصنف ابن أبي شيبة المسمى الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر ابن أبي شيبة- اعتنى به: مختار أحمد الندوي- الدار السلفية- الهند- الأولى- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.



- ٢٦٠- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني- اعتنى به: حبيب الرحمن الأعظمي- المكتب الإسلامي- بيروت- الأولى- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.
- ٢٦١- معالم أصول الدين لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي- راجعه طه عبد الرؤوف سعد- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ٢٦٢- معالم الانطلاقة الكبرى أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري- دار طيبة- الرياض- الرابعة- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- ٢٦٣- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة لعبد السلام بن برجس آل عبد الكريم- دار سبيل المؤمنين- الدمام- الأولى- ١٤١٤هـ.
- ٢٦٤- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة والجماعة منها لعواد بن عبد الله المعتق- مكتبة الرشد- الرياض- الرابعة- ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٢٦٥- معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي- دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ٢٦٦- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٢٦٧- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- الأولى- ١٣٦٩هـ.
- ٢٦٨- المغنى لابن قدامة لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة- مكتبة الرياض الحديثة- الرياض.
- ٢٦٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد مصطفى الشهر بطاش كيري زادة- تحقيق: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور- دار الكتب الحديثة- مصر.
- ٢٧٠- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني- تحقيق: محمد سيد كيلاني- دار المعرفة- بيروت.

- ٢٧١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- بيروت- ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٧٢- المقتطف من تاريخ اليمن للقاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني- منشورات العصر الحديث- لبنان- الثانية- ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٧٣- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم لمحمد العبدية وطارق عبد الحكيم- دار الأرقم- الكويت- ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٧٤- مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية لمحمد سيد أحمد المسير- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة.
- ٢٧٥- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني- تحقيق: عبد الأمير على مهنا وعلي حسن فاعور- دار المعرفة- بيروت- الأولى- ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٧٦- مناظرات أئمة السلف مع حزب إبليس وأفراخ الخلف دراسة وتحليل لأبي أسامة سليم الهلالي- دار ابن الجوزي- الدمام- الأولى- ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٧٧- مناقب الشافعي للبيهقي- تحقيق: أحمد صقر- دار التراث- القاهرة- الأولى- ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٢٧٨- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال وهو مختصر منهاج السنة لتقي الدين أحمد بن تيمية- اختصره: محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق: محب الدين الخطيب- طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- المملكة العربية السعودية- ١٤١٨هـ.
- ٢٧٩- منهاج السنة النبوية لأبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم- مكتبة ابن تيمية- القاهرة- الثانية- ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٨٠- منهج ابن تيمية في مسألة التكفير لعبد المجيد سالم المشعبي- أضواء السلف- الرياض- الأولى- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- ٢٨١- منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة لعبد الرحمن الصويان-  
المنتدى الإسلامي- مجلة البيان- الرياض- الثالثة- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٨٢- منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل- إعداد: محمد بن ناصر السحبياني-  
دار الوطن- الرياض- الأولى- ١٤١٧هـ.
- ٢٨٣- منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه محمد صامل السلمي- دار الوفاء  
للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة- مصر- الأولى- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢٨٤- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي- عناية وضبط: إبراهيم  
رمضان- دار المعرفة- بيروت- الخامسة- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٨٥- المواقف في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي-  
عالم الكتب- بيروت.
- ٢٨٦- الموجز لأبي عمار عبد الكافي الأباضي- تحقيق: عبد الرحمن عميرة- دار  
الجيل- بيروت- الأولى- ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٨٧- موسوعة آثار الصحابة لأبي عبد الله سيد بن كسروي بن حسن- دار الكتب  
العلمية- بيروت- الأولى- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٢٨٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة- إشراف وتخطيط:  
مانع بن حماد الجهني- دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض-  
الثالثة- ١٤١٨هـ.
- ٢٨٩- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم بن عامر  
الرحيلي- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- الأولى- ١٤٢٢هـ.
- ٢٩٠- موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح الحمود- مكتبة الرشد-  
الرياض- الثانية- ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٩١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي محمد عبد الله بن أحمد الذهبي- تحقيق  
علي البجاوي- دار المعرفة- بيروت- الأولى- ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

- ٢٩٢- كتاب النبوات لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية- تحقيق: عبد العزيز الطويان- أضواء السلف- الرياض- الأولى- ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٢٩٣- نشأة الحركة الإباضية لعوض خليفات ١٩٧٨م.
- ٢٩٤- نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربه لفرحات الجعبري- وزارة الشؤون الثقافية- المعهد القومي للآثار والفنون- تونس ١٩٧٥م.
- ٢٩٥- نظم المتناثر من الحديث المتواتر لأبي عبد الله سيدي محمد بن أبي الفيض جعفر الإدريسي الشهير بالكتاني- دار الكتب العلمية- بيروت- الثانية- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
- ٢٩٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني- تحقيق محمد بن محي الدين عبد الحميد- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.
- ٢٩٧- نقض كتاب الحكومة الإسلامية للخميني دراسة تحليلية نقدية لمحمود الخالدي- رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية- ١٠/٢/١٩٨٣- الأردن.
- ٢٩٨- النهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي- تحقيق: عصام الدين الصبابطي- دار الحديث- القاهرة- الأولى- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٢٩٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير- تعليق: أبو عبد الرحمن صلاح عويضة- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٣٠٠- نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- شرح محمد عبده- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان.
- ٣٠١- هجران أهل البدع أو الزجر بالهجر لجلال الدين السيوطي- تحقيق: أبو أسامة سليم الهلالي- دار السلف- الرياض- الأولى- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- ٣٠١- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير- تعليق: أبو عبد الرحمن صلاح عويضة- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٣٠٢- نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- شرح محمد عبده- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان.
- ٣٠٣- هجران أهل البدع أو الزجر بالهجر لجلال الدين السيوطي- تحقيق: أبو أسامة سليم الهلالي- دار السلف- الرياض- الأولى- ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٣٠٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- تحقيق: محمد احمد الحاج- دار القلم- دمشق- الأولى- ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٣٠٥- هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن عي بن حجر العسقلاني- دار المعرفة- بيروت.
- ٣٠٦- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بن بشير بادي- دار الوطن- الرياض- الثانية- ١٤١٦.
- ٣٠٧- الوحدة الإسلامية: أسسها، وسائل تحقيقها لأحمد بن سعد الغامدي- مؤسسة الجريسي- الرياض- الأولى- ١٤١٠هـ.
- ٣٠٨- وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم محمد باعبدالله- دار الراية- الرياض- الأولى- ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٣٠٩- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله- نشر سهيل اكيريمي- لاهور- باكستان- الأولى- ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٣١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان- تحقيق: إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم د/ ناصر العقل.....
٧	المقدمة.....
٨	أهمية الموضوع.....
٩	أسباب اختيار الموضوع.....
١٠	خطة البحث.....
١٤	منهج البحث.....
١٧	التمهيد: تعريف الصحابي، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيه.....
١٧	المبحث الأول: تعريف الصحابي في اللغة والاصطلاح.....
٢٢	المبحث الثاني: فضل الصحابة وفقههم، وفيه مطلبان.....
٢٢	المطلب الأول: فضل الصحابة رضي الله عنهم.....
٣٢	المطلب الثاني: فقه الصحابة رضي الله عنهم.....
٤٠	المبحث الثالث: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة.....
٤٢	أولاً: عدالة الصحابة.....
٤٧	ثانياً: وجوب محبة الصحابة وتوقيرهم.....
٥٠	ثالثاً: وجوب ذكر محاسنهم، والترضي عنهم.....
٥٧	رابعاً: النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم.....
٦٣	الباب الأول: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة.....

الصفحة	الموضوع
٦٤	المبحث الأول: تعريف الاختلاف في اللغة والاصطلاح.....
٦٤	- تعريف الاختلاف في اللغة.....
٦٦	- تعريف الاختلاف في الاصطلاح.....
٦٨	- أنواع الاختلاف.....
٦٩	أولاً: أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته.....
٦٩	١- اختلاف التنوع.....
٧١	٢- اختلاف التضاد.....
٧١	ثانياً: أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه.....
٧١	١- الاختلاف في المسائل العلمية الاعتقادية.....
٧٢	٢- الاختلاف في المسائل العملية الفقهية.....
٧٣	ثالثاً: أنواع الاختلاف باعتبار حكمه.....
٧٣	١- الاختلاف السائغ.....
٨٠	٢- الاختلاف المذموم.....
٨١	- صور من الاختلاف المذموم.....
٨٥	٣- الاختلاف المحمود.....
٨٧	المبحث الثاني: تعريف الفرقة والفرق في اللغة والاصطلاح.....
٨٧	أولاً: تعريف الفرقة والفرق في اللغة.....
٩٠	ثانياً: تعريف الفرقة والفرق في الاصطلاح.....
٩٠	- ضوابط الفرقة وسمات أهلها.....
٩٩	- حالات الفرقة في الحديث النبوي.....

الصفحة	الموضوع
١٠٥	- أنواع الفرقة.....
١٠٥	أولاً: فرقة الآراء والأديان.....
١٠٩	ثانياً: فرقة الأشخاص الأبدان.....
١١٣	المبحث الثالث: العلاقة بين الاختلاف والفرقة.....
١١٩	الفصل الثاني: النهي عن الفرقة والتحذير منها في الكتاب والسنة.....
١٢١	أولاً: الجمع بين الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة.....
١٢٧	ثانياً: الأمر بلزوم الجماعة والترغيب في ذلك.....
١٣٤	ثالثاً: بيان حال أهل الفرقة والاختلاف من التنازع.....
١٣٨	رابعاً: التأكيد على أسباب الاجتماع، وبيان طرق تأليف القلوب...
١٤٨	خامساً: إن الفرقة والاختلاف عذاب وعقوبة من الله للأمة.....
١٥٢	سادساً: الإخبار أن الفرقة واقعة لا محالة ليعلم هذا ويحذر.....
١٥٦	سابعاً: بيان أن الأصل في البشرية هو الوحدة والجماعة.....
١٥٨	ثامناً: وصية الله لأتباعه ورسله بالاجتماع على التوحيد.....
١٦١	تاسعاً: تبرئة الله تعالى لنبيه محمد ﷺ من أهل الافتراق.....
١٦٣	عاشراً: النهي عن مشابهة المشركين وأهل الكتاب.....
١٧١	الحادي عشر: إن التفريق بين المسلمين من أهداف وغايات المنافقين
١٧٨	الثاني عشر: الفرقة من وسائل الشيطان ومكائده.....
	الفصل الثالث: أسباب الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن
١٨٥	الصحابة رضي الله عنهم.....



الصفحة	الموضوع
١٨٨	المبحث الأول: الجهل.....
١٨٩	أ- الجهل بعلوم الشريعة.....
٢٠٣	ب- الجهل باللغة العربية.....
٢٠٩	المبحث الثاني: الابتداع وعدم الاتباع.....
٢٠٩	- تحذير الرسول من الابتداع في الدين.....
٢١٢	- تحذير الصحابة من البدع.....
٢١٥	- احذر صغار المحدثات من الأمور.....
٢٢٢	المبحث الثالث: تقديم الرأي على قول الله وقول رسوله ﷺ.....
٢٢٤	- آراء الصحابة في تقديم الرأي.....
٢٢٦	- تقسيم الرأي.....
٢٢٦	١- رأي يعين على فهم الكتاب والسنة.....
٢٢٧	٢- رأي يصر إليه عند عدم وجود حكم للواقعة.....
٢٢٨	٣- الرأي المذموم.....
٢٣٣	المبحث الرابع: الجدل والخصومات في الدين، والتأويل الفاسد.....
٢٣٣	أ- الجدل والخصومات في الدين.....
٢٣٦	تنبيه.....
٢٣٩	ب- التأويل الفاسد.....
٢٤٢	- كيف راج التأويل الفاسد بين المسلمين.....
٢٤٥	المبحث الخامس: الغلو في الدين، وردود الأفعال.....

الصفحة	الموضوع
٢٤٧	- من الخطأ رد البدعة ببدعة .....
٢٤٨	المبحث السادس: التعصب المذهبي والطائفي، والتقليد للرجال.....
٢٥٠	- أخطاء التعصب والتقليد.....
٢٥١	- حالات المتعصبين.....
٢٥٢	- مقارنة بين متبع ومتعصب.....
٢٥٣	- دور الأعداء في استغلال التفرق .....
٢٥٥	المبحث السابع: التنازع على السلطة وحب الرئاسة والظهور.....
٢٦٤	المبحث الثامن: الخروج عن طاعة أولي الأمر (العلماء والأمرء) ....
٢٦٧	- فوائد وأحكام في وجوب طاعة الإمام.....
٢٧٤	- متى يجوز الخروج على الإمام بالسيف وقتاله .....
٢٧٧	المبحث التاسع: التشنيع على أولي الأمر والتقول عليهم .....
٢٨٠	- الكذب على العلماء والتقول عليهم له أمران.....
٢٨٠	- التشنيع عليهم والطعن فيهم .....
٢٨٠	- ترويح القول الباطل والتدليس على الناس.....
٢٨١	أ- زلة العالم.....
٢٨١	-قواعد في التعامل مع زلة العالم.....
٢٨٥	ب- هتك سترهم.....
٢٨٨	ج- تأويل أقوالهم والاحتجاج عليهم.....
٢٩٢	المبحث العاشر: التشبه بالكافرين، واتباع سننهم.....

الصفحة	الموضوع
٢٩٦	المبحث الحادي عشر: اتباع الهوى.....
	الفصل الرابع: مضار الفرقة في الكتاب والسنة، والآثار المروية عن
٣٠١	الصحابة وسلامة الصحابة منها:.....
٣٠١	المبحث الأول: مضار الفرقة في الكتاب والسنة.....
٣٠١	المطلب الأول: ضرر الفرقة على الفرد المفارق.....
٣٠١	أولاً: الوعيد الشديد من الله.....
٣٠٣	ثانياً: تسويد الوجوه يوم القيامة.....
٣٠٣	ثالثاً: الشذوذ عن الجماعة.....
٣٠٤	رابعاً: المفارق يأتي يوم القيامة ولا حجة له.....
٣٠٤	خامساً: الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ.....
٣٠٥	سادساً: الموت ميتة جاهلية.....
٣٠٥	سابعاً: البعد عن التوبة.....
٣٠٧	ثامناً: عدم قبول العمل وإحباطه.....
٣٠٩	تاسعاً: الحرمان من شفاعة النبي ﷺ.....
٣٠٩	عاشراً: البعد عن رحمة الله.....
٣٠٩	الحادي عشر: جواز قتل المفارق.....
٣١٠	الثاني عشر: تسلط الشيطان عليه.....
٣١٠	الثالث عشر: نزع العصمة منه.....
٣١٠	الرابع عشر: الذل في الدنيا وغضب الله.....
٣١١	الخامس عشر: مفارقة صراط الله المستقيم.....

الصفحة	الموضوع
٣١٢	السادس عشر: أنه يخشى عليه سوء الخاتمة.....
٣١٣	المطلب الثاني: ضرر الفرقة على المجتمع المسلم.....
٣١٣	أولاً: تعطيل الجهاد في سبيل الله.....
٣١٨	ثانياً: ذهاب قوة المسلمين.....
٣٢٠	ثالثاً: الهزيمة والفشل.....
٣٢٢	رابعاً: خروج الفرق وفسو الفتن والبدع.....
٣٢٣	خامساً: وقوع العداوة والبغضاء.....
٣٢٨	المبحث الثاني: سلامة الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة.....
٣٢٩	- أقوال الصحابة في عدم الفرقة.....
٣٢٨	أولاً: أقوالهم السابقة.....
٣٢٩	ثانياً: العمل على جمع كلمة المسلمين.....
٣٤٠	- لا تعارض بين ما وقع في يوم الجمل وصفين.....
٣٤٩	الباب الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفرقة.....
٣٥٠	الفصل الأول: معنى حديث الافتراق.....
٣٥٠	المبحث الأول: أصول الفرق وتقسيم العلماء لها.....
٣٥٠	المطلب الأول: موقف العلماء من ثبوت الحديث.....
٣٥٧	المطلب الثاني: جهود العلماء في بيان معنى الحديث.....
٣٥٧	- الأولى: طريقة التصنيف.....
٣٦١	- الثانية: تحديد الفرق بالعدد والتعيين.....

الصفحة	الموضوع
٣٦٥	- الثالثة: أصول الفرق وأقوال العلماء .....
٣٧٢	- الرابعة: المراد بالأمة في قوله ﷺ [ستفترق أمتي] .....
٣٧٦	المبحث الثاني: حكم تكفير هذه الفرق، وقوله: [كلها في النار] ...
٣٨٣	المبحث الثالث: صفات الفرقة الناجية .....
٣٩٣	الفصل الثاني: الخوارج وموقف الصحابة منهم .....
٣٩٣	المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الخوارج .....
٣٩٣	المطلب الأول: تعريفهم، مبادئهم، ألقابهم وفرقهم .....
٣٩٧	- اختلاف العلماء فيما أجمع الخوارج عليه .....
٤٠٠	- ألقابهم .....
٤٠٢	- فرقهم .....
٤٠٧	- الأباضية .....
٤٠٧	- نشأتهم .....
٤٠٧	- أماكن تواجدهم .....
٤٠٩	- أبرز عقائدهم .....
٤١١	- فقههم .....
٤١٢	المطلب الثاني: بيان أصلهم، وكيف خرجهم .....
٤٢٧	المطلب الثالث : ما ورد فيهم من نصوص وفيه مجمل أوصافهم .....
٤٣١	صفات الخوارج .....
٤٤٣	المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الخوارج .....

الصفحة	الموضوع
٤٤٤	أولاً: الحوار والمناقشة وإزالة الشبه.....
٤٤٥	- شروط المناظر.....
٤٤٩	- ضوابط المناظرة وطرق إحكام الرد.....
٤٥٦	ثانياً: الوعظ والنصيحة.....
٤٥٧	ثالثاً: الترغيب والترهيب.....
٤٥٨	رابعاً: ذم الخوارج وذم صنيعهم.....
٤٥٩	خامساً: تحذير الناس من مسلكهم.....
٤٦٢	سادساً: هجرهم.....
٤٦٣	سابعاً: الإجابة عن أسئلتهم.....
٤٦٥	ثامناً: عدم الاعتداء عليهم.....
٤٦٦	تاسعاً: إعطاء الأمان لمن رجع منهم.....
٤٦٧	عاشراً: قتالهم.....
٤٧٣	الحادي عشر: حكمهم.....
٤٥٧	- للعلماء في تكفير الخوارج ثلاثة أقوال.....
٤٧٩	الفصل الثالث: الشيعة وموقف الصحابة رضي الله عنهم منهم.....
٤٧٩	المبحث الأول: نبذة تعريفية عن الشيعة.....
٤٧٩	المطلب الأول: تعريف الشيعة، وأهم معتقداتها.....
٤٨٣	قولهم في الإمامة.....
٤٨٥	ثانياً: فرق الشيعة وأهم معتقداتها.....

الصفحة	الموضوع
٤٨٧	١- الكيسائية.....
٤٨٩	٢- الزيدية.....
٤٩١	٣- الإمامية.....
٤٩٨	٤- الغلاة.....
٥٠٣	- رسم توضيحي لفرق الشيعة.....
٥٠٥	المطلب الثاني: نشأة التشيع.....
٥١٩	المبحث الثاني: موقف الصحابة رضي الله عنهم من الشيعة.....
٥١٩	قواعد التعامل مع الشيعة عند علي بن أبي طالب.....
٥٢٠	أولاً: رفض التشيع المطلق.....
٥٢١	ثانياً: التصريح بقول من يكذب عليه.....
٥٢٣	ثالثاً: الإعلام والإعلان بالحق.....
٥٢٤	رابعاً: الرد على شبهاتهم.....
٥٢٩	خامساً: المناقشة والاحتجاج.....
٥٢٩	سادساً: البيان والإيضاح قبل إيقاع العقوبة.....
٥٣٠	سابعاً: إيقاع العقوبة على من جاء بالبدعة.....
٥٣٢	ثامناً: التحذير منهم ومن كلامهم.....
٥٣٣	تاسعاً: التحذير من غدر الشيعة.....
٥٣٦	عاشراً: إعلان البراءة ممن يتخذ التشيع له ستاراً.....
٥٣٦	الحادي عشر: الوصية بالاعتدال في الحب.....

الصفحة	الموضوع
٥٣٩	الثاني عشر: حكمهم.....
٥٤١	الفصل الرابع : القرية وموقف الصحابة منهم.....
٥٤١	المبحث الأول: نبذة تعريفية عن القرية.....
٥٤١	المطلب الأول: تعريف القرية وأصنافها وفرقها.....
٥٤٢	أصناف القرية.....
٥٤٢	١- قرية مشركية.....
٥٤٣	٢- قرية مجوسية.....
٥٤٤	٣- قرية إبليسية.....
٥٤٤	- فرق القرية وأهم معتقداتها.....
٥٤٥	- نفاة القدر.....
٥٤٨	- الغلاة في إثبات القدر وهم.....
٥٤٨	١- الجبرية الخالصة.....
٥٤٩	٢- الجبرية المتوسطة.....
٥٥١	- أقوال القرية في مسائل الاعتقاد.....
٥٥٢	- الخائضون في القدر في العصر الحديث.....
٥٥٣	- المطلب الثاني: نشأة القول بالقدر.....
٥٦٨	- نهى النبي عن الخوض في القدر.....
٥٦٨	المبحث الثاني: موقف الصحابة من القرية.....
٥٦٩	أولاً: مواقف الصحابة في تعليم الناس الإيمان بالقضاء والقدر.....



الصفحة	الموضوع
٥٦٩	١- تعدد طرق الصحابة في تعليم الناس القضاء والقدر.....
٥٧٢	٢- تحاورهم في مسائل القدر.....
٥٧٣	٣- يجيبون على أسئلة المستفهم والمستعلم.....
٥٧٤	٤- يزيلون الشكوك ويقطعون بالحجة.....
٥٧٥	٥- يمتحنون طلابهم ليحصنوهم.....
٥٧٦	ثانياً: مواقف الصحابة من القدرية.....
٥٧٧	أولاً: استفاضة القول في القدر.....
٥٧٨	ثانياً: الاحتجاج بالنصوص.....
٥٨٠	ثالثاً: ضرب الأمثلة وتقريب الأمور.....
٥٨٠	رابعاً: بيان خطورة الخوض في القدر.....
٥٨٢	خامساً: إعلان البراءة من القدرية.....
٥٨٢	سادساً: الأمر بهجر القدرية.....
٥٨٣	سابعاً: لعنهم والدعاء عليهم.....
٥٨٤	ثامناً: الأمر بإهانتهم وعدم رد السلام عليهم.....
٥٨٥	تاسعاً: ضربهم وإيذاؤهم والتهديد بقتلهم.....
٥٨٦	عاشراً: التشهير بهم.....
٥٨٧	الحادي عشر: شناعة قول القدرية وعدم قبول أعمالهم.....
٥٨٧	الثاني عشر: إنزال آيات من القرآن عليهم تحذيراً منهم.....
٥٨٨	الثالث عشر: حكمهم.....

الصفحة	الموضوع
٥٩٣	الفصل الخامس: المرجئة وموقف الصحابة منهم.....
٥٩٣	المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المرجئة.....
٥٩٣	أولاً: تعريف المرجئة في اللغة والاصطلاح.....
٥٩٥	ثانياً: بيان فرقهم وأهم معتقداتها.....
٥٩٧	- أقسام المرجئة.....
٥٩٧	١- مرجئة الفقهاء.....
٥٩٩	٢- مرجئة المتكلمين وأقسامهم.....
٥٩٩	أ- الجهمية.....
٦٠٠	ب- الكرامية.....
٦٠٠	ج- الأشاعرة.....
٦٠١	المطلب الثاني: نشأة القول بالإرجاء.....
٦٠٦	المبحث الثاني: موقف الصحابة من المرجئة.....
٦٠٩	دروس من موقف الصحابة من المرجئة.....
٦٠٩	حكمهم.....
٦١١	الخاتمة.....
٦١٥	فهرس المصادر والمراجع.....
٦٤٥	فهرس الموضوعات.....